

كتاب  
الشيخ  
الحسين بن علي

تأليف  
أبي الحسن بن علي بن هبة

تأليف  
أبي الحسن بن علي بن هبة

كتاب  
الحسين بن علي









كِتَابُ  
الْعِشْمَانِيَّةِ



كِتَابُ  
الْعُثْمَانِيَّةِ

تأليف  
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ  
١٥٠هـ - ٢٥٥هـ

تحقيق وشرح  
عبد السلام محمد هارون

دار البين  
بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الأولى

١٩٩١-١٤١١هـ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة العُجب كما نعوذ بك من فتنة الأثر ،  
ونعوذ بك من شر الحاسد كما نعوذ بك من رَيْبِ الصاحب ، وقد يمّا  
ما تمودوا بالله من كيدهما ، وتوجهوا إلى الله في السلامة منهما . قال الله  
جلّ وعزّ : « ومن شرّ حاسد إذا حسد » ، وقال حكيم : « اللهم اكفني  
شر أصدقائي ، أما أعدائي فقد عرفتهم » .

سألتني - أيّدك الله - أن أثبت لك فيما أثبت - كتاب  
أبي عثمان في « العثمانية » ، وقلت : إنه كتابٌ نادر الأصل ، عزيز  
النصيب ، وأنت كنت لم تسمع به من قبل ، وأنّ غيرك من الناس  
كثير لم يملوا به ولم يقرع لهم سمعا ، إلّا ما ظهر لهم أخيراً في مفاضة  
الإسكافي له ، وذلك في جمهرة من رسائل بَمّها أديب كريم فيما يبعث  
الناس من هذا النتاج العربي الخالد .

وقد كشتُ على أن أسرع في إجابة طلبتك ، وأن أبذُر إلى تلبية  
هذه الرغبة ، فقد زعمتُ لك من قبل أنني نصبت نفسي لهذا الصنيع ،  
ودعوت الله أن ينسأ في الأجل عسى أن أبذل لأبي عثمان من الوفاء كفاء  
ما بذله هو للإنسانية من وفاء بها وبرٍّ عظيم .

وكان ما صنعَ الله من عون في بعث كتابي « الحيوان » و « البيان »  
على وجهٍ أراه قد أَرْضَى جمهوراً صالحاً من النصفين ، وأستخط قلة نادرة  
من الشُّناة الحاسدين .

وقد حال دون مبادرتي لإسعافك ما يحول بين المرء وأمانيه الجسماء ،  
من حادث الدهر وعوادي أيامه . وقد كنت أخشى أن يستبدّ بك الجوع  
بمد هذه الماطلة ، ولكنك صبرتَ وصبرت ، فجزيتك في نفسى خيرا ،  
حتى شاء الله أن يتم هذا الكتاب — وهو كتابٌ عَجَبٌ — بمد لأي  
شديد ، ومصارعة طال بها الأمد .

ومسى أن تغفر لي — حفظك الله — ما زلّ به القلم ، أو أخطأ  
القلب ، وهو ما لم أتعده إن شاء الله ، فإنك بالنفزان حريٌّ به  
وبالصنع جدير .

# قديم

## المثابرة:

هم أنصار عثمان بن عفان رضى الله عنه ، والمحتجون لفضله ، المناضلون عنه ، الدافعون مطامع المخالفين فيه من الشيعة والزيدية وأضرابهم . عرفوا قديماً بهذا الاسم ، وهم فرع من « الممرية » أصحاب عمر بن الخطاب ، كما تدل على ذلك إشارة الجاحظ في قوله : « ثم أوصى إليه عثمان بن عفان ، وهو أصل الممرية والمثابرة » ، وكما قرن بين الطائفتين ابن التديم في أثناء أخبار الجهمي : « ووقع بينه وبين قوم من الممريين والمثابين شر » . وقال الجاحظ في حكاية قول المثابرة : « ولا نقول فيه إذ كننا عثمانية وممرية ، قولكم في عمر وعثمان » .

وكانت المثابرة أشد الفرق الإسلامية السياسية خلافاً على عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ، كما كانت الشيعة أشدّ الناس لهم عداوة .

وكان اتجاه الشيعة في طعنهم على عثمان أن يطمنوا في أسلافه : أبي بكر وعمر ، وتشدد حملتهم على أبي بكر خاصة ، لأنه أعلى الثلاثة الخلفاء الراشدين شأنًا وأظهرهم مناقب . ولهذا السبب نفسه فيما أرى اتجهت أفكار المثابرة إلى أن تعمل من شأن أبي بكر وتلتزم له من المناقب ما ترى فيه اتصارا على الشيعة وإحكاماً لهم . فيقولون<sup>(١)</sup>:

« إن أفضل هذه الأمة وأولاها بالإمامة أبو بكر بن أبي تحافة ... وكان أول ما دلم عند أنفسهم على فضيلته وخاصة منزلته وشدة استحقاقه إسلامه على الوجه الذي لم يسلم عليه أحدٌ في عالمه وفي عصره » .

ويذهبون إلى الموازنة بين فضائله وفضائل علي :

فصحةُ أبي بكرٍ للرسول في النار أظهر فضلاً من مبيت عليٍّ في الفراش<sup>(١)</sup>. وقد ظفر من النبي بقلب الصدِّيق ، وهو ما لم يظفر بمثله علي<sup>(٢)</sup>. وهو كذلك قد انفرد بالرسول في المريش<sup>(٣)</sup>، وقدَّمته النبي في الحديبية<sup>(٤)</sup> وسائرَ الرسول وحده يوم فتح مكة<sup>(٥)</sup>، وأنزل فيه من القرآن ما لم ينزل في أحد من الصحابة<sup>(٦)</sup>. وقد نال فضلاً عظيماً بإمامته الناس في مرض النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٧)</sup> وكان هو إماماً لملي<sup>(٨)</sup>. وكان المحكِّم في موضع دفن الرسول<sup>(٩)</sup>. وهو الذي تدارك الأُمَّة بحزمه بعد وفاة الرسول<sup>(١٠)</sup>.

وأما الشيعة فيجعلون إسلام عليٍّ فوق إسلام أبي بكر<sup>(١١)</sup>. وعلى كُلى ألقه من أبي بكر<sup>(١٢)</sup>. وكان عليٌّ يتصدق وهو في الصلاة<sup>(١٣)</sup>. وفيه وفي ابنه أنزلت سورة كاملة من القرآن<sup>(١٤)</sup>. وله يقول الرسول : « أنت مني كهارون من موسى »<sup>(١٥)</sup>. وقد كان عليٌّ مواخياً للرسول<sup>(١٦)</sup>. وقد أسرَّ إليه بعل ما كان وما سيكون<sup>(١٧)</sup>. ويقولون : نحن نطمئن في صلاة أبي بكر بالناس<sup>(١٨)</sup>. وخلافةُ أبي بكر كانت بغير إجماع<sup>(١٩)</sup>. ويقولون بكفر من أنكر إمامة علي<sup>(٢٠)</sup>. ويقولون : كان بلال وعمار ابن ياسر يطمنان علي أبي بكر وعمر<sup>(٢١)</sup>. ويرمون أبا بكر وهبلان بالجبن<sup>(٢٢)</sup>. والفاخر التي يدهيها العثمانية لأبي بكر مدحوضة كاذبة<sup>(٢٣)</sup>. وأما مطاعن العثمانية في علي فإنها واهية موهودة<sup>(٢٤)</sup>.

( ١ ) العثمانية ٤٢ .	( ٢ ) ص ١٢٣ ، ١٢٨ .
( ٣ ) ص ٣٥ .	( ٤ ) ص ٧٠ .
( ٥ ) ص ٧٢ .	( ٦ ) ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ١٩٥ .
( ٧ ) ص ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ .	( ٨ ) ص ١٢٩ .
( ٩ ) ص ٨٣ .	( ١٠ ) ص ١٨٤ ، ١٩٩ .
( ١١ ) ص ١٨ ، ٢٠ .	( ١٢ ) ص ٨٤ .
( ١٣ ) ص ١١٩ .	( ١٤ ) ص ١١٦ .
( ١٥ ) ص ١٥٣ ، ١٥٨ .	( ١٦ ) ص ١٦١ .
( ١٧ ) ص ٢٤٣ .	( ١٨ ) ص ١٧٠ .
( ١٩ ) ص ١٧٢ .	( ٢٠ ) ص ٢٢٥ .
( ٢١ ) ص ١٨٠ ، ١٨٢ .	( ٢٢ ) ص ٢٤٢ .
( ٢٣ ) ص ٢٣٨ .	( ٢٤ ) ص ٢٣٩ .

وقد جعل الجاحظ نفسه حَكَّاءَ بين هذه الطامن والمناقضات ، ولم يستطع أن يكتم ما في نفسه من التحامل على الشيعة ، كما لم يستطع أن يكذب على التاريخ فيسلب علياً رضوان الله عليه جمهور مناقبه المالية ، بل هو يجهر بتمجيده لعلى كرم الله وجهه ، ويحمل شيعة على تَبْعة هذه المهارات ، فيقول :

« وليس أنه - أى على - لم يكن في طبعه التَّجدة والشَّامة ، وفي غريزته الدفع والحماية <sup>(١)</sup> » .

« ولم ترد بهذا الكلام تفقُّص على رحمة الله ، ولا إخراجة من الفناء واحتمال المكروه <sup>(٢)</sup> » .

« والمعجب إن كان كما تزعمون ، كيف لم يصب على أبى موسى فيجذمه ، أو على جيش صِفين فيهزمه ؟ ! بل كان على أظهر سُلماً ، وأرجح حِلماً وأشدَّ ورعاً ، وأكثر فقهاً وأبين فضلاً ، من أن يدهى هذا وشبهه <sup>(٣)</sup> » .

ومدار الكلام في هذا كله على «الإمامة» ، فالنزاع بين الفريقين يطوَّف ما يطوَّف ثم يأوى إلى هذا المعنى الدقيق السياسى .

وفى ذلك يقول الجاحظ <sup>(٤)</sup> : « ولكن كتابى هذا لم يُوضع إلا فى الإمامة . وربما ذكرت من المقالة والملة والنحلة التى تعرّض فى الإمامة صدرأ ، طلباً للتمام وتعميراً لوجوه الإمامة وما دخل فيها » .

مضى ألف الجاحظ كتاب المئانية :

نستطيع أن نجعل حداً لتأليف هذا الكتاب قبل سنة ٢٤٠ ، وهى السنة التى توفى فيها أبو جعفر الإسكافى <sup>(٥)</sup> . فقد ذكر ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة أن أبا جعفر الإسكافى قضى كتاب المئانية على أبى عثمان الجاحظ ( فى حياته ) . وذكر

(٢) ص ٤٨ .

(١) المئانية ص ٣٠ .

(٤) ص ٢٠٦ .

(٣) ص ١٥٣ .

(٥) تاريخ بغداد ٥ : ٤١٦ ومروج الذهب ٣ : ٢٥٤ وابن أبى الحديد ٤ : ١٥٩ .

أيضا أن الجاحظ دخل سوق الوراقين ببغداد فقال : من هذا الغلام السوادى الذى يلفنى أنه تعرض لتفص كتابى ؟ وأبو جعفر جالس ، فاختفى منه حتى لم يره . وقد ألف كتابه هذا قبل كتاب « العباسية » ، قال فى المئانية<sup>(١)</sup> : « وسنخبر من مقالة العباسية ووجوه احتجاجهم بعد فراغنا من مقالة المئانية » . وألفه كذلك قبل كتاب المعرفة<sup>(٢)</sup> ، وقبل كتاب الحيوان ، فهو يقول فى مقدمة الحيوان<sup>(٣)</sup> : « وعيتى بحكاية قول المئانية والضرارية<sup>(٤)</sup> » ، وأنت تسمى أقول فى أول كتابى : وقالت المئانية والضرارية ، كما سمعتنى أقول : قالت الرافضة والزيدية ، غفكت على بالنصب لحكايتى قول المئانية ، فهلا حكمت على بالتشيع لحكايتى قول الرافضة » .

#### تحقيق اسم الكتاب :

إن نسخة الأصل لم يثبت على ظاهرها عنوان خاص ، ولكنها تحمل فى ظاهرها خاتم مكتبة كوبرلى ورقم ٨١٥ وسماها الفهرسون : « جل جوابات المئانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية » اقتباساً من عبارة وردت فى أواخر هذه النسخة (ص ٢٨٩ ص ٦) .

والحق أن اسم هذا الكتاب هو « كتاب المئانية » عرفه بذلك ابن أبى الحديد<sup>(٥)</sup> .

(٢) ص ٢٦١ .

(١) ص ١٨٧ .

(٣) الحيوان ١ : ١١٠ .

(٤) هؤلاء أتباع ضرار بن عمرو صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية . وكان فى أول أمره تلميذاً لواصل بن عطاء الملقب ، ثم خالته فى خلق الأعمال ، وإنكار مذاهب القبر . الاعتقادات الرازى ٦٩ والفرق ٢٠١ . ويحكى عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود وحرف أبى بن كعب ويقطع بأن الله لم ينزله . الملل والنحل ١ : ١١٥ . قال أحمد بن حنبل : شهدت على ضرار عند سميد بن عبد الرحمن الجصى القاضى ، فأمر بضرب عنقه فهرب . وقيل إن يحيى بن خالد البرمكى أخفاه . لسان الميزان ٣ : ٢٠٣ . ومن الواضح أن حكاية قول الضرارية كان فى كتاب آخر غير كتاب المئانية .

(٥) شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٥٣ / ٤ : ١٥٩ .

وعلى هذه التسمية منع أبو جعفر الإسكافي كتابه الذي سماه « قضى  
المثانية<sup>(١)</sup> » .

ويقول المسعودى فى مروج الذهب<sup>(٢)</sup> :

« وقد صنف أيضاً كتاباً استقصى فيه الحجاج عند نفسه وأيده بالبراهين ،  
وعصده بالأدلة فيما تصوّره من عقله ، ترجمه بكتاب المثانية ، يعمل (؟) فيه عند  
نفسه فضائل على عليه السلام ومناقبه ، ويحتج فيه لغيره ، طلباً لإماتة الحق ،  
ومضادةً لأهله . والله متم نوره ولو كره الكافرون . »

ثم يقول : « ثم لم يرض بهذا الكتاب المترجم بكتاب المثانية حتى أعقبه  
بتصنيف كتاب آخر فى إمامة الرواية وأقوال شيعتهم ؛ ورأيته مترجماً بكتاب  
إمامة أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان فى الانتصار له من على بن أبى طالب رضى  
عنه وشيعة الزايدة ، يذكر فيه رجال الرواية ، ويؤيد فيه إمامة بنى أمية وغيرهم . »  
ويقول بعد ذلك : « ثم صنف كتاباً آخر ترجمه بكتاب مسائل المثانية ، يذكر  
فيه ما فاتته ذكره وتفحصه عند نفسه من فضائل أمير المؤمنين على ومناقبه  
فيما ذكرنا . »

والراجع أن كلمة « المثانية » فى النص الأخير معرفة عن « المباسية » ؛ وذلك  
لأن « مسائل المباسية » هو الكتاب الذى وعد به الجاحظ فى أثناء كتاب  
المثانية وفى ختامه .

يقول فى الموضع الأول<sup>(٣)</sup> : « وسنخبر عن مقالة المباسية ووجوه احتجاجهم  
بعد فراغنا من مقالة المثانية » .

وفى الموضع الثانى<sup>(٤)</sup> : « ونحن مبتدئون فى كتاب المسائل » يعنى بذلك  
« مسائل المباسية » .

(١) شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٥٣ (التي وردت خطأ مطبعياً بعد ص ٢٥٦) .

(٢) مروج الذهب ٣ : ٢٥٣ .

(٣) ص ٢٨٠ .

(٤) ص ١٨٧ .

### قدر الكتاب :

لو لم يكن من قدر هذا الكتاب إلا أنك تقرأ من قلم الجاحظ ثمانين صفحة ومائتين لكفى ذلك فضلاً له ، فإن ما كتبه الجاحظ في كتابيه « الحيوان » و « البيان والتبيين » يمدُّ بالنسبة إلى النصوص والنقول التي حشدها في ذينك الكتائين شيئاً ليس بالغالب . وأما المبنية فهي صوغٌ كريم للجاحظ ، ومتاعٌ لدارس المسائل الدينية ، والقضايا التاريخية والسياسية التي نجمت في فجر الإسلام وأوائل الدول الإسلامية . وهو كذلك معرض كبير للجدال والحجاج الفكري في عصر من أزهى المصور الإسلامية الأولى .

### نقض المبنية :

ظهر كتاب المبنية في زمان كثر فيه الجدل والنزاع حول المصيبة الدينية والسياسية ، وكان المعتزلة في أوج قوتهم ونشاطهم . ويبدو كذلك أن الحرية الفكرية لم تكن تلقى من القيود ما يكفكف من غربها . فالجاحظ نفسه يقول في المبنية<sup>(١)</sup> مبرراً عن زوال الثقة وانطلاق الفكر بقوله :

« ولو لم أكن على ثقة من ظهور الحق على الباطل لم استحل كتابه مع زوال الثقة ، وصلاح الفهر ، وإنصاف القيم » .

لذلك وجدنا المبنية تلقى من ينقضها في حياة الجاحظ . ومن العجيب أن الذي ينقض المبنية وهو شيخ من شيوخ المعتزلة البغداديين ورؤسائهم ، وأهل الزهد والديانة منهم ، ممن يذهب إلى تفضيل على عليه السلام ، وإلى القول بإمامة المفضل كما يقول المسعودي<sup>(٢)</sup> ، وذلك الناقض هو أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي . وقد عدّه قاضي القضاة<sup>(٣)</sup> في الطبقة السابعة من المعتزلة ، مع عباد بن سليمان الصيمري ،

(١) المبنية ص ١٥٤ .

(٢) مروج الذهب ٣ : ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٣) هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الميماني الاستراباذي . كان شيخاً للمعتزلة في عصره ، وهم يلقبونه قاضي القضاة ، ولا يلقبونه بهذا اللقب على غيره . ومات بأرض سنة ٤١٥ . تاريخ بغداد ١١ : ١١٣ والرسالة المستطرفة ١٢٠ .



وزرقان ، وعيسى بن الهيثم . كما جعل أول هذه الطبقة ثمانية بن أنرس ، ثم أبا عثمان الجاحظ ، ثم أبا موسى عيسى بن صبيح الردار ، ثم أبا عمران يونس . ابن عمران ، ثم محمد بن إسماعيل المسكري ، ثم عبد الكريم بن روح المسكري ، ثم يوسف بن عبد الله الشحام ، ثم أبا الحسين الصالحى ، ثم صالح قبة ، ثم الجعفران : جعفر بن جرير ، وجعفر بن ميسر ، ثم أبا عمران بن النقاش ، ثم أبا سعيد أحمد ابن سعيد الأسدي ، ثم عباد بن سليمان ، ثم أبا جعفر الإسكافي هذا .

وقال : كان أبو جعفر فاضلاً عالماً ، وصنف (سبعين كتاباً) في علم الكلام . وهو الذى قضى كتاب الثمانية على أبي عثمان الجاحظ ( في حياته ) . ودخل الجاحظ الوراقين ببنداد فقال : من هذا التلام السوادى الذى بلغنى أنه تمرض . لفقض كتابي ؟ وأبو جعفر جالس ، فاخفى منه حتى لم يره .

وكان أبو جعفر يقول ( بالفضل ) على قاعدة معتلة ببنداد ويبالغ في ذلك . وكان علوى الراى محققاً منصفاً قليل المصيبة<sup>(١)</sup> .

ولتوضيح هذا النص الأخير نُورد ما ذكره ابن أبي الحديد في صدر كلامه . في شرح نهج البلاغة ، إذ يقول<sup>(٢)</sup> .

« القول فيما يذهب إليه أصحابنا المعتبرة في الإمامة ، والفضل ، والبنية ، والخواارج :

اتفق شيوخنا كافة — رحمهم الله — المتقدمون منهم والمتأخرون ، والبصريون والبنداديون ، على أن يسمي أبي بكر الصديق صحبة شرعية ، وأنها لم تكن من نص . وإنما كانت بالاختيار ، الذى ثبت بالإجماع وبغير الإجماع كونه طريقاً إلى الإمامة . واختلفوا في ( الفضل ) ، فقال قدماء البصريين كآبي عثمان عمرو بن عبيد ، وأبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وأبي ميمون

(١) ابن أبي الحديد ٤ : ١٥٩ .

(٢) ابن أبي الحديد ١ : ٣ .

ثمامة بن أنس ، وأبي محمد هشام بن عمرو القُوطي ، وأبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ، وجماعة غيرهم ، أن أبا بكر أفضل من علي عليه السلام ، وهؤلاء يحملون ترتيب الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة .

وقال البنداديون قاطبةً قدامهم ومتأخروهم كأبي سهل بشر بن المتمر ، وأبي موسى عيسى بن صبيح ، وأبي عبد الله جعفر بن مبشر ، وأبي جعفر الإسكافي ، وأبي الحسين الخياط ، وأبي القاسم عبد الله بن محمود البلخي وتلامذته ، أن علياً عليه السلام أفضل من أبي بكر . وإلى هذا المذهب ذهب من البصريين أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي أخيراً . وكان من قبل من المتوقفين ، كان يميل إلى التفضيل ولا يصرح به ، وإذا صنف ذهب إلى الوقف في مصنفاته . وقال في كثير من نصابه : إن صح خبر الطائر<sup>(١)</sup> فعلي أفضل .

ثم إن قاضي القضاة رضي الله عنه ذكر في شرح المقالات لأبي القاسم البلخي أن أبا علي<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه ، يوم مات ، استدنى ابنه هاشم إليه ، وكان قد ضعف من رفع الصوت ، فألقى إليه أشياء ، من جلها القول بتفضيل علي عليه السلام . ومن ذهب من البصريين إلى تفضيله عليه السلام الشيخ أبو عبد الله الحسين ابن علي البصري رضي الله عنه ، كان متحققاً بتفضيله ، ومبالغاً في ذلك ، وصنف فيه كتاباً مفرداً .

ومن ذهب إلى تفضيله عليه السلام من البصريين قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد رضي الله عنه . ذكر ابن متويه عنه ، في كتاب الكفاية في علم السكلام ، أنه كان من المتوقفين بين علي عليه السلام وأبي بكر ، ثم قطع على تفضيل علي عليه السلام ، بكامل النزلة .

ومن البصريين الفاهين إلى تفضيله عليه السلام أبو محمد الحسن بن متويه صاحب

(١) انظر الثانية ص ١٤٩ — ١٥٠ .

(٢) يعني أبا علي محمد بن الوهاب الجبائي .

التذكرة ، نصّ في كتاب الكفاية على تفضيله عليه السلام على أبي بكر ، واحتجّ لذلك وأطال في الاحتجاج .

فهذان الذهبان كما عرفت . وذهب كثير من الشيوخ رحمهم الله إلى التوقف فيهما ، وهو قول أبي حذيفة وأصل بن عطاء ، وأبي الهذيل محمد بن الهذيل الملائى من المتقدمين . وما وإن ذهبنا إلى الوقف بينه عليه السلام وبين أبي بكر وعمر ، فاعلمنا على تفضيله على عثمان .

ومن الداهيين إلى الوقف الشيخ أبو هاشم عبد السلام بن أبي على رحمهما الله ، والشيخ أبو الحسن محمد بن على بن الطيب البصرى رضى الله عنه .

وأما نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البنداديون من تفضيله عليه السلام . وقد ذكرنا في كتبنا الكلامية ما معنى الأفضل ؟ وهل المراد به الأكثر ثواباً أم الأجمع لمزايا الفضل والخلال الحميدة ؟ وبيننا أنه عليه السلام أفضل ، على التفسيرين ممّا . . . » .

فهذه الوثيقة النادرة تبين لنا مدى العلاقة بين التشيع والاهتزال ، وتعلّل لنا بعض الدوافع التي حثت بالجاحظ أن يصنع كتاب العثمانية .

وكتب « نقص العثمانية » من الكتب التي انقرضت ، ولم يبق منه إلا نصوص متناثرة في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد<sup>(١)</sup> ، الذي طبع للمرة الأولى في طهران سنة ١٢٧٠ ثم في مصر سنة ١٢٩٠ ، ١٣٢٩ .

وقد أفرد الأستاذ حسن السندوبى هذه النصوص في كتابه « رسائل الجاحظ » المطبوع في القاهرة سنة ١٣٥٢ وجاء بها على ترتيبها الذي وجدت عليه في شرح نهج البلاغة ، بسد أن أفرد نصوص العثمانية التي نقضها أبو جعفر الإسكافى على ترتيبها في ذلك الشرح .

(١) هو عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائنى المعتزلى ، الفقيه الشاعر . ولد سنة ٥٧٦ وتوفى سنة ٦٥٥ . فوات الوفيات .

وذلك أن ابن أبي الحديد يسوق النص من المئانية ثم يعقب عليه بمناقضة  
أبي هنيئان نسباً بنص . ولكن الأستاذ السدوي أفرد الأولى جميعها ، ثم أفرد  
الأخرى جميعها كذلك .

وقد وجدتُ أن النصوص التي أوردها ابن أبي الحديد من المئانية تدور حول  
مواضع لا تتجاوز اثنتين وستين صفحة من صدر المئانية لحسب<sup>(١)</sup> ، ووجدت  
أن التعقيب عليها في أسفل الصفحات بمناقضات أبي جعفر يُخل بالوضع الذي يجب  
أن يخرج عليه الكتاب ، فوضعتُ إشارات بالنجوم في الأصل وأشرت في الحواشي  
إلى أرقام المناقضات التي تقابلها والتي أفردتها وحدها بعد نهاية نص المئانية .

ولم أشأ أن أعتد على النسخة المطبوعة المتداولة من شرح ابن أبي  
الحديد ، وهي طبعة سنة ١٣٢٩ فرجعت إلى المخطوطة الكاملة المودعة برقم ٥٧٦ أدب ،  
وقابلت نصّها بنصّ النسخة المطبوعة ، التي أشرت إليها بالرمز « ط » .

وقد لحظتُ أن النصوص التي يوردها ابن أبي الحديد من المئانية لا تطابق  
الأصل مطابقةً تامة ، بل يتصرّف فيها بالاختصار<sup>(٢)</sup> ، مع أن ابن أبي الحديد

---

(١) حلل ذلك ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٥٣ بما يلي :  
« ويلينى أن يذكر في هذا الموضع ملخص ما ذكره الشيخ أبو هنيئان الجاحظ في كتابه  
المعروف بكتاب المئانية في تفضيل إسلام أبي بكر على غيره عليه السلام ، لأن هذا الموضع  
يقتضيه ، لقوله عليه السلام حكاية من قرئش لما صدق رسول الله صلى الله عليه وآله : وهل  
يصدق في أمرك إلا مثل هذا لأنهم استصغروا سنه فاستعقروا أمر محمد صلى الله عليه وآله ،  
حيث لم يصدقه في دعواه إلا غلام صغير السن . وشبهة المئانية التي قررها الجاحظ من هذه  
الشبهة لهاأت ، ومن هذه الكلمة تفرعت ، لأن خلاصتها أن أبا بكر أسلم وهو ابن أربعين  
سنة ، وعلى أسلم ولم يبلغ الحلم ، فكان إسلام أبي بكر أفضل . ثم تذكر ما اعترض به شيخنا  
أبو جابر الإسكافي على الجاحظ في كتابه المعروف بنقض المئانية . ويتشعب الكلام بينهما حتى  
يخرج عن البحث في الإسلاميين إلى البحث في أفضلية الرجلين وخصائصهما فإن ذلك لا يخلو من  
قائمة جليلة ، ونكتة لطيفة ، لا يليق أن يخلو كتابنا هذا عنهما ، ولأن كلامهما بالرسائل والمطالبة  
أشبه . وفي الكتابات أقصد وأدخل . وكتابنا هذا موضوع قد ذكر ذلك وأمثاله » .  
(٢) بلغ أن أوجزت صفحتان منه في نحو ثلاثة أسطر . قابل بين ص ٢٧ - ٣ ص ٦  
وواصل المناقضة وتم ٦ في ابن أبي الحديد ٣ : ٢٦٧ .

نفسه ينمى على الذين يضمنون ذلك فى اقتباس النصوص . قال يعيب المرتضى فى ذلك<sup>(١)</sup> :

« والمرضى رحمه الله لا يورد كلام قاضى القضاة بنصه ، وإنما يختصره ويورده مبتورا ، ويؤمى إلى المائى إعاءة لطيفا ، وغرضه الإيجاز . ولو أورد كلام قاضى القضاة بنصه لكان أليق ، وكان أبعد من الظنة ، وأدفع لقول قائل من خصومه : إنه يحرف كلام قاضى القضاة ويذكره على غير وجهه . ألا ترى أن من نصب نفسه لاختصار كلام فقد ضمن على نفسه أنه قد فهم معانى ذلك الكلام حتى يصح منه اختصاره ، ومن الجأز أن يظن أنه قد فهم بعض المواضع ولم يكن قد فهمه على الحقيقة ، فيختصر ما فى نفسه لا ما فى تصنيف ذلك الشخص . وأما من يورد كلام الناس بنصه فقد استراح من هذه التهمة ، وعرض عقل غيره وعقل نفسه على الناظرين والسامعين . »

لكن الذى يهون من هذا الأمر أن ابن أبى الحديد نفسه يذكر فى صراحة أنه إنما يسوق ملخصا لكلام الجاحظ ، قال<sup>(٢)</sup> : « وينبغى أن يذكر فى هذا الموضع ملخص ما ذكره الشيخ أبو هيثم الجاحظ فى كتابه المروف بكتاب الثمانية . » ولهذا السبب لم أر داعيا لذكر النص الذى نقله ابن أبى الحديد من الثمانية ، وإنما استعنت به فى تحقيق نص الكتاب ، ورمزت له بالرمز « ح » .

ومما هو جدير بالذكر أن تلك المفااضات قد وردت عند ابن أبى الحديد غير مرتبة وغير مسارة لجرى الكتاب ، فترتيبها هناك على هذا النسق : المناقضات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٨ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

(١) شرح نهج البلاغة ٤ : ١٧٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٣ : ٢٥٣ التى وقعت خطأ بدمى ٢٥٦ .

لكى فُيِّرَتْ هنا نسقها الذى وودت عليه لتمايز نصوص الثمانية على ترتيبها المطّرد .

### أصول كتاب الثمانية :

لم يكن هذا الكتاب معروفاً ، عُرف معرفةً تاريخيةً خُصب ، ولم تنشر المطبعة إلا الفصول التى أوردها ابن أبى الحديد ، وما إن علمت بأن معهد المخطوطات للجامعة العربية قد اجتلب صورة منه ، حتى بادرت إلى طلب صورة منها ، تمهيداً لنشره فى « مكتبة الجاحظ » التى بدأت العمل فى تحقيقها سنة ١٣٥٧ .

وأصل هذه النسخة مودع فى مكتبة كوربيللى بتركيا برقم ٨١٥ . وهى نسخة مجهولة التاريخ توشك أن تكون من مخطوطات القرن السادس الهجرى . ومع جودة خطها هى كثيرة التحريف ، ومع هذا التحريف نجد منهج كتابتها خاضعا لنهج الأقدمين من وضع علامات لاهمال الحروف مثل ( ٧ ) أو تقييدها وضبطها مثل ( ح ) و ( ع ) . وكثيراً ما يترك الناسخ إجماع بعض الحروف مثل ( رى ) و ( بدا ) ثقةً بذهن القارئ أو مطاوعة لأصل نسخته .

وهذه النسخة هى التى عبرت عنها فى الحواشى بكلمة ( الأصل ) .

أما النسخة الثانية فهى مقتطفات من « الثمانية » وردت فى مجموعة عنوانها « غنارات فصول الجاحظ » من اختيار عبيد الله بن حسان . كتبت هذه النسخة سنة ١٢٩٤ باسم خزانة مسيو كريم النساوى .

وأصل هذه المجموعة محفوظ فى مكتبة المتحف البريطانى برقم ١١٢٩ ، وصورتها مودعة بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٦٩ . ويبدأ الاختيار فيها من الثمانية فى الورقة ١٦١ .

وهذه الفصول المختارة من الثمانية لم ترد فى المختارات المطبوعة فى مصر بهامش كامل المبرد .

وقد تضمنت هذه الفصول أربعة اختيارات .  
الأول يبدأ من أول المئانية وينتهي إلى س ٤ من ص ١٨ .  
والثاني من س ١٦ ص ٣٥ إلى س ٧ من ص ٣٧ .  
والثالث من س ١٢ ص ٣٩ إلى س ٣ من ص ٤١ .  
والرابع من ص ٨ ص ٢٥٠ إلى س ٩ من ص ٢٥٧ .  
وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز ( ب ) .  
وعلى هاتين النسختين اعتمدت في تحقيق نص الكتاب مستمينا بشئى المراجع ،  
ولاسيما التاريخية والأدبية .  
وأرجو أن أكون بهذا الجهد قد قاربت الصواب ، ودانيت الحق  
ولله الحمد على ما أنتم ؟

عليه السلام هارون

مصر الجديدة في ٣٠ رمضان ١٣٧٤





## مراجع التحقيق

- أسماء جبال تهامة ، لمرام بن الأصبح ، تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٣٧٣  
الإصابة ، في أسماء الصحابة ، لابن حجر . طبع السادة ١٣٢٣ .  
إمتاع الأسماع ، للمقرئ . تحقيق محمود شاكر . لجنة التأليف ١٣٦٠ .  
الإنباه على قبائل الرواة ، لابن عبد البر . السادة ١٣٥٠ .  
أنساب الأشراف للبلاذري . بيت المقدس ١٩٣٦ م .  
البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٦٩  
تاريخ الإسلام ، للذهبي . طبع القدس ١٣٦٧ .  
تاريخ الأمم والملوك ، للطبري . الحسينية ١٣٢٦ .  
تاويع بن نداد للشطيب البغدادي . القاهرة ١٣٤٩ .  
تحقيق النصوص ونشرها ، لعبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٤ .  
تفسير أبي حيان . السادة ١٣٢٨ .  
تهذيب التهذيب ، لابن حجر . حيدر آباد ١٣٢٥ .  
جمهرة أشعار العرب ، للقرشي . بولاق ١٣٠٨ .  
جمهرة الأنساب ، لابن حزم . تحقيق بروفنسال . طبع دار المعارف ١٣٦٨  
الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . الحلبي ١٣٦٤ .  
دائرة المعارف الإسلامية . النسخة المربية من سنة ١٣٥٢ .  
ديوان حسان . الرحانية ١٣٤٧ .  
« المجاج . لينسك ١٩٠٢ م .  
« أبي محجن الثقفي . الأزهار بالقاهرة .  
الروض الأنف ، للسهيلى . الجالية ١٣٢٢ .  
الرياض النضرة ، للمحب الطبري . الحسينية ١٣٢٧ .  
زهر الآداب ، للحصري . الرحانية ١٩٢٥ .  
سيرة ابن هشام ، جوتنجن ١٨٥٩ .  
شرح الحاشية للرزوقي . تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٣ .

- شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد . الحلبي ١٣٢٩ .  
صفة الصفوة ، لابن الجوزي . حيدر آباد ١٣٥٦ .  
الطبقات الكبير ، لابن سعد . ليدن ١٣٢٣ .  
المقد الفريد ، لابن عبد ربه . لجنة التأليف ١٣٧٠ .  
العمدة ، لابن رشيقي . هندية ١٣٤٤ .  
عيون الآثار ، لابن سيد الناس . القدس ١٣٥٦ .  
فتح الباري ، لابن حجر . بولاق ١٣٠١ .  
فصل الخطاب ، للعبرسي . طبع ليران .  
الفهرست ، لابن النديم . الرحمانية .  
فوات الوفيات ، لابن شاكر . بولاق ١٣٨٢ .  
الكامل ، لابن الأثير . محمد منير ١٣٤٨ .  
الكامل ، المبرد . ليبسك ١٨٦٤ م .  
لسان الميزان ، لابن حجر . حيدر آباد ١٣٣٠ .  
مروج الذهب ، للمسعودي . السعادة ١٣٦٧ .  
المعارف ، لابن قتيبة . الإسلامية ١٣٥٣ .  
معجم البلدان ، لياقوت . السعادة ١٣٢٣ .  
المعجم الفارسي الإنجليزي ، لاستينجاس لندن ١٩٣٠ م .  
الممرين ، للسجستاني . السعادة ١٣٢٣ .  
مغازي الواقدي . السعادة ١٣٦٧ .  
مقاتل الطالبين ، لأبي الفرج الأصبهاني . تحقيق السيد سقر . الحلبي ١٣٦٨ .  
الملل والنحل للشهرستاني . الأدبية ١٣١٧ .  
الميسر والأزلام ، لمبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٢ .  
نسب قريش ، لمصعب الزيري . دار المعارف ١٣٧٢ .  
وفيات الأعيان ، لابن خلكان . الميمنية ١٣١٠ .  
وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم ، تحقيق عبد السلام هارون . الحلبي ١٣٦٥ .

العثمانية



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عونك اللهم

ثم إنا مُخْبِرُونَ عن مقالة الثُبَّانية ، وبالله نستهدى وإياه نستعين ، وعليه نتوكل ، وما توفيقنا إلَّا به .

- (١) رَوَوْا أَنَّ أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَوَّلَهَا بِالْإِمَامَةِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَا دَلَّاهُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى فَضِيلَتِهِ وَغَايَةِ مَزَلَّتِهِ ، وَشِدَّةِ اسْتِحْقَاقِهِ ، إِسْلَامُهُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي لَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ طَلَّةٍ وَفِي عَصْرِهِ . وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي أَوَّلِ النَّاسِ إِسْلَامًا ، فَقَالَ قَوْمٌ : أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ ، وَقَالَ آخَرُونَ : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَقَالَ نَفَرٌ : خُبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ .
- عَلَى أَنَّهُ إِذَا تَفَقَّدْنَا أَخْبَارَهُمْ ، وَأَحْصَيْنَا أَحَادِيثَهُمْ وَعَدَدَ رَجَالِهِمْ (٢) ، وَ [ نَظَرْنَا فِي (٣) ] سَمَةِ أَصَانِيدِهِمْ ، كَانَ الْخَبَرُ فِي تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ أَهَمَّ ، وَرَجَالُهُ أَكْثَرُ ، وَإِسْنَادُهُ أَصَحُّ ، وَهَمَّ بِذَلِكَ أَشْهَرُ ، وَالْفِظُّ بِهِ أَظْهَرُ ، مَعَ الْأَشْجَارِ الْمَصْحُوحَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمُسْتَفِيضَةِ (٤) فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ . وَلَيْسَ بَيْنَ الْأَشْجَارِ وَبَيْنَ الْأَخْبَارِ فَرْقٌ إِذَا امْتَنَعَ فِي جَمِيعِهَا وَأَوَّلَ مَخْرَجِهَا التَّبَاعُدُ (٥) وَالْإِتِّفَاقُ وَالتَّوَاتُؤُ ، وَلَكِنَّا نَدْعُ هَذَا

(١) ب : « زعمت الثُبَّانية » وفي ح : « قالت الثُبَّانية » .

(٢) ب ، ح : « وعددنا رجالهم » .

(٣) التَّكْثِيرُ مِنْ ح .

(٤) فِي الْأَصْلِ وَب : « وَالْأَمْثَالُ الْمُسْتَفِيضَةُ » ، وَوَجْهُهُ مِنْ ح .

(٥) فِي الْأَصْلِ وَب : « التَّفَاعُرُ » ، وَصَوَابُهُ مِنْ ح .

ذلك من باطله بأن تُجِصَّ سِنِيهِ التي ولى فيها ، وسِنِي عُمَانَ ، وسِنِي عمر  
وسنى أبى بكر ، وسنى الهجرة ، ومُتَمَامِ النبي صلى الله عليه بركة بعد أن دعا  
إلى الله وإلى رسالته إلى أن هاجر إلى المدينة ، ثم تنظرَ في أقاويل الناس  
في عُمره ، وفي قول القتل والمكثّر ، فتأخذَ أوسطها وهو أعدلها ، وتطرح  
قول المقصر والنالى ، ثم تطرح ما حصل في يديك من أوسط ما روى من  
عُمره [و] سِنِيهِ ، وسنى عُمَانَ وسنى عمر وسنى أبى بكر ، والهجرة ومُتَمَامِ  
النبي صلى الله عليه وسلم بركة إلى وقت إسلامه ، فإذا فعلتَ ذلك وجدتَ  
الأمر على ما قلنا وعلى ما فسرنا .

وهذه التواريخ والأعمار معروفةٌ لا يستطيعُ أحدٌ جهلها والخلاف  
عليها ؛ لأنَّ الذين نقلا التاريخ لم يتملوا<sup>(١)</sup> تفضيلَ بعضٍ على بعضٍ ،  
وليس يمكن ذلك مع اختلاف علمهم وأسبابهم ، فإذا ثبت عندك بالذى  
أوضحنا وشرحنا أنه كان يومئذ ابن سبع سنين أقلّ بسنة أو أكثر  
بسنة ، علمت بذلك أنه لو كان أيضاً ابن أكثر من ذلك بسنتين وثلاث  
وأربع لا يكون إسلامه إسلام المكثف العارف بفضيلة ما دخل فيه ، ونقصان  
ما خرج منه .

والتاريخُ المجمع عليه أنَّ علياً قُتِلَ سنة أربعين في شهر رمضان<sup>(٢)</sup> .  
وقالوا : « فَإِنْ قَالُوا غُلِمَ لَهُ وهو ابن سبع سنين وعُثْمَانُ<sup>(٣)</sup> سنين قد بلغ من  
فِطْنَتِهِ وذِكرائه وصحّة لُبِّهِ وصِدْقِ حِسِّهِ وانكشافِ المواقِبِ له وإن لم يكن

(١) هذا ما في ب . وفي الأصل : « لَنْ الْقَيْنِ هَلُوا التَّارِيخُ لَمْ يَصْدُوا » .

٢٠ . « السلام من مبدأ الكتاب إلى هنا موضع مناقشة للاسكافي . انظر الرد وهم (١)  
في ملحقات الكتاب .  
(٢) ح : « أو ثمان » .

جَرَّبَ الأمور ، ولا قَاتَعَ الرَّجَال ، ولا نازع الخصوم ، ما يعرفُ جميع ما يجب على البالغ معرفته والإقرار به .

قلنا : إنَّما تتكلَّم على ظاهر الأحكام وما شاهدنا عليه طباعَ الأطفال .  
 وجدنا حكم ابن سبع سنين ، وثمان سنين وتسع سنين ، حيث قرأناه<sup>(١)</sup>  
 وبلغنا خبره — ما لم يُعلم مُغيَّب أمره ، وخاصةً طباعه — حُكَمَ الأطفال ،  
 وليس لنا أن نُزيل<sup>(٢)</sup> ظاهر حكمه والذي نعرف من شكله<sup>(٣)</sup> بلعلَّ  
 وعسى ؛ لأننا كنا لا ندري لملَّه قد كان ذا فضيلة في الفطنة ، فلمله  
 أن يكون ذا نقص فيها . أوجب منهم بهذا الجواب من يجوز أن يكون  
 على في النيب قد أسلم لإسلام البالغ المختار ، غير أنَّ الحكم فيه عنده  
 على تجري أمثاله وأشكاله الذين إذا أسلموا وهم في مثل سنِّه كان إسلامهم  
 على تربية الحاضن ، وتلقين القيم ، ورياضة السائس .

فصل<sup>(٤)</sup> : فأما علماء (العمانية) ومتكلموهم ، وأهل القدم والرئاسة منهم ،  
 فإنهم قالوا : إنَّ عليًّا لو كان وهو ابنُ ستِّ سنين وسبع سنين ، وثمان سنين  
 وتسع سنين ، يعرف فصل ما بين الأنبياء والكهنة ، وفرق ما بين الرسل والسحرة  
 وفرق ما بين خبر المنجم<sup>(٥)</sup> والنبى ، وحقَّ يعرف الحجة من الحيلة<sup>(٦)</sup> ، وقهر ١٥

(١) ب : « رأيناه » .

(٢) في الأصل : « أن تتكلَّم نزيل » ، وكلمة « تتكلَّم » مقسمة ، كما يلهم من ب ، ح .

(٣) ح : « والذي نعرف من حال أبنائه جنسه » .

(٤) كلمة « فصل » ليست في ب ، كما سبق التنبيه .

(٥) في الأصل : « للتجيين » ووجهه من ب ، ح .

(٦) في الأصل : « من أجه » ، سواءه في ب .

القلبة من قهر المعرفة ، ويعرف كيد الرّيب ويُمَدَّ غور المتنبّي ، وكيف  
يَلْبِسُ على القلاء ، ويستميل عقول الدّهماء<sup>(١)</sup> ، ويعرف الممكن في الطّبائع  
من المنتع فيها ، وما يحدث بالاتّفاق وما يحدث<sup>(٢)</sup> بالأسباب ، ويعرف  
أقدار القوى في مبلغ الحيلة ومُنْتَهَى البطش ، ومالا يحتمل إحداثه إلّا  
الخالق ، وما يجوز على الله ممّا لا يجوز في توحيده وعدله ، وكيف التّحفظ  
من الهوى ، وكيف الاحتراس من تقدّم الخادع في الحيلة - كان كونه  
بهذه الحال وعلى هذه الصّفة مع فرط الصّبا والحدّانة ، وقِلّة التجارب  
والمارسة ، خروجاً من نشوء المادة ، والمروفِ بما عليه تركيبُ الأُمّة<sup>(٣)</sup> .  
ولو كان على هذه الصّفة ومعه هذه الخاصيّة ، كان حُجّةً على العائنة ،  
١٠ وآيةً تدلُّ على البائيّة . ولم يكن الله ليخصّه بمثل هذه الآية ويمثّل هذه  
الأُهمّوبة إلّا وهو يريد أن يحتجّ بها له ، ويخبر بها عنه ، ويجعلها  
قاطعةً لعذر الشّاهد ، وحُجّةً على النّائب ، ولا يضيّمها هَدَرًا ، ولا  
يكتُمها<sup>(٤)</sup> باطلاً .

ولو أراد الاحتجاج بها شَهر أمرها وكشَفَ قناعها ، وحقّق النّفوس  
١٥ على معرفتها ، وسَخَّرَ الألسنة لنقلها ، والأسامع لإدراكها ، لثلاً يكون  
لنوا ساقطاً ، ونسيّاً منسياً ، لأنّ الله لا يتدعأ أُهمّوبةً ولا يمتنع آيةً  
ولا ينقضُ المادة إلّا للتمريف والإعذار ، والمصلحة والاستبصار<sup>(٥)</sup> . ولولا

(١) دهماء الناس : جماعتهم وكثرتهم . وفي الأصل : « الدم » ، سواه في ب ، ح .

(٢) ب ، ح : « ما يحدث » .

(٣) هذا ما في ب ، ح . وفي الأصل : « تركيب الأُمّة » .

(٤) ب : « ولا يكتُمها » .

(٥) هذا ما في ب ، وهو الأُهمّية بلغة الجاحظ . وفي الأصل : « الاستبصار » .



ذلك لم يكن لفعليها معنى ، ولا لرسالته حجة<sup>(١)</sup> . والله يتعالى<sup>(٢)</sup> أن يترك  
الأمور سُدًى ، والتدبير نَشْراً . ولا يصلُّ أحد إلى معرفة صدق نبي<sup>(٣)</sup>  
وكذب متنبئ<sup>(٤)</sup> حتى يجتمع له هذه المعارف التي ذكرنا ، وهذه الأسباب  
التي فصلنا .

- ولولا أن الله سبحانه أخبر عن يحيى بن زكريا أنه<sup>(٥)</sup> آتاه الحكم  
صبياً ، وأنه أُنطقَ عيسى في المهد رضيعاً ، ما كانا في الحكم ولا في المنيب  
إلا كسائر الرُّسل ، وما عليه طبع البشر<sup>(٦)</sup> .

فإذ<sup>(٧)</sup> لم ينطق لعلّ بذلك قرآن ، ولا جاء الخبر به بحجّ الحجة  
القاطعة ، والشهادة الصادقة ، فالعلوم عندنا في الحكم وفي المنيب جميعاً  
أن طباعه كطباع عميد حمزة والعباس<sup>(٨)</sup> ، وما أُمسُ بمعدن رجّاح أخير<sup>(٩)</sup>  
منه ، وكطباع جعفر وعقيل أخويه ، وكطباع أبويه ورجال عصره  
وسادة رطله . ولو أن إنساناً ادّعى مثل ذلك لأخيه جعفر أو لعمه  
حمزة أو لعمه العباس — وهو حليم قريش — ما كان عندنا في أمره  
إلا مثل ما عندنا فيه<sup>(١٠)</sup> .

فصل<sup>(١١)</sup> : « ولو لم تعرف الزّوافضُ ومن ذهب مذهبا في هذا باطل » ١٥

(١) ب : « تبارك اسمه وتعالى » .

(٢) في الأصل : « إذ » سواءه في ب ، ح .

(٣) وما عليه طبع البصر ، ساقط من ب . وفي ح : « وما عليه جميع البصر » .

(٤) في الأصل ، ح : « فلذا » ، ووجهه من ب .

(٥) كذا في ح ، ب . وفي الأصل : « طباع حمزة والعباس جميع » . ٢٠

(٦) الكلام من « فإن قالوا » س ٦ ص ١٧ إلى هنا موضع رد للاسكافي . انظر

رقم (٢) من تصويحه للخطبة بالكتاب .

(٧) ليست في ب .

هذه الدعوى ، وفساد هذا المعنى إذا صدقت أنفسها ولم تقلد رجالها ،  
وتحفظت من الهوى وآثرت التقوى ، [إلا بترك<sup>(١)</sup>] على ذكر ذلك  
لنفسه والاحتجاج به على خصمه وأهل دهره ، منذ نازع الرجال ،  
وخاصم<sup>(٢)</sup> الأكفاء ، وجامع أهل الشورى وولى وولى عليه ، والناس  
بين معانده يحتاج إلى التبريع ، ومُراد<sup>(٣)</sup> يحتاج إلى الإرشاد ، وولى يحتاج  
إلى المادة ، وفعل يحتاج إلى أن يُكثّر له من الحجّة ، ويُتابع له بين  
الآمارات والدلالات<sup>(٤)</sup> مع حاجة القرن الثانى إلى معرفة الحق ومعدن  
الأمر ، لأنّ الحجّة إذا لم تصحّ لعلّ في نفسه ، ولم يَتَوَّ على أهل  
دهره ، فهم عن ولده أعجز ، وعندهم أضعف .

١٠ ثم لم ينقل ناقل واحد أنّ علياً احتجّ بذلك في موقف ، ولا ذكره  
في مجلس ، ولا قام به خطيباً ، ولا أدلى به واثقاً ، ولا همس به إلى  
موافق ، ولا احتجّ به على مخالف .

فصل<sup>(٥)</sup> : وقد ذكر فضائله وفخر بقرابته وسابقته ، وكأثر بحاسنه  
ومتواقفه ، منذ جامع الثورى وناضلهم ، إلى أن ابتلى بمساوردة معاوية  
له ، وطمعه فيه ، وجلس أكثر أصحاب رسول الله عن عونه ، والشّد  
على عضده ، كما قال عامر الشعبي : لقد وقمت الفتنة بالمدينة عشرون  
ألفاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما خفّ فيها منهم

(١) التكلّة من ب .

(٢) هذا ما في ب . وفي الأصل : « وخائر » .

(٣) ب : « ومُراد » .

(٤) هذا ما في ب . وفي الأصل : « والدلالة » .

(٥) هذه الكلمة ليست في ب .

عشرون . ومن زعم أنه شهد الجمل من شهد بدرأ أكثر من أربعة  
قد كذب . كان على وعمار في شق ، وطلحة والزبير في شق .

وكيف يجوز عليه ترك الاحتجاج على المخالف وتشجيع الموارف وقد نصب  
نفسه للخاصة والعامة ، وللخاذل والهادي<sup>(١)</sup> ، ومن لا يحمل<sup>(٢)</sup> له في دينه  
ترك الإعذار إليهم ، إذ كان يرى أن قتالهم كان واجباً ، وقد نصبه  
الرسول متزعماً ومتكماً ، ونص عليه قائماً ، وجعله للناس إماماً ، وأوجب  
طاعته ، وجعله حجة في الناس يقوم مقامه .

فصل<sup>(٣)</sup> : وأعجب من ذلك أنه لم يدع هذا له أحد في دهره كما لم  
يدع لنفسه ، مع عظيم ما قتلوا فيه في عسكره وبعد وفاته ، حتى يقول  
إنسان واحد إن الدليل على إمامته أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه  
إلى الإسلام ، فكلف التصديق<sup>(٤)</sup> قبل بلوغه وإدراكه ، ليكون ذلك  
آية له في عصره ، وحجة له ولولده على من بعده . وقد كان على أهل  
بالأمور من أن يدع ذكر أكبر حُججه والذي بان به من شكله ،  
ويذكر أصغر حُججه والذي يشاركه فيه غيره ، وقد كان في عسكره من  
لا يألو في الإفراط ، ومن يحسب أن الإفراط زيادة في القدر .

والعجب له ، إن كان الأمر كما ذكرتم ، كيف لم يقف يوم الجمل  
ويوم صفين أو يوم النهروان في موقف يكون من عدوه بمرأى ومسمع ،

(١) ب : « وللولي والهادي » .

(٢) في الأصل : « ولا يحمل » سوابه في ب .

(٣) ليست في ب .

(٤) في الأصل : « وكلفه التصديق » ، سوابه في ب .

فيقول : « بئاً لكم وتمساً ، كيف تقاتلونني وتبجدون فضلي<sup>(١)</sup> » وقد خِصِمْتُ بآية حتى كنتُ كيعحي بن زكريا وعيسى بن مريم « ولا يمنع الناس من أن يقولوا ويعوجوا ؛ فإذا ماجوا تكلموا على أقدارِ عِلْمِهِمْ ، وعِلْمُهُمْ مختلفة ، ولا ينسب أمرهم أن يمود إلى فرقة ، فإن ذاكره قد كان ناسياً ، وبين نازعه قد كان مُعِيراً ، وكم مترنح قد كان غالطاً ، مع ما كان يَشِيع<sup>(٢)</sup> من الحُجَّة في الآفاق ، ويستفيض في الأطراف ، ويحتمله الرُّكبان ويُبْهَدَى في المجالس .

فهذا كان أشدَّ على طلحة والزبير ، ومعاوية ، وعبد الله بن وهب ، من مائة ألف سنانٍ طرير ، وسيفٍ مشهور .

١٠ فصل<sup>(٣)</sup> : ومعلوم عند ذري التجربة والعارفين بطبائع الأتباع<sup>(٤)</sup> ، وعِلَلُ الأجناد ، أنَّ المساكر تنقض حرائرها وينقشر أمرها ، وتقلب على قادتها<sup>(٥)</sup> بأيسر من هذه الحجة ، وأخفى من هذه الشهادة .

فصل : وقد علمت ما صنعت المصاحف في طبائع أصحاب عليّ ، حين رفعها عمرو بن العاص أشدَّ ما كان أصحاب عليّ استبصاراً في قتالهم ،

١٥ (١) ب : « فضياني » .

(٢) السلام من قوله « ولولم تعرف الروافض » س ١٥ من س ٩ إلى هنا موضع مناقضة للاسكافي ستأتي برقم (٣) . وقد قلل الإسكافي عبارة الجاحظ موجزة متصرفاً فيها .  
الظراين أبي الحديد ٣ : ٢٦٣ .

(٣) في الأصل : « يسمع » .

٢٠ (٣) هذه الكلمة ليست في ب .

(٤) في الأصل : « بمنافع الأتباع » ، سوابه في ب .

(٥) ب : « قائمها » .

ثم لم ينتقض على عليٍّ من أصحابه إلاَّ أهلُ الحِدِّ والنَّجْدَةِ ، وأصحاب  
البرانس والبصرة<sup>(١)</sup> .

وكما علمتم من تحوُّل شطرِ عسكرِ عبد الله بن وهبٍ حين اعتزلوا مع  
فروة بن نوفل ، لكلمةٍ سمعوها من عبد الله بن وهبٍ كانت تدلُّ عندهم  
على ضعف الاستبصار والوهن<sup>(٢)</sup> في اليقين .

وهذا الباب أكثر من أن يحتاج مع ظهوره ومعرفة الناس به إلى  
أن نحشو به كتابنا .

فصل<sup>(٣)</sup> : فأما إسلامه وهو حدثٌ غريرٌ وغلَامٌ صغيرٌ ، فهذا مالا  
ندفعه ، غير أنه إسلامٌ تلقينٌ وتأديبٌ وتربيةٌ . وبين إسلام التَّكْلِيفِ  
والامتحان وبين التلقين والتربية فرقٌ عظيمٌ ، وعجبةٌ واضحة .

وقالت (العمانية) : إن قالت الشَّيْخُ : إنَّ الأمور ليس كما حكيتُم ،  
ولا كما هيأتموه لأنفسكم ، بل زعم أنَّه قد كانت هناك<sup>(٤)</sup> في أيامِ صباه  
وحدائمه فضيلةٌ فطنتيةٌ ، ومزينةٌ<sup>(٥)</sup> ذكاءٌ ، ولم يبلغ الأمرُ قدرَ  
الأعجوبة والآية .

قلنا : إنَّ الذي ذهبتم إليه أيضا لا بدُّ فيه من أحد وجهين :  
إمَّا أن يكون قد كان لا يزال يُوجد في الصِّبْيَانِ مثله في الفطنة

(١) الخطر المقدس : ٣٥١ لجنة التأليف . ب « للراس » ، تحريف .

(٢) في الأصل : « والوهم » ووجهه من ب .

(٣) هذه الكلمة ليست لي ب .

(٤) ب : « هناك » .

(٥) ب : « ومزيد » .

والذكاء وإن كان ذلك عزيزاً قليلاً ، أو كان وجودُ ذلك ممتنعاً ، ومن المادة خارجاً . فإذا<sup>(١)</sup> كان قد كان يُوجد مثله على عزِّته وقلته فسا كان إلا كبعض من نرى اليوم ممن يُتمجَّب من حسِّه وفطنته ، وحفظه وحكايته وسُرعة قبوله على سفر سنِّه وقلة تجريبه<sup>(٢)</sup> . وإن كانت حاله هذه الحال ، وطبيعته على هذا الحال ، فإننا<sup>(٣)</sup> لم نجد صبيّاً قطُّ وإن أفرط كيِّسه وحسنت فطنته وأجيب [ به<sup>(٤)</sup> ] أهله يحتمل ولاية الله سبحانه وعداوته ، والتَّمييز بين الأمور التي ذكرنا . مع أنَّه ما جادنا ولا صمَّ عند أحدٍ منا بخبرٍ صادق ، ولا كتاب ناطق ، أنَّه كان لعلِّه خاصَّةً دون قريشٍ عامَّةً في صباه من إتهان الأمور وصيحة المعارف وجودة الخارج ، ما لم يكن لأحدٍ من إخوته وأعمامه وآبائه .

وإن كان القدر الذي كان عليه على من الذكاء والمعرفة القدر الذي لم نجد له [ فيه<sup>(٥)</sup> ] مثلاً ، ولا رأينا له شِكْلاً — وهذا هو البديع الذي به يُحقَّق على السَّكرين ، ويُفلج<sup>(٦)</sup> على الممارضين ، ويُبَيِّن للمسترشدين — فهذا بابٌ قد فرَّغنا منه مرَّة .

١٠ فصل : ولو كان الأمر في عليٍّ على ما يقولون<sup>(٧)</sup> لكانت في ذلك حُجَّةٌ للرسول في رسالته ، ولعلِّه في إمامته . والآية إذا كانت للرسول وخليفة

(١) في الأصل : « وإن » ، والوجه من ب .

(٢) ب : « تجريبه » .

(٣) في الأصل : « ولنا » ، سواءه في ب .

(٤) التَّكَلُّف من ب .

(٥) فلج غيره وفلج عليه وأفلج : فاز وظفر . وفي النسخين : « يفلج » ، تحريف .

(٦) ب : « كما يقولون » .

الرسول كان أشهرَ لها ؛ لأن وضوح أمر الرسول يزيد<sup>(١)</sup> على ما للإمام  
وزيده إشرافاً واستنارة<sup>(٢)</sup> وبياناً . ولا يجوز أن يكون الله قد عرف أهل  
عصرهما ذلك ، وهم الشهاداء على من بعدهم من القرون ثم يسقط<sup>(٣)</sup>  
حجته ؛ فلا تخلو تلك الحجة وتلك الشهادة من ضريين : إما أن تكون  
ضاعت وضلت ، وإما أن تكون قد قامت وظهرت .

فإن كانت قد ضاعت فلهلّ كثيراً من حُجج الرسول صلى الله عليه وسلم  
قد ضاع معها ، وما جُمِلَ الباقي منها أولى بالتمام من الساقط ، والساقط  
من شكل الثابت . على أن مع الساقط خاصة ليست مع الثابت ، لأنه  
حجة على شيئين ، والثابت حجة على شيء . ولا يخلو أمر الساقط من  
ضريين : إما أن يكون الله لم يُردّ تمامه ، أو يكون قد أَراده .

وأى ذين [ كان<sup>(٤)</sup> ] ففساده واضح عند قارى الكتاب .  
وإن كانت الآية قد تمت إذ كانت الشهادة قد قامت علينا بها كما كانت  
شهادة البيان قائمة عليهم<sup>(٥)</sup> [ فيها<sup>(٦)</sup> ] فليس في الأرض عتاف إلا وهو  
. يكابر عقله ويحجده عليه .

ولعمري إننا لنجد في الصبيان من لو لقنّته وسدّدته أو كتبت له  
أعمن المائى والطفها ، وأقوسن الحجج وأبدتها ، وأكثرها لفظاً

(١) ب : « يرى » .

(٢) في الأصل : « استنارة » ، صوابه في ب .

(٣) ب : « أسقط » .

(٤) التكلة من ب .

(٥) في الأصل : « عليها » صوابه في ب .

(٦) التكلة من ب .

وألفها ، وأطولها ، ثم أخذته بدرسه وحفظه لحفظه حِفْظاً عجيباً ، ولهذا هذا ذليلاً<sup>(١)</sup> . فأما معرفته صحيحته من سقيمها ، وحقه من باطلها ، وفصل ما بين المقرب والدليل ، والاحتباس من حيث يؤتى المحدثون ، والتحفظ من مكر الخادعين ، وتأتى<sup>(٢)</sup> المجرّب ، ورفق السّاحر ، وخلاصة التنبيّ ، وزجر الكاهن<sup>(٣)</sup> ، وإخبار اللّجّمين ، وفرق ما بين نظم القرآن وتأليفه ونظم سائر الكلام وتأليفه — فليس يعرف فروق النّظر واختلاف البحث<sup>(٤)</sup> ، إلّا من عرف القصيدة من الزّجر<sup>(٥)</sup> ، والمخمس من الأسجاع ، والمزّاج من الشّعر ، والخطب من الرّسائل ، وحتى يعرف المعجز المارص الذي يجوز ارتفاعه من المعجز الذي هو صفة في الذات .

١٠ فإذا عرف صنوف التّأليف عرف مبادئ نظم القرآن لسائر الكلام ، ثم لم يكتف بذلك حتى يعرف عجزه وعجز أمثاله عن مثله ، وأنّ حكم البشر حكم واحد في المعجز الطّبيعي وإن تفاوتوا في التعجّر المارص . وهذا ما لا يوجد عند صبيّ ابن سبع سنين وثمان سنين وتسع سنين أبداً ، عرف ذلك عارف أو جهله جاهل . ولا يجوز أن يعرف عارف معنى الرسالة إلّا بعد الفراغ من هذه الوجوه ، إلّا أن يجعل جاهل .

(١) التّليق : الفصح . وفي السّختين : « هذه هنا » ، تحريف . يقال هذا القرآن والحديث هذا : سرده . وفي حديث ابن عباس ، قال له رجل : قرأت الفصل القيلة . فقال : أهذا كهذا الشعر .

(٢) في الأصل : « ما » ، ياهمال أوله ، وفي ب « ويأتى » ووجهها ، ما أثبت . قال الأصمعي : تأتي فلان لماجته ، إذا تفرق لها وأثامها من وجهها .

(٣) ب : « الكهان »

(٤) ب : « فروق النظم واختلاف البحث والنثر » .

(٥) الزجر ، واضعة في السّختين . يعني زجر الكاهن . انظر طرفاً منه في صدر سيرة ابن هشام . والزجر يلتبس على من لم يعرفه بالشعر .



التقليد والنشوء والإلف لما عليه الآباء وتعظيم الكبراء ، معرفةً وقيناً .  
وليس يقينان ما اضطرب ودخله الخلاج عند ورود معاني لملّ وعسى ، وما  
لا يُمكن<sup>(١)</sup> في القول إلاّ بحجة تُخرج القلب إلى اليقين عن التجويز .  
ولقد أعيانا أن نجد هذه المرفة إلاّ في الخاصّ من الرجال وأهل  
الكمال في الأدب ، فكيف بالطفل الصغير والحدث الغرير ؟ ! مع أنّك  
لو أدت<sup>(٢)</sup> معاني بعض ما وصفت لك على أذكى صبيّ في الأرض  
وأسرعه قبولاً وأحسنه حكايةً وبياناً<sup>(٣)</sup> ، وقد سويته [ له ]<sup>(٤)</sup> ودلّته ،  
وقربته [ منه ] وكفيته مؤونة الرؤية ووحشه<sup>(٥)</sup> الفكرة ، لم يعرف  
قدره ولا فصل بين حقه من باطله ، ولا فرق بين الدلالة وشبيه  
الدلالة ، فكيف له بأن يكون هو التوّلّي لتجربته<sup>(٦)</sup> وحلّ قعده ، ١٠  
وتخليص مُشابهه ، واستثارته من معدنه ؟ !

وكلّ كلام خرج من التعارف فهو رجبٍ بهرج ، ولفوّ ساقط .  
فصل<sup>(٧)</sup> : وقد نجد الصبيّ الذكيّ يعرف من العروض وجهاً ، ومن النحو  
صدراً ، ومن الفرائض أبواباً ، ومن الفناء أصواتاً ، فأما العلمُ بأصول  
الأديان ومخارج الملل ، وتأويل الدين ، والتحفّظ من البدع ، وقبول ذلك  
الكلام في حُجج العقول ، والتعديل والتجويز ، والعلمُ بالأخبار وتقدير

(١) هذا الصواب من ب . وفي الأصل : « وما لا ينكر » .

(٢) في الأصل ، ب : « أدت » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الكلمة مبهمة في الأصل ، وتوضيحها من ب .

(٤) التسكلة من ب .

(٥) في الأصل : « وحشيه » صوابه ف ب .

(٦) في الأصل : « لخرته » وصوابه ف ب .

(٧) ليست في ب .

الأشكال<sup>(١)</sup> فليس هذا موجوداً إلاً عند العلماء . فأما الحشوة والطعام<sup>(٢)</sup> فإنما هم أداة للقادة ، وجوارحُ للسادة . وإنما يعرفُ شدةَ الكلام في أصول الأديان من قد صيّلَ به وعجمه ، وسلك<sup>(٣)</sup> في مضائقه ، وجائى الأضداد<sup>(٤)</sup> ، ونازعَ الأكفأ<sup>(٥)</sup> .

٥ فإن قالت ( الشيع ) : الدليل على أن إسلام عليٍّ كان اختياراً ولم يكن تلقيناً ، أن علياً<sup>(٦)</sup> أسلمَ بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له ، وفي ذكر الدعاء والإقرار به دليلٌ على أن الإجابة اختيار ، لأنَّ المسلمَ بالدعاء مجيبٌ للدعاء . ولا نعلمُ الدعاء يكونُ من حكيمٍ لدعوى<sup>(٧)</sup> لا يختار ولا تحتمل فطرته تمييز الأمور وفصل ما بين ما دعا إليه وبين ما دعا إليه غيره . وليس بين قول القائل : دعا النبي صلى الله عليه وسلم فلاناً إلى الإسلام<sup>(٨)</sup> وبين قوله : كلّف النبي صلى الله عليه وسلم فلاناً الإسلامَ فرق . وقولُ المسلمين : دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليّاً كقولهم :<sup>(٩)</sup> دعا جميع العربِ فحين مجيب طائع كلى ، ومن تمتنع عاصى كفلان وفلان .

١٥ (١) في الأصل : « وتقرر الشكل » ، سوابه في ب .

(٢) حقوة الناس ، بالضم : وفالتهم ، ومثله الطعام ، بالفتح .

(٣) ب : « وسال » .

(٤) في الأصل ، ب : « وحائى » ، تحريف . جالاه : جلس معه على ركبتيه للخصومة .

(٥) إلى هنا ينتهى الاختيار الأول في نسخة ب وتتلرد نسخة الأصل إلى حيث نلّه فيها بعد . ٢٠

(٦) في الأصل : « أن الإمامة أن علياً » .

(٧) في الأصل : « يدعو » .

(٨) بعده في الأصل : كلمة « فرق » ، وهى مقصدة .

(٩) في الأصل : « وقوله المسلمين ... كلوه لهم » تحريف .

- قالت ( الثمانية ) عند ذلك : قد عرفنا أن بعضهم قد نقل أن علياً كان أول من أسلم ، وقد قتلوا بأجمعهم أنه كان أول من أسلم . وبين قول القائل أسلم فلان أول الناس وبين أن يقول أسلم في أوائل الناس فرق . فأمّا أن يكون واحد من جميع الصنفين من البعض والجميع فسر مع روايته وتخرج خبره كيف كان إسلامه ، أعلّى وجه الدعاء ٥
- والتكليف أم على وجه التلقين والتربية ، فلم ير أحداً منهم ميّ ذلك ولا فرقاً في تخرج الخبر . ونحن لم ندع أن إسلامه كان إسلام تلقين من قبل تفسير التأقلين وتمييز المحدثين ، ولكننا نظرنا في التاريخ فعرّفنا عمره وابن كم كان يوم توفى ، وعرّفنا موضع اختلافهم واجتماعهم ، فأخذنا أوسطه إذ كان أعدل ما فيه ، وأسقطنا قول من كثر وقتل ، ١٠
- ثم ألقينا منه سينه إلى طام إسلامه فوجدنا ذلك يوجب أنه كان ابن سبع . ولو أخذنا أيضاً بقول المكثّر فحملناه ابن تسع ، وتركنا قول من قلل وقول المتصد ، عللنا بذلك أيضاً أن إسلامه كان إسلام تربية وتأديب وتأمين ، كما أخذ الله على المسلمين أن يأخذوا به أولادهم .
- وقالت ( الثمانية ) للملوية : إنا لم ندع أنه أسلم وهو ابن سبع ١٥
- فإننا وجدنا ذلك قائماً في خبرهم مُفسّراً في شهادتهم ، ولكنه علم مستنبط من أخبارهم ، ومُستخرج من آثارهم عند المبالغة والموازنة . ومثل ذلك لو أن رجلاً قال لرجل : حدّ عشرة في عشرة ، كان ذلك في المعنى كقوله : « حدّ مائة » ، وإن لم يكن ممّاها له ولا ذكرها بلسانه .
- وقالوا : ولولا أن من شأننا الأخذ بالتسقط ، والحكم بالمدل لأخذنا ٢٠
- الشيخ بقولهم في عمره وبقول ولده ، فإن أحدهما يزعم أن علياً توفى وهو ابن سبع وخمسين . وقال الآخرون : بل توفى وهو ابن ثمان

وخسين . ولو كان<sup>(١)</sup> كما تقول الرافضة وولده ما كان أسلم إلا وهو ابنُ  
خمسٍ أو ابنُ ست ، وهم لا يألون ، ما نقصوا من عمره وصبروا من  
سنه لكي يجمعوا إسلامه آية له وحجة على إمامته .

ولعمري لو كان الذين قالوا أنه كان أول من أسلم نقلاً مع خبرهم  
٥ أنه أسلم بالدعاء والتكليف ، لقد كان مذهبهم إليه مذهباً ، وما اعتصمتم  
به متمسكين ، ولكن ما في الأرض كلها حامل خبر<sup>(٢)</sup> ولا صاحب أثر  
كان في خبره أنه أسلم بدعاء ، ولا أنه أسلم بتلقي ، وإنما هذا  
مستخرج من الأخبار .

فإن قالت ( الرافضة ) : بل الدليل على أن إسلامه كان طاعة ولم  
١٠ يكن تلقيناً قولُ جميع الأمة إن علياً كان من أول من أسلم ، فنفسُ  
قولهم أسلم هو كقولهم أطلع واختار ، وكذلك قولهم إذا قالوا : كفرَ  
فلان ، فهو كقولهم : عصا واختار ، وإن لم يفروا . وليس بين قولهم  
أسلم فلان وكفرَ فلان فرق ، لأنَّ الخبرَ الصادق إذا قال كفرَ فلان  
فحكمه عند السامع التداوة والبراءة . ولو قال<sup>(٣)</sup> أسلم فلان كان حكمه  
١٥ المحبة والولاية : فإذا كانوا كلهم قد قالوا : أسلم على\* ، وحكم « أسلم » يثبت  
الاختيار وإجابة الولاية ، قبل أن يجمعوا على أنه كان على التآمين  
والترية ، فلي على هذا القياس مطبق في إسلامه ، مختار له على غيره .  
وكذلك لو قالوا : كفر فلان ، كان حكمه حكم الماصي المختار حتى

(١) لعلها : « ولو كان الأمر » .

(٢) في الأصل : « خبره » . ٢٠

(٣) في الأصل : « قالوا » .

- يُجِيعُوا أَنْ كَفَرَهُ كَانَ عَنْ إِكْرَامٍ أَوْ غَلَطٍ أَوْ هَبِيجٍ مِرَّةً ، أَوْ هَجَرَ النَّاسِ<sup>(١)</sup> ، أَوْ تَلْقِينَ الْمُؤَدَّبَ . فَلَمَّا كَانَ هَذَا قِيَاسًا مُوجِبًا صَحِيحًا ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْعَلَ إِسْلَامَ عَلَى إِسْلَامٍ تَلْقِينَ إِلَّا بِمَثَلِ الْحَبِيبَةِ الَّتِي جَمَلَهُ بِهَا مُسْلِمًا ، لِأَنَّهُمْ قَدْ أَطَقُوا بِأَجْمَعِهِمْ عَلَى إِسْلَامِهِ وَاخْتَلَفُوا فِي السَّنَةِ .
- فَيَجِبُ إِلَّا نَزِيلُ حُكْمِ « أَسْلَمَ » إِلَّا بِإِجْمَاعٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ كَانَ عَنْ تَلْقِينَ وَتَرْبِيَةٍ .

- قلنا لهم : لِمَعْرَى لَوْ لَمْ يَكُنْ هَا هُنَا إِجْمَاعٌ يُخْبِرُ أَنَّ إِسْلَامَهُ كَانَ إِسْلَامَ تَلْقِينَ وَنَشْوَ ، كَانَ حُكْمُ قَوْلِهِمْ أَسْلَمَ عَلَى<sup>٢</sup> عَلَى مَا قُلْتُمْ ، لَا تُجَبِّدُونَ حُكْمَهُ وَلَا تَظْلَمُونَ مَعْنَاكُمْ فِيهِ ، وَلَكِنَّ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ تَوَقَّى وَهُوَ ابْنُ كَذَا وَكَذَا فَأَخَذْنَا بِأَوْسَطِهَا فَقَصَّوْا<sup>(٣)</sup> مِنْ سِنِيهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ أَسْلَمَ
- ١٠ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ . وَلَوْ أَخَذْنَا بِقَوْلِ الْمَكْثَرِ وَبَحَسْنَا الْقِيَاسَ حَظَلَهُ كَانَ أَيْضًا إِسْلَامُهُ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ إِسْلَامَ تَلْقِينَ . فَبِهِمْ عَرَفْنَا تَقْدِيمَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، وَبِهِمْ عَرَفْنَا صِفَةَ سَنَتِهِ وَحِدَائِهِ ، إِذْ كَانَ الْعَصِيُّ إِذَا كَانَ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ إِلَى عَشْرِ سِنِينَ لَا يُسْتَتَابُ إِنْ كَفَرَ ، وَلَا يَلَامُ إِنْ جَهِلَ ، وَلَا يَمْدُبُ إِنْ ضَلَّ . فَإِذَا كَانُوا بِأَجْمَعِهِمْ قَدْ قَالُوا إِنَّهُ أَسْلَمَ
- ١٥ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ أَوْ سِتٍّ أَوْ ثَمَانٍ أَوْ سَبْعٍ ، فَقَدْ قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِنَّهُ أَسْلَمَ إِسْلَامَ تَلْقِينَ وَإِنْ لَمْ يَقُولُوا بِأَفْوَاهِهِمْ ، كَمَا قُلْتُمْ إِنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ كَفَرَ فَلَانٌ وَأَسْلَمَ فَلَانٌ - وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ - [ حُكْمٌ<sup>(٤)</sup> ] بِالطَّاعَةِ وَالْمَعِصِيَةِ .
- قلنا : فَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ رَجُلٌ أَسْلَمَ فَلَانٌ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ

(١) هجر الناس هجرا : حلم وهدى .

(٢) في الأصل : « غلوا »

(٣) ليست في الأصل ، وبمثلا يستقيم الكلام .

أو تسع ، فقد قال إنَّ إسلامه كان إسلام تلقين وإن لم يذكره ولم يتفوه به كما قلتم ، حَدَّثُوا الْقَدَّةَ بِالْقَدَّةِ ، والنَّعْلَ بالنَّعْلِ . فإذا ثبت أن إسلام عليٍّ إسلام تلقين في ذلك الدهر فإسلام زيد وخبَّاب أفضل من إسلامه . ولو أن عليًّا كان أيضًا بالنَّاء كان إسلامُ زيد وخبَّاب أفضل من إسلامه ، لأن إسلامَ المقتضِب<sup>(١)</sup> الذي لم يُعَدَّ به<sup>(٢)</sup> ولم يُعوَّده ولم يُمرَّن عليه ، أفضل من إسلام النَّاسِ الذي قد رَنَى فيه ونشأ عليه وحبَّبَ إليه ؛ لأنَّ خبَّابًا وزيدًا يمانيان من الفكر ويتخلَّسان إلى أمور ، وصاحب التَّربية يبلغ حين يباغ وقد أسقطَ ألفه عنه مؤونة الرويَّة ، والخطار بالجهالة ، وقد أورثه الإلفُ السُّكونَ ، وكفاهُ اختلاجُ الشُّكِّ<sup>(٣)</sup> ، واضطرابُ النَّفسِ وجولانُ القلبِ . ١٠

فصل : (٢) « ولو كان عليٌّ أيضًا بالنَّاء وكان مقتضِبًا<sup>(٤)</sup> كزيد وخبَّاب لم يكن إسلامه ليلبغ قدرَ إسلامهما ، لأنَّ إسلام التَّربية يكنى مؤنَّتين : إحداها الخطار والتمرُّر ، والأخرى شدَّةُ فراقِ الإلفِ ومكابدةِ المادة ، ونزاعِ الطَّبيعة ، مع أنَّ من كان يحضِّرُ الأعلام وفي منزلِ الوحي ، وفي رجالِ الرُّسل فالأعلامُ له أشدُّ انكشافًا ، والخواطرُ على قلبه أقلُّ اعتلاجًا . وعلى قَدَرِ الكُلْفَةِ في دَفْعِ الشُّبْهَةِ والإقرارِ بخلافِ الإلفِ والباطنة ، والمخاطرةِ باعتقادِ الجهالة ، يعظمُ الفضلُ ، ويكثرُ الأجرُ<sup>(٥)</sup> . ١٥

(١) المقتضِب : غير المتهيء المده لله .

(٢) لم ينطق من هاتين الكلمتين في الأصل إلا المنين فقط .

(٣) الاختلاج : الاضطراب . وفي الأصل : « الحلاج الفك » وفي ح « علاج القلب » . ٢٠

(٤) انظر ما مضى في الماهية الأولى .

(٥) الكلام من « ولو كان علي » إلى هنا موضع مناقضة للإسكالي ستأتي برام (٤) .

ولو كان أيضاً على\* أسلمَ بالثأ مدركاً ، وكان مع إدراكه وبُلوغه كهلاً ، وكان مع كهولته مُقتَضياً كان إسلامُ زيدٍ وخبَّاب أفضلَ من إسلامه ، لأنَّ مَنْ أسلمَ وهو يعلم أنَّ له ظهراً كُأبى طالب ، وريداً كبني هاشم ، وموضِعاً في بني عبد المطلب ، ليس كالخليف ولا المولى ، والزَّيْل والتَّابِج والتَّسيف ، وكالزَّجَل من عُرْضِ قريش<sup>(١)</sup> وقاطِئِي مكة . [ أ ] وما علمت أن قريشاً خاصَّة وأهل مكة عامَّة لم يقدروا على أذى النبي صلى الله عليه ما كان أبو طالب حياً قائماً ؟ ! ولقد منع أبو طالب أبا سَلَمَةَ بن عبد الأسد المخزومي لأنه كان ابن أخته ، فما قدَّرت بنو مخزوم مع خِيَلانها<sup>(٢)</sup> وعُراِم شبابها ، ومع عِزِّها وشدة عداوتها أن تحصَّ منه شجرة<sup>(٣)</sup> ولا تُسمعه كلمة حتَّى مشت إليه بأجمعهما ، ١٠ لِلَّذِي<sup>(٤)</sup> تَرى له في أنفُسها ، فكان من قولهم له : هذا ابنُ أخيك قد فرَّق جماعتنا وسفَّهَ أحلامنا وشتمَ آلهتنا وقد منعتنا منا ، فما بال صاحبنا<sup>(٥)</sup> ؟ قال : من لم يمنع ابن أخته لم يمنع ابن أخيه !

فإذا كانت قريش وأهل مكة لا يقدرون على ابن أخيه وابن أخته معه فهم عن ابنه أعجز ، وعنه أقعد ، وله أعق<sup>(٦)</sup> ، وهو لا يَبْه أَحْضَرُ ١٥ نَصراً وأشدُّ غضباً ، وأحمى أنفاً ، وليس الممنوع كالخندول ، ولا الضَّعيف

(١) من عرضهم ، أي من مظلهم وجمهورهم ، ليس في موضع رئاسة .

(٢) الجياد : السكرك . وبنو مخزوم معروفون بالسكرك والتيه . انظر الحيوان ٦ : ٧٠ ،

٧٢ . وفي الأصل : « حيلاتها » بإسكان الحاءين الأولين .

٢٠ (٣) حصن الشجر : أذهب أو حلقه .

(٤) في الأصل : « اتقى » .

(٥) في الأصل : « ما بال صاحبنا » . وفي السيرة ٢٤٤ : « فإياك ولصاحبنا تمنعنا » .

(٦) وسما في الأصل « اعفا » .

كالقوى ، ولا الآمينُ كالتخائف . فإذا كان إسلام زيد وخِباب أفضل من إسلامه في ذلك الدهر كما عددنا من الطبقات ، وربّنا من المنازل ، ونزلنا من الحالات ، فإسلام أبي بكر أفضل من إسلامها ، فقد سقطت المنازعة ، وارتفعت الخصومة عند من فهم كتابنا ولم يمنع نفسه الحظّ بمُحبّتنا ، لفرط التباين وعظم الفرق .

فصل : والدليل على أن إسلام أبي بكر كان أفضل من إسلام زيد وخِباب أن زيدا كان رجلاً غير مذكور بعلم ، ولا مَزَنَ بحال<sup>(١)</sup> ، ولا منسُوق المجلس ، ولا مَزُور الرّجل ، وكذلك كان خِباب . وكان أبو بكر رضى الله عنه أعلم العرب بالعرب كلّهم ، وأرواها لناقبا ومثالها ، وأعرفها بخبرها وشرفها ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان مع سين حسان وعلمه ونحاکم الشراء إليه ، حيث أمره النبي عليه السلام أن يهجو أبا سفيان بن الحارث ، وحيث قال له : « اهْجُهم ومك روح القدس » . وحيث قال له : هِجَ النطاريق على بنى عبد مناف — في قتل أبي أزيهير<sup>(٢)</sup> — والى أبا بكر فإنه أعلم الناس بهم .

١٥ (١) في القام : « قال الأحياني : أُرزنته بحال ويعلم ويخبر ، أى طئنته » .  
(٢) النطاريق : السادة الأشراف « هيج النطاريق » : يراد بالنطاريق القتال الجهاد البارة ، وهو تحريض كل هجوم وأسل مني النطريق السيد الشريف في رواية بعض نسخ البيان (١ : ٢٧٣) : « اهيج النطاريق من بنى عبد مناف » وفي مضمها وهي نسخة ( هـ ) مطابق لما هنا . والذي في الددة ١ : ١٢ « وقال حسان بن ثابت : اهيجهم — بنى قريشاً — فواته لهماؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلب الظلام . اهيجهم ومك جبريل روح القدس ، والى أبا بكر يملك تلك الهنات » .

وأما كان من أمر أبي أزيهير الدوسي ، فإن الوليد بن المغيرة كان قد تزوج ابنته ، ثم أمسكها أبو أزيهير عنه فلم يدخلها عليه حتى مات ، وكان الوليد قد أوسى ولده قبل أن يموت أن يطلبوا أبا أزيهير بقره — والقر : دية الفرج للنصب — وكانت بنته قد تزوجها أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف ، فمدا همام بن الوليد بن المغيرة على



فصل : ولذلك كان جُبَيْر بن مُطِيعَ أَعْلَمَ قَرِيشَ بالعرب بعد أبي بكر ،  
لأنه كان المتولَّى لتأديبه وتنقيفه ، وقد كان أبو بكر قد سمَّى عائشةَ له <sup>(١)</sup> ،  
للذى رأى من حُسْن أثره عليه .

<sup>(٢)</sup> وكان أبو بكر ، مع علمه بالناس وحُسْن معرفته ، ذا مالٍ كثير  
ووجه عريض <sup>(٣)</sup> ، وتجارة واسعة ، وكان جبلاً عتيقاً <sup>(٤)</sup> ، ومزوراً مغشياً ،  
ومحبباً أديباً صاحب ضيافات <sup>(٥)</sup> ، ويؤمن في الحَمَلَات ، ويجتمع إلى محاسنه  
كبراه أهل مكة ، لما يجيئون عنده من طريف الحديث وغريب الشعر ،  
حتى كان مثلُ غُتَيْبَة وشَيْبَة <sup>(٦)</sup> يجلسان إليه ، ويُعجبَان بحديثه ، ثم يتخذ  
لهم ما يتحدَّثون عليه ويعاؤون بحاسنهم به ، ومن شراب القَسَل والزبيب

١٠ تتأبى أزيهر وهو يسوق ذى الهجاز فقتله . البيرة ٢٧٣ - ٢٧٥ . وكان يزبد بن أبي سفيان  
قد خرج فجعده على هاشم ليثأر لأبى أزيهر جار أبيه ، فقتله أبو سفيان وخر به ، فغير بذلك ،  
وكان نهرة لسان بن ثابت يحرض في دم أبى أزيهر ويمير أبا سريان خفرته وتجنبه فقال :  
هذا أهل ضوحي ذى الهجاز كليهما وجار ابن حرب بالمقدس ما يهدو  
كذلك هشام بن الوليد باباه فأل وأخاني مثلها جرداً بسد  
١٥ قضى وطراً منه فأصبح ماجداً وأصبحت رخواً ما تحب وما تمدو  
بلو أن أشياخاً يبدو فماهدوا لبسل لعال القوم منتط ورد  
وانظر كتاب نسب قريش ٣٢٣ .

(١) أى سمها لتكون زوجة له ، وعنده بذلك . وفي الإصابة ٧٠١ قسم النساء :  
« كانت تذكر لجبير بن مطعم وتسمى له » و « قال أبو بكر : كنت أعطينها ملعماً  
٢٠ لأبيه جبير » .

(٢) الوجه : الحاء . وبقال رجل . وجه . وجهه : ذو جاه .

(٣) البنيق : السكرم الرائع من كل شيء .

(٤) في الأصل : « صافات » تحريف .

(٥) عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . أما عتبة فقتل يوم بدر ، فقتله

حزرة . وأما شيبة فقتله عبيدة بن الحارث . وذُفِفَ عليه حزة وعلى . غازی الراقدى ١١٣ .

واللبن<sup>(١)</sup> ، فكانت قریشُ بمدِ إسلامِ أبي بكرٍ وكثرةِ مستجبيه بمكة تريد  
تغيير عتبة بنِ ربيعة من مجلسه وإيحاشه منه ، مخافةً أن يستميله بحسن  
دعائه ، وتأتيه ورفقه ، ورقةٌ دموعه وشدة خشوعه فتقول له : أما إنك  
ما تأتي ابنَ أبي قحافة إلا لأطيب عسله وإلا لمدقته<sup>(٢)</sup> ، وإنما نفروه  
• بهذا وشبهه لأنه كان ذا عيالٍ مُملقاً تُغيب المؤونة ، خفيف ذات اليد ،  
مع سنه وسؤدده وحلمه ورأيه .

ولا سواهُ إسلامُ ذى اليسر والمال الدنر ، المنفقِ حريرة كسبه وعقيلة  
ملكه ، والمفرقِ عنه جمعه والوحش منه أنيسه ، الخارج من عز النفي  
وكثرة الصديق ، إلى ذل القاة وعجز الفاقة ، وإسلام من لا حراك به  
١٠ ولا جدًا عنده ، تابع غير متبوع ، ومستعجٍ غير مُجَدٍّ ؛ لأن من أشدَّ  
ما يُبتلى به الكريمُ السبُّ بعد التحية ، والضربُ بعد الهيبة ، والمُسرُّ بعد اليسر .  
ولا سواهُ إسلامُ الأديب الأريب ، ذى الرأى السديد ،  
وإسلامُ غيره .

ثم كان داعية من دعاة الرسول مقبول القول ، متبوع الرأى . ومن  
١٥ كان في صفة أبي بكرٍ فالخوفُ عليه أشدَّ ، والمكروه إليه أسرع ، لأنه  
لم يكن على ظهرها عدوٌّ للنبي صلى الله عليه وسلم إلا وأبو بكرٍ يتلوه  
عنده في المداوة .

ولا سواهُ إسلامُ من أسلم على أن يؤمن ويكلف ، وإسلامُ من كان  
يُمانُ قبل إسلامه ويكلفُ بمدِ إسلامه .

٢٠ (١) في الأصل : « واللبن » . وانظر الحاشية التالية .  
(٢) المذقة : الطائفة من الابن اللزيق ، وهو المزوج بالماء .

ولا سواه لإسلام الكهل النبي الذي يحسن عند قريش مطالبته ، ولا يستحي من طلب الثأر عنده ، وإسلام الحدث الذي لا يفني بمداوة الرحلة ، ولا تستجيز مجازاته العلية<sup>(١)</sup> .

- ثم كان الذي يلتقى أبو بكر في الله ورسوله يبطن مكة ، وعلى خلى  
 الروح<sup>(٢)</sup> ، آمين السرب رخي البال ، كما لقي يوم دعا طلحة إلى الإسلام  
 فأسلم ومضى به إلى النبي صلى عليه وسلم وخذلهما تيم ، وأخذها نوفل بن  
 خويلد بن أسد<sup>(٣)</sup> — فأما ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> فزعم أنه كان من شياطين  
 قُريش . وأما الواقدي<sup>(٥)</sup> وغيره فزعموا أنه كان يقبب أسد<sup>(٥)</sup> قريش ،

« السلام من » وكان أبو بكر مع طه « س ٢٥ س ٤ إلى هنا موضع رد  
 للإسكافي سيأتي برقم (٥) . وقد تصرف الإسكافي في كلام الجاحظ بالإيجاز الشديد . انظر  
 ابن أبي الحديد ٣ : ٢٦٦ .

(١) الروح : القلب والقل والبال . في الأصل : « القروح » تحريف .  
 (٢) نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد المزي بن قصي . وفيه يقول أبو طالب :  
 كما قد لقينا من صميم ونوفل وكل عولي ممرضا لم يجامل  
 السيرة ١٧٥ — ١٧٧ . وقد قتل مھرکافي وقعة بدر ، قتله علي بن أبي طالب .  
 السيرة ٥٠٨ ومغازي الواقدي ١١٤ . وقال ابن حزم في المجهرة ١١١ : « قتله ابن أخيه  
 الزبير بن العوام » .

(٣) هو محمد بن إسحاق شيخ أهل المغازي ، المتوفى سنة ١٥١ . تهذيب التهذيب وعيون  
 الأثر لابن سيد الناس ١ : ٨ — ١٧ .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي . ولد سنة ١٣٠ وولاه المأمون  
 القضاء بالسكرك ، وتوفى سنة ٢٠٧ تهذيب التهذيب ، وعيون الأثر ١ : ١٧ — ٢١ .  
 (٥) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل إلا الألب وإحدى أسنان الدين ، وإثباتها  
 من جبهة أنساب العرب لابن حزم ١١١ ، قال : « وكان يقال لنوفل بن خويلد : أسد  
 قريش ، وأسد الملبين . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : اللهم  
 اكفنا ابن العديوة ! يعني نوفلا » .

وهو الذى يقال له ابن التدوية — ففرنهما فى جبل ، وفنهما من دينهما وعذبهما ، فلذلك سُمى أبو بكر وطلحة « القرينين » .

وأبو بكر الذى قام دون النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وقد اعتوره المشركون حين قال : « أما والله لقد جئكم بالذئب »<sup>(١)</sup> قال أبو بكر ويلكم ، أتمثلون رجلاً أن يقول ربى الله ! فمددوا فودى رأسه .

<sup>(٢)</sup> ثم الذى لقي فى مسجده الذى كان بناء على بابيه فى بى مجع ، وحيث رد الجوار وقال : لا أريد جاراً سوى الله . وقد كان بنى مسجداً يصلى فيه ويدعو الناس إلى الإسلام ، وله صوتٌ دقيق ووجه عتيق ، فكان إذا قرأ وكى ، وقت عليه<sup>(٣)</sup> السارة والنساء والعبيان والمبيد ، فلما أودى فى الله حتى بلغ جهده استأذن النبي صلى الله عليه فى الهجرة ، فآذن له ، فأقبل يريد المدينة فلقاه الكِنانى سيد الأحابيش<sup>(٤)</sup> ، فمقد له

(١) إنذار بالمذاب والمهلك . جاء فى السيرة ١٨٣ فى رواية عبد الله بن عمرو بن العاص : « فأقبل يعصى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول . قال : فمرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمنها فمرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمنها ، فوقف ثم قال : أسمعون يا معشر قريش ، أما الذى نفسى بيده لقد جئكم بالذئب ! قال : فأخذت القوم كلته حتى ما منهم رجل إلا لسكتاً على رأسه طير واقف . »

وفى ميو الأثر ١ : ١٠٤ أن الذى صلى الله عليه وسلم قل بعد ذلك فى خطابه للؤمنين : « أبصروا فإن الله عز وجل مظهر دينه ، ومم كلته ، وناصر نبيه . إن هؤلاء الذين ترون ما يذبح الله بأيديكم حاجلاً » . قال عثمان بن عفان : « ثم أصرفنا إلى بيوتنا ، فو الله لقد رأيتهم قد ذبحهم الله بأيدينا . »

(٢) فى الأصل : « وقت » .

(٣) السكتانى هو مالك بن الدغنة ، أحد بنى الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . والأحابيش ، هم بنو الحارث بن بكر بن عبد مناة ، والمهون بن خزعة بن مدركة ، وبنو =

- جواراً وقال : والله لا أدع مثلك يخرج من بين أخشبي مكة . فرجع وقد عقد له الكنانى جواراً ، كل ذلك رغبةً فى قرب النبي صلى الله عليه ، فلما رجع إلى مكة عاد إلى مسجده وصنعه ، فشت قريش إلى جاريه وعظموا الأمر عنده وأجلبوا عليه فقالوا : قد أفسد أحداثنا ، وعبيدنا وإماءنا ونساءنا ، فى منازلنا ! فشى إليه الكنانى وقال : ليس على هذا أعطيتك الجوار ، ادخل بيتك واصنع فيه ما بدا لك<sup>(١)</sup> ! قال له أبو بكر : أو أرد عليك جوازك وأرضى بجوار الله ؟ فلما قطع الجوار وراداً المهد وتباريا<sup>(٢)</sup> لقي أبو بكر رضى الله عنه من الأذى والذل والغرب والاستخفاف ما يملك ، وهو أمر موجود فى جميع السير . وليس المفتون كالوادع ، قال الله سبحانه : « والفتنة أشد من القتل » . وذلك أن المشركين كانوا قد صاروا إلى أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتعذيب ، والمسلمون نفرّ يسير ، قد خذلهم عشائهم ، وأسلمتهم أهلهم ، فألقوا خياباً على الرصف<sup>(٣)</sup> حتى ذهب ماء مئته . وكان أبو ذر حليفاً مستضعفاً فكان يدخل بالهار فى خلال أستار الكعبة ويخرج بالليل مستخفياً ، وكانت بنو مخزوم تعذب عمّاراً وأباه وأمه برمضاء مكة ، فيهرّ بهم النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : ١٥

==المصطلق من خراقة . السيرة ٢٤٥ والروض الألف ١ : ٢٣١ .

وفى العرب آخر يسمى « ابن المغنة » وهو ربيعة بن رفيع بن أهبان بن لمبة بن ربيعة بن يربوع . السيرة ٨٥٢ .

١٥ . الكلام من ثم التلى لى فى مسجده . ص ٢٨ من ٦ إلى هنا موضع رد للاسكافى سياتى برقم (٧) .

٢٠ .

(١) بباريا : صنع كل منهما مثل صاحبه ، وقد تكون مسمول « بباريا » .

(٢) الرصف : الحجارة التى أحيت بالفسس أو النار ، واحدها رصف .

« صبراً آل ياسر ، فإنّ موعدكم الجنة ! » فذكر عمار عند ذلك عياد  
أبي بكر لبلال حين أعتقه من العذاب فيمن أعتق ، فقال :

جزى الله خيراً عن بلال ودينه عتيقاً وأخزى فاكها وأبا جهل<sup>(١)</sup>

وقال سعيد بن جبير : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون

٥ يملنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه من العذاب ما يُمذرون به  
في ترك دينهم ؟ قال : والله إنّ كانوا ليضربون أحدكم ويُعطشونه حتّى  
لا يقدر أن يستوى جالساً من الجهد ، حتّى إنّ كان أحدكم ليعطبهم الذى  
سألوه ، من الفتنة ، وحتّى يقال له : اللات والمرى إلهك من دون الله ؟  
فيقول : نعم . وحتّى إنّ الجمل ليربهم فيقال<sup>(٢)</sup> له : هذا إلهك ؟  
١٠ فيقول : نعم .

فلو كان على بن أبي طالب قد ساوى أبا بكر في الإسلام لقد كان  
فضله أبو بكر بأنّ أعتق من المذبذبين بمكة ، وحتّى لو<sup>(٣)</sup> لم يكن  
غير ذلك لكان لحاقه عسيراً<sup>(٤)</sup> ، ولو كان ذلك يوماً واحداً لكان عظيماً ،  
فكيف وكان بين ظهور النبي عليه السلام ودعائه إلى أن هاجر إلى المدينة  
١٥ ثلاث عشرة سنة ، في كلّ ذلك أبو بكر وخبّاب وأصحاب النبي صلى الله  
عليه وسلم يتجرعون المرار وعلى وادع رافه ، غير طالب ولا مطلوب  
وليس أنّه لم يكن في طباعه<sup>(٥)</sup> التّجدة والشّهامه ، وفي غريزته الدّفع والحماية ،

(١) في الأصل : « وأخري » ، تحريف . وعتيق : لقب أبي بكر .

(٢) في الأصل : « فيقول » .

(٣) ليست في الأصل . ٢٠

(٤) ابن أبي الحديد : « ولو لم يكن له غير ذلك لكان لحاقه عسيراً وبلوغ منزله  
شديداً » .

(٥) في الأصل : « لمن يكون في طباعه » صوابه عند ابن أبي الحديد ٧ : ٢٦٧ .

ومن أكرم عنصر وأطيب مترس ، ولكن لم تكن تمت له أداؤه ، ولم تستجمع له قواء ولم تنكامل آدابه ، لأنَّ العقل وإن اشتدَّ مغرزه وثبتت أواخيه وجاد نَحْتُهُ<sup>(١)</sup> فإنه لا يبلغ بنفسه دَرَكَ النّاية ، دون كثرة السّماع والتّجربة ، ولأنَّ رجال الطّلب وأصحاب الثّار وأهل السنّ والقدر يَنْمِطُونَ ذا الحداثة ، ويَزْدُونَ على [ ذى<sup>(٢)</sup> ] الصّبّا والنّارة إلى أن ياحق بالرجال ٥ ويصير من الأكفاء<sup>(٣)</sup> . «حَتَّى كَانَ آخِرُ<sup>(٤)</sup> مَا لَقِيَ هُوَ وَأَهْلُهُ فِي أَمْرِ النَّارِ ، وَقَدْ طَلَبْتَ قَرِيشَ وَجَعَلْتَ فِيهِ مِائَةَ بَعِيرٍ كَمَا جَعَلْتَ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَقِيَ أَبُو جَهْلٍ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ - وَهِيَ ذَاتُ النُّطَاقَيْنِ - مُنْصَرِّفَهَا مِنَ النَّارِ ، فَسَأَلَهَا فَكَتَمَتْهُ فَلَطَمَهَا ، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ : لَقَدْ لَطَمَنِي لُطْمَةً أَنْدَرَ مِنْهَا قُرْطًا كَانَ فِي أُذُنِي<sup>(٥)</sup> .

١٠

فصل : «<sup>(٦)</sup> ثم الذي كان من دعائه إلى الإسلام وحسن احتجاجه حتّى أسلم على يديه طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن وعثمان ، لأنّه ساعة ما أسلم دعا إلى الله ورسوله<sup>(٧)</sup> ، وكان مألفاً ، لأدريه وعيله ورُحْبَ عَطْنِهِ .<sup>(٨)</sup> » وقالت أسماء : « ما عرفتُ أبى إلّا وهو يدين بالدين ، ولقد رجع إلينا يوم أسلمَ فدعانا إلى الإسلام فما رمنا حتّى أسلمنا وأسلم أكثر جلسائه » ، ولذلك قالوا : لَمَنْ أَسْلَمَ بدعاء أبي بكر أكثرُ ممَّن أسلم

١٥

(١) التّحت : الأصل -

(٢) ليست في الأصل . وعند ابن أبي الحديد : « ويزددون بنى الصبا » .

(٣) السلام من « ثم الذي كان يلقي أبو بكر » إلى هنا مع الإيجاز ولأفراد بعض العبارات

٢٠

بالرد رقم (٧) موضع رد للإسكان سيأتي في رقم (٦) .

(٣) في الأصل « حتى أن أحر » ، صوابه في ح .

• « في الظر رد الإسكاني رقم (٨) »

• « في الظر رد الإسكاني رقم (٩) »

بالسيف . ولم يذهبوا من قلوبهم إلى العدد بل عتوا الكثرة في القدر ، لأنَّ من أسلم على يده خمسة من الثوري ، كلُّهم يفي بالخلافة ، وم أ كفاه على منازعوه الرياسة والإمامة ، فقد أسلم على يده أكثر من أسلم بالسيف ، لأنَّ هؤلاء أكثر من جميع الناس<sup>(١)</sup> .

٥ فصل : وممن أسلم على يده بلال ، وهو الذي يقول فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « بلال سيّدنا ومولى سيّدنا » . ورووا أنّه قال : « أبو بكر سيّدنا وأعتق سيّدنا » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : بلال سابق الحبس ، وبلال « مول أبي بكر » ثلاث مرات . أسلم على يده فأعتقه من رق الكفر ، وأعتقه من رق المذاب حيث كان يُفتن في الله ١٠ ورسوله ، وأعتقه من رق اليهودية .

وكان من قصة بلال أنّه كان عبداً لبني جحج وكانت دار أبي بكر ومسجده في حيّ جحج ، ولم يكن يبطن مكة مسجده سواء ، فلما سمع دُعاء أبي بكر أسلم وحده<sup>(١)</sup> فلما سمع<sup>(٢)</sup> أمية بن خلف فكان يخرج به إذا حُميت الظهيرة فيطرّحه على ظهره يبطحاء مكة ، ثم يضع صخرة على صدره ، ثم يحلف بالله لا ينزعها عن صدره أو يكفر بحمد وإلهه ويؤمن بالآلات والمزى ! وبلال يأبى وهو يقول : أخذ أحد ! وكان يرث به ورقة بن نوفل فيقول : نتم يا بلال ، أحد أحد ! فرّ به أبو بكر وهو يريد داره في بني جحج ، فرأى أمية وما يصنع ببلال ، فقال : ألا تنتق الله ؟

\*\*\*\* الكلام من « وقالت أسماء » لى هنا موضوع رد الإسكافي رقم (١٠) .

٢٠ (١) في الأصل : « واحدة » .

(٢) لعلها « وسمع » .



إلى متى تَعَذِّبُ هذا السَّكِين ١؟ قال : أنت أفسدتَه ! يعنى أنت دعوتَه حتَّى أسلم — فأقبِذَه ! قال أبو بكر : عندى غلامٌ أسود جلدٌ ، على دينك ، أعطيكَه وأخذَه . فأعتقَه . فهو عتيقه ثلاثَ مرَّاتٍ (١) .

- (٢) ثم أعتق بعد ذلك من العذَّيِّين فى الله ستَّ رقاب ، منهم عامر بن فُهيرة ، شهد بدرًا وهاجر مع رسول الله عليه السلام وأبى بكر ، لأنَّه كان فى موضع الثَّقة ، حيثُ خرجا إلى النار هارِبَيْنِ من الشَّركين متوجَّهَيْنِ إلى المدينة . واستشهدَ يومِ بئرِ مَعُونَة .

- وأعتق زَيْنَةَ (٢) ثلاثَ مرَّات ، فلما اشتراها وأعتقها ذهبَ بِصَرِّها ، وكانت تُعَذِّبُ فى الله فيمن يُعَذِّبُ بِمَكَّةَ ، فقال الشُّركون : ما أذهبَ بِصَرِّها إلَّا اللَّاتُ والزَّمَرُ ! قالت : كذبُوا ما يَصُرَّانِ ولا يَنْفَعانِ ! فردَّ الله عليها ١٠ بِصَرِّها . فزعم الزُّهْرَى (٣) أنَّ مَوْلَيْيْنِ لابنِ النُّعَيْلَة (٤) أسلما حينَ ردَّ الله عليها بِصَرِّها . وقال : هذا بلا شكٍّ (٥) من إله محمد وابنِ أبى حَفَافَة !

ثم أعتق النُّهَيْدَةَ وابنتَها وقد كانتا تُعَذِّبانِ فى الله ، وكاتتا لأمراء من بنى عبد النُّار ، ومَرَّ بهما أبو بكر وقد بعثت المِندَرِيَّة (٦) ممهما بِطَلْحَيْنِ وهى

(١) إشارة إلى ما سبق من أنَّه أعتقه من رق الكفر ، ومن رق العذاب ، ومن رق الميودية . انظر ما سبق فى ص ٣٢ س ٩ — ١٠ .

(٢) زينة ، بكسر الزاى وتعدد النون المكسورة ، كما ضبط المحافظ فى الفتح ٤٩٣ قسم النساء ، والسهيل فى الروض الأتف ١ : ٢٠٣ . وكانت رومية .

(٣) فى الأصل : « الزهرى » .

(٤) كان ابن النُّعَيْلَة من أشد أعداء الرسول — والنُّعَيْلَة أمه ، كانت كاهنة من بى سهم فى الجاهلية — واسمه الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم السهمى . انظر إمتاع الأسباح ١ : ٢٢ وحواشيه .

(٥) فى الأصل : « هذا بك شك »

(٦) هى مولاتهما ، سبة إلى بنى عبد النُّار .

تقول : والله لا أعتقك أبداً . قال أبو بكر : <sup>(١)</sup> جَلًّا يا أُمّ فلان ؟ قالت :  
جَلًّا ! أنتَ أفسدتَهما فأعتقتهما . قال : فبِكَأَيِّنِهما <sup>(٢)</sup> يا أُمّ فلان ؟ قالت :  
بِكُذِّا وكُذِّا . قال : فقد أخذتُهما ، وهما حرٌّتان ، أرجما إليها طحينها .  
قالت : أوْ نُفِرْغ منه يا أبا بكر <sup>(٣)</sup> ؟ قال : وذلك إن شئتُما .

٥ . ومروّ بجارية بنى مؤمل — حمّة من بنى عدى بن كعب — وعمرُ بن  
الخطّاب يعضّها لتترك الإسلام ، وهو يضربها فإذا ملّ قال : أعتذر إليك  
لأنّى لم أتركك إلّا <sup>(٤)</sup> مَلَلَةً ! فابتاعها فأعتقها .  
وأعتقَ أُمّ عُبَيْس <sup>(٥)</sup> .

١٠ . فقال له أبو قحافة : أى بُسْفَى ، أراك تَمَتِّق رَقاباً ضامفاً ، فلو أنّك  
إذ فعلتَ أعتقتَ رجلاً جُلْدًا <sup>(٦)</sup> مَنُورَك وقامُوا دونَكَ !؟ قال : يا أبتِ

(١) فى السيرة ٢٠٦ جوتنجن وهامش الروض ١ : ٢٠٣ : « حل » بالرفع فى الموضعين  
ولسلك وجهه - جلا ، أى بجملى من بينك . انظر الراس النضرة ١ : ٨٩ .

(٢) أى بكم حاء . وفى السيرة : « فكهم حاء » . قال ابن هشام فى اللقى عند الكلام على  
« كأيّن » : « لا يقع بجرورة ، خلافاً لابن قتيبة وابن عصفور ، أجازا : بكأيّن يبيع هذا  
التوب » . فأنورد الجاحظ شاهداً لمتبهما . ١٥

(٣) فى السيرة : « أو فرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها » ، كأنهما أرادتا أن تتخففا  
من ثقل الحمل .

(٤) بعده فى السيرة : « فنقول : كذلك فعل الله بك ! ! » .

(٥) فى الأصل : « أم عيسى » تحريف ، صوابه فى السيرة ولما ناع الأسباع ١٩ . ويقال  
٢٥ . فيها أيضاً « أم عيس » وكانت فتاة من بنى تيم بن صرة ، وهى أم عيسى بن كرز بن ربيعة  
ابن حبيب بن عبد شمس بن مناف .

(٦) الجلد ، بالعريك : الشدة والقوة ، وهو جلد وجلد ، من أجلاذ وجلدهاء  
وجلاد وجلد .

- إِنَّمَا أُعْتِقَ الْمُذْنِبِينَ ١ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « أَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ١١ » . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ١٢ إِلَى قَوْلِهِ : « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى ١٣ » . فَتَفْهَمُ مَعْنَى قَوْلِهِ : « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى » وَتَفْهَمُ مَعْنَى قَوْلِهِ : « وَلَسَوْفَ يَرْضَى » .
- وَقَدْ سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَيْثُ خَاطَبَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَذَكَرَ الْأَمْوَالَ وَعَظَّمَ قَدْرَهَا فِي عُيُونِهِمْ ، وَشَدَّ إِخْرَاجَهَا عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّهُ لَوْ كَفَّهِمْ ذَلِكَ لِأَخْرَجَهُمْ بِقَلِّ التَّكْلِيفِ إِلَى غَايَةِ الْبُخْلِ بِهَا وَالشُّحِّ عَلَيْهَا ، وَالْإِثَارِ لِحَبْسِهَا فَقَالَ : « لَا تَهِنُوا ١٤ » وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَذَكَّرَ أَعْمَالَكُمْ . إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمَبٍ وَلَهْوٌ ، وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ ١٥ ثُمَّ قَالَ : « وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ . إِنْ يَسْأَلْكُمْوَهَا ١٦ فَيُحْفِفْكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَصْفَانَكُمْ ١٧ » . فَتَفْهَمُ مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُزَلِّهِ عَمَّا ١٨ ثُمَّ قَالَ : « هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لَتَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ١٩ » . أَلَا تَرَاهُ خَاطَبَ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : « وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ إِنْ يَسْأَلْكُمْوَهَا فَيُحْفِفْكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَصْفَانَكُمْ ٢٠ » .
- ٢١ « ثُمَّ قَدْ عَلِمْتُمْ مَا قَدْ صَنَعَ أَبُو بَكْرٍ بِمَالِهِ ٢٢ » ، وَكَانَ الْمَالُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا

(١) التلاوة : « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى » . وحذف الواو والفاء ونحوهما في مواضع الاقتباس من القرآن الكريم جائز . انظر ما كتبت في حواشي الحيوان ٤ : ٥٧ .

(٢) السلام مع إيجاز شديد من قوله « ثُمَّ أَعْتِقَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمُذْنِبِينَ » س ٣٣ س ٤ إلى هنا موضع رد للاسكافي ، وسيأتي برقم (١١) .

٢٠

(٣) التلاوة : « فَلَا تَهِنُوا » . سورة محمد ٣٥ . وانظر التنبيه السابق رقم (١) .

(٤) في الأصل : « هتبا » .

(٥) بعده يبدأ الاختيار الثاني من نسخة للتعليق البريطاني للرموز إليها بالرمز (ب) .

(٦) ب : « فِي مَالِهِ » .

فَأَنفَقَهُ عَلَى نَوَائِبِ الْإِسْلَامِ وَحَقُوقِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَالُهُ مِيرَاثًا لَمْ يَكُدَّ فِيهِ فَهُوَ .  
 عَزْرُهُ (١) لَا يَشْعُرُ بِسُرِّ احْتِمَالِهِ (٢) وَامْتِنَاعِ رَجُوعِهِ ، وَلَا كَانَ هِبَةً مَلِكٍ .  
 فَيَكُونُ أَسَمَحَ لَطَبِيعَتِهِ وَأَخْرَقَ فِي إِفْثَاقِهِ ، بَلْ كَانَ ثَمَرَةً كَدَّهُ وَكَسْبَ  
 جَوْلَانِهِ وَتَمَرُّضِهِ . ثُمَّ لَمْ يَكُنْ خَفِيفَ الظَّهْرِ قَلِيلَ النَّسْلِ قَلِيلَ الْعِيَالِ ،  
 ٥ فَيَكُونُ قَدْ جَمَعَ الْيَسَارِينَ ؛ [ لِأَنَّ الْمَثَلَ الصَّحِيحَ السَّائِرَ : قَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ  
 الْيَسَارِينَ (٣) ] بَلْ كَانَ ذَا بَيْنَيْنَ وَبَنَاتٍ وَزَوْجَةً وَخَدَمَ وَأَحْشَامَ (٤) ، يُؤُولُ  
 مَعَ ذَلِكَ أَبُوَيْهِ وَمَا وَلَدَا ، وَلَمْ يَكُنْ فَتًى حَدَثًا قَهْرَهُ أَرْيَحِيَّةُ الشَّبَابِ  
 وَغَرَارَةُ الْحَدَاثَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِحِذَاهُ إِفْثَاقُهُ طَمَعٌ يَدْعُوهُ ، وَلَا رَغْبَةٌ تَحْدُوهُ ،  
 وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ ذَلِكَ عِنْدَهُ يَدٌ مَشْهُورَةٌ فِيخَافُ الْمَارَ  
 ١٥ فِي تَرْكِ مَوَاسَاتِهِ (٥) وَإِفْثَاقِهِ عَلَيْهِ ، وَلَا كَانَ مِنْ رَهْطِهِ دُنْيَا (٦) فَيُسَبِّ  
 بِتَرْكِ مَكَانَتِهِ وَمَعَاوِنَتِهِ وَإِرْفَاقِهِ . فَكَانَ [ إِفْثَاقُهُ (٧) ] عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي  
 لَا يُجَدُّ أَبْلَغُ فِي غَايَةِ الْفَضْلِ مِنْهُ (٨) ، وَلَا أَهْلٌ عَلَى غَايَةِ الصَّدْقِ وَالْبَصِيرَةِ مِنْهُ .

(١) فِي اللَّسْطِيِّينَ : « عَزْرُهُ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « احْتِمَالُهُ » ، صَوَابُهُ فِي ب .

(٣) الْفَسْكَالَةُ مِنْ ب . ١٥

(٤) أَحْشَامٌ : جَمْعُ حِمٍّ ، وَهِيَ خَاصَةٌ لِلرَّءِثَةِ يَنْضَبُونَ لَهُ مِنْ عَيْدٍ أَوْ أَهْلٍ أَوْ جَبَرَةٍ .

ب : « وَحِمٍّ » .

(٥) هَذَا مَا لِي بِ . وَفِي الْأَصْلِ : « مَوَاسَاتُهُ كَمَلٍ » . وَالْكَلِمَةُ الْأَخِيرَةُ مُقْتَعَةٌ .

(٦) يُقَالُ هُوَ ابْنُ عَمِّ دُنْيَا ، بِكَسْرِ الدَّالِ مَعَ التَّنْوِينِ وَعَدَمِهِ ، وَبِضْمِهَا مَعَ تَرْكِ الْإِجْرَاءِ

٢٠ إِذَا كَانَ ابْنُ عَمِّ لَهَا لَاصِقَ النَّسَبِ .

(٧) الْفَسْكَالَةُ مِنْ ب .

(٨) الْكَلَامُ مِنْ « ثُمَّ قَدْ هَلُمُّنَا مَا قَدْ صَنَعَ » ص ٣٥ س ١٦ إِلَى هُنَا مَوْضُوعٌ .

الرَّدُّ وَقَدْ (١٢) .

\*) وقد تملكون ما كان يلقي أصحاب النبي عليه السلام يطن مكة من المشركين ، وقد تملكون حسن صنع كثير منهم ، كصنيع حمزة حين ضرب أبا جهل بقوسه ، فبلغ في هامته ، في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو جهل يومئذ أمتع البطحاء ، وهو رأس الكفر .

- ثم صنع عمر حيث يقول يوم أسلم : « والله لا يُعبد (١) الله سراً بعد اليوم ! » حتى قال بعد موته عبد الله بن مسعود : « ما صلينا ظاهرين حتى أسلم عمر (٢) » .

- ثم كان الذي لقي في ذلك اليوم بعينه من المشركين ، ثم مضيه من قوره حتى يقرع حل أبي جهل الباب ، فلما حس به أبو جهل خرج إليه وهو يقول : مرحباً بابن أختنا — وكانت أمه حننمة بنت هاشم ذي الرضحين ١٠ ابن المغيرة — قال : أنتدى ما صرتُ بمدك يا أبا الحكم ! قال : خير ، فليكن . قال : إنه خير ، إني آمنت بالله ورسوله وخلفت الأنداد ، وجعلت (٣) اللات والعزى ، وصدقت محمداً . قال : فلا قرب الله قرابتك ! ألا ترى إلى قوة (٤) شهامته وجلده ، وصدق نيته في كشف القناع ، والمبادأة لرأس الكفر وسيد البطحاء عند نفسه ورهطه . ١٥

وقوله بعد ذلك لجميع المشركين : أما والله لو قد (٥) صرنا مائة لتر كتموها لنا أو تركناها لكم — يعني مكة .

(١) ب : « لا لعبد » بالنون .

(٢) إلى هنا ينتهي هذا الاختيار في ب الذي بدأ في س ٣٥ س ١٦ .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) في الأصل : « قوله » .

(٥) في الأصل : « لعد » .

ثم صنيع [ الزبير <sup>(١)</sup> ] في سلته السيف شاداً به مستقبل المشركين ، يريد .  
خبط من لقيه منهم ، فلقاه النبي صلى الله عليه مقبلاً فقال : مالك .  
يا زبير ! قال : بأبي أنت وأمي ، سمعت قائلاً يقول : قد أخذ محمد  
وأودى ! فكان أول من شمر سيفاً في الإسلام .

• ثم صنيع سعد <sup>(٢)</sup> وضربه عظيماً من عظمهم على أم رأسه بلحى بغير ،  
فكان أول من أراق دمًا في الإسلام . وهو الذي يقول لرسله على حين  
أتوه يدعونه إلى بيعة : ثكلتني أمي ، لأن كنت مع رسول الله صلى الله  
عليه سادس سنة <sup>(٣)</sup> ما لنا طعام إلا ورق البشام ، ثم جاني أعراب  
الأوس تملحن دين الله !

١٠ وإنما ذكرت لك هذا لتعلم أقدار القوم والذي لقوا من الجهد والخوف .  
والذل والتطراد والضرب . ولم نسمع لملء في جميع ذلك ذكرًا .  
ولم يكن ذلك المكروه سنة ولا سنتين ، ولكن ثلاث عشرة سنة ،  
وهذا أمر لا يلحق ولا يدرك الفات منه ، كما قال الله : « لا يستوى  
منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا  
من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى <sup>(٤)</sup> » .

(١) تكملة بفتحها السياق . وانظر الإصابة ٢٧٨٣ .

(٢) هو سعد بن أبي وقاص ، أحد المقرة للبعثين بلجنة وآخرهم موتاً ، وأحد الستة  
أهل الثورى . الإصابة ٣١٨٧ . وفيها : « فبينما سعد في شعب من شعاب مكة في نفر من  
المحابة إذ ظهر عليهم المشركون فنافروهم وعاثوا عليهم دينهم حتى قاتلهم . فضرب سعد  
٢٠ رجلاً من المشركين بلحى جل ففجعه » . وذكر في السيرة ١٦٦ أنهم كانوا يصلون حيثنذ .

(٣) في الإصابة : وقع في صحيح البخارى عنه أنه قال : « لقد مكثت سبعة أيام ولاني  
ثلاث الإسلام » . وانظر فتح البارى ٧ : ٦٦ — ٦٧ .

(٤) الآية ١٠ من سورة الحديد .

فإذا كَانَ مَنْ أَنْفَقَ وَقَاتَلَ قَبْلَ الْفَتْحِ أَعْظَمَ دَرَجَةً ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ » ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ قَاتَلَ وَأَنْفَقَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ . وَمِنْ لَدُنْ<sup>(١)</sup> مَبِيعَتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَى الْهِجْرَةِ أَعْظَمُ مِنَ الْقِيَامِ بِأَمْرِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ ، [ وَ ] أَفْضَلُ مِنَ الْقِيَامِ بِأَمْرِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْفَتْحِ .

فَإِنْ قَالُوا : قَدْ عَرَفْنَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَدْ أَنْفَقَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ وَلَا نَعْرِفُهُ قَاتِلَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، فَقَاتِلْ عَلَى بَعْدِ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ مِنْ لِفَاقِ أَبِي بَكْرٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ .

<sup>(٢)</sup> قلنا : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَإِنْ لَمْ يَقَاتِلْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ فَقَدْ قَاتَلَ مُرَادًا وَإِنْ لَمْ يَمِتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ، وَلَئِنَّهُ لَوْ مُجِعُ جَمِيعِ الْمَكْرُوهِ الَّذِي لَقِيَ أَبُو بَكْرٍ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ١٠ سَنَةً لَكَانَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ قَتْلَةً<sup>(٣)</sup> .

وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الْقِتَالُ مُمْكِنًا وَالْوُثُوبُ مُطْلَمًا لَقَاتَلَ أَبُو بَكْرٍ وَنَهَضَ كَمَا نَهَضَ فِي الرَّدَّةِ . وَإِنَّمَا قَاتَلَ عَلَى<sup>(٤)</sup> فِي الزَّمَانِ الَّذِي [ قَدْ<sup>(٥)</sup> ] أَقْرَنَ [ فِيهِ<sup>(٦)</sup> ] أَهْلُ الْإِسْلَامِ لِأَهْلِ الشَّرْكِ<sup>(٧)</sup> ، فَطَلَمُوا أَنْ تَكُونَ الْحَرْبُ

- ١٥ (١) فِي الْأَسْل: « وَيَنْ لَذَنْ » ، صَوَابُهُ فِي ح ٣ : ٢٧٥ .  
 (٢) بِعَدِهِ فِي ح : « وَإِلَى بَعْدِ الْهِجْرَةِ » . وَالْكَلامُ مِنْ أَوَّلِ قَوْلِهِ : « وَقَدْ تَعْلَمُونَ مَا كَانَ يَلْقَى » فِي س ٣٧ س ١ إِلَى هُنَا مَوْضِعَ الرَّدِّ رَقْم (١٣) .  
 (٣) يَبْدَأُ بِعَدِهِ اقْتِباسُ جَدِيدٍ فِي نَسْخَةِ (ب) سَلْتَبَهُ عَلَى نَهَائِهِ .  
 (٤) التَّسْكِلَةُ مِنْ ب .  
 (٥) يُقَالُ أَقْرَنَ لَهُ ، أَيْ أَطَالَهُ وَقَدَّرَ عَلَيْهِ ، وَأَقْرَنْتَ فَلَانًا ، أَيْ صَرَفْتَ لَهُ قَرْنًا . ٢٠  
 وَفِي ح : « فِي الزَّمَانِ الَّذِي اسْتَعْوَى فِيهِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلُ الشَّرْكِ » . وَالنَّسْوَسُ الَّذِي فِي ح يَكْثُرُ فِيهَا التَّصَرُّفُ .

سجلاً ، وقد أعلمهم الله أن العاقبة للمتقين ، وأبو بكر مفتون مفرد<sup>(١)</sup>  
[ ومطروود مشرد ، ومضروب معذب<sup>(٢)</sup> ] ، في الزمان الذي ليس بالإسلام  
وأهله نهوض ولا حركة . ولذلك قال أبو بكر بعد أن استفاض الإسلام  
وضرب بجوانه وظهر أمره : « طوبى لمن مات في تأناة الإسلام » ، يقول :  
• في أيام ضعفه وقلته<sup>(٣)</sup> ، حيث كانت الطاعة أعظم ، لفرط الاحتمال ،  
وبلاء أغلظ ، لشدة الجهد ، لأن الاحتمال كلما كان أشد وأدوم كانت  
الطاعة أفضل ، والعزم فيه أقوى .

ولا سواه مفتون مشرد لا حيلة عنده ، ومضروب معذب لا اتصاف  
به ولا دفع عنده ، ومبأطش متقن<sup>(٤)</sup> [ يشقى غيظه ويرى غليله ، وله  
١٠ مقدم يكلفه ويشجعه .

ولا سواه مقهور<sup>(٥)</sup> ] لا يثبات<sup>(٥)</sup> ، ولم ينزل القرآن بعد بظفريه ،

(١) في الأصل : « مقول » صوابه في ب . وبدل « مفرد » في ب « معذب » .

(٢) التسمية من ب . و « معذب » هي في أصلها هنا « ومغرب » .

١٥ (٣) ساقى الإسكافي الكلام من « قلنا إن أبا بكر » ص ٣٩ س ٩ إلى هنا على هذا  
الوجه : « قال الجاحظ : ولأبي بكر مراتب لا يفرق فيها على ولا غيره وذلك قبل الهجرة  
فقد علم الناس أن علياً عليه السلام إنما ظهر فضله وانتشر سيته وامتحن ولقي المشاق منذ يوم  
يسر ، وأنه إنما قاتل في الزمان الذي استوى فيه أهل الإسلام وأهل الفرق وطعنوا في أن  
تكون الحرب بينهم سجلاً ، وأعلمهم الله تعالى أن العاقبة للمتقين . وأبو بكر كان قبل الهجرة  
معذباً ومطرووداً مفرداً ، في الزمان الذي ليس بالإسلام وأهله نهوض ولا حركة ، ولذلك قال  
٢٠ أبو بكر في خلافته : طوبى لمن مات في تأناة الإسلام . يقول : في ضعفه » ثم عقب عليه بالرد  
وقه (١٤) في ملحقات الكتاب .

(٣) المبالغة : مبالغة من البطش وهو السطوة والأخذ بالنف . والمقرن : المطبق

القادر . ب : « مفرق » .

(٤) التسمية من ب .

٢٥ (٥) في الأصل : « لا يصاب » صوابه في ب .



وقد هتك اليأس لَطُول ما لَبِقَ حجابَ قلبه ، وقصَّ قَوَى طمعه حتَّى بقى وليس معه إلَّا احتسابه ، ومقَاتِلُ في عسكره معه عِزُّ الرِّجاء <sup>(١)</sup> وقوَّة الطمع ، وطِيبَ نَفْسِ الأَمَلِ <sup>(٢)</sup> .

- فليس لعلَّ موقفٌ من المواقف إلَّا ولأبى بكره أَفْضَلُ منه إمَّا في ذلك الموقفِ وإمَّا في غيره . ولأبى بكر مواقف لا يَشْرِكُ فيها على ولا غيره .
- وإنَّما مُحَسَّسٌ على وامتَحِنَ من لدنْ يوم بدر إلى آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٣)</sup> وبينَ الحنة في الدهر الذي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيه مُقَرَّرِينَ لأهل مَكَّة ومشركي العرب ومعهم أهل يثرب أصحاب النخيل والآطام ، والإرَب والإقدام ، والصَّبْر والمواساة ، والإيثار والمحاماة ، والعدد الدَّيْمُ والفعل الجَزَل ، وبين الدهر التي كانوا فيه بِمَكَّة يُفْتَنُونَ <sup>(٤)</sup> ويُسْتَمُون ويُسَرَّدُونَ ، ويَجُوعُونَ ويمطَشُونَ ، مقهورين لا حَرَكَةَ لهم ، وأذِلَّة لا دَفْعَ عندَهم ، وفقراء لا مال لهم ، ومنبَظِينَ لا يُمكنهم السُّفهاء <sup>(٥)</sup> ، ومُسْتَخَفِينَ لا يَمَكِّنُهُمُ اللِّقَاءُ <sup>(٦)</sup> - فرقٌ بَيِّنٌ .
  - ولقد كانوا في حالٍ أُخرجت لوطاً - وهو نبيٌّ ، والنبيُّ خيرٌ من جميع الناس - إلى أن قال لقومه حينَ لقي منهم مالتى : « لو أنَّ لى بَكْمُ قُوَّةٍ أَوْ آوَى إلى رُكنٍ شَدِيدٍ » . [ وقال النبي صلى الله عليه وآله : « هببت من أخى لوطٍ كيف قال : أَوْ آوَى إلى رُكنٍ شَدِيدٍ <sup>(٧)</sup> ] وهو بأوى إلى الله سبحانه !

(١) في الأصل : « غير الرجا » ، وفي ب : « عز الرجال » وجههما ما أثبت .

(٢) هذا نهاية الاختيار التي بدأ في ص ٣٩ س ١٢ .

(٣) كذا . ولعلَّ فيها كلمة ساقطة .

(٤) عند ابن أبي الحديد : « لا يَمَكِّنُهُمُ إظهار دعوتهم » .

(٥) التكلفة من ح .

ثم لم يكن ذلك يوماً ولا يومين ، ولا شهراً ولا شهرين ، ولا عاماً ولا عامين ، ولكن السنين بعد السنين .

- وكان أغلظ القوم عِنةً وأشدَّهم احتياجاً بعد رسول الله صلى الله عليه .  
 أبو بكر الصديق ، لأنه أقام ما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ،  
 وذلك ثلاث عشرة سنة . وإنما قلنا ذلك من أجل أن الناس اختلفوا  
 في مقدار مبث النبي صلى الله عليه وسلم إلى هجرته ، فقال قائل : خمس  
 عشرة سنة ، وقال آخرون : ثلاث عشرة سنة ، وقال قوم : عشر سنين ،  
 فكان أعدل الأمور وأقسطها طرح الطرفين ، والأخذ بأوسط الروايات\* ،  
 كما صنمنا في مُهر على بن أبي طالب ، حيث وجدنا ولده جعفر بن محمد  
 ١٠ [و] هو دونه ، يخبر أن علياً استشهد وهو ابن سبع وخمسين . وقالت  
 ( علماء الرافضة ) : نحن أهلُ به من ولده إلا الأئمة منهم . ولم يقل هذا  
 القول إمامٌ منهم قط ، ولكن علياً استشهد وهو ابن ثمان وخمسين سنة ،  
 ثم روى الناس بعد أن استشهد وهو ابن ستين وابن ثلاث وستين  
 وابن أربع وستين ، أخذنا بأوسط ما قالوا فطرحنا سنيهِ وسببهُ مُهر وعثمان  
 ١٥ وأبي بكر والمهجرة ومقام النبي صلى الله عليه بمكة ؛ فحصل العدد الذي أثبتناه  
 في صدر ذكرنا القضية .

- \*) فإن قالوا : قد صنع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة أفضل  
 من جميع ما ذكرتم ، ولقي أشدَّ مما لقي أفضلهم ، وذلك أن النبي صلى الله عليه  
 وسلم أبانه في مضجعه وعلى فراشه والمشركون يرصدونه ، وقد سقط إليهم  
 ٢٠ أن النبي صلى الله عليه وسلم يريد المدينة ، فقد تحزَّموا واجتمعوا وقلَّبوا

الرأى فرأوا أن يبيتوه على فراشه إن لم يظهر لهم . فقال لعل : « نتم على فراشى وتفتش ببردى الحضرمى » ، فإيهم إن رأوا حجمك فوق الفراش ودون البُرد لم يستريحوا ، وخفى لهم <sup>(١)</sup> أمرى ، ولم يتبعوا أترى . فنام على فراشه ينتظر وقع السيوف ، ويتوقع رضخ الحجارة ، بأذلا نفسه مصطبرا .  
 • وليس فوق بذل النفس درجة يلتسبها صابر ، ولا يلينها طالب .

وإن كان أبو بكر قد أحسن في خروجه وهجرته وصحبته ، وهربه مع النبي صلى الله عليه وسلم ، واستخفائه في النار ، فإن ذلك لن يبلغ من الاحتمال والخطار والخوف ، قَدَرَ ما كان فيه على رضى الله عنه ، لأن طمع النجاة في أحدهما أقوى ، والنفس له أرحم .

قبل لهم : لو كان الأمر كما يقولون في هذين الخوفين لم يقيم صرف <sup>١٠</sup> ما بينهما <sup>(٢)</sup> بقدر عشر ما لقي أبو بكر من جميع ما وصفتنا وما صنع أبو بكر في ثلاث عشرة سنة ، من كثرة الإنفاق ، وإيثار الفقر على الثنى ، والوحدة على الأنسة ، والهناء ببد الكرامة ، والخوف ببد الأمن ، والضرب والافتتان ببد الإكرام والتعظيم ، مع عتق المذنبين وكثرة المستجيبين ، ومع صرف وزن ما بين الطاعتين : لأن طاعة الشاب الفرير أو الحدث <sup>١٥</sup> الصغير ، الذى فى عز صاحبه عزه ، ليس كطاعة الحكيم المحتك الأريب ، الذى لا يرجع تسويده لمن سوّده [ و ] إلى رهله <sup>(٣)</sup> .

(١) فى الأصل : « لى » .

(٢) صرف ما بينهما ، أى فضل ما بينهما . يقال : بين درهمين صرف ، أى فضل ، بلودة فضة أحدهما .

٣٠

(٣) الكلام من « فإن قالوا قد صنع » س ٤٢ س ١٢ إلى هنا موضع رد للاسكافى سياتى برقم (١٦) .

٢٠ وُفِرَقَ آخِرُ : أَنَّ أَمْرَ النَّارِ وَقِصَّةَ أَبِي بَكْرٍ وَحُبِّهِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَوْنِهِ مَعَهُ فِيهِ ، نَطَقَ [بِهِ] الْقُرْآنُ وَصَحَّ بِهِ الْإِجْمَاعُ ، كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، وَالزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ ، وَالْفُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ ، حَتَّى إِنْ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ عِنْدَ الْأُمَّةِ مَجْنُونٌ أَوْ كَافِرٌ . وَأَمْرٌ عَلَىَّ وَنُومِهِ عَلَى الْفِرَاشِ أُنْمَا جَاءَ بِحُجَّتِهِ الْحَدِيثُ ، وَكَأَنَّ تَجْمِيعَ رَوَايَاتِ السَّيَرِ وَأَشْعَارُهَا . وَهَذَا لَا يُوَازِنُ ذَا وَلَا يَكَايِلُهُ ٢١ .

وَأَوَّلُ مَرَاتِبِ الْعَالَمِ أَنْ يَمُرَّ بِالْمَارِضَةِ وَالْمُقَابَلَةِ ، وَالنَّقْصِ وَالتَّسَاوِي . وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَوْسَاطِ النَّاسِ أَظْهَرَ شَكًّا فِي قِصَّةِ عَلِيٍّ وَمَبِيتِهِ ، وَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُ ذَلِكَ وَلَعَلَّهُ ، وَلَسَكُنِّي مَشْفِقٌ لِلَّذِي (١) أَهْرَفَ مِنْ أَكْذَابِ الشَّيْخِ ، وَتَوَلَّدَ مُحَالِ السَّيَرِ ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ بَأْسٌ مِنَ الْإِمَامِ . وَلَوْ قَالَ رَجُلٌ لَكَ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَوْسَطِ النَّاسِ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَاللَّهِ ، لَعَلَّ اللَّهَ إِنَّمَا عَنَى بِقَوْلِهِ : « ثَمَانِي أَتْنَيْنِ إِذَا مَا فِي النَّارِ » عَلَى بَنِي طَالِبٍ ، لَوَجَدَ عِنْدَ الْإِمَامِ غَايَةَ التَّكْبِيرِ .

٢١ وُفِرَقَ آخِرُ : أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَبِيتُ عَلِيٍّ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ بِحُجَّتِهِ كَوْنُ أَبِي بَكْرٍ فِي النَّارِ مَعَ النَّبِيِّ ، لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ كَبِيرٌ طَاعَةً ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَسَاوَى أَبَا بَكْرٍ أَوْ يَبْرُزَ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الَّذِينَ تَقَالُوا — كَاذِبِينَ كَانُوا أَوْ صَادِقِينَ — أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَاتَ عَلِيًّا عَلَى فِرَاشِهِ ، هُمُ الَّذِينَ تَقَالُوا أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : « نَفْسٌ بَرْدَى ،

٢٠ ( السَّلامُ مِنْ ) وَفِرَقَ آخِرُ أَنَّ أَمْرَ النَّارِ « فِي أَوَّلِ هَذِهِ الصَّفْحَةِ إِلَى هُنَا مَوْضُوعُ الرَّدِّ رَقْمَ (١٧) .  
(١) فِي الْأَوَّلِ : « الْقَتْلَى » .

ونم في مضجعي ، فإنه لن يخلّص إليك شيء تكرهه » ؛ وهكذا لفظ هذا الحديث ، لا يشك في ذلك أحد . ولم يُقلّ إلينا أن النبي صلى الله عليه قال لأبي بكر : أتيقن واحتمل ، ولن تمطّب ولن يصل إليك مكروه<sup>(٢٠)</sup> .

<sup>(٢١)</sup> فإن قالوا : إن علياً وإن كان حدثاً — كما تزعمون — أيام مكة فإنه قد

- لحق السابق له ثم برز عليه بصنيعة يوم بدر وأحد والخندق ، ويوم خيبر ، وفي حروب النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى أن قبضه الله سبحانه إلى جنّته ، فجمع أمرين : كثرة التعرض للمنايا ، وعظم الفناء بقتل الأقران والفرسان ، والقادة والسادة ، لأن من له من قتل الأنجاد والأجناد ما ليس لغيره ، فله من التعرض والاحتمال والصبر والاحتساب ما ليس لغيره .

- قلنا : إن كثرة القتل وكثرة المشى بالسيف لو كان أشدّ المحن ٩٠ وأعظم الفناء ، وأدلّ على الرئاسة ، كان ينبغي أن يكون لعلّ والزبير ، وأبي دجّانة<sup>(١)</sup> ، ومحمد بن مسلمة ، وابن عفرأ<sup>(٢)</sup> ، والبراء بن مالك من عظم الفناء واحتمال المكروه بالقدر العظيم ما ليس للنبي صلى الله عليه وسلم ،

٥ الكلام من قوله « وفرق آخر أنه لو كان » س ٤٤ س ١٤ إلى هنا مريض

الرد رقم (١٨) .

١٥

(١) بضم الفال . واسمه سهاك بن خرشة . الإصابة ٣٧١ من قسم الكنى .

(٢) لم يذكر لنا الملاحظ من يتبعه بابن عفرأ ، ولم ثلاثة : عوف ، ومعاذ ، ومعوذ ، بنو الحارث بن واطة ، وأمه عفرأ بنت حبيد بن ثعلبة . السيرة ٥٠٣ . وكلهم شهد بدرأ ، واستشهد منهم فيها عوف ومعوذ ابنا عفرأ . السيرة ٥٠٧ . والإصابة ٦٠٨٧ ، ٨١٥٧ .

- ٣٠ وإمتاع الأسماع ٩١ . وشهد المعبة منهم معاذ . الإصابة ٨٠٣٤ ، وأظهروا شجاعة في تلك الحروب هو عوف ، قال ابن إسحاق : « وحدني عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث وهو ابن عفرأ قال : يا رسول الله ، ما يضحك الرب من عبده ؟ قال : غمسه يده في الصدو حاسراً . فترج دحاً كانت عليه فذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل » . السيرة ٤٤٥ .

لأنَّ النبيَّ لم يقتل بيده إلا رجلاً واحداً<sup>(١)</sup> ، وقد علمنا أنه ليس أحدٌ أشدَّ احتمالاً ولا أعظمَ غناءً ، ولا أظهر فضلاً منه صلى الله عليه .

وقد نجد الرجلَ يقتل الأقرانَ والفرسانَ وهو لا يستطيع أن يرفع طرفه في ذلك المسكر إلى رجلٍ آخر ليس فيه من قتل الأقران قليلٌ ولا كثير ، لمانٍ هي عندهم أكثر من مشي ذلك القاتل بسيفه ، وقتله لقرنه .

وإذا ثبتَ أنَّ رئيسَ المسكر وأشباهه قد ثبتت لهم الرئاسة واستحقوا التقديم بنير التقدم والباشرة ، ثبتَ أنَّ قتل الأقران ليس بدليل على الفضيلة والرئاسة . أو ما تعلم أنَّ مع الرئيس من الاكتراث والاهتمام وشغل البال ، والنفاية والتفقد ، ما ليس لغيره ، لأنَّه المخصوص بالطالبة ، وعليه مدار الأمر ، وبه يستنصر القاتل وباسمه ينهزم العدو ، وبتمبئته ورايته ومعرفته يُفكَّ الحذاء ، ولأنَّ اختيارَ الحكيم دليل على احتمال طبيعته واستقلال نفسه ، ولأنَّ فرته أو عرذته أعظم في المأثم والمار من عردة غيره وفرته غيره<sup>(٢)</sup> . [ و ] لو لم يكن من بليته وشدة ما مُحَصَّ به<sup>(٣)</sup> إلا أنَّ القوم لو ضيقوا

١٥٠ (١) هذا الرجل هو أبي بن خلف . قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد . السيرة ٥٧٥ ، وعبود الأثر ٢ : ١٤ - ١٥ وإمتاع الأسماع ١٣٩ ، وأما أبو عزة الجعي فلم يقتله بيده ، بل أمر حاسم بن ثابت أن يقتله ، فحارب عنقه وقتله صبراً . إمتاع الأسماع ١٦٠

(٢) في الأصل : « ولأنَّ قره أو عورده أعظم من المأثم والمار من عورة غيره وقره غيره » . والردة : اسم المرة من عرد الرجل ، إذا حرب . اللسان ( عرد ٢٧٩ ) .

٢٠٠ (٣) التميمي : الاجلاء . قال ابن عرفة : ليس الله الذين آمنوا ، أي ليتبليهم . اللسان ( محس ) . والسكمتان قبلها مهملتان في الأصل .

جِيماً وَحَفِظَ مَا أُضِيفَ الْمَرْعَةُ إِلَّا إِلَيْهِ<sup>(١)</sup> ، وَلَا كَانَ الْمَطْلُوبُ غَيْرَهُ ، وَلَا كَانَ الذَّلِيلُ الْمَاهِنَ غَيْرَهُ . وَلِهَذَا وَأَشْبَاهَهُ يَكُونُ الرَّئِيسُ أَعْظَمَ غِنَاءً ، وَأَشَدَّ احْتِمَالاً ، لِأَنَّكَ [ لَوْ ] قَذَفْتَ فَضَلَ صَبْرِ الْمُقَاتِلِ الْوَاحِدِ فِي خِصَالِهِ لَمْ تَجِدْ لَهُ أَرْثاً وَلَمْ تُنْصِبْ لَهُ حِسّاً<sup>(٢)</sup> .

- «وَأَعْلَمُ أَنَّ الشَّيْءَ إِلَى الْقِرْنِ بِالسَّيْفِ لَيْسَ هُوَ عَلَى مَا يَتَوَهَّمُهُ الْفِئْرَةُ مِنَ الشَّدَّةِ وَالْفَضْلِ وَإِنْ كَانَ شَدِيداً فَاضْلاً . وَلَوْ كَانَ كَمَا يَفْطَنُونَ وَيَتَوَهَّمُونَ مَا أَقَادَتِ النَّفْسُ وَلَا اسْتَمَجَبَتْ لِلْقِتَالِ ،<sup>(٣)</sup> لِأَنَّ النَّفْسَ الْمُسْتَطْلِعَةَ الْمُخْتَارَةَ الَّتِي قِتَالُهَا طَاعَةٌ وَفِرَارُهَا مَعْصِيَةٌ قَدْ عُدَّتْ كَالْإِزَانِ فِي اسْتِقَامَةِ لِسَانِهِ وَكَفَّتِيهِ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِمُخَذَّاءٍ سَيْفِهِ إِلَى السَّيْفِ وَمَكْرُوهٍ مَا يَأْتِي بِهِ ، مَا يُؤَادِلُهُ وَيُؤَاوِزُهُ لَمْ يُمْكِنِ النَّفْسُ أَنْ تَخْتَارَ الْإِقْدَامَ عَلَى الْكَفِّ ، وَلَكِنْ مَعَهُ فِي وَقْتٍ مَشِيهِ إِلَى الْقِرْنِ أُمُورٌ تَنْفَعُهُ مَشْجَمَةٌ<sup>(٤)</sup> ، وَإِنْ لَمْ يُبْصِرْهَا النَّاسُ وَقَفَّوْا عَلَى ظَاهِرِ مَا أَبْصَرُوا مِنْ إِقْدَامِهِ . وَالسَّبَبُ الْمَشْجَعُ رُبَّمَا كَانَ الْغَضَبُ ، وَرُبَّمَا كَانَ الشَّرَابُ<sup>(٥)</sup> ، وَرُبَّمَا كَانَ الْفَرَارَةُ وَالْحَدَاثَةُ ، وَرُبَّمَا كَانَ الْإِحْرَاجُ ، وَرُبَّمَا كَانَ الْفَيْرَةُ ، وَرُبَّمَا كَانَ الْحَيَّةُ وَحُبُّ الْأَحْدُوَّةِ<sup>(٦)</sup> ، وَرُبَّمَا كَانَ طِبَاطِهَا كَطِبَاطِ الْقَائِسِيِّ وَالرَّحِيمِ ، وَالسَّخِي<sup>(٧)</sup> ، وَالْبَيْخِيلِ ، وَالْجَزُوعِ مِنْ وَقْعِ السَّوْطِ<sup>(٨)</sup> .

• (١) بعده في ح : « فضل أبي بكر بمقامه في الريش مع رسول الله يوم بدر أعظم من جهاد على عليه السلام ذلك اليوم وقتله الأبطال » . والكلام من « فإن قالوا إن علياً » س ٤٥ س ٤ إلى هنا هو موضوع الرد (١٩) .

(١) يعني بذلك أن الصبر أضرب الحاصل عند القتال . وكلمة « قذفت » مبهمة في الأصل .

(٢) تنفعه : تدفعه . ولم يحجم من تلك الكلمة في الأصل إلا الفاء . وكلمة « مشجعة » وسعت في أصلها « مسخر » . وانظر سياق الكلام .

(٣) كذا جاءت الكلمة واضحة في الأصل .

(٤) ح ٣ : ٢٧٨ : « وربما كان لخبية النفخ والأحدوة » .

• (٥) الكلام من « وأعلم أن اللقي » س ٤ إلى هنا موضع الرد رقم (٢٠) .

والصبور ، وربما كان السبب الدين ، ولكن لا يبلغ الرجل بقوة الدين في قلبه ما لم يشيئه بعض ما ذكرناه أن يمشى إلى السيف ؛ لأن الدين مكتسب مجتنب ، وليس بأصلية ولا طبعية ، ولأن قوابه مؤجل ، والخصال التي ذكرناها طبيعية أصلية ، وثوابها مجمل .

• وقد يكون مع الإنسان أسباب محدثة مجبئة ، فيكون ركونه<sup>(١)</sup> وجلوسه طباعاً لا يمتنع منه . وربما كانت الأسباب من المشجعات والمجبنات سواء ، فيكون جلوسه عن الحرب وقتاله فيها اختياراً . وربما فضلت قوى مشجعاته حتى يكون إقدامه أثراً ومرحاً ، واهتزازاً وطباعاً ، ولا يكون ذلك طاعة وإن كان في الحكم طاعة . وكذلك المجبن إذا أفرط على صاحبه حتى يكون إفراؤه<sup>(٢)</sup> طباعاً لا يكون معصية وإن كان في الحكم معصية .

ولم نرد بهذا الكلام تنقّص على رحمة الله ولا إخراجاً من النّماء واحتمال المكره ، كما لم نرد تنقّص الزّبير وأبي دُجّانة وابن عَفراء ومحمد ابن مسلمة ، ولكن هكذا صفة المستطيع الكلف ، والطيع والماضى .

١٥ وإذا كان مع صاحب الإقدام من الأمور المشجعة أموراً فاضلة على أسباب مجبئته وجلوسه ، كان عند الله غير مأجور وإن كان في الحكم الظاهر مأجوراً .

(١) في الأصل : « ركونه » ، تحريف .

(٢) أوجز الإسكافي هذه العبارة وما ورد في صفحة ٤٧ س ٧ من قوله

٢٠ « لأن النفس المتعلّية » على هذه الصورة ، كما ورد عند ابن أبي الحديد ٣ : ٢٧٨ -

٢٧٩ : « قال الجاحظ : فصاحب النفس المختارة المتدلة يكون قتاله طاعة وفراؤه معصية ، لأن نفسه متدلة كاليزان في استقامة لسانه وكفّيه ، فإذا لم يكن كذلك كان إقدامه طباعاً وفراؤه طباعاً » ثم رد عليها بالرد رقم (٢١) .



وإن كانت الأسباب المشجعة في وزن الأسباب المجبئة كان مطيماً ولم يكن حيث وضعه القوم ، لأنهم توهموا مع مشيه بالسيف إلى القرن احتمال المكروه كله ، ورفموا من أوهامهم الأسباب التي لولاها لم يمكنه المشي إلى القرن بالسيف<sup>(١)</sup> .

- ° « وجه آخر : أن علياً لو كان كما يقول شيعة ، ما كان له بكثرة المشي إلى القرن بالسيف وبقتله له كثير طاعة ، ولا احتمال مشقة ؛ لأن الشيعة [ ترغم<sup>(٢)</sup> ] أن رسول الله صلى الله عليه قال لعلي : « إنك ستقاتل من بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين » . والناكثون : طلحة والزبير وأصحابهما ، والقاسطون معاوية وأصحابه ، والمارقون : عبد الله بن وهب وأصحابه .

١٠

فإن كانوا قد [ صدقوا وما<sup>(٣)</sup> ] كذبوا فما حسي أن يبلغ من احتمال من هو من البقاء والسلامة على ثقة . فالزبير وطلحة وأبو دجانة وابن عفره ومحمد بن مسلمة أعظم طاعة منه ، لأنهم أشد احتمالاً منه ، لأنهم يقدمون المنايا شاعة وهم يزجون ويخافون ، وعلى كل ثقة من أمره ، ويقين من بقائه وسلامته . إلا أن يزعموا أن النبي ﷺ لم يقل<sup>١٥</sup> هذا القول إلا قبيل وفاته . ولا سبيل لهم إلى علم ذلك . فيقال لهم : فكذلك خصومكم يمكنهم أن يقولوا لكم : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الكلمة بتميد إسلامه ، وإذا لم يكن في قولكم إن النبي صلى الله عليه وسلم قالها له قبيل وفاته دليل ، ولا في قول خصومكم إن

٢٠

(١) في الأصل : « المعى إلى السيف » . وانظر ص ٦ .

(٢) بكلمة يقتضيها السياق ، وبمعناها في الأصل علامة إلحاق .

(٣) بمثله يستقيم الكلام .

النبي ﷺ قالها بُعِثَ إِسْلَامُهُ دَلِيلٌ ، فَأَعْدَلُ الْأُمُورَ وَأَنْصَفُهَا بَيْنَكُمْ وَيَنْتَهُمُ أَنْ  
تَجْمَعُوا الْخَبَرَ فِي النَّصْفِ تَمًّا بَيْنَ إِسْلَامِهِ إِلَى وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ .  
فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ صَارَ الزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَأَبُو دُجَانَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ  
وَابْنُ عَفْرَاءَ أَفْضَلَ مِنْهُ<sup>١٠</sup> ، لِأَنَّ الْفَضْلَ فِي أَحْتِمَالِ الْكَرَاهَةِ .

٥ . وَقَدْ لُزِمَكُمْ أَنْ تَرْمَحُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا السَّلَامَ لِمَلِيٍّ  
قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، وَأَنْتُمْ إِنَّمَا تَفْخَرُونَ بِوَقْعَةِ بَدْرٍ وَقِتَالِهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَهَاسِي  
يُكَلِّغُ مِنْ قِتَالِ رَجُلٍ قَدْ وَثِقَ بِالسَّلَامَةِ وَالْبَقَاءِ إِلَى أَنْ يَقَاتِلَ النَّاكِثِينَ  
وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَرٍ .

فَإِذَا كَانَ رَئِيسُ الْجَيْشِ أَعْظَمُ غَنَاءً وَأَشَدُّ أَحْتِمَالًا ، لِلَّذِي وَصَفْنَا ، فَاشْه  
١٠ الْقَوْمَ حَالًا بِهِ أَعْظَمُ غَنَاءً وَأَشَدُّهُمْ أَحْتِمَالًا ، عَلَى قِيَاسِ الرِّئَاسَةِ فِي الرِّئَاسَةِ وَالْكَيْدِ  
الْمُشِيِّ بِالْصَّيْفِ وَلَا أَحَدَ أَشْبَهَ بِالرِّئَاسَةِ مِمَّنْ اخْتَارَهُ الرِّئَاسَةِ وَزِيرًا وَصَاحِبًا ،  
وَمُكَانِفًا وَمُؤَمِّنًا ، لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ فِي رَأْيِ التَّيْنِ صَاحِبَ أَمْرِ الرِّئَاسَةِ  
وَالْمُتَوَلَّى عَلَى الْخِصَامَةِ وَالْقُرْبَةِ مِنْهُ فِي ظَمْنِهِ وَمَقَامِهِ ، وَخَلَوَاتِهِ ، وَهَرَبِهِ  
وَاسْتِخْفَانِهِ ، وَكَانَ هُوَ الْبَتْدِيُّ بِالسَّلَامِ عَنْدهُ ، وَالْفَرْجُ فِي الْحَوَائِجِ بَعْدَهُ  
١٥ وَالثَّانِي فِي الدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ وَدِينِهِ ، وَلَا نَعْلَمُ هَذِهِ الْخِصَالَ اجْتَمَعَتْ فِي غَيْرِ  
أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لِأَنَّهُ صَاحِبُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ،

٥ . السَّلَامُ مِنْ قَوْلِهِ « وَوَجْهٌ آخَرُ » فِي ص ٤٩ س ٥ . إِلَى هُنَا قَدْ أُوجِزَ الْإِسْكَانِي  
عَلِ هَذَا الْوَجْهِ عِنْدَ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ( ٣ : ٢٧٩ ) : « قَالَ الْجَاهِظُ : وَوَجْهٌ آخَرُ أَنْ هَلِ  
لَوْ كَانَ كَمَا يُزْعَمُ شَيْئُهُ مَا كَانَ لَهُ يَقْتُلُ الْأَفْرَانَ كَبِيرَ فَضِيلَةٍ وَلَا عَظِيمَ طَاعَةٍ ، لِأَنَّهُ قَدْ رَوَى  
٢٥ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ لَهُ : سَتَقَاتِلُ بِمَدْيِ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ .  
فَإِذَا كَانَ قَدْ وَعَدَهُ بِالْقَاءِ بِمَدْيِهِ فَقَدْ وَثِقَ بِالسَّلَامَةِ مِنَ الْأَفْرَانِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ مَنْصُورٌ عَلَيْهِمْ  
وَعَاثِلُهُمْ ، فَعَمِلَ هَذَا بِكَوْنِ جِهَادِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ أَعْظَمَ طَاعَةٍ مِنْهُ » . وَوَدَّ عَلَيْهِ بِالرَّدِّ رَقْمَ ( ٢٢ ) .

- قال الله عز وجل : « إِنْ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَمَانِينَ إِذْ هُمْ فِي النَّارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » ؛ فسمَّاهُ الله صاحباً في كتابه ثم سَمَّاهُ النبي صلى الله عليه صِدِّيقَهُ مِنْ بَيْنِ خَلْقِ اللَّهِ ، حَتَّى غَلَبَ عَلَى اسْمِهِ وَاسْمُ أَبِيهِ وَلَقَبِهِ وَنَسَبِهِ ، حَتَّى كَانَ النَّاسُ أَيْتَامَ رَسُولِ اللَّهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ يَقُولُونَ : قَالَ عَلِيٌّ وَفَعَلَ عَلِيٌّ ، وَقَالَ عُمَانُ وَفَعَلَ عُمَانُ ، وَقَالَ مُرْمَرٌ وَفَعَلَ مُرْمَرٌ ، وَقَالَ طَلْحَةُ وَفَعَلَ طَلْحَةُ ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ وَفَعَلَ ، وَجَمِيعَ الْعَشْرَةِ الَّذِينَ هُمْ فِي الْجَنَّةِ ، حَتَّى إِذَا صَارُوا إِلَيْهِ قَالُوا : قَالَ الصَّدِّيقُ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقُ ، وَفَعَلَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقُ . ثُمَّ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ ، وَهُوَ الْقَوْلُ الَّذِي كَانَ يُعِيدُهُ فِي كُلِّ دَارٍ وَمَنْزِلٍ : « مَا أَحَدٌ أَمَّنَّ عَلَيْنَا بِصُحْبَتِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ » ١٠ وَفِي قَوْلِهِ : « مَا أَحَدٌ أَمَّنَّ عَلَيْنَا بِصُحْبَتِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ » مَعَانٍ كَثِيرَةٌ ، فَهَمَهُ النَّاسُ أَمْ ذَهَبُوا عَنْهُ . فَهَذَا هَذَا .

- ثُمَّ كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةٍ ، فِي كُلِّ يَوْمٍ ذَكَرَ شَارِقَهُ يَأْتِي مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ إِثْمًا صَبَاحًا وَإِثْمًا مَسَاءً ، حَتَّى كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي أَدْنَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ . وَإِنَّهُ أَتَاهُ مَهْجَرًا<sup>(١)</sup> فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : ١٥ يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمِّي ، كَيْفَ جِئْتَ الْيَوْمَ فِي هَذَا الْوَقْتُ ؟ وَزَلَّ عَنْ سَرِيرِهِ وَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسَ أَبُو بَكْرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ النَّبِيُّ : هَلْ عِنْدَكَ أَحَدٌ ؟ قَالَ : لَا ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِلَّا أَسْمَاءُ وَعَائِشَةُ . قَالَ : « فَإِنْ رُبِّيْ قَدْ أَدْنَى لِي فِي الْهِجْرَةِ » . فَصَانَ مُصْبَتَهُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ غَيْرِهِ . ثُمَّ لَمْ يُعْلَمْ بِمُخْرَجِهِ غَيْرَ ابْنَتَيْهِ أَسْمَاءَ وَعَائِشَةَ ، وَغَيْرِ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ٢٠ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ قَتِيلَ يَوْمَ الطَّائِفِ ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي يَتَجَسَّسُ لَهُمُ الْأَخْبَارَ وَيَأْتِي بِهَا إِلَيْهِمَا فِي النَّارِ ، لِأَنَّهُمَا اسْتَخْفِيَا فِي النَّارِ ثَلَاثًا وَلَمْ يُطْلَمَا عَلَى

(١) التهجير : السير في الهجرة ، وهي نصف النهار عند زوال الشمس .

أمرها غير عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، بدرى استشهد يوم بدر معونة ، فإنه كان يؤنسهما ويحدثهما ويخبرهما في تلك السفرة كلها . وكانت أسماء هي التي تأتيهم بأقواتهم في النار ، فكان صاحبها في النار ، وبمكة في طريقه إلى المدينة ، وعلى ظهره ركب النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> ، والثغفاني أجيره <sup>(٢)</sup> ، وعمار بن فهيرة خادم النبي صلى الله عليه وسلم ومؤنه عتيقه ثلاث مرات <sup>(٣)</sup> ومولاه ، والظهر ظهره ، والمؤونة مؤنوته ، وصحبة النبي صلى الله عليه وسلم مقصورة عليه ، محبوسة له ، معبونة عن سواء ، يُطلبان معاً ، وتجمل فيهما قرشٌ شيئاً سواه .

وقالت الأنصار : لما سمعنا بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقدموه كئنا نمخرج إلى ظاهر حرتنا ننتظره ، حتى إذا لم نجد ظلًّا دخلنا ، وذلك في أيام حارة ، حتى إذا كان في اليوم الذي قدم فيه النبي صلى الله عليه وسلم فملنا ذلك ثم دخلنا منازلنا ، فكان أول من أبصره رجل من يهود ، فصاح : يا بني قَيْلَةَ <sup>(٤)</sup> !! فخرجنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم

(١) كان لأبي بكر راحلتان أحدهما للهجرة ، ركب إحداهما رسول الله . قال ابن إسحاق : « فلما قرب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم له أفضلهما ثم قال له : اركب ، فذاك أبي وأبي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أركب بعيراً ليس لي . قال : فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأبي . قال : لا ، ولكن بالناس الذي ابتعثها به ؟ قال : كئنا وكذا . قال : أخذتها به . قال : هي لك يا رسول الله » . السيرة ٣٢٩ .

(٢) الثغفاني : لسة إلى ثغافة بن عدي بن الدبل بن بكر . واسمه عبد الله بن أريقط ، وكان مشركاً يذهب على الطريق . قال ابن حجر في الإصابة ٤٠١٧ : « ولم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجرید . وقد جزم ابن عبد النبي المقدسي في السيرة له بأنه لم يهرف له إسلاماً » .

(٣) انظر ما سبق في ص ٣٢٢ س ٩ - ١٠ وص ٣٣ س ٣ .

(٤) قبيلة هي أم الأوس والخزرج ، وهي قبيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحلاف بن فضاعة . السيرة ١٤٠ . وفي الديرة ٣٣٤ : « يا بني قبيلة هذا جدكم قد جاء » . وفي إمتاع الأسماع ٤ : « هذا جدكم الذي تفتظرون » .

وسلم وهو في ظل نخلة ، ومعه أبو بكر ، في مثل سيئه وهيبته ، وأكثرتنا لم يكن رآه ، وركبته الناس وما نعرفه من أبي بكر حتى زال الظل عن النبي عليه السلام ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، فمرناه عند ذلك . فهذا هذا .

- ثم لما كان بعد ذلك في يوم بدر . وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما عزم على محاربة قريش قال له سعد : يا نبي الله ، لتبني لك عريشاً فتكون فيه وتقاتل بين يديك . فأذن لهم فبتوه له ، فمدل إليه بعد أن عباهم وأقامهم على مصافهم وعلى مراتبهم ، فدخل معه أبو بكر وحده ، فلما استقر في العريش قال له أبو بكر : بعض مناشدتك يا رسول الله<sup>(١)</sup> فإن الله منجز لك ما وعدك . تنفق النبي صلى الله عليه عليه ١٠ خفقة في العريش فاقبته وهو يقول : أبشر يا أبا بكر ، أنك نصر الله ، هذا جبريل أخذ يمتان فرسيه يقوده ، على ثمانية النقع<sup>(٢)</sup> !

فكان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر من بين يديه خلق الله في العريش ، والناس موقوفون على مراتبهم ، فكانت هذه مرتبة أبي بكر . ورتب لسعد بن معاذ بعد أن كان قائماً على رأسه على باب العريش متوشحاً ١٥ السيف في نفر من الأنصار يحرسون العريش ومن فيه غافة كرم العدو والجولة .

فإذا كان النبي صلى الله عليه عليه في ذلك اليوم في العريش ، وغير ما

(١) في السيرة ٤٤٤ : « بعض مناشدتك ربك » .

(٢) النقع : النبار . وفي الروض الأنف ٢ : ٦٩ : « وفي حديث آخر أنه قال : رأيت ٢٠ على فرس له شعراء وعليه عمامة حمراء ، وقد عصم بلحيته الشارب » .

إلى السيف ومعه صاحبه وصديقه ، وسيّد الأنصار وأفضلهم على باب  
العرش ، عُرِفَ أنَّ عِظَمَ النَّعَاءِ وشِدَّةَ الاحْتِمَالِ والسَّبَبَ الدَّالَّ على الرِّياسَةِ  
غَيْرُ الَّذِي حَصَّهُ الْقَوْمُ وجَمَلُوهُ دليلاً . فَمَنْ أَوَّلَى أَنْ يَكُونَ أَشْبَهُهُمْ رَسُولَ  
اللهِ صلى الله عليه وسلم في عِظَمِ النَّعَاءِ واحْتِمَالِ السَّكْرَةِ ، والحَالِ الرَّفِيعَةِ ،  
• بَمَنْ كَانَ ثَانِيَّ اثْنَيْنِ في التَّقَدُّمِ في الإسلام ، وثَانِيَّ اثْنَيْنِ في الدُّعَاءِ إِلَى الله  
ورسوله ، وثَانِيَّ اثْنَيْنِ في كَثْرَةِ الْمُسْتَجِيبِينَ وَالْأَتْبَاعِ ، وثَانِيَّ اثْنَيْنِ  
في الْفَارِ ، وثَانِيَّ اثْنَيْنِ في الْهَجْرَةِ ، وثَانِيَّ اثْنَيْنِ في الْعَرِيشِ ، وفي أَشْيَاءٍ  
لهذا كَثِيرَةٍ .

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ وَقَتْلِهِ عَلَى الْإِفْرَانِ وَفَضْلِهِ عَلَى مَنْ .  
١٠ سِوَاهُ بِذَلِكَ ، فَقَدْ قُلْنَا فِي ذَلِكَ بِمَا قَدْ مَعْتَمَرُ .

وَنَحْنُ ذَاكِرُونَ وَجْهًا آخَرَ لِيَزِيدَ فِي الْحُجَّةِ وَيَكْشِفَ مِنَ الدَّلَالَةِ .  
تَزَعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا بِمَدِّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم [ مِنْ لَهُ (١) ]  
مِثْلُ غَنَاءِ أَبِي بَكْرٍ وَنَبَاهَتِهِ وَكِرَمِ مَوْضِعِهِ ، لِأَنَّ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِثْلَ  
الزُّبَيْرِ ، وَطَلْحَةَ ، وَسَعْدٍ ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَعُمَيَّانَ ، وَبِلَالٍ ، وَمِسْطَعٍ  
١٥ ابْنِ أَنَاثَةَ ، وَطَامِرِ بْنِ فَهيرة . وَكَانَ فِي الْعَرِيشِ ، فَلَا أَحَدٌ يَمْدُحُهُ  
فِي التَّبَاهَةِ ، وَلَا فِي النَّعَاءِ وَالرَّفْعَةِ ، وَالْاحْتِمَالِ لِقَدْرِ الْخِلَافَةِ ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ  
عَدَدْنَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ : رَجُلٌ أَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ وَهَدَاهُ وَشَرَّحَهُ فَهُوَ سَبَبُ  
حُضُورِهِ وَحُسْنِ بِلَاثِهِ ، وَرَجُلٌ أَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ وَأَعْتَقَهُ بِمَدِّ ذَلِكَ مِنْ رَقٍّ  
الْمَذَابِ وَرَقَّ الشُّبُودِيَّةِ وَشَهِدَ بَدْرًا وَقَبِيلَ ذَلِكَ بِمَوْتِهِ وَكُلْفَتِهِ ، وَإِمَارَتِهِ

- ونسبٌ وابن خاتمه كسطح بن أمانة ، فقد كان ربيبه وابن خالته<sup>(١)</sup> وعلى يده أسلم ، وبه استبصر ، ولم يزل في مؤمنته قبل بدر وبمعد ذلك وفي أيامه ، إلا ما كان من عيشه أيام حلف ألا يقربه ولا ينفق عليه ولا يطل رَحله ، للذي كان كَبَر<sup>(٢)</sup> على عائشة مع حسان بن ثابت ، حتى أنزل الله سبحانه على رسوله براءة عائشة ، وأمر أبا بكر بالإفراق على مسطح وعياله ، وبالمغفرة عنه ، وأن يعيده إلى رَحله ومَحَت جناحه ، فأنزل الله في محكم كتابه على نبيه يريد أبا بكر — وبين أن<sup>(٣)</sup> « يُفِرُّ الله الآئِ ويَحْصُهُ بمخاطبته وبين أن يريدَه في الجمهور فرقٌ عظيم ، كما أُمي على جملة المهاجرين والأنصار — فقال الله وهو يريد أبا بكر : « ولا يَأْتِلْ أولُو الفضل مِنكم والسمتُ أن يُؤْتُوا أولِي القُرْبَى والنسَكَيْنَ والمهاجرين في سَبِيلِ الله ۝ ولْيَتَمَفَّؤْا وَلْيَتَصَفَّحُوا ۝ لَا يُحْجِثُونَ أَنْ يَنْفِرَ اللهُ لَكُمْ » . قل أبو بكر : بلى يارب . فردّه إلى رَحله وعفا عنه كما أمره الله ، وأجرى عليه وعلى عياله مثل الذي كان يُجرى به .
- وإنما ذكر الله في هذه الآية القُرْبَى لأنه كان ابن خالته<sup>(٤)</sup> ، وجعل أهلَه وعياله مساكين أبي بكر ، وهو أحد بني الطَّلب بن عبد مناف<sup>(٥)</sup> ، وشأنه عظيم .

(١) التحقيق أنه ابن بنت خالته . الإصابة ٧٩٢٩ والسيرة ٧٣٣ ولتأنيق الأسماع ٢٠٧ . ومسطح لقب له ، واسمه عوف .

(٢) كبر من الكبر بالكسر ، وهو الإثم . وفي الكتاب الكبير : « والذى تولى كبره » ، قيل الكبير الإثم . وفي الحديث أيضا : « أن حسان كان من كبر منها » . ابن ٢٠ (كبر) في الأصل : « كان كثر » .  
(٣) في الأصل : « وبين مؤمن » .  
(٤) انظر ما سبق في الحاشية الأولى .  
(٥) في الأصل : « بني عبد مناف » ، تحريف . انظر المعارف ٣٣ والإنباء على قبائل الرواة ٧٠ مع السيرة ٧٣٣ .

وكان أول من حث على قتل المشركين يدير وتكلم فيه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر .

فإذا شهد بنفسه ورأيه وماله ومستجيبه وأتباعه الذين هم أكفاه  
 ضده عندكم ، مع أن بعضهم قد اختير عليه وهو عثمان ، والباقيون لم  
 يخافهم ويؤازرهم [نهم] فيعرف موضع أفضلهم ، وقد نحر عليه سمد فلم  
 يمارضه ، فأين مبلغ ما ذكرتم مما ذكرنا ، إذا كان<sup>(١)</sup> مثل سمد من  
 مستجيبه - وهو المستجاب الدعوة ، وأول من أراق دمًا في الإسلام ،  
 وأول من رمى بسهم يوم بدر ، وله يقول النبي صلى الله عليه وسلم :  
 « آدم فداك أبي وأمي » ، فجمع له أبويه ولم يجمعهما لأحد قبله .  
 وفيه يقول النبي صلى الله عليه عليه : « هذا خالي أباهي فيه فليأت كل امرئ  
 بمناله<sup>(٢)</sup> » . وهو أزال كسرى عن قصره ومملكته وعن مستقره - ومثل  
 حواري رسول الله صلى الله عليه وآله وابن حقه<sup>(٣)</sup> ، مع فروسيته وشدة  
 بأسه والذي عظم الله من شأنه يدير حين نزل الملائكة في زيّه ، عليها  
 عمام صفراء .

ثم الذي كان منه يدير حين أتى الخبير النبي صلى الله عليه عليه عن قريش  
 بمسيرهم ، فاستشار النبي صلى الله عليه عليه ، فكان أول من قام أبو بكر ،

(١) في الأصل : « وإذا كان » .

(٢) في رواية القزويني من حديث جابر : « هذا خال فليرى امرؤ خاله » . الإصابة  
 ٣١٨٧ في ترجمة سمد بن أبي ولأس . ووجه خؤولته أنه سمد بن مالك بن وهيب بن هب  
 مناف بن زهرة ، وأم الرسول صلوات الله عليه آمنة بنت وهب بن هب مناف بن زهرة .  
 قال ابن قتيبة في المعارف ٥٧ : « ولا يعلم أنه كان لآمنة أخ فيكون خال النبي صلى الله عليه  
 وسلم ، ولكن بني زهرة يقولون : نحن أخوال النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن آمنة منهم » .  
 (٣) يعني الزبير بن العوام ، أمه سقية بنت عبد المطلب . الإصابة ٢٧٨٣ .



فتمكلم وحث على الجهاد والنصرة ، ثم قام عمر<sup>(١)</sup> ، ثم قام المقداد<sup>(٢)</sup> فقال : يا رسول الله ، امض لينا أراك الله ، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون . فوالذي بمنك بالحق أن لو سرت بنا إلى برك ذات النهاد<sup>(٣)</sup> لجالدنا من دونه حتى نبغته .

- فإن قالوا : إن أبا بكر لم يشهد [ له ] احتمال كاحتمال علي<sup>(٤)</sup> ، لأن عليا كان يمضي إلى السيف وأبو بكر وادع<sup>(٥)</sup> رافيه في الريش ، ودونه الحرس سمد بن معاذ وأصحابه ، والركاب له مناخه .
- قلنا : قد علمتم على النبي صلى الله عليه ، لأن الشأن لو كان كما يقولون لكان النبي صلى الله عليه وادع<sup>(٦)</sup> وكان على<sup>(٧)</sup> محتيلا صابرا . وهذا كلام قد فرغنا منه .<sup>(٨)</sup>

أرأيت أن صاحب اللواء وإن كان لا يبارز ولا يمضي بالسيف أنه يحتاج من المعرفة بالحرب وعورتها ، وإقبال أمرها وإداره ، ويحتاج مع اجتماع القلب واليقظة وقلة الخيرة ، والثبات عند الجولة ، والمسلم

(١) السيرة ٣٣٤ . وهو للمقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك ، تبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري فسلم إليه قليل للمقداد بن الأسود ، فلما نزلت : « ادعوم لأبائهم » قيل له للمقداد بن عمرو . الإصابة ٨١٧٩ .

(٢) في الأصل : « برك ذات النهاد » ، تحريف . وبرك بفتح الباء في الأكثر وكسرهما بضمهم . والقياد بكسر القين في الأكثر وضعا بضمهم . وكلمة « ذات » و « ذو » تزداد كثيرا في أهلام البلدان ، كما قالوا : ذو أنيل ، وذو حسم ، وذو الرجاء ، وذات السندی ، وذات الإصاد . انظر كتاب أسماء جبال نهامة ٣١ . وبرك النهاد : موضع في أقصى حجر . والبرك : حجارة مثل حجارة الحرة خشنة يصعب المسلك عليها وحررة ، كما ذكر ياقوت .

(٣) انظر ما سبق في ص ٤٥ — ٤٦ .

بموضع الشدة والانعياز<sup>(١)</sup> إلى أكثر مما يحتاج إليه البارز ، لأن حفظ الجميع أشد من حفظ الواحد ، ولأن كل المدو يطالبه ويريد ختله ، وكل ذلك يسلمه وعينه ؛ لأن خطأ وضعفه أقرب إلى هلكة الجميع من ضعف البارز وخطئه .

• ولو كان الأمر كما تقولون ما كان أحد أسقط في الحرب ولا أصغر خطأ ولا أقل أجراً ومكاناً من الإمام الأكبر والرئيس الأعظم<sup>(٢)</sup> لبعد ما بين بلاد عدوّه من بلاده ، ولكان عامله أفضل منه .

• مع أنكم تريدون في كثرة القتل وتنظمون شأنهم لشغلوا به من شأن عليّ ، كصنيعكم في أمر عليّ ومرحّب ، حيث فحمتموه بالأشعار ونفختموه<sup>(٣)</sup> بالبلافات ، وسكنتم من قتيل الزبير في ذلك اليوم . ومرحّب وياسر أخوان شهدا الوقعة ، والقباهة لياسر<sup>(٤)</sup> . فقصدتم إلى الأخل فرفعتموه وشهرتموه إذ كان قتيل عليّ ، وقصدتم إلى الأرفع فأخلمتموه<sup>(٥)</sup> وأخفيتموه ، إذ كان قتيل الزبير . أو ما علمت أن الزبير وياسراً التقيا فاضطربا بأسيا فهما فلم يُغنيا شيئاً مراراً ، حتى لحجاً في موضع<sup>(٦)</sup> واعتزنت

١٥ (١) في الأصل : « الانعياز » ، تحريف . والانعياز : أن يبدل عن المكان ويتركه إلى آخر . وفي اللسان : « يقال للأولياء انحازوا عن المدو وحاسوا ، وللأعداء انهزموا وولوا مدبرين » .

(٢) بعده في الأصل : « أقل أجراً وأصغر خطأ » ، وهو تكرار .

(٣) في الأصل : « نفختموه » .

٢٠ (٤) مرحب اليهودي وأخوه ياسر ، فتلا في فزوة خبير . السيرة ٧٦٠ — ٧٦١ . وقد ذكر ابن إسحاق أن الذي قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة . قال ابن سيد الناس ١٣٤٢ : « هذه رواية ابن إسحاق في قتل مرحب . وروينا في الصحيح من حديث سلمة بن الأكوع أن علي بن أبي طالب قتله » .

(٥) في الأصل : « فاحشتموه » .

٢٥ (٦) لحج في موضع : تشبيهه ولومه .

بينهما شجرة ، فغذباها<sup>(١)</sup> ضرباً وخبطاً ، ثم جمع الزبير نفسه ومكن سيفه فضرب رأس ياسر ضربة قد منها البيضة ومرّ السيف حتى غصّ ثنيتيه ، فقيل له : يا أبا عبد الله ، ما أجود سيفك ! فغضب<sup>(٢)</sup> .

وقصدتم إلى عمرو بن عبد ودّ ، فتركتموه أشدّ من عامر بن الطفيل ، وعُتبية بن الحارث ، وبسطام بن قيس .

وقد سمعنا بأحداث حروب الفجار ، والذي كان بين الطيبين والأحلاف ، وما كان بين قريش ودؤس وأمر خزاعة وحلف الفضول ، وجميع أمر قريش من خير وشرّ ، فما سمعنا لعمرو بن عبد ودّ في شيء من ذلك ذكراً<sup>(٣)</sup> .

<sup>(٤)</sup> وكذا قتيل<sup>(٥)</sup> على الوليد بن عتبة يوم بدر ، وما علمنا الوليد حصر حرباً قط قبلها ولا بعدها ، ولا ذكر فيها بطل<sup>(٦)</sup> .

فلو ذهبتم إلى أن علياً قد بارز وقتل ، وأبلى واحتل ، كان ذلك

(١) جذب الغي وجذمه : قطعه .

(٢) في السيرة ٧٦١ : « كان إذا قيل له : واقة إن كان سيفك يومئذ لصارماً مضياً ، قال : واقة ما كان صارماً ولكني أكرهه » .

١٥ (٣) أوجز الإسكافي — على ما أورده ابن أبي الحديد في ٤ : ٢٧٩ — عبارة الجاحظ من قوله « مع أنكم تزيدون في كثرة القتل » في س ٥٨ س ٨ إلى هنا على هذه الصورة « قال الجاحظ : ثم قصد الناصرون لعل والقائلون بتفضيله إلى الأقران الذين قتلهم فأطروم وظلوا فيهم وليسوا هناك . فنهج عمرو بن عبد ود ، زكوه أشجع من عامر بن الطفيل ، وعتبية ابن الحارث ، وبسطام بن قيس . وقد سمعنا بأحداث حروب الفجار وما كان بين قريش ودؤس وحلف الفضول فاسمعت لعمرو بن عبد ودّ ذكراً في ذلك » . ورد عليه بالناقضة رقم (٢٣) .

(٤) في الأصل : « ولو قيل » بالإجمال . وعند ابن أبي الحديد ٤ : ٢٨١ : « وقد أكثروا في الوليد بن عتبة بن ربيعة قتيله يوم بدر » .

(٥) هذه النقطة موضع الرد رقم (٢٤) .

جيلة ، وكان قصداً مقبولا ، ولكنكم أخرجتموه من حد الشجاعة ،  
وظننتم أن السرّ أمتل وأجل .

وزعم أن الذي<sup>(١)</sup> منع العرب وقريشاً أن تجمله الخليفة بعد النبي  
صلى الله عليه وسلم أنه كان قتل أبناءها وإخوتها وأعمامها ، وما يمل موضع  
رجل واحد يوم تومي النبي صلى الله عليه وسلم تسمع له الخاصة والعامة  
وترى له طاعة ، قتل على أباه أو ابنه أو أخاه ، غير أبي سفيان بن  
حرب ، فقد كان على قتل ابنه حنظلة ، وما كان أحد من عليّ قريش  
والعرب أقرب إلى أن يحالفه في الحق والباطل في ذلك الدهر من  
أبي سفيان ، وقد كان أكره الناس لأبي بكر حين قال لبي هاشم  
وبني أمية : « رضيتُم معشر بني عبد مناف أن يلى أموركم رجل من  
بني تيم » . فإذا كان الذي قتل على أنه هو الذي أظهر كراهية أبي بكر  
من بين الناس فكيف حوّلتم القضية وقلبتم المعنى ؟

فلن ذكروا أبا حذيفة بن عتبة لأن علياً قتل أخاه ، قيل : أيتكون  
أبو حذيفة ممن أبي علياً بهذه العلة ، وأبو حذيفة شهد بدرأ فقاتل أباه  
وأخاه وعمه ، واحتملت نفسه وعزمه وصحة إسلامه هذا الصنيع ثم يجزئ  
من أقل منه بعد الزيادة في الاستبصار ، وبعد طول الدهر وموت  
الأحقاد ؟ وهذا ما لا يشبه ولا يجوز . وكيف يجوز ذلك عليه وهو من  
المهاجرين الأولين ، والسابقين الأولين ، وشهد بدرأ والمشاهد كلها ،  
وقبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض ، واستشهد يوم اليمامة  
ولواه المهاجرين في يده .

(١) في الأصل : « النبي » تحريف .

وكيف يُظنُّ هذا بأبي حذيفة ولم يُرو عنه في كراهية عليّ حرقاً قط ، ولا قبضاً لذلك وجهاً ولا أظهر تمجيداً ؟

وكيف يُظنُّ هذا بالهذليين والمهاجرين الأولين ومنع عليّ القيام بأمر الناس على هذا الوجه وعلى هذا المعنى كُفِّر بالله ورسوله . وكيف يُضطَّعنُ امرؤ على عليّ ويُسلم قلبه لرسول الله صلى الله عليه ؟ لأنه إن كان يمتدُّ صنيع عليّ ذنباً حتى يولد له حقداً والذي تفرد<sup>(١)</sup> على بذلك أعظم ذنباً وأجدر أن يولد حقداً . وهذا أخش فبحاً ، وأبين خطأ من أن يُمحرجنا إلى<sup>(٢)</sup> كشفه وتبينه .

وكيف يجوز هذا على أبي حذيفة ولا نعلم رجلاً في الأرض أبداً من حية الجاهلية منه ، ولا أسمع نفساً بما وافق كتاب الله منه . ولقد بلغ<sup>١٠</sup> من إخلاصه ورسوخ الإسلام في قلبه ، وحبه عليه وبينضته فيه أن طرَحَ كلَّ ما سواه ، وأخرجته ذلك إلى أن زوَّج أخته فاطمة بنت عتبة ابن عبد شمس<sup>(٣)</sup> ، بن سالم مولى أبي حذيفة ، وقال له : والله إني لأزوِّجكما وأعلم أنك خير . بها ١١ فماتت على ذلك بمن من نكحها ذكره فقال : أفي سالم تمانيني وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أراد أن ينظر إلى رجل يحبُّ الله بكلِّ قلبه فلينظر إلى سالم .

(١) كذا ورد هذه العبارة .

(٢) في الأصل : « على » .

(٣) هذا اختصار في النسب ، وإنما هي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . على أن في الكلام خطأ تاريخياً ، فإن أبا حذيفة إنما زوج سالماً ابنة أخيه فاطمة الوليد بن عتبة ، كما في ترجمة سالم في الإصابة ٣٠٤٦ و ترجمة فاطمة في الإصابة ٨٥٢ من قسم النساء . وكان أبو حذيفة قد تبنى سالماً يرى أنه ابنه . وأما فاطمة بنت عتبة أخت أبي حذيفة بن عتبة فهي هتما .

(٢٠) مع أَنَّ لأبي بكر من حُسْن الأثر في حروب النبي صلى الله عليه ومن احتمال المكروه وتجرُّع المرار مالم يس لأحدٍ .

(٢١) من ذلك أَنَّ أبا بكر خرج إلى ابنه عبد الرحمن بن أبي بكر ليازته يوم أحد ، لأنَّ عبد الرحمن طلع يوم أحد على فرس وهو مُكفَّر في السِّلَاح لا يرى منه إلَّا عيناه وهو يقول : [ هل (٢١) ] من مبارزاً ! ثلاثاً ، كلَّ ذلك يقول : أنا عبد الرحمن بن عتيق . فنهض أبو بكر يستمى إليه بسيفه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم حين رأى غضبه وحِدته ، وعرف الذي عليه من الشدة في قتل ابنه : « رَمِّ سَيْفَكَ وَارْجِعْ إِلَى مَكَانِكَ وَمَتَّمْنَا بِنَفْسِكَ » .

١٠ (٢٢) وإنَّما يمكن أبا بكر بذلُّ الجهد ، فإذا فعل ذلك فلا حالَّ أفضلُ من حاله (٢٢) .

فاجتمع له في ذلك أمران : أحدهما الثَّواب على شدة الاحتمال ، والثاني صيانة النبي صلى الله عليه وإشفاقه عليه .

(٢٣) قل ابن أبي الحديد في ٣ : ٢٨١ لصا من الثمانية لعل موقعه قبل هذا . وهو : ١٥ « قال الجاحظ : وقد ثبت أبو بكر يوم أحد كما ثبت على ، فلا نظر لأحدهما على صاحبه في ذلك اليوم » .

ثم رد عليه بالرد رقم ( ٢٥ ) .

(٢٤) التكملة من ابن أبي الحديد في ٣ : ٢٨١ .

(٢٥) شام سيفه بنفسه : رده إلى فراجه . وانظر رد الإسكافي على هذه الفقرة في ٢٠ رقم ( ٢٦ ) .

(٢٦) أورد الإسكافي هذه العبارة بهذه الصورة كما قل ابن أبي الحديد في ٣ : ٢٨١ . « قال الجاحظ : عل أَنَّ أبا بكر وإن لم تكن آثاره في الحرب كآثار غيره فقد بذل الجهد وقبل ما يستلزمه وتلقه قوته . وإذا بذل المجهود فلا حال أشرف من حاله » . ثم رد عليها بالرد رقم ( ٢٧ ) .

وقوله « ارجع إلى مكانك ومثمتنا بنفسك » ، فليس في الأرض معنى شريف فاضل من معاني الدين والدنيا إلا وهو في هذه الكلمة .

- وأبو بكر الذي كثر رُمي النبي صلى الله عليه وسلم في يوم أحد أقبل يسعى وإذا إنسانٌ قَبَلَ المشرق يطير طيراناً ، فلما رآه أبو بكر قال :  
 اللهم اجعله طلحة ! فلما تَوافيا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذا هو أبو عبيدة  
 ابن الجراح ، فبدره أبو عبيدة وقال : أسألك بالله يا أبا بكر إلا تركتني  
 فلو لي نزعها — يعني حدائد الزرد اللواتي نَشِنَ في وجهه [و] جبينه من الخُفَر —  
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم : عليكم صاحبكم ! يعني طلحة .  
 وتَرِم أبو عبيدة يومئذٍ من نزع حلقته امتنعت عليه .

- ولصنيع طلحة وأبي بكر وموقفهما قالوا : « يومٌ أحد لبى تيم ! » ؛ لأن  
 الذين صَبَرُوا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار سبعة : أبو بكر  
 وطلحة من تيم ، وعبد الرحمن بن عوف من بني زُهرة ، وعلي من بني  
 هاشم ، والزبير من بني أسد ، وأبو عبيدة من بني عامر . وإنما قالوا « يومٌ  
 أحد لبى تيم » لأنه لم يكن من كل قبيلة إلا رجل واحد من المهاجرين ،  
 وكان فيه رجلان من بني تيم كما ذكرنا .

- وكان من الأنصار سبعة : الحُباب بن المنذر بن الجحوح ، وأبودُجانة ،  
 وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، والحارث بن الصَّمة ، وسَهْل بن حُنيف  
 وأُسَيْد بن حُصَيْنَر ، وسعد بن مُعَاذ .

وأبو بكر أول من تكلم يوم بدر وحث الناس على الجهاد .

- وأبو بكر الذي كثر رُمي النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الحديبية : « كيف ترون »

باعتشر المسلمين في هؤلاء الذين قد<sup>(١)</sup>... إليسا مَنْ أطاعهم ليصدُّونا عن المسجد الحرام » قام أوَّلُ النَّاسِ فقال : نرى — والله ورسوله أعلم — أن نغضىَ لوجهنا ، فنسُدُّنا من البيت الحرام قتلناه .

وأبو بكر الذي لما أتى بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِيَّ يومَ الحديبية في نفرٍ من أصحابه ، فأقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، لقد اغتررتُ بقتال قومك وإنَّ قريشاً ستقاتلكم عن ذراريهم وأموالهم ، قد استنفروا الأحابيش وخرجوا إلى بَلَدَحَ<sup>(٢)</sup> ، معهم العوذُ المطافيل ، والله ما أرى معك أحداً له وجه ، مع أني أراكم قوماً لا سلاحَ لكم ، ولو قد قسَّ هؤلاء الحديذُ لقد أسلحوك . قال أبو بكر : عضضتُ ببطر اللات ، أحننُ نسليهِ؟! ١٠ قال له بُدَيْلُ : أما والله لولا يدُك لك عندى لأجبتك ، والله إني وقوى لنحبُّ أن يظهورَ محمدٌ !

وأقبل عُروَةُ بْنُ مَسْعُودٍ في نفرٍ من قومه حتَّى أُنَاخَ راحلته عند النبي صلى الله عليه وسلم وقال : إني تركتُ كعباً وماراً على أعداد الحديبية<sup>(٣)</sup> معهم العوذُ المطافيل ، وما أرى معك أحداً أعرفُ وجهه ونسبه ، وإنهم لخلقناه أن يخذلوك — والقومُ سُكُوتٌ — فنضِبَ أبو بكر وقال : امصمِّنْ ببطر اللات<sup>(٤)</sup> ، أحننُ نخله ! قال عُروَةُ : أما والله لولا يدُك لك عندى

(١) كذا ورد في الأصل .

(٢) بلدح : واد قبل مكة من جهة الغرب . وانظر إمتاع الأسماع ٢٧٩ — ٢٨٠ .

(٣) أعداد : جمع عد بالكسر . وفي اللسان : « وفي الحديث : نزلوا أعداد مياه

٢٠ الحديبية ، أي ذوات السادة كاليون والآبار » . في الأصل : « عداد » تحريف .

(٤) في السيرة ٧٤٤ وعبود الأثر ٢ : ١١٦ : « بطر اللات » .



لأَجَبْتُكَ ! وكان هروءُ قد استعان في سَمَائِلِهِ ، فكان الرَّجُلُ يُعِينُهُ بالفريضة والثلاث ، فغشى إلى أبي بكرٍ فأعطاه عشرَ فرائضٍ <sup>(١)</sup> .

ألا ترى كثرةَ أياديهِ ونُيْلِهِ وامْنَمَا <sup>(٢)</sup> ، وَحَدَّهُ وشهامته ورياسته ١٩  
فهذا وأشباهه يعرف قنذ الرجل بمكَّة وفي قومه ، وعند النبي صلى الله عليه وسلم وجماعة أصحابه .

- ولو لم يُعَلِّمْ من شدة قلبه وصواب رأيه وقوة عزمه وقلة وَخَشَتِهِ  
وَيُغْنِ بركته إِلَّا أَنَّ كبار المهاجرين دخلوا عليه ، منهم عمر وعثمان  
وأبو هبيدة ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في جمع  
كثيفٍ من المهاجرين ، فقالوا بأجمعهم : يا خليفة رسول الله ، إِنَّ العرب  
قد انتقضت عليك ، وإنك لن تصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئاً ، ١٠  
اجملهم عُدَّةً لأهل الرِّدَّة ترى بهم كُحُورَهُمْ ، وأخرى أَنَا لا نَأْمَنُ على  
المدينة أَن يُفَارَ عليها وفيها الدَّارِيُّ والنِّسَاء ، فلو استأنيت بقرؤ الروم  
حتى يَضْرِبَ الإسلامُ بجرانه ويمودَ أهلُ الرِّدَّة إلى ما خرجوا منه  
[أ] وَ يَفْتِهِم السَّيْف ، ثم تَبِعَتْ أُسَامَةُ حِينَئِذٍ ، فتكون قد أَفْضَتْ الجيش  
كما أَمَرَ النبي صلى الله عليه وسلم وقد دَفَعَتْ بهم أهلُ الرِّدَّة ، ولأَنَّا نَخَافُ ١٥  
الرومَ أَن تَزْحَفَ إِلَيْنَا يَوْمَنَا هذا .

- فلما استوعبَ أبو بكرٍ كلامَهُمْ قال : هل منكم أَحَدٌ يريد أَن يقول  
شيئاً ؟ قالوا : قد سمعتَ مقاتلنا . قال : والذى نفسى بيده لو ظننتُ أَنَّ  
السَّيَّاحَ تَأْكُلُنِي لَأَنْفَذْتُ هذا البعث ، ولا بدأتُ بأوَّلِي منه ، والنبي صلى الله عليه  
وسلم ينزلُ عليه الوحي من السماء وهو يقول : أَنْفِذُوا جيشَ أُسَامَةَ . ٢٠

(١) أصل الفريضة البير المأخوذ في الزكاة ، ثم اتسع فيه فسمى كل بعر فريضة .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة .

فلما رأى إبطاءهم عن ذلك وتلكوهم خرج وحده مفتعلاً نحو أهل الردة حتى لحقه المهاجرون والأنصار في المسلمين ، فقالوا : تُكفّي يا خليفة رسول الله ، وننفذ لأمرك ، والصواب ما رأيت .

فلما لم تعلم من شدة قلبه واجتماع رأيه وقلة وحشته إلا هذا كان كافياً .

وأبو بكر الذي ولّاه النبي صلى الله عليه يوم حنين ميمته ، وولّى عمرَ ميسرته . فلم يكن النبي صلى الله عليه ليستكفّيهما أمّ الموضع إليه وما لا يكفيانه .

وقد انكشف الناس وتبنا في مواضعهما ، وكان أقرب القوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ - إذ كان لابدّ لصاحب الميمنة واليسرة من أن يكون أبعد ممّن يكون في القلب - أبو سفيان بن الحارث ، والمُبّاس بن عبد المطلب ، والفضل بن عباس ، وريمة بن الحارث ، وأيمن بن عبّيد<sup>(١)</sup> أخو أسامة بن زيد لأمته وصبر مع النبي صلى الله عليه عليه وسلم بعد هؤلاء مائة وثلاثة وثلاثون من المهاجرين ، وسبعة وستون من الأنصار .

ومما نعرف به شدة شكيمته وصدق وصرامة رأيه قوله للمسلمين يوم توفّي النبي صلى الله عليه وسلم حيث قام خطيباً وبالدينة مناقبون لا يألونهم خيالاً يَمْضُون عليهم الأنامل من النيط ، وقد انتفض ماحول المدينة ، فكان ممّا قال في خطبته :

٢٠ (١) في الأصل : « أيمن بن عبد الله » ، صوابه في السيرة ٨٤٥ والإصابة ٣٩١ وانتاج الأسماح ٤٠٧ . ويسمى أيضاً « أيمن بن أم أيمن » .

- مَنْ كَانَ يَبْدُ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ حَتَّى لَا يَمُوتَ ، فَلْيَمِمْهُ . وَمَنْ كَانَ يَبْدُ  
مُحَمَّدًا أَوْ يَرَاهُ إِلَّا مَا قَدْ هَلَكَ إِلَهُهُ . فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ ، وَاعْتَصِمُوا  
بِدِينِكُمْ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى رَبِّكُمْ ، فَإِنَّ دِينَ اللَّهَ قَائِمٌ ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ قَائِمَةٌ ،  
وَاللَّهُ نَاصِرٌ مَنِ نَصَرَهُ ، وَمُزَيِّدٌ دِينَهُ . وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ يَبِينُ أَظْهَرَ كَرَمِ ،  
وَهُوَ النُّورُ وَالشِّفَاءُ ، وَهُوَ هَدَى اللَّهِ مُحَمَّدًا ، وَفِيهِ حَلَالُ اللَّهِ وَحَرَامُهُ .
- ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ مَا نُبَالِي مَنْ أَجْلَبَ عَلَيْنَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ . إِنْ سَيُوفَ  
اللَّهُ السَّلَاطَةَ مَا وَضَعْنَاهَا عَنْ عَوَاتِقِنَا ، وَلَنُجَاهِدَنَّ مَنْ خَالَفَنَا ، فَقَدْ جَاهَدْنَا  
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ فَلَا يُبَيِّنَنَّ مُبَقِّرٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ .
- وَأَمَّا قَالَ : « مَنْ كَانَ يَبْدُ مُحَمَّدًا أَوْ يَرَاهُ إِلَّا مَا قَدْ هَلَكَ إِلَهُهُ » لَأَنَّهُ  
كَانَ صَبِيحٌ مِنْ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَصَرَّحَ ابْنُ الْخَطَّابِ فِي ذَلِكَ كَلَامًا قَبِيحًا
- ١٠ حَتَّى مَاجَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ وَقَالُوا : وَاللَّهِ مَامَات ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَفَعَهُ كَمَا رَفَعَ  
عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ، فِي كَلَامٍ سَنَذْكُرُهُ بَعْدَ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ (١) .
- وَمَا يَدُلُّ عَلَى خَاصَّةٍ مَكَانِهِ وَتَقْدِيمِ النَّاسِ لَهُ ، وَمَعْرِفَةِ الْجَمِيعِ لِفَضْلِهِ ،  
الَّذِي كَانَ مِنْ صَنِيعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ صَنِيعِ جَمِيعِ  
المسلمين ، وَمِنْ صَنِيعِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ بِهِ ، حَيْثُ فَرِغَتْ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ أُسَارَى
- ١٥ بِدَرٍّ دُونَ غَيْرِهِ ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا حُجِسُوا يَبْدِرُ وَاقْتَرَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ طَمَعُوا  
فِي الْحَيَاةِ ؛ فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : لَوْ بَشَنَّا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّهُ أَوْسَلُ قُرَيْشٍ  
لَأَرْحَامِنَا ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَفَرَّ عِنْدَ مُحَمَّدٍ مِنْهُ ؛ فَبِعَثُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَأَنَامَ  
فَقَالُوا : يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنَّ فِينَا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ ، وَالْإِخْوَانَ وَالْعَمُومَةَ ، وَبَنِي  
الْأَتَمِّ ، وَأَبْدُنَا قَرِيبٌ ، فَكَلِّمْ صَاحِبَكِ يَمْنًا عَلَيْنَا أَوْ يُفَادِينَا . قَالَ : تَمَّ
- ٢٠ لَا أَتُوكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ خَيْرًا ؛ ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ .

- فقالوا : ولو بئسنا إلى امر ، فإننا لا نأمن أن يُفْسِد علينا ، فلعلمه أن  
يَكْفَ عنا شره ! فأرسلوا إليه فجاءهم ، فقالوا مثل قولهم لأبي بكر ،  
فقال : لا آلوكم إن شاء الله شرًا ! ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه ،  
وإذا الناس حول النبي ، وأبو بكر يفتوه <sup>(١)</sup> ويلينه وهو يقول : يا رسول  
الله ، بأبي أنت وأمي ، قومك فيهم الآباء والأبناء ، والعمومة والإخوان ،  
وبنو العم ، وأبندهم منك قريب ، فامن عليهم من الله عليك ، أو فادهم  
يستغفروهم الله بك من النار ، فما أخذت منهم فهو قوة للمسلمين ،  
ولعل الله أن يقبل بقلوبهم !! ثم قام فتنحى ناحية وسكت النبي صلى  
الله عليه وجاء عمرُ مرُ جلسَ جلسَ أبي بكر فقال : يا نبي الله ، هم أعداء  
الله كذبوك وقَاتَلوك وأخرجوك ، اضرب أعناقهم فإنهم رهوس الكفر ،  
وأئمة الضلالة ، يمز الله بذلك الإسلام ويذل الشرك !! فسكت النبي  
صلى الله عليه وسلم وعاد أبو بكر إلى مجلسه وإلى مثل ذلك الكلام ،  
ثم تنحى وقام عمرُ مرُ جلسَ جلسَ وأعاد مثل الكلام الأول ، ثم تنحى  
عمر وجلس أبو بكر ، ثلاث مرَّات . فسكت النبي عليه السلام ،  
ثم قام فدخل قُبَّته فسكت ساعةً وخرج والناس يخوضون ، يقول  
بعضهم : القول ما قال أبو بكر ، وبعضهم يقول : القول ما قال عمر .  
ففرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما تقولون في صاحبكم ؟ دعوها  
فإن لها مثلاً : مثل أبي بكر في الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرضا  
والتغفر ، ومثله في الأنبياء مثل إبراهيم كان آيين على قومه من العسل ،  
أو قد له قومه النار فطرحوه فيها ، فما زاد على أن قال : « أَفَ لَكُمْ

(١) يفتوه : يسكن غضبه . وسميت في الأصل « فتاه » .

- وَلَمَّا تَعَمَّدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . » وقال : « فَمَنْ تَبَسَّحَ  
فَإِنَّهُ يَمُنُّ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . » ومثله كمثل عيسى إذ يقول :  
« إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَلَهُمْ عَذَابُكُمْ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْمَرْيُومُ الْحَكِيمُ . »  
ومثله عمر في اللاتمة مثلُ جبريلَ يَنْزِلُ بِالسُّحُطِ مِنَ اللَّهِ وَالنَّقْمَةِ .  
ومثله في الأنبياء مثلُ نوحٍ كان أشدَّ هلى قومه من الحجارة إذ يقول :  
« رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا » . فذهبا عليهم دعوة  
أغرق الله بها الأرضَ جميعا . ومثله مثلُ موسى إذ يقول : « رَبَّنَا  
اطْمِسْ كُلِّي أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ  
الْأَلِيمَ » . فهذا يدلُّ على أَنَّهُ كَانَ التَّمَرُّعَ وَالشَّفِيعَ ، وَالْخَاسَةَ وَالْفَقَةَ  
وموضع الفضيلة .

١٠

- وَقَبْلَ ذَلِكَ لَمَّا قَصَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ كَيْفَ  
أُسْرِيَ بِهِ ، قَالَتْ قُرَيْشٌ عَلَى التَّكْذِيبِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : وَاللَّهِ إِنْ الْعَبْدَ  
لَقَطَرْدُ شَهْرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ ثُمَّ يَكُونُ إِقْبَالُهَا شَهْرًا<sup>(١)</sup> ، وَزَعَمَ مُحَمَّدٌ  
أَنَّهُ مَضَى إِلَى بَيْتِ الْقُدُسِ وَرَجَعَ مِنْ لَيْلَتِهِ ١١ فَأَتَوْا بِأَجْمَعِهِمْ أَبَا بَكْرٍ  
لِيَحْتَجُّوا بِذَلِكَ عَلَيْهِ وَلِيَعْرِفُوهُ خَطَأً فِي اتِّبَاعِهِ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ ، وَظَنُّوا أَنَّ  
الجواب في ذلك يَمْتَنِعُ إِذْ كَانَ قَدْ امْتَنَعَ عَلَيْهِمْ . فَأَتَوْا أَبَا بَكْرٍ فَقَالُوا :  
هَلْكَ سَاحِبُكَ ١ - أَلَا تَرَى أَنَّهُ الْمَذْكُورُ بِالْمُشْجَعَةِ ، وَمَوْضِعُ الْحَاجَةِ ،  
وَأَنَّهُ الْمُبْتَدَأُ وَالتَّمَرُّعُ - زَعَمَ أَنَّهُ أَتَى بَيْتَ الْقُدُسِ فِي لَيْلَتِهِ وَقَدْ  
عَلِمْنَا ١٢ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّا نَكْذِبُونَ عَلَيْهِ ، وَلَنْ كَانَ قَالَهُ لَقَدْ صَدَقَ ،  
فَمَا تَمَجِّبُونَ مِنْ ذَلِكَ ؟ ١ فَوَافَقُوا لِمَا لَيْسَ بِهِ مِنْ السَّامِ

٢٠

(١) في السيرة ٢٦٤ : « إِنْ الْعَبْدَ لَقَطَرْدُ شَهْرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ مَدِيرَةً وَشَهْرًا مَقِيلَةً » .

إلى الأرض في ساعة من ليله أو نهار فأصدقه . فهذا أبعد من مصر<sup>(١)</sup> .  
ثم نهض أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله ليسأله عن القضية ، فأقبل  
النبي صلى الله عليه وسلم يصيف له وهو يقول : صدقت صدقت ! أشهد  
أنك رسول الله ! قال النبي صلى الله عليه وآله عليه : وأنت الصديق ! وقد كان  
أبو بكر الصديق أنى الشام وعرف طرقها وأمورها ، وقلبها وعرف  
جميع ما فيها .

ثم الذي كان من تقديم النبي صلى الله عليه وآله عليه له والمسلمين في قضية  
الحدبية . وذلك أنهم كتبوا كتاباً :

هنا ما اصطاح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو . اصطاحا على  
١٠ وضع الحرب عشر حجج يأتى فيها الناس وكيف بعضهم عن بعض .  
على أنه لا إسلال ولا إغلال<sup>(٢)</sup> ، وعلى أن أحب أن يدخل في عقد  
محمد وعهده فقل ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها فقل ،  
وعلى أنه من أتى منهم محمداً بغير إذن رده ، ومن أتى قريشاً من أصحاب محمد  
لم رده ، وعلى أن محمداً يرجع عامه هذا بأصحابه ، ويدخل عليهم قابلاً<sup>(٣)</sup>  
١٥ في أصحابه فيقيم ثلاثاً ، لا يدخل علينا السلاح إلا سلاح المسافر ، السيوف  
في القرب . شهد أبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ،  
وأبو عبيدة بن الجراح ، ومحمد بن مسلمة<sup>(٤)</sup> . وشهد حويط بن عبد المزى  
وميكرز بن حفص بن الأخيف .

(١) في الأصل : « أقعد من مصر » . وفي السيرة : « أبعد مما تبجرون منه » .

(٢) الإسلال : الغارة الظاهرة بسل السيوف . والإغلال : الحياطة والندب .

(٣) أى في العام القابل .

(٤) وكذا في إتمام الأسماع ٢٩٨ . وفي السيرة ٧٤٩ وصيون الأثر ٢ : ١٢٠ . محمود  
ابن مسلمة . وما أخوان .

أَلَا تَرَى أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ شَاهِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ ، وَالنَّاسِ كُلِّهِمْ بِمَدِّهِ .

وَنَحَرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَمَلُ مِنْ سَبْعَةٍ<sup>(١)</sup> . فَأَوَّلَ خَلْقِ اللَّهِ سَمِيُّ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ هَرَمٌ ، ثُمَّ فُلَانٌ ثُمَّ فُلَانٌ . فِهَذَا هَذَا .

- ثُمَّ لَمَّا تَحَايَرَ النَّاسُ يَوْمَ أُحُدٍ وَأَرَادَ أَبُو سَفْيَانَ الْإِنْصِرَافَ أَقْبَلَ ٥  
يَسِيرَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَتَى قَدْ أَشْرَفَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي عُرْضِ  
الْجَبَلِ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَيُّنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ ؟ يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَيُّنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ أَيُّنَ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟ يَوْمَ يَوْمٍ بَدَأَ .  
أَلَا إِنَّ الْإِيَّامَ دَوْلٌ وَالْحَرْبُ سِجَالٌ ، وَحَنْظَلَةٌ بِحَنْظَلَةٍ<sup>(٢)</sup> ١٠ قَالَ هَرَمٌ :  
أَلَا أَجِيبُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : أَهْلُ هَيْلٍ<sup>(٣)</sup> ١٥  
قَالَ هَرَمٌ : اللَّهُ أَهْلُ وَأَجَلٌ . قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : لَنَا عُرْيٌ وَلَا عُرْيٌ لَكُمْ  
قَالَ هَرَمٌ : اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ .

فَلَوْلَا يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ أَفْضَلَ مَنْ شَهِدَ أُحُدًا وَأَنْبَهَ ، أَوْ أَعْيِظَ لِأَبِي سَفْيَانَ  
وَالْمُشْرِكِينَ ، مَا جَعَلَهُ أَبُو سَفْيَانَ — وَهُوَ رَئِيسُ الْقَوْمِ — ثَانِيًا ، وَالَّذِي  
يَتْلُو النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّعَاءِ وَالْمُخَاطَبَةِ ، حِينَ يَقُولُ : أَيُّنَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ ؟ ١٥  
ثُمَّ يَقُولُ : أَيُّنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ . فِهَذَا هَذَا .

(١) هَذَا الْجَمَلُ هُوَ جَمَلُ أَبِي جَهْلٍ ، كَانَ قَدْ غَنِمَهُ يَوْمَ بَدْرٍ . لِمَتَاعِ الْأَسْمَاعِ ٢٧٥ ،  
٢٩٩ — ٣٠٠ وَالسِّيرَةُ ٧٤٩ وَحَيْوَاتُ الْأُمَمِ ٢ : ١٢٩ .

(٢) يَقِيرُ إِلَى مَا كَانَ مِنْ مَقْتَلٍ وَلَهُ حَنْظَلَةٌ بَنَ أَبُو سَفْيَانَ فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ ، وَصَرَحَ حَنْظَلَةُ  
ابْنُ أَبِي عَامِرٍ خِصْلَ الْمَلَايِكَةِ حِينَ لَقِيَ فِي خِزَاةٍ أُحُدٍ ، فَلَمَّا اسْتَلَاءَ حَنْظَلَةُ بَنَ أَبِي عَامِرٍ لَهُ شِدَادُ ٢٠  
ابْنِ الْأَسْوَدِ فَضْرِبَهُ شِدَادُ فَقَتَلَهُ . فَهُوَ يَذْكُرُ قَاتِلَهُ لَوْلَهُ . انْظُرِ السِّيرَةَ ٥٠٧ ، ٥٦٧ .  
— ٥٦٨ وَلِمَتَاعِ الْأَسْمَاعِ ١٥٨ ، ١٤٩ .

(٣) هَيْلٌ : سَمٌّ مَعْهُورٌ . أَهْلُ هَيْلٍ ، أَيْ أَظْهَرُ دِينِكَ . السِّيرَةُ ٥٨٢ وَالْيَسِيرُ وَالْأَزْلَامُ  
لِحَقِّقِ الدُّنْيَا ص ٦٨ .

وفي نزول أبي بكر قبر حمزة قبل كل نازل بأمر رسول الله صلى الله عليه  
دليل على الفضيلة والتباهة ، والقدر والوزارة .

- ولما دخل أبو سفيان المدينة أتى النبي صلى الله عليه وقال : يا محمد  
إني كنت غائباً في صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا في المدة . قال  
٥ أولذلك قدمت يا أبا سفيان ؟ قال : نعم . قال : فهل كان فيكم من حدث ؟  
قال : ماذا الله . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فنحن على مدتنا وصلحنا ،  
لا نبذل ولا ننذر . فلما خرج من عنده بدأ بأبي بكر<sup>(١)</sup> فقال له : هل لك  
إلى أن نجبر بين الناس ؟ قال أبو بكر : جوارى في جوار رسول الله .  
ثم خرج من عنده فأنى ممر فكلّمه بمثل ذلك ، قال عمر : إني لو وجدت  
١٠ الذرّ تقابلكم لأعنتها عليكم ! قال أبو سفيان : جريت من ذى رحم شرّاً !  
ثم أتى عثمان ، ثم أتى فاطمة ، ثم أتى علياً .

ألا ترى كيف جعلوه المقصد والمعتمد قبل الناس وبعد رسول الله  
صلى الله عليه . ولو لم يكن حال عند أبي سفيان من النبي صلى الله عليه  
فوق كل حال ما بدأ به قبل جميع من نزع إليه . فهذا هذا .

- ١٥ ثم أتى كان من تقرب النبي عليه السلام ، وإكرامه له يوم فتح  
مكة ، وهي الذار التي خرجا منها هاربين معاً ثم رجعا إليها آمنين معاً ،  
بتسايران ويتحدثان ، حيث طلع النبي صلى الله عليه وسلم على الميأس  
وأبي سفيان ، والنبي عليه السلام بين أبي بكر وأسيّد بن خضير ، أبو بكر  
عن يمينه . وقبل ذلك في الطريق كان بين أبي بكر وعمر ، أبو بكر عن يمينه

٢٠ (١) كان له دخل قبل ذلك على ابنته أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
فلما ذهب ليجلس على فراش الرسول طوته دونه . إمتاع الأسماع ٣٥٨ . وفي السيرة ٨٠٧ .  
أنه دخل أول الأمر على ابنته ، ثم ثم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بأبي بكر .



وعمر من يساره . فلما سارت الخليلُ يذرى طوى بين الخدمة إلى الخجون ،  
مرَّ النبي صلى الله عليه وأبو بكر يساريه وَحَدَهُ ، وإذا بناتُ أبي أحيحة  
قد نثرن شعورهنَّ يَلَطْمُن وجوهَ الخليل بالخرم ، فنظر النبي صلى الله عليه  
إلى أبي بكر وتبسم وقال : كيف كان قال حسان :

\* يَلَطْمُهُنَّ بِالْخَرْمِ النِّسَاءُ \*

قال أبو بكر :

\* تَنْظَلُ حِيَادُنَا مَمَطَّرَاتِهِ \*

فهذه حاله وخاصته ومكانه وارتفاع قدره . ألا تراهما خرجا من مكة  
هاربين مستخفيين مصطحبين ، ثم رجعا آتين ظافرين مُعَلِّين مصطحبين .

- وسعد أبو قحافة الجليل يسفري بناته وهو يومئذ مكفوف ، فسكت  
١٠ بنته فقال لها : لا تخافي فإن أخاك عتيقاً أكرم الناس عهداً فلما دخلوا  
مكة أقبل أبو بكر بأبيه وهو يومئذ شيخ مكفوف له غد يرتان ، كان  
رأسه ثقامة<sup>(١)</sup> حتى هجم به على النبي صلى الله عليه وقال : أتيتك بأبي  
يا رسول الله ليسلم . قال النبي صلى الله عليه : هلاً تركت الشيخ في رحله  
حتى آتته . ففسح النبي صلى الله عليه يده على صدره ، ودعا إلى  
١٥ الإسلام فأسلم .

وهذا كله يدل على تقديم النبي صلى الله عليه له .

- كما قلَّ القُصَّاء أن النبي صلى الله عليه أتى بمسٍّ من لبن وهو  
في أصحابه ، وأبو بكر عن يساره ورجل من الأعراب عن يمينه ، وأصحابه  
قد أحبوها سورة<sup>(٢)</sup> ، فشرَّب النبي وأهوى بالقدح نحو الأعرابي . قال عمر :  
٢٠

(١) الغديرة : الدُّوَابَّة . والتغام ، ما لتج : لبث أيض يقبه به الغيب .

(٢) رحمت في الأصل : قد أحبو سورة .

أبو بكر يادرسول الله ! قال النبي صلى الله عليه : الأيمن فالأيمن (١) . ولم يقلوا هذا الحديث ليُختبروا عن فضيلة أبي بكر ولا عن قُرب مقعده ولا عن تقديم عمر له ، ولا أن عادة النبي صلى الله عليه وسلم كانت التقديم له ، ولا قال مر ذلك على التذكير له ، وإنما أرادوا أن يختبروا عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الشرب ، وعن فضيلة اليمين على اليسار ، وعن التعريف لحُرمة المجلس .

ولو كان هذا الخبر في عليٍّ وعثمان ما كان الأمر إلا كما أخبروا أنهم لم يقصِدوا في الحديث إلا تفضيلَ اليمين على اليسار .

فإن قالوا : فإنَّ عليًّا كان أفقه من أبي بكرٍ وأعلم بالحرام والحلال منه . والدلائل على ذلك أن كثرة ما قلوا إليها من اختياراته وأقواله في الحوادث ، من الحلال والحرام ، وأبواب الفقه والفُتْيَا والتأويل ، مع كثرة الرواية المسندة ، وكان يُسأل ولا يسأل ، ولم يرجع عن شيء قط وليس أحدٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا وله رجعةٌ وأكثرُ من ذلك ، ولم يُسمع لأبي بكرٍ بفتْيَا كثيرٍ ولا كثير رواية ، ورأسُ الدين الفقيه فيه والملم به . فلما كان أبو بكرٍ وعليٌّ بن أبي طالبٍ على ما وصفنا وذكرنا ، علمنا أن أحقهما أفضلُ فضلًا وأولى بالإمامة ، لأنَّ عملَ الفقيه أفضلُ من غيره ، لأنَّ أولى الناس بالسُّلْطَانِ أهلُهم بدينهم ، لأنَّ من علم الدين لم يجهل أمر الدنيا ، لأنَّ أمور الدنيا مياسرة أو شبيهة بلم المياسرة ، وعلم الدين مستنبط ، وتأويله فاض .

٢٠ قالت ( المأنيَةُ ) عند ذلك : أمَّا المدل والقسط فإنَّ نَظَرَ يَوْمِ تَوَقَّى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكرٍ وعليٌّ حيَّانٍ ظاهرٌ أمرهما ، معروفٌ قدرهما

(١) روى من حديث أنس بن مالك في صحيح البخارى فتح البارى ١٠ : ٦٦ ، ٧٥ .

واحتمالها العلم والعمل . فلمرى لئن كان لعلّ من طول الصحبة وكثرة السماع ومفاوضة الرسول الأ [مر] ، والمعرفة ، وكثرة الإرشاد للأمة وصحة الرأي وكثرة الصواب ، وكان الناس إليه أشدّ فزعاً ، [و] ظهر من روايته وحاجة الناس إلى فقهه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام وفاته وأيام أبي بكر ، أكثر مما ظهر من أبي بكر في ذلك الدهر ، إنه لأفقه منه في الدين وأعلم بأبواب الدنيا .

[و] لئن كان إنمّا أكثر مما نقل الناس عنه لأنه عاش والحادثات تحدث ، وبقي حتى كان يستفتى ويفق ويسأل ويُجيب ، وروى عنه في الزمان الذي كان يستفتى فيه مثل أبي هريرة ، وأنس بن مالك ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وعبد الله بن عمرو ، فكان ذلك منه أيام أبي بكر وهي سنتان ، وأيام عمر ١٥ وهي عشر سنين ، وأيام عثمان وهي اثنتا عشرة سنة ، وأيام نفسه وهي خمس سنين ، فليس في ذلك حجة ولا دليل ؛ لأنك تحصى ما يقول الرجل في الدهر الطويل مع كثرة الحادثات ، وما يقول الرجل في الدهر القصير مع قلة الحادثات ؛ وإنمّا ينبغي أن ننظر يوم توفى النبي صلى الله عليه من كان أفضّل المسلمين وأفقه في الدين ، وأعرف بالأمور ، وأسوب ١٥ رأياً وأشدّ احتمالاً ، في ذلك الوقت الذي اختير فيه للخلافة . ونحن نعلم أن علياً لو عاش إلى دهر الحسن وابن سيرين لكان قد ازداد فقهاً وعلماً وتجربة على قدره يوم استشهد رضى الله عنه .

ولا يجوز أن قدّر الرجل بقدر<sup>(١)</sup> طول الزمان وكثرة الحادثات ، وبقدر قصر الزمان وقلة الحادثات . فلئن صح<sup>(٢)</sup> عندنا وعندكم أن أموراً ٢٠

(١) في الأصل : « وإنما يجوز أن نقول الرجل بعد » .

(٢) في الأصل : « فليس صح » .

حدثت ، وبلايا نزلت في زمن أبي بكر وأيام وفاة النبي صلى الله عليه ،  
 من حلالٍ وحرامٍ أو سياسيّ جندٍ أو سدٍّ ثغرٍ أو تدبير حرب ، أو استصلاح  
 عوامٍ ، أو ترتيب خواصٍّ ، فظهرَ فيه من رأى على صوابه وحسن  
 نظره وإرشاده ما لم يظهر من أبي بكر - فقد أفلح من زعم أن علياً كان  
 ٥ أفتق منه قهقراً ، وأصوبَ رأياً ، وأشدَّ للأمور احتمالاً - مع أنا قد نجد  
 عنده من دقائق الفتيا وغامضه وعويصه <sup>(١)</sup> ما لم يُنتَلَّ به أحدٌ ولا يبتلى به  
 أحدٌ أبداً . ولعلَّ ذلك لا يُصاب عند الإمام إلا في مُجلة الأمور وأصولها ،  
 ثمَّ لو دَمَّ النَّاسُ عدوًّا ، أو حَزَبهم أمرٌ ، أو أعصَلَ بهم ملءٌ من فائقٍ ..  
 يختطف الملك بتأويلٍ قد زَخَرَفَه ، ومن انتشار <sup>(٢)</sup> جُندٍ أو اضطراب  
 ١٠ عوامٍ ، أو بدعةٍ شاملة ، لم يكن عنده من الفناء والاحتمال والمعرفة  
 ببلاج أدائها والثباتى لاستصلاحها قليل وكثير . وإنما مدار الأمور على  
 أسالة الرأى ، واتساع الصدر ، وقوة العزم .

فإن كنا لم نجد لعلٍ مما ذكرنا شيئاً بفضل به أبا بكرٍ في ذلك  
 الدهر فإننا نستدلُّ على صواب رأيه واتساع صدره ، وأنه كان الفزع  
 ١٥ والمرشد بعد رسول الله في المضلات وعند الشبهات والحادثات ، والناسُ  
 في ذلك الدهر بين مستمعٍ مرشدٍ وبين مستمعٍ مسلمٍ ، وبين مُطْرِفٍ واجمٍ  
 وبين خائفٍ قد رنَّحه <sup>(٣)</sup> الحادثات ، واستبهم عليه وجهُ السَّواب ، كالذى  
 كان من المسلمين لما اسطلموا على القضية يوم الحديبية ، لأنهم لما  
 صاروا إلى الكتاب وتراضى النبي صلى الله عليه وسلم ومُهَلَّب بن عمرو

٢٠ (١) أى غامض ذلك وعويصه .

(٢) أى هزهم وخروجهم على القواد ؛ وأمله في الإبل والقنم أن تتفرق عن عزة من  
 راعيها . في الأصل : « استقار » تحريف ، وانظر ص ٦٥ س ١٠ .  
 (٣) الكلمة خالية من التنطق في الأصل . رنَّحه : دارت به وميَّته .

- على أن يُكْتَبَ في الكتاب : « وعلى [ أن ] من أتى قريشاً من كان على دين محمد بنبر إذن لم تَرُدَّهُ إليه » ، فبلغ من أمر الناس والذى دخل عليهم أن اضطربت قلوبهم ، حتى إن النبي صلى الله عليه قال لأصحابه بعد انصراف سهيل بن عمرو : « قوموا فانصروا وأجلبوا وحلبوا » ، يقولها ثلاثاً ، كل ذلك ينظرون في وجهه ويسمعون قوله ولا يطيعون .
- أمره ، حتى غضب النبي صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة فأخبرها بذلك متعجباً ، وكانت معه في تلك السفرة ، قالت أم سلمة : « انطلق أنت يا رسول الله إلى الهدى فانصره ، فإنهم سيقتدون بك » . فكان أول من وثب عند الكتاب عمر وهو يقول : يا رسول الله ، ألسنا بالمسلمين ؟ قال النبي صلى الله عليه : بلى . قال : ١٠ فلام نعطى الدنية في ديننا ؟ قال النبي عليه السلام : أنا عبد الله ورسوله ، ولن أخالف أمره . فأقبل أبو بكر على عمر فقال : يا عمر ، الزم قرزة<sup>(١)</sup> فإنني أشهد أنه رسول الله ، وأن الحق ما أير [ به<sup>(٢)</sup> ] ، ولن يضيئه الله !
- ثم إن عمر بن الخطاب عاد إلى أبي بكر فسأله فقال أبو بكر : سلم ١٥ لله ولرسوله وأتبعهم رأيك .
- وقال أبو حبيدة : لا نعطى الدنية أبدا ! فقال أبو بكر ، يا هم ! إنما ليست بدنية ، ولو كانت دنية ما أعطاه النبي صلى الله عليه وتأباها أنت ، وما كان الله ليرضى بذلك .

(١) يقول : احتلق به وأسك واتبع قوله وفعله ، ولاخالفه . وأصل الفرز للجل مثل الركاب للفرس .

(٢) التكة من إمتاع الأصماع ٢٩٣ .

أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَمِيعِ أَشَدُّ فِي ذَلِكَ مِنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي  
طالب وعمرَ بنِ الخطاب ؟! وذلك أَنَّ علياً هو كَانَ كَاتِبَ كِتَابِ الْقَضِيَّةِ ،  
فَلَمَّا كَتَبَ : « هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » قَالَ الْمُشْرِكُونَ :  
لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُهُ مَا حَارَبْنَاكَ ، وَلَكِنْ اكْتُبْ : « مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » ،  
فَقَالَ النَّبِيُّ لِعَلِيِّ : « ائْتِمْهَا يَا عَلِيُّ . فَقَالَ عَلِيُّ : وَاللَّهِ لَا تَحْوِثُنَا أَبَدًا ! قَالَ  
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرَيْتَ مَكَانَهَا . فَأَرَاهَا فَحَاها وَكَتَبَ « مُحَمَّدُ بْنُ  
عَبْدِ اللَّهِ » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا بَنِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هَذَا كَلَّمَهُ  
حَدَبٌ عَلَى الْإِسْلَامِ وَغَضَبٌ لَهُ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَطْلُمُوا مِنَ الْأُمُورِ  
مَا تَطْلُمُهُ الرِّسَالُ . فَهَذَا مَوْقِفٌ لِأَبِي بَكْرٍ مَشْهُورٌ .

- ١٠ وَإِنَّمَا عَظُمَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا  
لَا يَشْكُرُونَ فِي الْفَتْحِ ، لِرُؤْيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ حَلَقَ رَأْسَهُ وَدَخَلَ  
الْبَيْتَ وَأَخَذَ مِفْتَاحَ الْكِعْبَةِ وَهَرَفَ مَعَ الْمَرْفُوقِينَ<sup>(١)</sup> ، ثُمَّ تَجَهَّزَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ  
وَهُوَ يَرِيدُ مَكَّةَ عِنْدَهُمْ وَقَدْ كَانَ تَلَا عَلَيْهِمْ : « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ » الْآيَةَ . فَلَمَّا رَأَوْا الصُّلْحَ وَالشَّرْطَ ،  
١٥ وَعَانَتُوا الرُّجُوعَ اضْطَرَبُوا لِذَلِكَ ، مَعَ الَّذِي كَانَ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ قَوْلِهِ :  
« إِنْ أَنَى قَرِيشًا أَحَدٌ مِمَّنْ كَانَ عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ لَمْ تَرُدَّهُ ، وَمَنْ أَنَى مُحَمَّدًا  
مِمَّنْ هُوَ عَلَى دِينِ قَرِيشٍ رَدَّهُ » . فَأَخْرَجَهُمْ مَا ذَكَرْتُ لَكَ إِلَى مَا ذَكَرْتُ قَبْلَ .  
وَأَقْبَلَ عَمْرُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَلَيْسَ قَدْ أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ وَتَلَا عَلَيْنَا الْقُرْآنَ : « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ  
٢٠ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ » ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : نَعَمْ .

(١) التمرير : الوقوف بمرقات .

قال عمر : فما باله رجع بنا ولم ندخلها ؟ قال له أبو بكر : وهل قال لك مَتَّى ؟ إنما قال : لتدخلنَّ ، وأنتم داخلوها لأعمالكم . وإنما كان لك مقالاً لو ضرب لك أجلاً فرأيتَ خلافه . واعلم أنَّ الحقَّ ما قال وصنع .

فلم يُبقِ في قلب غاصٍ جهلاً بموضع الحجَّة في ذلك ، ولا في قلب مستريبٍ دخله الشكُّ شيئاً إلا أصلحه . فهذا وشبهه نعرف إخلاصَ الرُّجُل وقدره ، وسمة صدره ، وكثرة علمه .

ثم أخرى ، أهد الله به من الضلالة ، والناسُ بين ساكتٍ لافْتَاءٍ عنده ، أو خائضٍ مستريبٍ يحتاج إلى التعريف ، أو موقنٍ يحتاج إلى المادَّة وتلقيُّن الحجَّة .

- ١٠ من ذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لما توفِّي اقتحم الناسُ عليه في منزل عائشة ، فلما نظروا إليه مسجى دخلهم أمر عظيم أذهلهم وحيرَ ما بينهم ، حتَّى قالوا : لم يمِت ، وكيف يموتُ وهو شهيدٌ علينا ونحنُ شهداءُ على الناسِ ؟ وكيف يموت وقد قال الله : « يُظهره على الدِّين كُلُّهُ » ولم يُظهِرْ بعد ؟

- ١٠ وكان عُبان بن عَفَّانَ وعمر بن الخطاب يردِّدان هذه الآيات ، وتَوَعَّدَا أصحابَ النبي صلى الله عليه : مَنْ قال إِنَّهُ مات . وثاروا في حُجْرَةِ عائشة وعلى الباب : لم يمِت !

وكان أوَّلَ مَنْ رآه مسجى فَأَنكَرَ موته عُبان ، وقال : إِنَّهُ والله ما مات ، ولكنَّ الله رفعه إليه كما رفع عيسى بن مريم ! والله لا نسْمَعُ أحداً يقول ماتَ إلَّا قطعنا لسانه !

٢٠

واضطرب النَّاسُ وماجُوا وقام عمر في الناس خطيباً فقال :

لا آمننَّ أحداً يقول إنَّ محمداً مات ! وإنَّ محمداً لم يمِتْ ، ولكنَّ اللهَ رَقَمَهُ . أرسل إليهِ كما أرسل إلى موسى عليه السلام فلبث عند قومه أربعين ليلة<sup>(١)</sup> . وإنِّي لأرجو أن يقطع الله أيدي رجال وأرجلهم يَذْمُون أنَّ محمداً مات !

• فبينما الناس هكذا إذ أقبل أبو بكر ، على فرس له ، من الشَّعْصَعِ<sup>(٢)</sup> فسمع مقالة عمر وما يقوله الناس وما خاضوا فيه ، فبدأ بالنبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه وهو مسجى ، فكشفت عن وجهه فقبَّله ، ثم أقبل نحو المنبر وقال : أيُّها ... الخائف<sup>(٣)</sup> على رسلك ! فلما رآه عمر قد ، وقام أبو بكر خطيباً ثم قال : أيُّها الناس اجلسوا وأنصتوا ، ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

أيُّها الناس ، إنَّ الله قد نى نبيكم إلى نفسه وهو حيٌّ بين أظهركم ونماكم إلى أنفسكم ، فهو الموتُ حتَّى لا يبقى أحد . ألم تعلموا أنَّ الله قال « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » .

قال عمر : بأبي أنت وأُمِّي ! فسكت النَّاسُ وأظهروا التَّسليم ، وعرفوا الحق وبكروا ، كأنهم لم يكونوا سمعوا بهذه الآية قط .

ثم تلا : « وما محمد إلاَّ رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسُلُ أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم » ثم تلا : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ »

(١) في السيرة ١٠١٢ : « ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن مهران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات » . ونحوه في سيرة ابن سيد الناس ٣٣٩ : ٢ .

(٢) الشَّعْصَع ، بالضم : إحدى عمال المدينة في طرف من أطرافها . كان بها منزل أبي بكر حين تزوج مليكة ، وقيل حبيبة بنت خازجة .

(٣) بين هذه الكلمة وسابقتها في الأصل بيان جدر كلمة ، لها « أيهاذا » .



الموت « ثم تلا : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ » ، ثم مرَّ في خطبته  
الشهيرة المروفة<sup>(١)</sup> . فهذا هذا .

ثم أقبل على عمر وعثمان فقال : قال الله : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ  
أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ  
شَهِيدًا » ، يقول . إنكم شهداء على مَنْ نَلْقَوْنَ مِنْ لَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى  
الله عليه ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم شَهِيدًا . وقال الله :  
« لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ » ، وإنما أراد دينه ، والله مُبِينٌ نَوْرَهُ  
ومظهرٌ دينه . فإذا أظهر دينه فقد أظهره<sup>(٢)</sup> .  
فهذا علمه وقدره وفهمه وحاجته الناس إليه .

ثم الذي كان مِنْ مَثْنَى المهاجرين والأنصار إليه وكلاهم له ، لِيَقْبَلَ  
الصَّلَاةَ مِنَ الرَّبِّ وَيَتَرَكَ الْإِسْكَاةَ ، وقالوا : إنهم لو قد صَلَّوْا لَقَدْ زَكَّوْا .  
قال : والله لو مَنَعُونِي عِقَالًا مِمَّا أَعْطَوهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
عليه ! فقال له المهاجرون والأنصار : أو ليس قد قال النبي عليه السلام :  
« أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ » ، فإذا قالوها حَقُّوا  
بِهَا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ . قال أبو بكر : إنَّ فيها « إِلَّا » بِحَقِّهَا<sup>(٣)</sup> . قالوا :  
صدقت . ألا تَرَى إِلَى أَنَّهُ قَدْ هَلَمَّ الْجَمِيعُ مَالًا يَعْلَمُوا ، أو سَيَرَمَ إِلَى رَأْيِهِ  
بِقَدْرِ الْخَالِقةِ لَهُ .

(١) انظر خطبة أبي بكر في السيرة ١٠١٢ - ١٠١٣ وابن سعد ٢ : ٥٤ والطبري  
٣ : ١٩٨ وثمر الآداب ١ : ٣٥٠ . (٢) كنز في الأصل .

(٣) في الأصل : « إِلَّا لِحَقِّهَا » . يشير إلى ما ورد من تمة الحديث فيا سيأتي في الصفحة  
التالية ، وفيما رواه المحب الطبري ١ : ٩٨ ونسبه : « فَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ صَمَّ عَلَى مَالِهِ  
وَنَفْسِهِ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحَسَابِهِ عَلَى اللهِ » .

وقولوا إلينا أن الأنصار قالت : يا حليفة رسول الله ، أليس قد قال النبي صلى الله عليه : « أمِرتُ أن أقاتل الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها حجبتوا بها دماءهم وأموالهم إلاَّ بحقها وحسابهم على الله » قال أبو بكر : فهذا من حقها ، والله لو كنتُ وحدي لجاهدتهم حتى أقتلَ أو يظهرَ اللهُ الحقَّ ويُزيهقَ الباطلَ ، إنَّ الباطلَ كان زهوقاً .

ثم مضى نحو أهل الردَّة يريدُهم مُغضِباً حتى لحقه المهاجرون والأنصار ، فتموه وكفوه وقدموا أمامه .

وهذا خبرٌ نقله أصحاب الأخبار مُرجِعُهم وشيخُهم<sup>(١)</sup> إلَّا الروافض ، فإنَّهم لا يطاقون ؛ لأنَّ من يجحد المستفيض السالِّع بالأسانيد المختلفة في الدهر المتفاوت ، ويوجب على خصمه له تصديق الشاذِّ<sup>(٢)</sup> الذي لا يُعرف ولا يدعيه إلَّا أهلُ التلَوِّ من الروافض ، ممتنع الجانب ، عسير المطلب ، لا يُطاق ولا يُجاري .

ثم رأينا علياً يروى عنه ، ويُرَكِّيه ويفضِّله ، ولم نسمعه روى عن عليٍّ شيئاً ولا زكاه ولا فضَّله . على أنَّ علياً قد كان عنده فاضلاً طالِباً ، ١٥ طالِباً وجيهاً .

ثم الذي كان من قول عثمان بن عفان له . وذلك أنَّ عثمانَ حَزَنَ على النبي صلى الله عليه حُزناً لم يَحْزَنْهُ أحدٌ ، فأقبل أبو بكرٍ يُعَزِّيه الذي يرى به من عظيم ما قدَّحه وتحمَّره ، فقال عثمان : ما آسى على شيء ، إنما آسى على أنسى لم أسأل النبي صلى الله عليه عما فيه نجاتي

٢٠ (١) في الأصل : « مرجعهم وسعيهم » بدون نطق .

(٢) في الأصل : « الساذ »

هذه الأمة ! قال أبو بكر : قد سألتُ النبي صلى الله عليه عن ذلك : فقال : « مَنْ قَبِلَ الْكَلِمَةَ الَّتِي عَرَضْتُهَا عَلَى نَبِيِّي فَأَبَاهَا » .  
ألا ترى إلى حاجة الجميع إليه واستغفائه عنهم .

ولو لم يُكَلِّمْ مَنْ سَمِعَ عِلْمَهُ إِلَّا قَوْلُهُ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ حِينَ أَشَارُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يَقْبَلَ الصَّلَاةَ وَقَالُوا إِنَّهُمْ لَوْ قَدْ أَقَامُوا الصَّلَاةَ لَأَتَوْا الرَّسُولَ .  
قال أبو بكر : إِنَّ تَعِيماً إِنْ أُذِنَ لَهَا مِنَ الْإِسْلَامِ فِي قَضِ عُرْوَةٍ لَمْ تَرْضَ بِثَلَاثَةِ بَكْرٍ بَنٍ وَثَلَاثَ ، وَلَوْ أُعْطِيَ كِنَانَةٌ وَالْفَافَا وَأَحْيَيْشَهَا أَمْرًا لَمْ تَرْضَ قَيْسٌ حَتَّى تَزْدَادَ ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ قَوْلَكُمْ لَا تُقَصِّنَ الْإِسْلَامَ عُرْوَةً عُرْوَةً .  
وفي مشيهم إليه في تأخير جيش أسامة يشيرون عليه ويقولون ما كتبنا في صدر الكتاب<sup>(١)</sup> ، وفي قوله : « لَوْ بَقِيَْتُ وَحْدِي حَتَّى تَأْكُلَنِي الْكَلَابُ مَا أَخَّرْتُ جَيْشًا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِإِنْفَاقِهِ وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ » ، فَلَنْ كَانَ مَا وَصَفْنَا لَا يَدُلُّ عَلَى جَوْدَةِ الرَّأْيِ وَصِحَّةِ الْمَزْمِ وَكَثْرَةِ الْعِلْمِ ، وَعَلَى الشَّهَامَةِ وَالصَّرَامَةِ ، وَالْبَيْتِ وَالْبِرَكَةِ ، فَمَا فِي الْأَرْضِ دَلِيلٌ عَلَى فَضِيلَةِ رَجُلٍ وَنَقْصِهِ .

ومما يدلُّ على سَمَةِ عِلْمِهِ وَأَنَّهُ كَانَ التَّفَرُّعَ دُونَ غَيْرِهِ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ ١٥  
عَامَّةً وَبَنِي هَاشِمٍ خَاصَّةً اخْتَلَفُوا فِي مَوْضِعِ دَفْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ قَائِلٌ : خَيْرُ الدَّفَائِنِ الْبَقِيعُ ، لِأَنَّهُ كَانَ كَثِيرًا مَا يَسْتَغْفِرُ لِأَهْلِهِ<sup>(٢)</sup> . وَقَالَ آخَرُونَ : خَيْرُ الْمَوَاضِعِ مَوْضِعُ مَصَلَّاهُ . وَقَالَ آخَرُونَ : عِنْدَ الْمَذْبَحِ . قَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّ عِنْدِي فِيمَا يَحْتَلِفُونَ فِيهِ عِلْمًا . قَالُوا : فَقُلْ يَا أَبَا بَكْرٍ . قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يَقُولُ : « مَا مَاتَ ٢٠

(١) انظر ما مضى في ص ٦٥ .

(٢) انظر السيرة ٩٩٩ - ١٠٠ وامتاع الأسماع ١ : ٥٤١ .

نبي قط إلا دفن حيث يُقبَض . فَحَطُّوا حَوْلَ رِأْشِهِ ثُمَّ حَوَّلُوا  
رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفِرَاشِ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ . فَلَمْ يَجِدِ  
النَّاسَ احْتِاجُوا مَعَ خَبْرِهِ إِلَى شَاهِدٍ ، وَلَمْ يَخْتَلَفْ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ رَجُلَانِ ،  
وَلَا أَظْهَرَ الشَّكَّ فِي خَبْرِهِ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ قَرِيبٌ وَلَا بَعِيدٌ . هَذَا وَالْمَنْزِلُ  
مَنْزِلُ ابْنَتِهِ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعٍ جَرَّ مَفْصَلَهُ وَكَأَنَّ تَكُونُ النِّعْمَةُ ، وَهِيَ الْمَأْتَرَةُ ٥  
الْعَظْمَى وَالشَّرَفُ الْأَعْلَى .

فَمَنْ لَمْ يُبَيِّنْ فِي خَبْرِهِ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ وَمَعَ هَذِهِ الْبَلَّةِ حَقَّ قُبُلَاتِ  
شَهَادَتِهِ وَخَدَّهَ ، لَجْدِرٌ آلَا يُتَقَدَّمُهُ أَحَدٌ فِي الْقَدْرِ وَالْعِلْمِ ، وَالْأَمَانَةِ وَالصِّدْقِ .  
وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ ثَابِتًا عِنْدَهُمْ قَوْلُ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ وَرَوَاتِهِ عَنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ : كُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ حَدِيثًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِمَا شَاءَ مِنْهُ ، فَإِذَا حَدَّثَنِي غَيْرُهُ  
اسْتَحْلَفْتُهُ (١) ، فَإِذَا حَلَفَ لِي بِصِدْقَتِهِ ، وَإِنِّي أَبَا بَكْرٍ حَدَّثَنِي — وَصَدَّقَ  
أَبُو بَكْرٍ — أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا  
فَيَتَوَسَّأُ فَيُحْسِنَ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ » (٢) .  
وَهَذَا حَدِيثٌ نَاسَبْتُ لَهُ بَرَادِرٌ إِلَّا أَهْلَ الْغُلُوِّ مِنَ الرُّوَافِضِ . وَقَدْ  
قَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ : إِنَّمَا كَانَ هَذَا مِنْ عَلَىٍّ عَلَى التَّقْيَةِ لِلْعَوَامِّ (٣) ، لَطَاعَةِ الْعَوَامِّ  
لَأَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ . وَمَا فِي هَذَا مِنَ التَّقْيَةِ ؟ أَنْ يَصَدِّقَ رَجُلًا عَلَى خَبْرِهِ  
وَأَنْ يَكْذِبَ غَيْرُهُ (٤) أَوْ يُؤْمِنَ غَيْرُهُ . وَإِنَّ هَذَا مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ

(١) فِي الرِّيَاضِ النَّصْرَةِ ١ : ١٤٣ : « يُتَعَلَّقُ اللَّهُ بِمَا هَاهَا ، فَإِذَا حَدَّثَنِي عَنْهُ غَيْرُهُ اسْتَحْلَفْتُهُ . »

(٢) قَالَ الْمُهَبِّ الطَّبْرِيُّ فِي الرِّيَاضِ : « خَرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَالْحَافِظُ فِي الْأَرْبَعِينَ الْبُلْدَانِيَّةِ . » ٢٠

(٣) فِي الْأَصْلِ : « لِلْعَوَامِّ . »

(٤) فِي الْأَصْلِ : « وَأَنْ يَكُونَ عَنْدَهُ . »

لوجود : أن يزكّي بمنّ بفضلاً . فزى علياً يحمل عنه ويرى  
عنه وزكيه ويفضله ، ولم نره صنع بعلّ من ذلك شيئاً .

ولقد بلغ من تبطله<sup>(١)</sup> لأمر النبي صلى الله عليه أن النبي صلى الله عليه  
لما حاصر أهل الطائف قال عمر لأبي عبيد : إنما أنت ثعلب في جحر  
يوشك أن يخرج قال أبو عبيد : هل هو إلا أن قطعت حبال عنب<sup>(٢)</sup> ،  
وفي الماء والتراب ما يميده . قال عمر : لا تقدر أن تخرج إلى ماء وتراب ،  
ولا تبرح باب جحر حتى تموت جوعاً . قال أبو بكر : يا عمر لا تقل  
هذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له في فتح الطائف . فسأل عمر  
النبي صلى الله عليه فقال : نعم لم يؤذن لي .

قالوا : ولم يكن حين ذلك من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير  
أبي بكر ، ولو علم أحد غيره لكان عمر .

قالوا : في خطبة النبي صلى الله عليه في شكاه التي توفى فيها والمسلمون  
شهود ، وفي معرفته بالذي أراد النبي صلى الله عليه وسلم بكلامة دون جميع  
الناس ، دليل على أنه المخصوص بمحسّن المعرفة ، وفضيلة الدراية .

وذلك أن أول ما تكلم به النبي صلى الله عليه على المنبر أن قال :  
« والذي نفسي بيده ، إني ل قائم على الخوض الساعة » . ثم تشهد فلما قضى  
تشيده كان أول ما تكلم به أن استغفر للشهداء الذين قُتلوا بأحد ،  
ثم قال « إن عبداً من عباد الله خير بين الدنيا والآخرة فاختر ما عند الله » .  
فبكى أبو بكر . قالوا : فتعجبنا من بكائه . وقال : بأبي أنت وأمي وبآبائنا

(١) في اللسان : تبطلت الأمر : علمت باطنه .

(٢) الحيلة ، بالتصريك وبالفتح : شجرة العنب . وكان النبي صلى الله عليه وسلم أمر  
بعلع أعصاب عذيق ، نفع الناس فيها يقطعون . السيرة ٨٧٣ وعيون الأثر ٢ : ٢٠٩ .

وأُمَّهَاتِنَا وَأَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا . قَالُوا : فَتَجَبَّ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ وَبَكَاهُ وَقَالُوا : أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَجُلٍ ۝

قَالُوا : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَنًا <sup>(١)</sup> بِرَسُولِ اللَّهِ .  
وَلَوْلَمْ يَكُنْ مِنْ صَوَابِ رَأْيِهِ وَرَحْمَةِ فِرَاسَتِهِ ، وَتَوْفِيقِ اللَّهِ إِيَّاهُ إِلَّا تَوَلَّيْتُهُ ۝  
خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ حَرْبٌ مُسْبِلَةٌ وَطَلِيحَةٌ وَأَهْلُ الرِّدَّةِ ، وَقَدْ عُوتِبَ فِيهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ - وَعَمَرَ تَنَاوَلَهُ - وَهُوَ يَقُولُ : لَا أَشِيمُ سِيفًا سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ ثُمَّ اخْتِبَارُهُ عَمَرٌ وَفِرَاسَتُهُ فِيهِ ، حَيْثُ حَمَلَ لَهُ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعُوتِبَ فِيهِ وَتُوْزِعَ فِي أَمْرِهِ .

وَكَذَلِكَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « رَضِيتُ لِأُمِّي مَارِضِي لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ ، وَكَرِهْتُ لَهَا مَا كَرِهَ لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ » ، قَالَ : أَفْرَسُ النَّاسُ ثَلَاثَةَ : الْمَرْأَةَ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى اسْتِجْبَاءٍ حِينَ قَالَتْ لِأَيِّهَا فِي مُوسَى : « يَا بَيْتَ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ » وَامْرَأَةَ الْمَزِيدِ ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي عَمَرٍ .

فَعَلِ رَأْيَتُهُ ضَامٌّ قَوْمًا قَطُّ وَجَانِمُهُمْ <sup>(٢)</sup> فَكَانَ لَهُمُ الرَّأْيُ دُونَهُ ، وَهَلِ عُوتِبَ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا وَالصَّوَابُ مَا عَمِلَ بِهِ دُونَ رَأْيِ الْمُنَائِبِ لَهُ . وَهَلِ أَشِيرَ عَلَيْهِ بِرَأْيٍ قَطُّ إِلَّا وَهُوَ الْمُسَبِّبُ دُونَ الْمَشِيرِينَ عَلَيْهِ ۝

فَأَيُّ قَهْرٍ وَأَيُّ عِلْمٍ أَسْبَحَ وَأَيُّ مَذْهَبٍ أُسِّمَ مِمَّا عَدَّدْنَا وَكَثَّرْنَا ثُمَّ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُخْبِرُوا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِمَوْقِفٍ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَرَاءِ ، وَكَلَّمَتْ وَاحِدَةً مِنْ هَذَا الْكَلَامِ وَمِنْ الصَّوَابِ الَّذِي حَكَيْنَا

٢٠ (١) فِي الْأَصْلِ : ۝ وَكَانَ أَبُو عَلْنًا . وَالنَّظَرُ صِفَةُ الصَّفْوَةِ ١ : ٩٩ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَجَاءَ بِهِمْ » .

عن أبي بكرٍ في حياة النبي صلى الله عليه ، وعند وفاته ، وفي أيام خلافته ، حتى كان علياً ورجلاً من عُرض المسلمين في ذلك الدهر سواً .  
وما يُخَيَّلُ إلينا إلا أن الذي قطعهُ عن كثير من ذلك حداثةُ سنه ، وتقديمه للشبيخة على نفسه .

٥ فإن قالوا : إن علياً قد أشار على مُمر بكذا ، وقال له يوم كذا وكذا : كذا .

قلنا : إننا لم نَكُنْ في مُمرٍ وعليٍّ ، ولو قد صرنا إلى الإخبار بهما تقدّمنا بالذي يُمرّ فكم فضيلة مُمر ، كما حكينا ووصفنا وتقدّمنا في الإخبار عن فضيلة أبي بكر .

١٠ ولقد بلغ من صحة فكره وصدق ظنه وقوة حسّه أنه كان يظنُّ الأمر فيقع به أوفرياً منه . ولذلك قال مُر : إنك لن تلتفع بعقل المرء حتى تنتفع بظنه .

فمّا يدلُّ على صدق ظنِّ أبي بكر وحسِّ نفسه أن عائشة لما دخلت عليه في شكاته التي قبضته الله إليه فيها ، أنشدتُ عنده شعراً تذكر فيه ما رأته في أبيها . قال أبو بكر : لا تقول هذا يا بُنَيَّةُ ، ولكن قولي : ١٥ « وجاءتُ سكرَةُ الموتِ بالحقِّ ذلك ما كنتُ منه تجِدُ » ، أي بُنَيَّةُ إنِّي كنتُ نَحَلْتُكَ جِدادَ عشرين وسقاً من مالى بالعالية ، وإنك لم تحوزيه ولم تقبضيه ، وإنما هو مال الوارث ، وإنما هم أخواك وأختاك . قالت عائشة : إنما هي أسماء <sup>(١)</sup> قال : إنه ألقى في روعي أن ذا <sup>(٢)</sup> بطن بنتِ

(١) في الحيوان ٦ : ٥٠ - ٥١ : « قالت : ما أعرف لى أختا غير أسماء » .

(٢) في الأصل : « أودا » صوابه في الحيوان .

خارجة [ جارية<sup>(١)</sup> ] . فوضعت جاريةً فسميت أمّ كلثوم .

وله مما كان يقع في خَلده ويصدق فيه ظنُّه ونصح فيه فراسته أمورٌ حميمة .  
ولو قالوا : إنَّ عليًّا كان من فقهاء أصحاب النبي صلى الله عليه لقد كان ذلك عدلاً وقصداً ، وحسناً جيلاً ، كما قال إبراهيم<sup>(٢)</sup> والشَّعبي : الفقيه من أصحاب النبي صلى الله عليه في سنة : في عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ،  
وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومُعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت .  
وقد زاد قومٌ أبا الدرداء ، وأبا موسى . وقد قال مسروق : انتهى علمُ  
أصحاب رسول الله إلى هؤلاء الستة : عمر ، وعلي ، وعبد الله ، وأبي ،  
ومعاذ ، وزيد .

١٠ وقال الشعبي : كانت القضاة أربعة : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب  
وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري .

فلو أنهم كانوا يرضون بقول الفقهاء ورأى التابعين ، ولم يُسرفوا  
وقصدوا ، كان ذلك قصداً . ولقد تمدوا فيه الحق حتى قالوا : لم يقل قطُّ  
قولاً يُمكن أحسن منه ، ولا قال قولاً قطُّ فرجع عنه . وقد علمنا أن له  
١٥ فَيْرَ رَجْعَةٍ ، لا اثنتين ولا ثلاثاً<sup>(٣)</sup> ، وأقول لا يجوزها أصحاب الفتيا .  
وما كان إلَّا كِبعض فقهاءهم الذين يكثرُ صوابهم ويقلُّ خطأهم . ولم  
نكن لتجتمع جميع هفوات إنسان وأخطاءه حتى نقرأه<sup>(٤)</sup> مجموعاً إلَّا ظننت به

(١) التسمية من الحيوان . وبلت خارجة هي حبيبة بلت خارجة زوج أبي بكر . الظر

حواشي الحيوان في الموضع السابق والظر الرائي النشرة ١٢٩:١ وصفة الصفوة ١٠١:١ .

(٢) هو إبراهيم بن يزيد النخعي .

(٣) أي بل أكثر من ذلك . في الأصل : « ولا اثنين ولا ثلاث » .

(٤) في الأصل : « ولم يكن لجميع هفوات إنسان وأخطاءه فقرأه » .



العجز . وليس ذلك كذلك ، لأنك لو قذفت بجميع ذلك في محاسنه لخفي عليك موضعه ، ولصغر خطره وقدره .

وإنما حكينا هذا لأهم جموعاً لعمرو وعثمان أموراً أرادوا بها عيبتهم ونقصهم ، ولعمري إن الخطأ نلحاً حيث وقع ، ولكن ربما كان خطأ لا يخرج صاحبه من الحكمة . والخطأ<sup>(١)</sup> أمر لكل بني آدم فيه حظ ونصيب ، وهو أمر لم يسلم منه نبي ولا صديق ولا شهيد ولا أحد من العالمين .  
وعما نقرهم به مما رآه محال الآثار من رجوعه وما لا يجوز من فتياه ، قوله : أجمع رأيي ورأي عمر على عتق أمهات الأولاد ، ثم رأيت أن أربهن<sup>(٢)</sup> .  
ونقلوا جميعاً أن عمر وعلياً اختلفوا في الجلة ، فقال علي بقول ، وقال عمر بقول ، ثم رجع عمر إلى قول علي ورجع علي إلى قول عمر .  
ونقلوا جميعاً أن زيد بن ثابت قال للملي وهو يحاجه في السكائب : رأيت إن زني أكنت رايحه ، قال : لا . قال : رأيت إن شهد أقبل شهادته ؟ قال : لا . قال زيد : فهو إذن عبد ما يقى عليه درهم . فسكت علي\* .

وزعم أصحاب داود بن أبي هند<sup>(٣)</sup> ، عن داود عن الشعبي ، أن علياً رجح من قوله : « في الحرام ثلاث<sup>(٤)</sup> » .

(١) في الأصل : « والخطابة » .

(٢) ربه يربه رياً : ملكه وصار سيده . والباء مبهمة في الأصل .

(٣) داود بن أبي هند — واسمه دينار — بن عذافر القصري البصري ، كان ثقة من الحفاظ . توفي سنة ١٤٠ تهذيب التهذيب .

٢٠

(٤) ورد نحوه في اللسان ( حرم ) قول عمر : « في الحرام كفارة عين » . قال : وهو أن يقول : حرام الله لا أفضل ، كما يقول عين الله لا أفضل . « ثلاث ، أي صيام ثلاثة أيام . فن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلقتن » .

وكلم عليّ عَمَّازَ أَنْ يَحْجُرَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فِي شَيْءٍ كَانَ  
اشْتَرَاهُ ، وَقَدْ كَانَ الزُّبَيْرُ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ : خُذْهُ فَأَنَا شَرِيكَكَ . فَقَالَ لَهُ  
عَمَّانُ : كَيْفَ أَحْجُرُ عَلَى إِنْسَانٍ شَرِيكَهُ الزُّبَيْرُ ؟ فَسَكَتَ عَلِيٌّ .  
وَقَالَ فِي السُّكُوتِ ، إِذَا أَدَّى مِنْ ثَمَنِهِ شَيْئًا : إِنَّهُ يُسْتَرَقُّ بِحَسَابِ  
وَيُسْتَقَى بِحَسَابِ .

وقال في النَّصْرَانِيَّةِ تَسْلِيمُ وَهِيَ تَحْتَ النَّصْرَانِيَّاتِ قَالَ : هُوَ أَحَقُّ بِهَا  
مَا لَمْ يُخْرِجْهَا مِنْ دَارِ الْمَجْرَةِ .  
وقال في رَجُلٍ قَالَ لِامْرَأَتِهِ : « اخْتَارِي » وَاخْتَارَتْهُ ، ثُمَّ قَالَ :  
« اخْتَارِي » فَاخْتَارَتْهُ ، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثَةُ : « اخْتَارِي » فَاخْتَارَتْهُ ؟ قَالَ :  
أَفَرَّقْتُ بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّ<sup>(١)</sup> أَنَا فَمَلْتُ كَذَا وَكَذَا .

وقال في أَمُورٍ فَقَالَ عَيْنٌ صَحِيحٌ ، فَأَرَادَ الصَّحِيحُ أَنْ يَفْقَأَ عَيْنَ الْأَعُورِ  
الَّذِي فَقَأَ ؟ قَالَ : لَا يَفْقَأُهَا إِلَّا أَنْ يُوَدَّى نِصْفَ الذِّبَةِ .  
وقال في الْجُنْدِ : إِنَّهُ سَادِسُ سَقَّةٍ ، وَسَابِعُ سَبْعَةٍ . وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ  
بِذَلِكَ ، وَقَالَ : قَطَعَ الْكِتَابَ وَاجْمَلْهُ سَابِعًا .

وقال في جَارِيَةٍ وَثَبَتْ عَلَيْهَا امْرَأَةٌ رَجُلٍ غَالِبٍ فَافْتَضَّتْ مُنْذَرَتَهَا  
بِإِصْبَعِهَا ، ثُمَّ قَذَفَتْهَا لِلتَّقِطْلِهَا مِنْ عَيْنِ بَعْلِهَا ، وَكَانَتْ خَافَتْ أَنْ يَزَوِّجَهَا ،  
فَرَفَعَ ذَلِكَ إِلَيْهِ فَقَالَ لِبَعْضِ بَنِيهِ : قُلْ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ . قَالَ : عَلَيْهَا  
صَدَاقٌ مِثْلُهَا . قَالَ : لَوْ كَلَفْتُ الْإِبِلَ الطَّحْنَ<sup>(٢)</sup> طَحَنْتُ أَفَاشْتَدَّ تَسْجِبُ  
أَحْصَابِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْقَالَةِ .

وَكَانَ يَرَى حَكَّ أَصَابِعِ الصَّبْيَانِ إِذَا سَرَقُوا .

(١) في الأصل : « العطين » .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

وكان إذا قَطَعَ الرَّجُلُ قَطَعَ القِدَمَ وتركَ العِصْبَ لِيُشْفَى عليه المقطوع ، وليتعمد به . وكان يَقَطع اليَدَ من أصول الأصابع ويدعُ الكَفَّ .

وزعم عبدُ الله بنُ سَلَمَةَ<sup>(١)</sup> وغيره ، عن الأعمش ، عن الشعبي أو عن غيره ، أنه سئل عن رجل قال لامرأته : أنتِ طالقُ ألفَ تطليقة ، وله أربعُ نسوة ؟ قال : تَبَيَّنُ ثلاثٌ وَهَمَّ الباقيةُ على نساءه . ويقال لهم : هل تملكون أن الله ذكرَ آدَمَ وهو أَوَّلُ البَيِّنِ فقال : « فَنَسِيَ ولم نَجِدْ له عَزْماً<sup>(٢)</sup> » .

وذكرَ موسى وَقَتْلَهُ النَّفْسُ . وذكرَ يُونُسَ بنَ مَتَّى فقال : « وذا النون إذ ذَهَبَ مُنَاضِياً فَظَنَّ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عليه » . فالدليل على أن يونس قد كان شَيْعَ وأساء قوله : « سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » وقولُ الله : « فَالْقَمْهَ الْحَوْتَ وهو مُلِيمٌ » .

وذكروا داودَ وسُلَيْمَانَ في قِصَّةٍ واحدة ذَهَبَ عنها داودُ وأصابها سليمانُ ، حيث يقول الله : « فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ » فلم يكن ذهابُ داودَ بِمُخْرِجِهِ من قول الله : « وَأَنْبِئَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلِ الْخُلُطَابَ » . وقد كان منه ما قد علمت ، حتى أُنْزِلَ الله عليه الملكين يَكْنِيَانِ عن

(١) عبد الله بن سلمة البصري الأضلس ، يروى عن الأعمش وغيره ، وليس بثقة .  
لسان البزّان . وفي الرواة عبد الله بن سلمة بكسر اللام — المرادى الكوفي . وهذا ناهي عن الثقات . تهذيب التهذيب .

(٢) الآية ١١٥ من سورة طه . في الأصل : « فلم نجد له » ، تحريف . انظر كتاب تحقيق النصوص من تأليفنا ص ٣٨ — ٣٩ .

قَسَمْتَهُ ، وَزَيْدَانِ وَغَطَّهُ فِي قِسْمَةٍ : « وَهَلْ أَنْتَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسُوْرُوا الْمَرْءَ » .

وقد عاتبَ الله جل ثناؤه نبيه في غير موضع فقال : « عَبَسَ وَتَوَلَّى » ، وقال : « لَقَدْ رَكِدَتْ رُكْنٌ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا » ، وقال : « لَيَنْفِرَنَّ لَكَ اللَّهُ مَا تَهْدِمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ » . ٥

ومأنيه في الأسرى وأخبره أنه قد تقدم أمره في إطلاقهم حتى قال : « لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَسُكِمَ فِيهَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ <sup>(١)</sup> » . وقال الله وهو يريد جمع المأمورين والنهييين : « وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ <sup>(٢)</sup> » .

١٠ فإذا كان الله قد أخبر بما ترى عن المصومين فلم يتبع قومٌ على عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان خطاياهم وهفواتهم ، وللمُرية والمُنايئة أن يمودوا عليهم بمثل ذلك وأكثر منه ١٩

وَمَنْ أَجْهَلُ مِنْ رَجُلٍ زَعَمَ أَنْ عَلِيًّا لَمْ يُخْطِ قَطُّ وَلَمْ يَمِصْ قَطُّ ، وَلَمْ يَضِغْ شَيْئًا قَطُّ ، وَقَدْ مِصَّ اللَّهُ يَحْكِي أُمُورَ أَنْبِيَائِهِ ، وَيَذْكُرُ أَحْوَالَ رُسُلِهِ ١٩ وَلَسْنَا نَحْتَاجُ فِي هَذَا الْبَابِ إِلَى أَكْثَرٍ مِنْ هَذَا . ١٥

وكيف يقولون : على قوة الناس كلهم في صواب الرأي ، والفقه في الدين ، ولا يكون كالرجل من عظماء السلف لضرب يخصه فيهما ، ونحن إذا سألنا الفقهاء وأصحاب الآثار والعلماء ، عن أصحاب القرآن الذين كانوا مخصوصين بحفظه على عهد رسول الله صلى الله عليه ، قالوا : زيد بن ثابت

(١) الآية ٦٨ من سورة الأهل .

(٢) من الآية ٥٥ في سورة طاهر .

وأبو زيد<sup>(١)</sup> ، وفلان وفلان . ولم يذكره في باب المخصوصين بحفظ القرآن  
أيام حياة رسول الله صلى الله عليه .

فإن سألناهم عن أصحاب الحروف والقراءات والوجوه ، الذين يقرأهم  
يقرأ الناس ، ويقتدر اختلافهم يختلف الناس ، قالوا : زيد بن ثابت ، وأبي  
بن كعب ، وعبد الله بن مسعود . ولم يذكر منهم . لأننا شاهدنا الناس  
يقولون : هذا في قراءة عبد الله بن مسعود<sup>(٢)</sup> ، وهكذا هو في مصحف  
عبد الله . وهذا في قراءة أبي ، وهكذا هو في مصحف أبي . وهذا في قراءة  
زيد ، وهكذا هو في مصحف زيد . ولم نرهم يقولون : هذا في قراءة علي ،  
وهكذا هو في مصحف علي .

وإن سألناهم عن أصحاب التأويل والتفسير قالوا : عبد الله بن عباس ،  
والحسن ، وفلان وفلان . ولم يذكره في هذا الباب .  
وإن سألناهم عن أصحاب الرواية ، والشهورين بكثرة الإسناد عن رسول الله  
صلى الله عليه قالوا : ابن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر بن عبد الله ، وعائشة ،  
وأبو هريرة . ولم يذكر منهم في هذا الباب .

وإن كان الدليل على فقه المتبوع فقه أتباعه فمبدؤ الله بن مسعود وعائشة  
أفقه منه ، لأن أصحاب عبد الله وعائشة أفقه من أصحابه ، فكيف صار أفقه  
خلق الله كلمهم والقصة على ما أنبأناكم ووصفنا لكم .  
على أنه كان فقيها عالماً ، قد أخذ من كل باب بنصيب ، ولا نقول

٢٠ (١) في الإصابة ٤٠٨ من باب الكني : « أبو زيد الذي جمع القرآن ، وقع في حديث  
أنس في صحيح البخاري غير مسمى . وقال أنس : هو أحد عمومي . واختلفوا في اسمه ، فبيل :  
أوس ، وبيل : ثابت بن زيد ، وبيل : معاذ ، وبيل : سعد بن عبيد ، وبيل : ليس بن السكن  
وهذا هو الراجح » . وانظر الإصابة ٧١٧٥ .  
(٢) في الأصل : « هذا في قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود » .

فيه - إذ كنا عنابة ومحرية - قولكم في عمر وعثمان . أو ما تعلم أن الخبر مستفيض بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أفروكم أبي » ١٢ فترى أبياً ١٣ كان أقرأ منه . وقال : « أفرضكم زيد » فترى زيدا كان أفرض منه . وقال : « وأعلمكم بالحلal والحرام مُعَاذَ » فترى مُعَاذاً كان عند النبي صلى الله عليه وسلم أعلم منه . وقال : « وأفضأكم علي » فينبني أن يكون علي أقضى منهم . وأنتم لا ترضون أن يكون زيد أفرض منه ، ولا أبي أقرأ منه ، مع أن « أفضأكم علي » ليس هو في حديث البصريين ، فإن كان كما رواه البصريون فهو لاء النفر أعلم منه . وإن كان كما رواه غيرهم فكل واحد أقمه من الآخرين فيما ذكرته . فهذا هذا .

١٠ فإن صرت إلى أن تسأل الناس عن الاختيار ، وجودة الرأي ، والقوة في السلطان ، والضبط للعدو والموام قالوا : أبو بكر وعمر .

وإن سألت عن الفتوح قالوا : أبو بكر وعمر وعثمان ، لأن أبا بكر رد الإسلام في نصابه برد أهل الردة ، وهو الفتوح الأكبر ، وقتل مسلمة ، وأسر طليحة ، وغزا ١٤ العدو وفتح الحوزة .

١٥ ولأن عمر دون الدواوين ، وفرض الأضحية وجند الأجناد ، ومصر الأمصار ، وجبى الفى ١٥ ، وبلغت خيله إفريقية ، وأوطأ خيله خراسان وأقصى كرمان ، وأزال مثلث بني ساسان .

ولأن عثمان هو الذى افتتح الثغور كلها : افتتح إرمينية ، افتتحها حبيب بن مسلمة الفهري وافتتح أذربيجان ، افتتحها المنيرة بن شعبة ، وقد

٢٠ (١) في الأصل : « أبي » .

(٢) في الأصل : « وهذا » .

(٣) في الأصل : « وجبا الفى » . والذى : المنية والمراجع .

كان الأشعث معه فيها . وافتتح إفريقية ، اختصها له عبد الله بن سعد بن  
أبي سرح . وافتتح سجستان ، اختصها له عبد الله بن سيمرة .  
فهنا باب الخصوصين بالفتوح .

وإن سألت عن الدهاة وأصحاب الإرب<sup>(١)</sup> والمكايد قالوا : عمرو  
ابن العاص ، والمنيرة بن شعبة ، ومعاوية بن أبي سفيان . ولم نذكر فيهم زياداً  
لأن زياداً لا شعبة له . فهنا باب الدهاة .

وروى الناس عن قبيصة بن جابر الأسدي<sup>(٢)</sup> وكان علامة داهية  
حكماً ، أنه قال : « ما رأيت رجلاً قط أخوف لله من أبي بكر ، ولا أقوى  
في دين الله من عمر ، ولا أسدق حياء من عثمان ، ولا أوصل لرحم  
ولا أعطي من تلاد مال من طلحة ، ولا أكثر تخارج في الأمور من معاوية  
ولا أخضر جواباً ، ولا أكثر صواباً من عمرو » . ولم نره ذكره .

ثم الذي كان من أسماء بنت مُميس ، ومن قولها - وعلى بن أبي طالب  
شاهد ، أنا تفاخر عندها بنوها من جعفر وأبي بكر وعلى ، قال لها على :  
اقضي بينهم - قالت : ما رأيت شاباً أظهر من جعفر ، ولا رأيت شيخاً  
أفضل من أبي بكر ، وإن ثلاثة أنت أحسبهم لفضلاء .

فهذه فغنيتهما<sup>(٣)</sup> ؟ ولم يرو عن علي في ذلك إنكار .

فإن قلتم : إن قولها ليس بحجة . قلنا : قد صدقتم لو كان ليس بحجة  
إلا قولها فقط ، ولكن الأمور إذا جاءت من هاهنا وهاهنا كان اجتماعها  
دليلاً على أنه لم يكن عندها مع فضلها وسلاحه وسابقتها وقربته ذا رأى .

(١) الإرب ، بالكسر : الغناء والفكر .

(٢) مما يذكر أنه كان أخاً معاوية من الرضاع . تهذيب التهذيب .

(٣) القضية : الحكم والقضاء .

ولقد بَلَغَهُ ذلك عن قُرَيْشٍ حَتَّى قامَ خَطِيئاً مُعْتَدِياً فَقَالَ في خُطْبَتِهِ :  
« حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ : ابنُ أَبِي طالبٍ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ ،  
لَهُ أَبُوهُم ! وَهَلْ مِنْهُمْ <sup>(١)</sup> أَحَدٌ أَشَدُّ مَرَاماً لَهَا وَلَا أَطْوَلُ تَجَرِبَةً مَعِي . قَدْ نَهَضْتُ  
فِيهَا وَمَا بَلَنْتُ الْمِشْرِينَ ، فَمَا أَنَا إِلَّا الآنَ <sup>(٢)</sup> قَدْ ذَرَفَتْ عَلى السَّيِّئِينَ ، وَلَكِنَّهُ  
لَا رَأْيَ لِي لَا يُطَاعَ » .

وقال الأحنف بن قيس لما قدم عبيد الله <sup>(٣)</sup> بن عليّ بن أبي طالب — وهو  
قتيل <sup>(٤)</sup> المختار بن أبي عبيدٍ في أيام فتنة ابن عُمرَةَ العبدي <sup>(٥)</sup> : ما هذا  
الذي أنتم فيه ؟ قالوا : قدِمَ عبيد الله بن عليّ يدعو النَّاسَ . قال : إن كان  
لأبَدُ جُنُبُوهَا حَسَنًا وَأَبَا حَسَنٍ ، فَإِنَّا لَمْ نَجِدْ عِنْدَهُمْ علماً بِالْحَرْبِ ، وَلَا إِنَالَةً لِلْمَالِ .  
١٠ وقيل لأبي بَرَزَةَ الأَسْلَمِيّ <sup>(٦)</sup> : لِمَ آتَرْتَ صاحبَ الشامِ على صاحبِ المِراقِ ؟  
قال : وجدته أطْوَى لِسِرِّهِ ، وَأَمْلَكَ لِمَنَانِ جَيْشِهِ <sup>(٧)</sup> ، وَأَنْظَرَ لِمَا في نَفْسِهِ .  
وفي قول العباس بن عبد المطلب ، وهو حليمٌ قُرَيْشِيٌّ — وإذا كان حليمٌ

(١) في الأصل : « وم امنهم » ، صوابه من البيان ٢ : « حيث تجد مراجع المطبعة .  
١٥ (٢) في البيان وابن أبي الحديد ١ : ١٤٦ : « فهأنذا » .  
(٣) في الأصل : « عبد الله » ، تحريف ، انظر الطبري ٦ : ٨٩ / ١٠٣ : ومقابل  
الطالبين ٨٧ . وفي الطبري : « إنما لله من يزعم أنه لأبيه شبيهة » . أما إنهم قتلوه  
وم يردونه » .

(٤) في الأصل : « قتل » .

(٥) هو الثاني بن عُمرَةَ . الطبري ٧ : ٩٣ والقاموس ( خرب ) .

(٦) في الأصل : « أبو بردة » ، تحريف . وهو نضلة بن عبيد أبو بَرَزَةَ الأَسْلَمِيّ ؟  
صاحب رسول الله . الإصابة وتهذيب التهذيب ١٠ : ٤٤٦ والمعارف ١٤٦ . وفي تاريخ  
الإسلام للذهبي ٢ : ٣٢٨ : « وكان مع معاوية بالعام ، وقيل : شهد صلين مع عليّ رضي الله  
ويبدو أنه كان مرة مع عليّ ، ومرة مع معاوية . انظر أيضاً وقعة صفين ٢٤٦ .  
(٧) وردت الكلمة مبهمة في الأصل هكذا : « حبه » .



قريش فهو حلم العرب ، والحلم اسمٌ جامعٌ للعلم والحزم — وذلك أنه لما قبض عمر وصلى صهيّبٌ بالناس دما المباسُ عليّاً فقال : هل أحدتم شيئا ؟ فقال : فاحفظ عني ، فإنّ لم أقدّمك في شيء إلا رأيتك مستأخراً . من ذلك أتى قلتُ لك ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثقيل<sup>(١)</sup> : اذْخُلْ عليه فسَلِّه ، فإن يكن هذا الأمر فينا أعلّمه الناس ، وإن يكن في غيرنا أوصى بنا ٥ فتركتُ ذلك وقد مُنيت<sup>(٢)</sup> بدهاة قريش ، وقد حِيلَ دوني ، فلا يُرَضَّنْ عليك شيء إلا قلت : لا لا ، ولا يا أتبى ، تمصر عَيْنَيْكَ ونَحْثُ قَفَاكَ ، بمد فَوَتْ الأمر .

ففيما ذكرنا دليلُ أنه كان لا يساوى أباً بكر ولا يجاريه ، ولا يدانيه ولا يقاربه ، وأنه في طبقة أمثاله طلحة والزبير ، وعبد الرحمن وسعد . ١٠ فإن قالوا : فإنّ عليّاً كان أزهد فيما تناحر الناس عليه ، ولأنّ أزهد الناس في الدنيا أرغبهم في الآخرة ، ولأنّ أرغبهم في الآخرة أعلّمهم بأحوال الآخرة .

قلنا : قد صدقتم في صفة الزهد ، ولكنّ أباً بكر كان أزهد منه . وسندُكم على ذلك . ١٥

فإن ذلك أن أباً بكر كان ذا مال كثير ، ووجه عريض ، وتجارت واسمة ، فأنفق ذلك في سبيل الخير وعلى أهله ، إشاراً لله ورسوله ، وطلب ما عنده ، حتّى لقي<sup>(٣)</sup> [ الله ] ، وما كانت تركته يوم مات غير بعير ناضح ، وعبدٍ متيقّل<sup>(٤)</sup> ، مع الخلقة وكثرة الفتوح والفتوح والغزوات والصدقة . ٢٠

(١) أي أثقله المرض وأشرف على الوفاة .

(٢) في الأصل : « عيب » بالإهمال .

(٣) في الأصل : « بقى » بإهمال الحرف الأول .

(٤) المتيقّل : شحاذ السيوف وجلاؤهما .

وكان على بن أبي طالب مُتَعَلِّقًا<sup>(١)</sup> يُمال ولا يمول ، فاستفاد  
 الرابع<sup>(٢)</sup> والمزارع ، والسيون والتخيل ، ومات ذا مالٍ وأوقف ،  
 وما يحسب ماله ووقفه يَنْبَغ<sup>(٣)</sup> إلّا مثل كلِّ شيء ملكه أبو بكر منذ كان  
 في الدنيا إلى أن فارها . وتزوج فأكثر ، وطلق فأكثر ، حتى طاب  
 • بذلك معاوية ، وجهه طريقاً إلى تنفّسه ، وسبيلاً إلى الطّمن عليه ، فقال  
 وهو يكتئب من ذكره ويريد : لِيَكُونَ أَسَدٌ لِسَهْمِهِ ، وأوقع في<sup>(٤)</sup> قلب  
 من سمعه : « إني والله ما أنا بشكّاح ولا طلقّة » .  
 والآثار أن علياً رحمه الله عليه ، استشهد وعنده تسع عشرة سُرِّيَّةً  
 مطهّمة<sup>(٥)</sup> وأربع نسوة عقائل .

١٠ ولا سوا من كان ذا مال فأنفقّه ، ومن كان مُتَعَلِّقًا فَكَسَبَهُ .  
 ولم يتزوج أبو بكر في خلافة امرأة ولا اتّخذ سُرِّيَّةً ، ولا نفقه  
 بشيء ، ولا آثر لشيء<sup>(٦)</sup> إن كان له طلقاً مباحاً .

ثم الذي كان من أبي بكر في عماله<sup>(٧)</sup> : أنّه كلّف بني تيم ومن  
 عنده أياديهِ ومِنْهُ أَنْ يَرُدُّوا مَا أَخَذَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فِيهِ ، لكي يجمل  
 ١٥ عمّالته لله . وعلى ذلك احتذى عمر . وقد كان عليّ يأخذ عمّالته ، ولم  
 يُخبرنا أصحابُ الآثار أنّه ردّها في بيت المال ، ولا كلّف ذلك بني هاشم

(١) أخفق الرجل : قل ماله .

(٢) الرباع : للتأزل ، جمع ربح .

(٣) حيلة في الأصل « نبع » . والظر معجم البلدان .

(٤) في الأصل : « فأوقع من » . ٢٠

(٥) السرية : الجارية المتسرة . للطهمة : الحسناء الجميلة .

(٦) في الأصل : « اربعه » بالإعمال .

(٧) العمالة ، بتثنية الصن : أجر المامل .

في وصية . وهذا مالا يختلف فيه رجالان من أصحاب الآثار ،  
ومحال الأخبار .

وقد كان أَخَذَ لِقُوجًا وَحَبَشِيَّةً لِرِضَاعِ بَعْضِ وَلَدِهِ فَرَدَّ ذَلِكَ (١)  
في بيت المال .

ولما بايع الناس أبا بكر غدا على سَوْقِهِ كما كان يفعل ، فقالوا :  
فلا بدَّ أن نجعلَ خليفة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يُقِيمُهُ . قالوا :  
مُرْدِيهِ إِذَا أَخْلَقَهُمَا وَضَمَّهُمَا وَأَخَذَ مَكَانَهُمَا ، وظهروا إذا سافر ، ونفقتهم  
على أهلهم كما كان يُنفق قبلَ خلافته . قال : رضيت . فجمع ذلك كله  
وحفظه ، ثمَّ أَمَرَ بِي تَبِيرَ فَرْدُوهُ فِي بَيْتِ الْمَالِ . فخرج من الدنيا  
خفيفَ الظاهر ، خفيفَ البطن . فلما فعل ذلك قال عمر : رَحِمَ اللهُ  
أبا بكر ، لقد شَقَّ على مَنْ بَعْدَهُ

فإن قالوا : أوليس قد كان على\* يَنْضَعُ بَيْتَ الْمَالِ فِي كُلِّ مُجْمَعٍ  
ويصلى فيه ركعتين ؟

قلنا : إِنَّا لَمْ نَكُنْ فِي ذِكْرِ الْأَمَانَةِ وَالْخِيَانَةِ ؛ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعَلِيًّا  
يَرْتَفَعَانِ عَنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ الْمَدِيحِ ، وَعَنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ الثَّنَاءِ ،  
وإِنَّمَا كُنَّا فِي ذِكْرِ الرَّهْدِ فِي الْبَابِ ، وَفِي الْإِثَارِ وَالرَّفْضِ لِلْفُضُولِ ،  
لِأَنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ يُعْطَى مَالَهُ وَعَلَيْهِ ، وَبَيْنَ مَنْ يُعْطَى مَالُهُ وَلَا يُعْطَى  
مَالَهُ فَرْقٌ .

ومما يدلُّ على فضله أَنَّ اللهَ أَرْزَلَ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَمْ يُنْزَلْهُ فِي أَحَدٍ

من المهاجرين والأنصار . كلُّ ذلك يخبر عن فضله ، ويدل فيه على مكانته منه ، ويُثبتي عليه وزكَّيته ويعظمه . وليس من أفرد الله فيه الآتي ، وأفردَه بالذكِّر كمن ذكره في جملة المؤمنين ، ومُجمَّور الأنصار والمهاجرين .

- ٥ ولا سبيل إلى المعرفة بأنَّ الله عَنَى بآيَةِ كذا وآية كذا فلاناً دون غيره إلا بضرَّيين : إما أن يكون اسمه وخاصَّةُ نسبه ونمته<sup>(١)</sup> مسطوراً في الآية ، كما ذكر فرعونَ وأبا لهب ، وفلاناً وفلاناً ، وكما ذكر آدمَ ونوحاً وإبراهيمَ وموسى وعيسى ومحمداً صلى الله عليه وعليهم . أو يكون المراد بالآية وإن لم يذكر اسمه ، كما ذُكر لقمان ، وزيد<sup>(٢)</sup> .
- ١٠ [ وزيدٌ ] مشهور النسب معروف القِصة أنه المراد بالآية ، وبشبهة القِصة والنسبة حتَّى لا يكون بين أهل ذلك الدهر في ذلك تنازع ، ولا بين أصحاب التأويل والأخبار في دهرنا هذا ؛ فيكون كأنه مُسمَّى وإن لم يُسمَّ . وقد كانت تحدث بين الناس أمورٌ فيَنزل القرآنُ عِقَبَ ذلك ، فيعلم المهاجرون والأنصار من الرادِّ بهذا التنزيل . كالذي كان من شأن عائشة وما قُرِفَتْ به ، حتَّى أنزل الله لذلك السبب آياتاً كثيراً ، وإن لم يكن الله سمَّى عائشة ولا من قرَفها . كالذي نَزَلَ من القرآن في قصَّة النار وهجرة النبي صلى الله عليه وأبي بكر ، وهربهما من قُرَيْش ، ونُصرة الله لهما .

فكان ممَّا أنزل الله في أبي بكر من تفضيله وتزكَّيته وإن لم يُسمَّ قوله لجميع المؤمنين : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ

(١) في الأصل : « لَمَّ » .

(٢) أي ولو لم يذكر اسمها في القرآن لكان معروفاً أيضاً أنها المرادان .

كفروا ثانی اثنين إذ هما فی النار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته علیه وأیّده بجمود لم ترزها وجعل كلمة الذین كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا ، والله عزیز حکیم <sup>(١)</sup> .

فلا يخلو قوله : « إلاً تنصّروه » من أحد وجوه : إمّا أن يكون

- خاطب به الشرکین طائفة ، أو خصّ به المخاذلین المادین والباغین ، أو يكون خاطب به المؤمنین .

ولا يجوز أن يكون عني به الشرکین ، لأنه لا يجوز فی الحکمة

وفي المروف من البیان أن يقول الرجل الحکیم للبین ، للعدوّ الکاشف بمداوته ، الظهر لضفده ، البازل لرأيه وماله ، الماند فی فعله : إلاً تنصّرى

- فقد نصّرى فلان ! لأنّ النصر لا يلتصق من العدوّ الکاشف ، وإنما يلتصق من الولی أو من الخالذ .

وكيف يقول هذا وإنما غايته الاتصاف منه بغيره .

وفي قول الله عز وجل : « إذ أخرجه الذین كفروا » دليل أن

المخاطب بالکلام غیر الذین كفروا به وجتهدوه وأخرجوه . ولا يجوز

- أن يكون عني المخاذلین له من قریش ومشرکي مكة إلاً والمخاذلون

قد كانوا هناك معروفین ، بائنین من المادین التوثیین الثیادین بالمداوة ،

المظهرین للمحاربة . ولا نعلمهم كانوا یظنّون مكة صنفین متباذین ،

[و] فريقین متباذین ، حتّى يكون کلّ حزب مشهوراً بالذى هو علیه

من الخذلان والمداوة . وليس بطون من بطون قریش إلا وقد لقي النبی

- صلى الله علیه وسلم منه أعظم المکروه وإن كانوا فی ذلك على طبقات :

من مجتهد لا یقیى ، ولا یفتّر ولا یسأم ، ومن رجیل مائل معهم بضلّته <sup>(٢)</sup>

(١) الآية ٤٠ من سورة التوبة .

(٢) الضلع ، بالفتح : اللیل .

مُبِيدٌ مَعَهُمْ لَصْرَةٌ<sup>(١)</sup> وَإِنْ كَانَ لَا يَلْفُحُ غُلُوًّا الْآخَرَ وَتَصْمِيمُهُ وَقَلَّةُ إِغْفَالِهِ .

وَلَقَدْ كَانَتْ مُخْزَاهُهُ وَقَفِيفٌ عَلَى بَمْدِ أَنْسَابِهَا وَأَرْحَامِهَا أَحْسَنَ تَقْيَّةً

مِنْ قَرِيْبٍ فِي إِظْهَارِ الْمَدَاوَةِ ، وَالْإِرْسَادِ بِالْمَكْرُوهِ ، وَالثَّبَاتِ عَلَى الْبَنَى ،

كَالَّذِي بَلَغَتْكَ عَنْ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ وَهُرَّةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَبُدَيْلَ بْنِ

وَرْقَاءَ ، مِنْ رُكُونِهِمْ إِلَى الصَّلْحِ وَجِبَّتِهِمْ لِلْسَّلَامَةِ ، مَعَ قَلَّةِ التَّسَرُّعِ

وَالْتَوَثُّبِ . عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ أَجْلَبُوا وَطَمَعُوا ، وَكَفَرُوا وَكَذَّبُوا ، بَعْدَ

الْإِنصَاحِ لَهُمْ بِالْحُجَّةِ ، وَالْإِيَابَةِ لَهُمْ عَنِ الْمُهْجَةِ .

وَلَقَدْ كَانَ أَبُو لَهَبٍ عَلَى قَرْبِهِ وَقَرَابَتِهِ ، شَبِيْهًا بِأَبِي جَهْلٍ فِي التَّيْلُفَةِ

وَالْقَسْوَةِ وَالْجَفَاءِ ، وَكَثْرَةِ التَّدْرِي<sup>(٢)</sup> ، وَقَلَّةِ السَّامَةِ .

١٠ وَلَمْ يَكُنْ أَبُو طَالِبٍ يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ حَيًّا مُقِيمًا فَيَكُونُ اللَّهُ جَلَّ

ذِكْرُهُ هُنَاكَ فَيَمْنُ أَطَاعَهُ مِنْ رَهْطِهِ بِهَذَا الْكَلَامِ . عَلَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ حَيًّا

لَقَدْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحَدٌ أَحْسَنَ ذُبًّا ، وَلَا أَشَدَّ نَصْرًا ،

وَلَا أَظْهَرَ مَعُونَةً ، وَلَا أَشَدَّ حِمَايَةً مِنْهُ .

وَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ يُعْرِفُ قَوْمًا مَوْضِعَ الْخَلْفَةِ فِي النَّصْرَةِ ، وَالتَّقْصِيرِ فِي الْمَدَافِعَةِ ،

١٥ إِلَّا وَأَدْنَى مَنَازِلِهِمْ أَنْ يَكُونُوا مُقْرِنِينَ<sup>(٣)</sup> لِمَنْ نَاوَأَهُمْ ، مُضْطَلَمِينَ بِدَفْعٍ مِنْ

شَتَائِمِهِمْ<sup>(٤)</sup> .

وَلَا نَعْلَمُ يَوْمَ كَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، وَبِمَكَّةَ رَجُلٌ

(١) فِي الْأَصْلِ : « لَصْرَةٌ » .

(٢) التَّدْرِي : الْخُتْلُ .

(٣) الْقَرْنُ : الْطَبِيقُ . وَقِيَ الْكِتَابُ : « وَمَا كُنَّا لَهُ مَقْرِبِينَ » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « مَصْلِحٌ » . يُقَالُ هُوَ مُضْطَلَعٌ بِالْفَيْ ، أَيْ قَوِيٌّ عَلَيْهِ « أَدْر » .

- من بني هاشم مطاع متبوع غير العباس بن عبد المطلب . ولا يجوز أن يقول الله للعباس ومن كان في ذراه ممن يسمع له ويفعل لأمره : « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ » ، وقد علم أن العباس وأشباهه من مشيخة بني عبد مناف لا أعوان لهم يومئذ من بني عبد مناف ، لأن بني عبد مناف دنيا<sup>(١)</sup> على قريتهم وقرايتهم ، كانوا أشد الخلق على رسول الله ، كأبي سفيان بن حرب ، وعقبة بن أبي معيط ، والحكم بن أبي العاص ، وأبي أحيحة ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وفلان وفلان . ولم تكن أمية انمازت في ذلك الدهر من هاشم ، وكان يقال للحيين : عبد مناف . [ و ] كان من أمر هاشم الذي يهلك .
- ١٠

- فقد دل الكلام على أن الله إنما عني بالآية المؤمنين دون الكافرين ؛ إذ كانت مخاطبة المادي والمخاضل على ما وصفنا . وليس أنه أراد تأنيب المؤمنين وتفرغ المهاجرين ، ولكنه أخبر عن تعصيرهم عن فضيلة أبي بكر إذ ظعنوا وأقام . وليس التقص في الفضل كالتقص في الفرض . فكانه تعالى وعز قال : لو كنتم صبرتم مع نبيكم ، ما أقام ، إلى وقت الإذن<sup>(٢)</sup> كصبر أبي بكر معه ، ولم يخرجوا هاردين جازعين ، ولدار نبيكم مهاجرين ، كان أشد لعبركم ، وأكمل لرغبتكم ، وأتم لتقيتكم . وليس أنكم عصيتهم في خروجكم ، ولكن بمض العبر والاحتمال أفضل من بمض ، وكذلك الطاعة تطوعها وفرضها . كما قد علم أن بلالا وخبابا وعماراً حين فضهم<sup>(٣)</sup> الشركون عن دينهم جزع عمار وأعظام الرضا ، مع انطواء قلبه
- ٢٠

(١) يقال هو ابن عمه دنيا ، أي لما . (٢) أي الإذن بالخروج والهجرة .

(٣) كفنا في الأصل مع عدة فوق الضاد . و ه فضهم أولي بهذا المقام .

على الإخلاص ، وتلج صدره بالإيمان ، ولكن عزمه كان منقوساً من التمام ، من غير أن يكون ذلك عصياناً ولا خلافاً . وبذلك على ذلك قول الله : « إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ » . ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مَا دُؤُوا قَدْ » ، يريد به التوسعة والخصة والإطلاق ، وليس على الأمر والترغيب . ٥

وكما بلغت عن الرجلين الواردين على مسيلة ، حين قال لأحدهما : أتعلم أني رسول الله ؟ قال : نعم . قال : أتعلم أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فأمر به فقتل . وقال للآخر : أتعلم أني رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فاعلم أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . فأمر بتخلية سبيله . فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال : أما الأول فخصي على عزمه وبقينه فهنيئاً له ، وأما الثاني فأخذ برخصة الله فلا تبعة عليه . ١٥

ففي هذا المثال كان قصير القوم ، لا على وجه الخلاف والمصيبة . وذلك أن أبا بكر أقام بمكة ما أقام النبي صلى الله عليه وسلم ، وهاجر الناس الأول فالأول ، فبعض أنى المدينة ، وبعض أنى الحبشة ، حين اشتد عليهم البلاء وطال الدلّ وقلّ الناصر ، وقويت الضغائن ، فكان نفر بعد نفر ، والرجل بعد الرجل ، يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيأذن له . وأقام أبو بكر وحيداً لا أنيس له ، وذليلاً لا ناصر له ، وخائفاً لا أمان معه ، في كل يوم يزدادون عليه قوة ويزداد عنهم ضعفاً فإذا بلغ<sup>(١)</sup> وبلغ المجهود ، ولم يبق في قواه فضل يستعين به على العبور ، استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في المضى إلى إخوانه والأحقاق بهم ، ٢٥

(١) الكلمة مهلة في الأصل . وبلغ بليغاً : أحياناً .



فيقول له : « لعلَّ الله أن يجعل لك صاحباً » فيزداد بها أبو بكر قوة ، وتحدث لها بهمة . وهذه كلمة ما قالها النبي صلى الله عليه وسلم لستأذن قبله ، فيعلم أبو بكر عند ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما عناء ؛ فيشجع من نفسه ، ويشدُّ من مُنتَه ، طمعه في شرف الصحبة ، وإكرامه إِيَّاه بفضيلة المرافقة .

وقد استأذن النبي صلى الله عليه وسلم الناس [ قبله <sup>(١)</sup> ] بسنين ، فكان أولهم أبو سُلَمة بن عبد الأسد <sup>(٢)</sup> ، وآخرهم عمر بن الخطاب ، لقرب حال عمر في الفضل والصبر من حال أبي بكر . فكانه خاطب المهاجرين ، على التعريف لهم بفضيلة <sup>(٣)</sup> صبر أبي بكر على صبرهم ، مشحذة لهم على إعطاء الجهد ، وترغيباً لهم في غاية الصبر في مستقبل الأمور وحوادث الامتحان . فكانه <sup>١٥</sup> قال : إذالم تستمروا الصبر ، ولم تبلنوا غاية الجهد ، ولم تصبروا ما أقام ، فقد نصرتُه أنا إذ أخرجتُه ثانی الثنين .

والدليل على ما قلنا قولُ عمر لقريش حين بادأهم المداوة ، ونصَّب لهم الحرب ، وأحسن من نفسه بالجلد وشدة الشكيمة ، وقوة الزئمة : « أَمَا والله أن لو قد صرنا مائةً لتركتموها لنا إن تركناها لكم » <sup>١٥</sup> يعني مكة .

فلو كان جميعُ من هاجر إلى الحبشة وأقى المدينة على مثل هذا المزْم

(١) تسكئة يظن إليها السلام .

(٢) اسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الخزومي ، أسلم بعد

عمرة أُنس ؛ وكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع . الإصاية ٤٧٧٤ . <sup>٢٠</sup>

(٣) في الأصل : « فضيلة » .

والاحتمال والدفع ، وهم جميع ، لكانَ ذُلُّ من أقامَ ووحشته أقلُّ ،  
ونفوسهم أطيب .

والدليل على فضيلة مقام أبي بكر على ظنهم أنهم حيثُ هاجروا  
ونزلوا بالنجاشي والأنصار فنزلوا بأكرم منزلٍ به ، فكانوا في ذرأه  
آمنين ، راضين وادعين ، إلا ما كان من قصّة جعفر ، وسماية عمرو ،  
واحاش النجاشي وتبجيجه<sup>(١)</sup> . فما كان ذاك إلا صدّرَ نهار حتى جعلَ  
اللهُ العاقبة للمتقين . وأبو بكر والنبي من الوحدة والقلة ، والجفوة والوحشة ،  
وخيفة ذات اليد ، والسبِّ والإهانة ، والخوف بالقدر الذي لا يأتي عليه قولٌ  
وإن كثر ، ولا يملغه وهم وإن اتسع .

وهكذا روينا عن الضحّاك وقتادة وأبي بكر المَدَنِيّ في تأويل هذه  
الآية : أن الله عاتبَ جميع المؤمنين بها غير أبي بكر . ولولم يكنْ رواية<sup>(٢)</sup>  
ولم يفسّر ذلك صاحبُ تأويل ، لم يميزْ أن يكون تأويله غير الذي قلنا ؛  
لذي شَرَحنا وفصّلنا .

ولو كانت هذه المخاطبة وقعتْ على الخاذلين والمادين ، أو على الخاذلين  
دون المادين والمؤمنين ، لقد كان لأبي بكر في الآية ما ليس لأحد ، فكيف بها

(١) أما جعفر بن أبي طالب ، فكان سبياً في إسلام النجاشي حين أبان له حقيقة الدين  
وشرح له ما يدعو إليه . وأما عمرو بن الماس — وهو أحد رجلين كانت قرينش أوسلتها  
إلى النجاشي ليرد عليهم المؤمنين المهاجرين ليفتنوهم كما فتنوهم من قبل . والآخر هو عبد الله  
ابن أبي ربيعة — فإنه سعى سعيّاً حثيثاً لدى النجاشي في ذلك ، وحاول أن يفسد نهماهما في دعوة  
النجاشي إلى الدين ، وكان مما قاله في تبجيح النجاشي : « أيها الملك أتهم يقولون في عيسى بن  
مريم قولاً عظيماً » . ولكنه أخفق في ذلك وتم إسلام النجاشي . السيرة ٢١٥ — ٢٢٥ .  
(٢) في الأصل : « ولم كان يكن » مع خط على « كان » .

إن كانت في المهاجرين ؛ لأنَّ في قوله « ثانی اثنين » معنی عظیا ، وفي قوله :  
« فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ » معنی عظیم .

فإن قالوا : كلُّ ما عظمتم فمظيم ، ولكنَّ بعضه لا يجوز إلا للنبيِّ  
صلى الله عليه دون أبي بكر ، وهو قوله : « فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » .

قيل لهم : استكرهتم التأويل ، وصرفتم الكلام عن سُنَّته ،  
وغير تأويلكم أشبهُ بكلام العرب ، وأظهر في بيان الخطباء ، ومراجعة  
الحكام . وذلك أن النبيَّ صلى الله عليه كان هو الرابطة الجأش ، الثابت  
الجنان ، الساكن النفس ، وهو المرئى لأبي بكر ، والمسهلُّ عليه شدة حُزنه ،  
والطبيبُ لنفسه ، والمسكنُ لحركة قلبه ، للذي<sup>(١)</sup> رأى وطأ من أكثراته  
ومن اضطرابه ، وقلة سكينته . وهذه الحالُ التي فيها قلبُ النبيِّ صلى الله عليه  
وخليفته ، وأبو بكر على ما وصَّفنا وفرقنا ، هي الفاصلة بين النبيِّ صلى الله  
عليه وبين خليفته ، إذ كان الخليفة قد شارك النبيَّ صلى الله عليه في حضوره  
واحتجاله ، وبأن منه النبيَّ صلى الله عليه بشدة عزمه وسعة صدره ، وسكون  
قلبه ، كالفصل الذي بين الخليفة ووليَّ عهده .

وكذلك<sup>(٢)</sup> تجعلُ همرُ الهجرة قبل أبي بكر ، فكان بذلك أقصَّ  
فضلا منه . وتأخرُ بمد المهاجرين ، فكان بذلك أتمَّ فضلا منهم .

” وفي قول الله : « إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ  
اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » دليلٌ على أنَّ السَّكِينَةَ نَزَلَتْ على صاحبه ، وأنَّ  
الماء الذي في « عليه » مضمرٌ فيها صاحبه . ولا يشبه أن تكون

السَّكِينَةُ نَزَلَتْ عَلَى مَنْ لَمْ يَحْزَلْ مِنَ السَّكِينَةِ وَقِلَّةِ الاضطراب ، وعلى السَّهْلِ عَلَى صَاحِبِهِ وَالطَّيِّبِ لِنَفْسِهِ<sup>(١)</sup> وَالْبَشِيرُ لَهُ بِالنَّصْرِ ، حِينَ يَقُولُ : « لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » . وهو كما أَخْبَرَ أَبُو مَآوِيَةَ الضَّرِيرُ ، عَنْ عَبْدِ الْمَزِيدِ بْنِ سَيَّاهُ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ : فِي قَوْلِ اللَّهِ : « فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » قَالَ : عَلَى أَبِي بَكْرٍ ؟ فَأَمَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ كَانَتْ السَّكِينَةُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ<sup>(٢)</sup> .

فَإِنْ قَالُوا : فَكَيْفَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَلَى نَسَقِ الْكَلَامِ : « وَأَيَّدُهُ بِمُجْنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا » ، وَالْمُؤَيَّدُ بِالْجُنُودِ فِي هَذَا الْوَضْعِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الْجُنُودَ الَّذِينَ هَمَّى اللَّهُ مَلَائِكَتَهُ .

١٠ قَبْلَ لَمْ : وَمَا تَفَكَّرُونَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَيْدًى رَجُلًا بِاللَّائِكَةِ ، بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَبِشَارَتِهِ وَيَحَقُّ مَحَبَّتِهِ ، كَمَا أَيْدًى اللَّهُ جَمِيعَ أَهْلِ بَيْتِهِ بِاللَّائِكَةِ ، وَكَأَيُّهُمْ أَنْ اللَّائِكَةَ نَزَلَتْ فِي زَيْدٍ الْزُّبَيْرِ ، وَلَيْسَ أَنَّ اللَّهَ حِينَ أَيْدًى أَبَا بَكْرٍ بِاللَّائِكَةِ أَنَّهُ أَرَاهُ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ، وَلَكِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَلِلطَّيِّبِ لِنَفْسِهِ » . انظر ما مضى فِي الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ س ٩ .  
 ١٥ (٢) الْكَلَامُ مِنْ « وَفِي قَوْلِ اللَّهِ » س ١٠٧ س ١٧ إِلَى هُنَا هُوَ مَوْضُوعُ الرَّدِّ (٢٨) الْقِيَّاسِيَّ فِي نَهَايَةِ الْكِتَابِ . وَالنَّسَبُ عِنْدَ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٣ : ٢٧١ :  
 « قَالَ الْجَاهِلُ : وَمَنْ جَعَلَ كُونَ أَبِي بَكْرٍ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ ، لِأَنَّهُ جَعَلَ لِمَنْ الْكِتَابِ . ثُمَّ انْظُرْ إِلَى مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » ، مِنْ الْفَضِيلَةِ لِأَبِي بَكْرٍ ، لِأَنَّهُ شَرِيكَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي كَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى مَعَهُ ، وَلِإِنْزَالِ السَّكِينَةِ . قَالَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ : إِنَّهُ فِي الْآيَةِ مَخْصُوسٌ بِأَبِي بَكْرٍ ؟ لِأَنَّهُ كَانَ عَتَّاجًا إِلَى السَّكِينَةِ لِأَنَّهَا دَاخِلَةٌ فِي رَقَةِ الطَّيِّبِ الْبَهْرِيِّ ٢٠  
 وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ غَيْرَ عَتَّاجٍ إِلَيْهَا ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ؟ فَلَا مَعْنَى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِ . وَهَذِهِ فَضِيلَةٌ ثَالِثَةٌ لِأَبِي بَكْرٍ . « وَقَدْ جَمَعَ فِي هَذَا النَّصِّ بَيْنَ مَا وَرَدَ فِي س ٤٤ ، ٥٠ - ٥١ .

ليعلمه<sup>(١)</sup> النبي صلى الله عليه أن بمحضرته ملائكة قد أرسلهم الله ليمنوه من الشرّكين ، ليسكن بذلك رُوعه ، وتهداً نفسه ، وليثق بحضور النصر وتمجيد الله فح .

وقد علمنا أن الله لم يجعل مع كل مؤمن مَلَكَين يكتبان خَيْرَه وَشَرَه استذكّاراً ، ولكنّ المؤمن إذا شَرَّ بمكانهما كان أقطع له عن ركوب الأُدناس ، وأدقّ له إلى الاستحياء ، وليعلم أن الأمر جِدٌّ وليس بهزل .

فكذلك إحضار الملائكة لأبي بكر ، ليكون بشارَةً النبي صلى الله عليه له بذلك تسكيناً لنفسه ، وتمجيلاً لبعض ما استحقّ بالاحتمال والمواساة والصبر ، من الثواب المجلّ دون المؤجل .

ولقد بلغ من ظهور قصة أبي بكر ومحبته ومراقبته وكونه مع النبي صلى الله عليه في النار ، أن الرُافض مع شدة الإقدام ، والجُرأة على تكذيب النّاقلين ، لم تقدر على دفعه وردّه ، حتّى قال منهم قائلون : إنّما أخرجه النبي صلى الله عليه خوفاً من أن يدلّ عليه ويسمى بأمره إلى أعدائه ، لأنّه كان حسّاً من النبي بالمهجرة ، وعرف ميقاته الذي عزم عليه .

وكيف يجوز أن يخاطب الله الناس فيقول : « إلّا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانی اثین » والذي به كان النبي صلى الله عليه بائناً قد أبرّ على الأعداء<sup>(٢)</sup> وأربى على الكفّار ، لأنّ النفاق أعظم من التصريح .

٢٠ (١) في الأصل : « يعلمه » .  
(٢) أبر عليهم : غلبهم . وكلمة « أبر » مبهمة في الأصل .

وهذا ما لا يجوز في عقل ، ولا يستمع في فكر ، ولا يجوز في التمارن ، ولا يليق بالبيان .

وكيف والله يقول على اتصال اللفظ باللفظ والمعنى بالمعنى ، وتركيب الآية الأخرى على الأولى : « وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْغَالِبَةُ » .

ولا كافر أعظمُ كفرًا ، ولا أشدُّ عنودًا من ثاربه وصاحبه في النار ، ورفيقه في الطريق ، والمتزَيُّ لشدة حُرْته ، إن كان الشأنُ على ما قالوا وكما وصفوا . وإنما المناقضة<sup>(١)</sup> أن يكون الرجل ممتدًا لجحد الرسول وعداوته ولكن الرسول هو الغالب على داره القاطع لمن بادأ بالعداوة ، وناوَاهُ في الفضيلة ، فإنما يستبقى نفسه ببقائه ، ويتزمل حقه ، وإخفاء ضيقه . فأما رجلٌ مقيم بمكة قليلٌ مُفرد ، وذليلٌ مطرد ، وخائفٌ مشرد ، بين استخفاف بتدليل الموت ، أو هرب يقطع الأحشاء ، والذي هرب منه مقهور مخذول ، والغالب على داره عدوه ، فكيف كان أبو بكر منافقًا والحال على ما وصفنا ١٩

١٥ ولولا كثرة الفساد وما همَّ النَّاسَ من النُّلَطِ وقُحْشِ الخُلَطِ ما كان لذكر هذا وشبهه معنى .

والأثر المجتمع عليه من أصحاب السير والأشعار والأخبار ، أن النبي صلى الله عليه قال لحسان : « مَا قُلْتَ فِي أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا »<sup>(٢)</sup> ! فأنشأ يقول :

(١) في الأصل : « المناقون » .

٢٠ (٢) في البيان ٣ : ٣٦١ أن الأبيات رثاء في أبي بكر . وانظر ما كتبت هناك في حواشيه وكذا جملة أشعار العرب ص ١٣ وصلة الصفوة ١ : ٨٩ .

إذا تذكّرت شَجَوًا من أخى تَمَر  
التَّائِي الثَّانِي المَعْمُودَ مَشْهُدُ  
وثانِي اثْنَيْنِ فِي النَّارِ اللَّيْفِ وَقَدْ  
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَتَمَّاهَا وَأَطْهَرَهَا  
إِلَّا النَّبِيَّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا

فَجَمَلُهُ تَالِيًا ، وَثَانِيًا ، وَصَاحِبًا .  
وَقَالَ أَبُو عَجَبِينَ :

وَسَمَّيْتُ صَدِيقًا وَكُلَّ مَهَاجِرٍ  
سَبَقَتْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ شَاهِدُ  
وَبِالنَّارِ إِذْ سَمَّيْتُ بِالنَّارِ صَاحِبًا  
وَكُنْتُ رَفِيقًا لِلنَّبِيِّ الطَّهَرِ

فَجَمَلُهُ سَابِقًا وَصَدِيقًا ، وَجَلِيسًا وَصَاحِبًا .  
وَقَالَ كَمْبُ بْنُ مَالِكٍ :

بَقِيَ ، أَخَا تَيْمٍ ، إِلَى دِينِ أَحْمَدَ  
وَكُنْتُ لَدَى الْفِرَافِ فِي الْكَهْفِ صَاحِبًا  
فَجَمَلُهُ سَابِقًا ، وَجَمَلُهُ صَاحِبًا .

وَقَالَ النَّجَاشِيُّ :

مَادَّةٌ أَنَّى بَدَأَ وَحَرٌّ جِلَادُهُمْ وَكَانَ جَلِيسًا بِالْمَرِيضِ مُؤَاوِزًا (١)  
فَلَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ مَائِثَةٌ إِلَّا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ ، وَإِلَّا شَرَفَ  
هَذِهِ الصُّحْبَةِ ، وَمَوْقِعِ هَذِهِ الْخَاسَةِ ، وَنُبُلِ هَذِهِ الْمُرَافَقَةِ ، وَمَشَاهِدِهِ  
الثَّقَةِ ، لَكَانَ فَرْقُ الْجَمِيعِ فِي الْمَكَانَةِ وَالْفَضِيلَةِ ، وَفِي مُرَافَقَةِ النَّبِيِّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ .

٢٠ (١) هَذِهِ الْآيَاتُ مِمَّا لَمْ يَرَوْهُ فِي دِيْوَانِ أَبِي عَجَبِينَ .

(٢) سِرِّجَرٌ ، مِنْ بَابِ ضَرْبٍ وَقَدْ دُوِّعِلَ : اشْتَدَّ حَرُّهُ .

سمع أهل مكة الهائف بالليل على قرن الجبل<sup>(١)</sup> وهو رافع عقيرته ، يقول :  
جزى الله رب الناس خير جزائه خليلي صفاء طردا كل مطرد  
ها نزلا في السبح تمت هجرا وأفلح من أسمى رفيق عمدا  
لتهى بنى كعب مكان فتاسهم ومقدمها للمؤمنين بمصدق<sup>(٢)</sup>

وقال الحارث بن هشام :

رفيقان في الحميا وفي الموت ضمنا بأكرم متسوى منزل ومكان  
فهذا هذا .

ثم الذي كان من قصة مسطح بن أثانة وقضيته<sup>(٣)</sup> ، وكان ربيبه وابن  
خالته<sup>(٤)</sup> ، وفي مؤوته وتحت جناحه ، فلما فرقت طائشة بالذي قرفت به  
وبلفك ، آلى أبو بكر ألا ينظر في وجهه ، ولا ينفق عليه ولا يكفله  
ولا يؤمن عياله ، فلما أنزل الله عذرة طائشة وبراءتها ، ولم يرض لها بالطهارة  
والعفة حتى جعلها غافلة ، فضلا على أن يكون خطر ذلك على بالها فتتقيته ،  
إشارا للحلال على الحرام . وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله في آية<sup>(٥)</sup> يأمر  
أبا بكر بالصفح عن مسطح ، والتجاوز عن ذنبه ، وتعمد ما كان منه ، وأن  
يبيده في كنفه وعياله ، فقال : « ولا يأئل أولو الفضل منكم والسمة » .  
فأظفك بأمرى يقول الله له وفيه هذا القول ، ويصفه بهذه الصفة حتى  
يقول : « ولا يأئل أولو الفضل منكم والسمة أن يؤتوا أولي القربى  
والساكنين والمهاجرين في سبيل الله وليتعمقوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر

(١) هو جبل أبي قبيس ، كما في ميون الأثر ١ : ١٨٨ .

٢٠ (٢) انظر السيرة ٣٣٠ وابن سيد الناس ١ : ١٨٧ - والرياض النضرة ١ : ٧٧ .  
والفتاة هي أم معبد بنت كعب ، من بنى كعب بن خزاعة .

(٣) في الأصل : « ولسته » .

(٤) الصواب أنه ابن بنت خالته ، كما في الإصابة والسيرة ٧٣٣ .

(٥) في الأصل : « من آية » .



اللهُ لَكُمْ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(١)</sup> ، فتلاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر ، فلما انتهى إلى قوله : « أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ » قال أبو بكر : بلى يا ربِّ ! فغفا عنه ، فوجبت له المغفرة ، وأعادته إلى نعمته ، وجعل عياله في حَشَاءٍ وَتَحْتَ ظِلِّهِ .

فمن أعظمُ قدرًا من رجلٍ يَفُردُ الله له الآيَ فيه معظماً لشأنه ، ذا كَرَامَةٍ ٥  
لفضله على لسان جبريل ومحمد عليهما السلام . فهذا هنا .

وقد أجمع أهلُ التَّأْوِيلِ على أن الله عَنَى بقوله : « وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيكَ أَفْتَرُ لَكَمَا أَتَدَانِي أَنْ أُخْرِجَ » وقد حَلَّتِ القُرُونُ مِنْ قَبْلِ وَهَّا يَسْتَفْتِيَانِ الله وَيَلَكَّ آمِينَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ يَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ<sup>(٢)</sup> » أبا بكره ، وعبدَ الرحمن بن أبي بكر ، وأُمُّهُ . ١٠

وكان أبو بكر وأهلُ بيته أهلَ بيتِ إسلام : كان هو مسلماً ، وإبراهيمُ مسلماً ، وأبواه مسلمان ، وبناته مسلمات . وليس في المشرة الذين قال لهم النبي صلى الله عليه إنهم في الجنة ، ولا في قریش قاطبةً رجلٌ مؤمنٌ مؤمنةٌ الأيوين غيرَ أبي بكر الصديق ، ولا في قریش خاصةً والمهاجرين عامةً صاحبُ ابن صاحبٍ ابن صاحبٍ غيرَ عبد الله قتيل الطائف ابن أبي بكر الصديق ، ابن ١٥  
أبي قُحافةَ المسلم يوم مَكَّةَ<sup>(٣)</sup> ، والقائل فيه رسول الله صلى الله عليه لأبي بكر : « فَهَلَا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي مَنْزِلِهِ فَأَتَيْنَاهُ » . وله حِجَّةٌ .

واجتمع أهل التَّأْوِيلِ على أن قوله : « أَفَنَنْتَ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ

(١) الآية ٢٢ من سورة النور .

(٢) الآية ١٧ من سورة الأعراف .

(٣) انظر خبر إسلام أبي قحافة في السيرة ٨١٥ - ٨١٦ .

أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشَى سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » نزلت في أبي بكر  
وأبي جهل . ألا ترى أن أبا جهل رأس الكفر فلم يُقْرَن به ولم يُوضَّح  
ليزائمه من المسلمين إلا رأسه مثله .

وقال الله : « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى » الآية ،  
يعني أبا بكر في إنفاقه المال وعفته الرقاب والمذيين وقوله : « كَذَّبَ  
وَتَوَلَّى » يعني أبا جهل . وليس في الأرض صاحب تأويل خالف  
تأويلنا<sup>(١)</sup> ولا ردة قولنا إن هذه الآية نزلت في أبي بكر .

وأما قوله : « قُلْ لِلْمُضِلِّينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي  
بَأْسٍ شَدِيدٍ فَتَاقِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَلَنْ تَطِيعُوا اللَّهَ أَجْرًا حَسَنًا  
وَلَنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يَمْذُكُمُ عَذَابُ اللَّهِ<sup>(٢)</sup> » . فزعم  
ابن عباس أن القوم الذين ذكرهم بنو حنيفة ، وأبو بكر استغفر إليهم  
الرب ، وخضعهم إلى المهاجرين والأنصار ، حتى أظفر الله يده وأظهر حكمه .  
وأما غير ابن عباس فزعم أنهم قروى والرؤوم .

فلان كان [ذلك<sup>(٣)</sup>] كذلك فلان أبا بكر هو المستغفر إلى قتال  
الرؤوم . وإن كان مر هو المقاتل لكسرى فلان ذلك راجع إلى أبي بكر  
بتأسيسه لمر واختياره له .

وقد زعم جوير<sup>(٤)</sup> عن الضحاك في قوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » . قال : أبو بكر وعمر .

(١) في الأصل : « تأويلا » .

(٢) الآية ١٦ من سورة الفتح .

(٣) زعمها مساوغة لأسلوب الجاحظ الذي يلقزم هذا التعبير .

(٤) جوير بن سبيد الأزدي البغلي . مات ما بين ١٤٠ و ١٥٠ . تهذيب التهذيب .

وقد زعم وكيعٌ عن الفضل بن دَعْلَمٍ<sup>(١)</sup> ، عن الحسن في قوله :  
« فَسَوْفَ بَأَيِّ اللَّهِ يَهْوِمُ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ » ، قال : هم والله أبو بكر  
وأصحابه .

ومثل هذا كثير ، ولم يجرء الجيء الذي يحتاج به النصف والمرشد ،  
ولكن الحجة القاطعة في إجماع<sup>(٢)</sup> المفسرين في الآيات التي ذكرناها  
قبل في قصة النار ، والنصرة ، وفي قصة مسطح ، والمغفر عنه والإنفاق  
عليه ، وفي قصة عبد الرحمن بن أبي بكر وأبويه ودعائهما له إلى الإسلام  
ورده عليهما ، وقصة أبي بكر وأبي جهل .

وقالت (المنامية) : فإن زعمت الرافضة أن الله أنزل في عليٍّ آياتاً  
كثيراً ، فكان مما أنزل فيه وفي ولده قوله : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا  
الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ »<sup>(٣)</sup> . فأولى الأمر عليٌّ وولده . فلم يرد  
لئن كان أصحاب الأخبار قد أُلْهِقُوا على أنها نزلت في عليٍّ وولده إن  
طاعتهم لواجبة . وإن كان هذا شيئاً نقوله متقولاً ، أو جاء من وجه  
ضعيف ، فهو مع ضعفه شاذٌّ ، وليس في ذلك لكم حجة ؛ لأن الحديث  
قد يحتمله الرجل الواحد الثقة عن مثله ، فيكون شاذّاً ، ما لم يكن  
مستفيضاً شائعاً قد قُلَّ عن المستفيض الشائع وقد يكون الحديث  
يحتمله الرجلان والثلاثة وهم ضمفاء عند أهل الأثر فيكون  
الحديث ضعيفاً لضعف ناقله ، ولا يسمونه شاذّاً ، إذا كان قد جاء من

(١) الفضل بن دهم البصري ، كان قصاباً شاعراً متزلياً . ذكره في تهذيب التهذيب .

(٢) في الأصل : « إجماع » .

(٣) الآية ٥٩ من سورة النساء .

ثلاثة أوجه . وإنما الحجة في المجرى الذى يمتنع فيه التمدد والاتفاق .  
وهذا المجلس من الخبر هو الإجماع .

وليس يكون الخبر إجماعاً من قبيل كثرة عدد الناقلين ، ولا من قبل  
عدالة المحدثين ، وإنما هو المدد الذى نعلم أنهم لم يلاقوا ولم يترأسوا  
ولا تتفق ألسنتهم على خبر موضوع ، مع اختلاف علمهم وأسبابهم ،  
ثم يكون معلوماً عند سماع ذلك الخبر من ذلك المدد ، أنهم قد نقلوه  
عن مثلهم في مثل أسبابهم وعلمهم .

فإذا كان معلوماً أن فرعه كأكمله كان ذلك موجباً لليقين ، ونافياً لمرور  
الشك واستراحة التقليد .

وهو كخبر ما نقلوا من قصة النار ، وقصة مسطح .  
فأما ما قالوا وادعوا أن الله عنى بقوله : « أطيعوا الله وأطيعوا  
الرسول وأولي الأمر منكم » علياً وولده دون جميع المهاجرين ، فليس  
من شكل ما اشترطنا ، ولا من فن ما بيننا ؛ لأن أصحاب التأويل زعموا  
أنها نزلت في عمال النبي صلى عليه وسلم وولاه ، وفي المسلمين ،  
وفي أصحاب سراياه وأجنادهم كالملء بن الحضرمي ، وأبي موسى الأشعري ،  
وعقتاب بن أسيد ، وخالد بن الوليد ، ومعاذ بن جبل ، يأمر الناس بطاعة  
الأمراء والتسليم لولاه أمورهم .

حدث عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي قال : حدثنا  
عبد الملك بن أبي سليمان قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن تأويل  
قول الله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » قلت :  
من أولو الأمر ؟ فقال : هم أصحاب محمد . قلت : إنهم يزعمون أنه على .  
فقال : على\* منهم .

وهذا من أثبت وأحسن ما يروون في تأويل هذه الآية ، ومن أخرى ما جمع الفريقين على تقبله <sup>(١)</sup> والرضا به ، إذ قاله المسلم المبول عند الفريقين ، والرئيس الذي لا أخذ فوقه في عصره عند الروافض . وزعم محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح <sup>(٢)</sup> ، عن ابن عباس ، أن الله أنزلها في عبد الله بن حنافة السهمي <sup>(٣)</sup> .

فإذا كان تأويلها مشهوراً بما ذكرنا من الاختلاف ، فليس فيها للمتشيع حجة .

وزعموا أيضاً أن الله أنزل في عليّ : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » <sup>(٤)</sup> يقول : في طاعة علي .

والكلام في هذا كالسلام فيها قبله ؛ لأن أصحاب الأخبار والتأويل ١٠ لا يعرفون ذلك .

والخبر المشهور عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وغيره أن الله أنزلها في ناس من مسلمي أهل الكتاب ، كانوا بعد إسلامهم يقيمون السبت <sup>(٥)</sup> ، ويصافون الذبيحة ، لرسوخ المادة ، وغلبة الإلف <sup>(٦)</sup> ، فأزل الله فيهم : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة » يقول : ادخلوا في جميع الشريعة ، ١٥ « ولا تتبعوا خطوات الشيطان » وزينته لكم الحكم بالفكم له ، ونشؤكم كان فيه .

(١) في الأصل : « نقله » .

(٢) هو أبو صالح باذان ، أو باذان ، مولى أم هانئ بنت أبي طالب . تهذيب التهذيب . ١٧٨ : ٩ / ٤١٦ : ١

(٣) ورد في صحيح البخاري . الإصابة ٤١١٣ . ٢٠

(٤) الآية ٢٠٨ من سورة البقرة .

(٥) في الأصل : « السبت » . والمراد سنة اليهود في سبتهم .

(٦) في الأصل : « وعليه الألف » .

وزعموا أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ <sup>(١)</sup> » .

قيل لهم : أمّا ظاهر الكلام فيدلُّ على ما قال أصحابُ التّأويل ، كابن عباس وغيره ، حين زعموا أنّها نزلت في عبد الله بن سَلَام <sup>(٢)</sup> ، ورهطٍ من مشركِ أهل الكتاب ، وذلك أنّهم أتوا النبيّ صلى الله عليه عند الظّهر فقالوا : يا رسولَ الله ، إنّ بيوتنا قاصيةٌ ولا نجد مسجدًا دونَ هذا المسجد ، وإنّ قومنا لنا صدقنا الله ورسوله عادونا وتركوا محاطتنا ، وأقسموا ألاّ يكلمونا .

فبينما هم يشكون عداوة قومهم لهم إذ نزلت : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ » . فلما قرأها النبيّ صلى الله عليه قالوا : رضينا بولاية الله ورسوله والمؤمنين . وأذن بلالٌ للصلاة <sup>(٣)</sup> ، ففرج النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى المسجد وهم معه ، والناس من بين راكم وساجد ، وقائم وقاعد ، فتلا النبيّ صلى الله عليه : « وَمَنْ يَقُولِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ <sup>(٤)</sup> » الآية . فإن تكن هذه الآية كما قال ابن عباس ومجاهد ، فليس لعلّ فيها ذكر . وإن يكن الأمر ليس على ما قال ابن عباس فليس نأويلُ الرافضة بأقرب التّأويل .

(١) الآية ٥٥ من سورة المائدة . كذلك في الأصل ، والظن أن في الكلام بعده مقطعا .

(٢) سلام ، بتخفيف اللام . أسلم عبد الله قبل وفاة الرسول بهامين ، وكان قل من

٣٠ أخبار يهود . توفي سنة ٤٣ . الإصابة ٤٧١٦ .

(٣) في الأصل : « الصلاة » .

(٤) هي الآية ٦٠ من سورة المائدة .

- وقد عرفنا أنَّ تأويل ظاهر هذا الكلام يُشبه غير الذى قالوا ،  
وليس لنا أن نجعله كما قالوا إلا بخبر عن النبي صلى الله عليه ، أو بإجماع  
من أصحاب التأويل على تفسيره . وذلك أنَّ قوله . « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ  
ورَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ »  
يَدُلُّ عَلَى السَّدِّ الْكَبِيرِ وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ عَنَى عَلَيْهِ وَحْدَهُ ؛ وَلَيْسَ  
لِأَحَدٍ أَنْ يَجْعَلَ « الَّذِينَ » لِوَاحِدٍ إِلَّا بِخَبَرٍ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ  
عَلَى ذَلِكَ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَحْوِلَ مَعْنَى الْكَلَامِ عَنْ ظَاهِرِ لَفْظِهِ ، وَالَّذِى  
عَلَيْهِ التَّمَامُ وَالْتِمَازُ . وَلَفْظُ الْجَمْعِ مَعْرُوفٌ مِنْ لَفْظِ الْفَرْدِ . لِأَنَّ  
الرَّافِضَةَ تَزْعُمُ أَنَّ سَائِلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَسَأَلَ النَّاسَ وَعَلَى رَاكِعٍ ، فَلَمْ  
يُعْطَ شَيْئًا ، فَتَزَعَّ عَلَى خَاتَمِهِ فَأَعْطَاهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ  
اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
رَاكِعُونَ » . وَأَنْتَ إِذَا سَمِعْتَ بِتَأْوِيلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَتَأْوِيلِهِمْ عَلِمْتَ أَنَّ  
تَأْوِيلَهُمْ بِمَعْنَى مِنْ لَفْظِ التَّنْزِيلِ ، قُرْبَ (١) تَأْوِيلِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْهُ .
- وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالُوا مَا كَانَ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِهِ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ  
وَلَا أَشْعَرِ (٢) بِهِ مِنْهُ .
- وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ عَلَيْهِ كَانَ أَزْهَدُ مِنْ أَنْ يَحْوِلَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ وَعِنْدَهُ مَالٌ  
رَاهِنٌ يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهِ الزَّكَاةُ .
- وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ مَا كَانَ بَلْغٌ مِنْ قَدْرِ مَنَاجِيعِ رَجُلٍ فِي إِعْطَاءِ دِرْهَمٍ  
وَدَرَاهِمٍ مِنْ زَكَاةِ الْوَاجِبَةِ مَا لَنْ يَبْلُغَ بِهِ إِلَى هَذَا الْقَدْرِ الَّذِى لَيْسَ فَوْقَهُ قَدْرٌ ،  
أَوْ يَكُونُ كَانَ عَلَى مَشْهُورٍ بِإِعْطَاءِ الزَّكَاةَ وَهُوَ يَصْلَى .

٢٠

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَسَد » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَتَرَب » .

ولو كان هذا هكذا لكان مشهوراً مستفيضاً . وكيف اتفق له ألا يزكى  
إلا وهو يمسلي ؟

وإن كان تطوع بإعطاء الخاتم على جهة الإيثار والمواساة فليس بمعروف  
في الكلام أن يكون الرجل إن تصدق بالدرهم والدرهمين مُتَغَفَّلًا ومتطوعاً  
٥ أنه ممطر زكاة ، لأن الزكاة عندنا ما وجب إخراجها وكان تطهيراً لسائر ماله ،  
وسبباً للنماء والبقاء . إلا أن يُحتمل الكلام على الشاذ ، وعلى أبعد المجاز .  
وليس هكذا كلام الحكيم يريد أن يدل الأمة على إمامته ، ويوجب  
عليهم طاعته .

ولابد في هذه الآية من أحد ضربين : إما أن يكون لفظها يدل على  
١٠ ما قالوا دون ما قال غيرهم ، وإما أن تكون قد نزلت في قصّة مشهورة للمرّة  
كقصّة النار حين كانت لأبي بكر .

فإن لم يجدوا إلى واحد من هذين سبيلاً فلم يبق إلا أن تزعموا أن  
الرسول صلى الله عليه قال للناس : إن هذه في عليّ فاعرفوا له حقّه  
وفضيلته . ولو كان ذلك كذلك ما اختلف فيه أصحاب التأويل ، ولا قال  
١٥ فيه ابن عباس الذي قال .

قالت ( الثمانية ) : قد زعمت الرّوافض أن الله أنزل هذه الآية في  
عليّ فاعرفوا له حقّه وفضيلته .

ولو كان ذلك كذلك ما اختلف فيه أصحاب التأويل ، ولا قال فيه  
ابن عباس الذي قال <sup>(١)</sup> .

٢٠ قالت ( الثمانية ) : وقد زعمت الرّوافض أن الله أنزل فيه : « قلّ كفى

(١) كذا وردت هذه العبارة . ولعلها تكرار لما سبق .



- بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ<sup>(١)</sup> » .
- ولا يجوز أن يقول : « ومن عنده علم الكتاب » وهو يعني علمياً  
إلا وعلى\* قد كان أشهر مَنْ هُنَاكَ بعلم الكتاب .
- وكيف يكون ذلك وقد تَوَقَّى النبي صلى الله عليه وهو لم يَجْمَع الكتاب  
بعد ؟! وقد زَمَّ الشَّعْبُ أَنَّهُ لم يَجْمَعهُ إِلَى أَنْ مَاتَ .
- وكيف يكون من المشتهرين بعلم الكتاب وَأَنْتَ إِذَا سَأَلْتَ أَهْبَابَ  
الْأَخْبَارِ وَالتَّأْوِيلِ عَنْ أَسْمَاءِ أَهْبَابِ التَّأْوِيلِ ذَكَرُوا ابْنَ عَبَّاسٍ وَمَنْ دُونَ  
ابْنِ عَبَّاسٍ بَطَلِقَاتٍ كَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، وَمُجَاهِدٍ ، وَالْمُضَحَّاكِ ، وَهِكْرَةَ ،  
وَفَلَانَ وَفَلَانَ وَفَلَانَ ، وَلَا يَذْكُرُونَهُ فِي هَذَا الصَّنَفِ ، كَمَا لَا يَذْكُرُونَ  
فِيهِ أَبَا بَكْرٍ وَهُمَزٌ وَعُمَانٌ ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بِالشَّاهِرِينَ بِالتَّأْوِيلِ وَحَفِظَ ١٠  
الْقُرْآنَ وَصَرَفَهُ بِمَعَانِيهِ ؛ لِأَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ كَانَ أَغْلَبَ عَلَيْهِمْ مِنْهُ ، وَقَدْ أَخَذُوا  
مِنْهُ بِنَصِيبٍ . وَلَمْ يَكُونُوا كَمَنْ تَجَرَّدَ لِمَعْرِفَةِ التَّأْوِيلِ حَقِّ غَلَبٍ عَلَيْهِ  
كَأَغْلَبِ عَلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ الْفَرَّائِضِ ، وَكَأَغْلَبِ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ،  
وَكَأَغْلَبِ كَثْرَةَ الْأَسَانِيدِ وَعَدَدُ الْأَمَارِ عَلَى ابْنِ مُرٍّ وَجَابِرٍ وَعَائِشَةَ ، وَكَأَغْلَبِ عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى عَبْدِ اللَّهِ الْقَرَاءَاتِ . ١٥
- ولو كان للناس أن يقولوا في هذه الآية على الظنِّ وما هو أشبهه لكانَ  
أَوَّلَى النَّاسِ بِهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ . وَلَوْ  
لَمْ يَكُنْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ فِيهِ بِالَّذِي ظَهَرَ مِنْهُ ، لَمَرَقْنَا فَضْلَهُ وَإِنْ بَلَّغَ وَغَابَ  
عَنِ الْعِيَانِ لَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِيهِ : « اللَّهُمَّ قَهِّمُهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمُهُ  
التَّأْوِيلَ » . فَكَيْفَ وَقَدْ ظَهَرَ مِنْ عِلْمِهِ بِمَعَانِيهِ وَغَرِيبِهِ ، وَإِعْرَابِهِ وَقَصَصِهِ ٢٠

(١) الآية ٤٣ من سورة الرعد ، وهي خاتمتها .

ومُحَكَّمه ومتشابهه ، وخاصَّه وعامَّه ، وناسخه ومنسوخه ، ومُكَيِّه ومدنيّه ،  
ما لم يَحِدْ عند أحد شَطْره ولا قَرِيْباً منه .

وقالت ( العنانيّة ) : إِنَّه لا يَمَحِزُ أَحَدٌ أَنْ يَمِدَّ إِلَى كُلِّ آيَةٍ فِي  
الْقُرْآنِ فَيَدْعِيْ أُنْهَآ فِي أَبِي بَكْرٍ وَمُحَمَّدٌ كَمَا ادَّعَيْتُمْ ذَلِكَ فِي عَلِيٍّ ، وَإِنَّمَا الشُّفَاءُ  
وَالْتَبْيَانُ فِي هَذِهِ الشَّهَادَةِ ، وَظُهُورُ الْحُجَّةِ . ٥

وزعمت العنانيّة أَنَّ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى فَضِيلَةِ أَبِي بَكْرٍ عَلَى عَلِيٍّ أَنَّ النَّبِيَّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الصَّدِّيق » دَوَّنَهُ ، وَلَيْسَ بِمَدَّ اسْمِ النَّبِيِّ اسْمُ أَثْبَةٍ  
مِنَ الصَّدِّيقِ ، حَتَّى كَانِ لَا يُقَالُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَفَعَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَّا وَالصَّدِّيقُ  
مُتَّصِلٌ بِهِ ، وَحَتَّى رَبَّمَا قَالُوا قَالَ الصَّدِّيقُ وَفَعَلَ الصَّدِّيقُ ، اسْتَفْنَاءً مِنْ  
اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ . ١٠

وَلَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الزُّبَيْرُ حَوَارِيٌّ وَابْنُ عَمَّتِي ، وَطَلْحَةُ  
حَوَارِيٌّ » وَقَالَ : « عُمَانُ ذُو النُّورَيْنِ » فَلَمْ يَقْرَأِ السَّلْمُونَ : قَالَ عُمَانُ  
ذُو النُّورَيْنِ ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ الْحَوَارِيُّ ، وَقَالَ ذُو النُّورَيْنِ ؛ اسْتَفْنَاءً مِنْ  
أَسْمَاهُمَا وَكُنَاهُمَا .

١٥ فَإِنْ كَانَ السَّلْمُونَ أَشَاعُوا اسْمَ أَبِي بَكْرٍ وَتَرَكُوا أَنْ يَشْمُوا اسْمَ غَيْرِ  
أَبِي بَكْرٍ ، لِفَضْلِهِ رَأَوْهُ فِي أَبِي بَكْرٍ ، فَهُوَ الَّذِي قُلْنَا وَادَّعَيْنَا . وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ  
مِنْهُمْ لَشَيْءٍ رَأَوْهُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَنِيعِهِ بِأَبِي بَكْرٍ ،  
فَلَا<sup>(١)</sup> شَيْءٌ أَدْلُّ عَلَى الْفَضِيلَةِ وَالْبَابِيَةِ مِنْهُ .

وَلَمْ يَسْمَعْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاسْمِ يَنْسُبُهُ بِهِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ

لظهر كما ظهر اسم من ذكرنا . ولا سماء أحد من أصحاب رسول الله باسمه  
بأن به كما سمي أصحاب رسول الله أبابكر خليفة رسول الله .

ولأبي بكر اسمان يدلان على الفضيلة والمباينة : أحدهما لم يسم به قط  
إلا نبي أو من يتلوه ، والآخر لم يسم به أحد من الناس .

فأما الاسم الذي لم يسم به إلا نبي فقلوه « الصديق » بإجماع من  
المسلمين على هذا الاسم أنه لأبي بكر دون غيره . وأما الاسم الذي لم  
يُسم به مؤمن قط ، ولا بمده ، فقول جميع الأمة : يا خليفة رسول الله .

فإن كان الذي نُقل إلينا أنه [كان] يكتب في دهر النبي صلى الله عليه :  
« من خليفة رسول الله » ويكتب إليه « إلى خليفة رسول الله » وكما

كان الحسن يخلف بالله أن النبي صلى الله عليه [عليه] هو تولى استخلافه ، ١٠  
فلا منزلة أعظم منها قدراً ، ولا أرفع منها شأنًا .

وإن كان المسلمون أجمعوا له على ذلك لخاسته رأوها فيه ، فكفى به  
شرفاً وقدراً ، ومزيةً وذكرًا .

وإن زعم قوم أن الأسماء التي أرقضاها الرسول صلى الله عليه وحبا

بها أصحابه لا تبدل على فضيلة ولا على خاصّة كرامة ، وجسروا على أن ١٥  
يقولوا إنه ليس في قول النبي صلى الله عليه لجزء إنه أسد الله ، وأسد

رسوله ، فضيلة ؟ وليس في قوله « الزبير حواري » فضيلة — فليس عندنا  
في ذلك إلا مثل ما لم في صدور أهل القبلة من الإسقاط والإهانة .

فإن قالوا : إن اسم الصديق مولد موضوع مُحدث ، أحدثته  
المنهية والحشوية<sup>(١)</sup> .

٢٠

(١) انظر لهذه الكلمة حواشي الميوان ٦ : ٦٢ ، وكذا دائرة المعارف الإسلامية

قيل لهم ، فاعلموا قولهم : إِنَّ حِزْمَةَ أَسَدُ اللَّهِ ، وَأَسَدُ رَسُولِهِ ، وَإِنْ جَعَفَرًا الطَّيَّارَ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنْ الزُّبَيْرَ حِوَارِيَّ رَسُولِ اللَّهِ ، مَوْلَاهُ مَوْضُوعٌ مِنْهُ الشَّيْءُ ، وَأَحَدُهُ أَتْبَاعُ الزُّبَيْرِ يَوْمَ الْجُلَّةِ ، لافترقَ بَيْنَ ذَلِكَ .

وكيف يكون اسمُ الصَّدِّيقِ مَوْلَدًا عَدُوًّا ، وَأَكْثَرُ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ لَيْسُوا بِذَوِي مَحَلَّةٍ فَيَتَقَدَّرُوا<sup>(١)</sup> لَهُ ، وَلَا بِذَوِي مَعْرِفَةٍ فَيَعْرِفُوا فَضْلَهُ ، وَلَا ذَوِي قَرَابَةٍ فَيَطْلُبُوا السَّبْقَ بِهِ ، مَعَ الَّذِي نَجَّاهُ فِي الْأَشْمارِ الصَّحِيحَةِ الْقَدِيمَةِ . وَلَيْسَ بَيْنَ الْأَشْمارِ وَالْأَخْبَارِ فَرْقٌ إِذَا جَاءَتْ بِجَمْعٍ الْحَاجِجِ .

وإِنَّمَا ذَكَرْنَا الْأَشْمارَ مَعَ الْأَخْبَارِ لِيَعْرِفُوا ظُهُورَ أَمْرِهِ ، وَوُجُوهَ دَلَالَتِهِ وَتَقِيرَ أَسْبَابِهِ ، وَلِيَكُونَ آتِسُ لِقُلُوبِ ، وَأَسْكَنُ لِلنُّفُوسِ ، وَأَقْطَعَ لِنَفْسَبِ الْخَلْعِ ، وَلِيَجْعَلَ<sup>(٢)</sup> النَّازِعَ . ١٠

فَمَا جَاءَ مِنَ الْأَشْمارِ فِي ذَلِكَ قَوْلُ شَرِيحِ بْنِ هَانِيٍّ الْحَارِثِيِّ<sup>(٣)</sup> ، وَكَانَ مَعْرُوفًا وَكَانَ شَيْعِيًّا ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ :  
أَسْبَحَتْ ذَا بَثٍ أَقَامِي الْكِبْرَا قَدْ عِشْتُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ أَهْضَرًا<sup>(٤)</sup>  
تُمت أدركتُ الرَّسُولَ الْمُنْذِرَا<sup>(٥)</sup> وَبَسَدَهُ صِدِّيقَهُ وَخَمَرَا

١٥ (١) فَيَتَقَدَّرُوا ، مَهْمَلَةٌ فِي الْأَصْلِ . وَالظُّفْرُ : التَّقْدِيرُ ، وَالتَّهْيِيزُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَيَجْعَلُ » .

(٣) أَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَشَّهَ عَلَى فِي التَّحْكِيمِ عَلَى أَرْبَعِ مِائَةِ رَجُلٍ ، وَكَتَلَ غَازِيًا بِسَجِسْتَانَ مَعَ مَهْدِاقَةَ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ فِي وَلَايَةِ الْحِجَابِ بْنِ يُونُسَ سَنَةَ ٧٩ . وَخَاشَ مِائَةَ وَعِصْرَيْنِ سَنَيْنِ ، أَوْ عِصْرَيْنِ وَمِائَةَ سَنَةٍ . الْإِسَابَةُ ، وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ، وَالْمَعْرِينِ بِسَجِسْتَانَ

٢٠ ٣٨ وَالطَّبْرِي ٧ : ٢٨٢ .

(٤) الْإِسَابَةُ : « وَهَضَتْ » .

(٥) الْإِسَابَةُ وَالْمَعْرِينِ وَالطَّبْرِي : « النَّبِيُّ لِلنُّبَرَا » .

ويوم يهزّان ويوم تُسْترَا وبأَجْزِائَاتٍ وَالشُّفْرَا<sup>(١)</sup>  
والجَمْعُ مِنْ صِفَتَيْنِهَا<sup>(٢)</sup> هَيْهَاتَ مَا اطُولَ هَذَا مُعْزَا  
أَلَا تَرَى أَنَّ هَذَا شُرَيْحَ بْنِ هَانِيٍّ تَمَيَّيْ أَبَا بَكْرٍ صَدِيقًا عَلَى مَا لَمْ  
يَزَلْ يُسَمِّي بِهِ .

وقال المصنّج بن رُوْبَةِ ، وهو أعرابيٌّ ليس بنديٍّ مُجَلِّدٍ وَلَا صَاحِبِ ٥  
خُصُومَةٍ ، وَقَدْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ :

عَمَدَ نَبِيٍّ مَا عَفَا وَمَا ذَكَرَ وَعَمَدَ عُثْمَانَ وَعَمَدًا مِنْ عَمْرٍ<sup>(٣)</sup>  
وَعَمَدَ صِدِّيقٍ رَأَى رِئَا قَبْرُ وَعَمَدَ إِخْوَانٍ هُمْ كَانُوا الْوَزَرَ  
وقال الحارثُ بن هشامِ بن النيرة ، حين بلغه وهو بمكة أنَّ الأنصار  
قد كانوا اجتمعوا وقالوا لقرين في سقينة بنى ساعدة: مَنَّا أَمِيرٌ وَمَنْكُمْ أَمِيرٌ : ١٠  
\* قُبِضَ النَّبِيُّ وَيُؤَيِّجُ الصَّدِيقُ \*

في قصيدة له طويلة ، وهو التي يقول فيها :  
\* وَأَرَادَ أَنْرَأَ دَوْلَهُ الْمَيُوقُ \*

وإنما أردنا منها المعنى .

وقال أبو محجنٍ في ذلك :  
١٥  
تُمَيَّيْتُ صِدِّيقًا وَكُلُّ مَهاجِرٍ سِوَاكَ يُسَمِّي بِاسْمِهِ غَيْرَ مَنْكَرٍ

(١) باجيرات ، وهي باجيري ، وهو موضع دون تكريت ، وسماه أبو التهم « الجيرات »  
في قوله :

\* بين الجيرات للباركات \*

معجم ما استعجم ٢٢٠ . ولم يرد هذا البيت في المعرّن . وفي الإصابة : « وباجيرات » ٢٠  
وفي الأصل هنا : « وباجيرات » بإعمال الجيم والياء الثانية . وعند الطبري : « وباجيرات  
مع الشفرا » .

(٢) الطبري والإصابة والمعرّن : « في صفتين » .

(٣) هذا البيت متأخر من تأليه في ديوانه ١٥ .

وقال طريف بن عديّ بن حاتم :

أيدوا قُرَيْشًا بالسيف ليظهروا معاهدَ دينِ الله بعد محمد  
وصديقه التّائى المين بحاله طوى البطن محمود الضريبة مذود<sup>(١)</sup>  
وأول من سئل وصاحب حكة<sup>(٢)</sup> أصلح لقول الصادق المتطرد  
وبعد خيل الهرمزان ، وباركت يدُ الله في ذلك الأديم المقدد<sup>(٣)</sup>  
أقاموا طغاة حارثين عن الهدى وليس يقوم الدين إلا بمقتد  
فلا تولوا طامتن الحق جأشه وثاب إليهم كل غاو مطرد  
أما قوله : « وثاب إليهم كل غاو مطرد » فإن « الناي » مروان  
ابن الحكم ، « والمطرد » : أراد أباه الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله  
١٠ صلى الله عليه .

وقال حسان بن ثابت في ذلك أيضاً ، وهو يهجو بعض الشعراء<sup>(٤)</sup> :  
لو كنت من هاشم أو من بنى أسيد أو عبد شمس أو أصحاب اللوا الصيد  
أو في الذؤابة من نيم وقت بهم أو من بنى مجتح الخضر الجلاهد<sup>(٥)</sup>  
أو من سראה أقوام أولى حسب لم نصبح اليوم نكسأ مائل الدود<sup>(٦)</sup>

١٥ (١) في الأصل : « قوى البطن » تحريف . انظر الحاشية بمرح المزوق  
١٦١٦ - ١٦١٧ .

(٢) حكة ، كذا وردت مهلة وبكاف مستطيلة « حكة » .

(٣) قتل الهرمزان ، يفي به عمر بن الخطاب ، وكان الهرمزان متهماً في قتل عمر ، هو  
وأبو لؤلؤة ، وجبينة . انظر نسب قريش ٣٥٥ .

٢٥ (٤) هو مسافع بن عياض التميمي . السكامل ١٤١ ليسك وديوان حسان ١٣٣ .

(٥) السكامل والديوان : « رضيت بهم » . الجلود والجلاهد : الصلب الشديد . في  
الأصل : « الجلاهد » صوابه من الديوان والسكامل .

(٦) هو من سرائرهم ، أي صبيهم . النكس : الذي . المعصر .

لولا الرسولُ وروح القدس يحفظهُ وأمرُ ربك حتمٌ غير مردود<sup>(١)</sup>  
وأنتى أحفظ الصديق مجتهداً وطلحة بن عبيد الله ذا الجود  
أتسكّم خيلنا كاللؤذ كالحية تطوى السباسب بالشّم المناجيد<sup>(٢)</sup>  
من كلّ خيفانة طالّ اللجام بها وكلّ غتطف الأقرب كالسيد<sup>(٣)</sup>

- وقال طليحة الأسدي في ذلك :
- ندمتُ على ما كان من قيل ثابت وعكاشة النعمى يا أمّ مبيد<sup>(٤)</sup>  
وأعظمُ من هذين عندي مُصيبةٌ رجوى عن الإسلام رأى للمقيّد  
وتركى بلادى والخطوب كثيرة طريداً وقديماً كنتُ غير مطرّد  
فهل يقبل الصديق أنى تأب ومُعيط بما أحدثتُ من حدث يدي  
وقال البارقي في ذلك أيضاً :
- بَكَرَ النعمى بخير كندة كلّها وابن الأشجّ وخاله الصديق<sup>(٥)</sup> ١٠  
هؤلاء الذين ذكرنا : شريح بن هاني ، والمجاج بن رؤية ، والحارث  
ابن هشام بن المنيرة ، وطريف بن عدى بن حاتم ، وحسان بن ثابت ،  
وطليحة الأسدي ، ومن أشبههم ، ليسوا بأصحاب خصومات ولا نظير  
في الفاضل والمفضول .

(١) الكامل والبرهان :

لولا الرسول لاني لست حاصيه حتى يثيب في الرمس ملحودي

(٢) الهوذ : حزن الجبل وجانيه . في اللسخين : « القود » .

(٣) عتلف ، من الخطف ، وهو الضمر وخفة لحم الجنب . وفي الأصل : « عتلف » ،

ولا وجه له . والأقرب : جمع قرب بالقم ، وهو الحاصرة . والسيد : القتب . وهذا البيت ٢٠  
وسابقه لم يروا في ديوان حسان .

(٤) هو عكاشة بن محسن بن حمران بن قيس بن صبرة بن بكير بن ذهم بن دودان بن أسد .

الإصابة ٥٦٧٦ .

وإنما قدموه وسموه صديقاً على ما لم يزل يُسمى به . وهذا أكثر  
من أن نأثي عليه في كتابنا ونستقصيه .

والمجب من الروافض حين ترى ما قال رشيد المجتري<sup>(١)</sup> والسيد  
الحميري ، ومنصور النمرى حجة في أشعارها إذا كان ذلك القول في  
٥ على بن أبي طالب . وإذا قال حسان بن ثابت ، والمجاض ، والحارث بن  
هشام ، وأشباههم ممن ذكرنا في القدم والقدر ، في أبي بكر وعثمان وعمر  
وتقديمهم ، لم يكن حجة .

وفي قول عبد الله بن عباس لما نشأ بعد الجمل في دار بني خلف  
الخزاعي حين أرسله على بن أبي طالب إليها : « لِمَ تقولين إنه ليس  
١٠ في الأرض موضع أبض إلى من موضع أنتم به ، ونحن جعلنا أباك  
صديقاً وجعلناك أم المؤمنين » ، حجة في أن تسميته بالصديق قد كان  
مستتملاً في ذلك الدهر .

وإذا أحببت أن تعلم قدر هذا الاسم الذي سمى به النبي صلى الله عليه  
أبا بكر فانظر في كتاب الله . قال الله جل ثناؤه : « واذكر في الكتاب  
١٥ إذ دبرس إنه كان صديقاً نبياً . وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً<sup>(٢)</sup> » وقال : « واذكر  
في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً<sup>(٣)</sup> » ، فذكر  
صديقته<sup>(٤)</sup> قبل أن يذكر نبوته .

(١) ذكره في لسان الميزان ٢ : ٤٦٠ والأنساب ٥٨٨ ، وكان ممن يؤمن بالرجعة ،  
وقد قطع زياد لسانه وصلبه على باب دار عمرو بن حريث .

٢٠ (٢) الآية ٥٦ ، ٥٧ من سورة مريم .

(٣) الآية ٥٤ من سورة مريم .

(٤) في الأصل : « سديقه » ، وانظر الرياض النضرة ١ : ٢١ ، ٥٠ .



وقال في كتابه : « ما المسيحُ بنُ مَرْيَمَ إلاَّ رسولٌ قد خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نَبِّينَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ <sup>(١)</sup> » .

ولكن انظر كيف نُبِّينَ للرَّوافضِ الحُجَجَ بِالْآيَاتِ والإجماعِ ثم انظر أَنَّى يُؤْفَكُونَ ، أى يسخرون <sup>(٢)</sup> بهذه الفضيلة له على على . ٥

ثم الذى كان مِنْ تأميرِ النبي صلى الله عليه أبا بكرٍ عليه حين ولَّاهُ الموسمَ وبَشَّهُ أميراً على الحاجِّ سنةَ تسع ، وبعثَ عليّاً يقرأ على الناسِ آياتَ من سورة براءة ، وكان أبو بكرٍ الإمامَ وعليٌّ المأموم ، وكان أبو بكرٍ الدافعَ بالموسم ، ولم يكن لعلِّ أن يندفعَ حتَّى يدفعَ أبو بكرٍ ، ولا يستطيعُ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ أن يزعمَ أنَّ سنةَ تسع دَفَعَ بالناسِ فَيَرى أبو بكرٍ ، ١٠ ولا يستطيعُ أحدٌ أن يزعمَ أنَّ سنةَ تسع لم يبعث <sup>(٣)</sup> النبي صلى الله عليه بصَدْرِ سورة براءة مع عليٍّ بنِ أبى طالبٍ ليقراءَ على الناسِ إذا فرغَ أبو بكرٍ .

فإنَّ قالَ قائلٌ : ألا ترى أَنَّهُ كانَ لعلِّ بنِ أبى طالبٍ فى ذلكَ الموقفِ من الفضلِ ما ليس له لخصمَتيْن : إحداهما أنَّ النبي صلى الله عليه بَعَثَ مَعَهُ بصَدْرِ براءة ، وقال : « لا يُلْغى مَعْنَى إلاَّ رجلٌ مَعْنَى » . والأُخرى فَرَطَ ١٥ الاحْتِمَالِ وشِدَّةَ الخِطَارِ الذى احتمله عليٌّ حين يقومُ بالبراءة وقَطَعَ العهدَ وَقَدْ وافى الموسمَ من قبائلِ العربِ ومن الموثورينِ والناقينِ والحَنِيقينِ ، المددُ الذى لا يُمَحَصَى ، والقُوَّةُ التى لا تُدْفَعُ ، فشمَّرَ عن ساقِيه وأبْدَى

(١) الآية ٧٥ من سورة المائدة .

(٢) كذا . وفُسرَت بمعنى يَصْرِفُون ، ويَصْدُون ، ويَحْدُمُون . ٢٠

(٣) فى الأصل ، « لو يبعث » .

صفحته . ففي هاتين الخصلتين دليلٌ على أن له في ذلك ما ليس لأبي بكر ،  
والهنةُ عليه أشدّ .

قيل له : إن كان الشأن في شِدَّةِ انططارِ التفريرِ والتعرضِ على  
ما قلتم ، فنصيبُ أبي بكرٍ في ذلك أوفر ، والأمرُ عليه أخوف ، وهو إليه  
• أسرع ؛ لأنَّ أبا بكرٍ كان هو الأميرَ والوالى والتبوع ، وعلى هو المؤتم  
والرهية والسامع والطيع . وبين التابع والتبوع والأمر والمأمور فرق .

وأما قولكم : إنَّ النبي صلى الله عليه قال حينَ بثَّ بصدرِ سورة  
براءة مع علي بن أبي طالب : « إِنَّهُ لَا يَبْلُغُ عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مَعِيَ »  
فإنَّما<sup>(١)</sup> قال هذا وليس بحضرةِ أبو بكرٍ ليكونَ على قد قدَّم عليه ،  
١٠ لأنَّ النبي صلى الله عليه قد كان وجَّه أبا بكرٍ قبل ذلك ، ثمَّ بثَّ علياً  
بعده فالحقُّ في الطَّريق .

وقد زعم ناسٌ من ( المائتة ) أنَّ النبي صلى الله عليه لم يقل ذلك  
لعلَّه تفضيلاً منه له على غيره في الدِّين ، ولكن النبي صلى الله عليه عليه  
حامل العربِ على مِثْلِ ما كان بعضهم يتصرفه من بضع ، وكما دبتهم  
١٥ في عقد الحلف وحلِّ التقدِّ ، فكان السيّد منهم إذا عقدَ لقومٍ حلفاً  
أو عاهدَ عهداً لم يَحُلْ ذلك التقدِّ غيره ، أو رجلٌ من ردهطه دنيّاً كأنَّهم  
أواين ، أو عمر ، أو ابن عمر ، فلذلك قال النبي صلى الله عليه ذلك القول .  
ثم الذي كان من تفضيله عليه وعلى الناس جميعاً أيامَ شكائهم ،  
حيث أمره أن يؤمَّ النَّاسَ ويقومَ مقامَه في صلّاته وعلى منبره ،  
٢٠ حتّى أنَّ عائشةَ وحفصةَ أرادتا صرْفَ ذلك عنه لليلِ سنذكرها في

موضمها إن شاء الله ، فقال النبي صلى الله عليه : « إِيكَنْ هَتَى صَوَاحِبَ يُوسُفَ ، أَيْنِ اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا أَنْ يَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ » .

ولم يستطع أحدٌ من الناس أن يقولَ إِنَّهُ صَلَّى بالناسِ في تلكِ الأيامِ غَيْرَهُ ، ولا استطاعَ أحدٌ أن يقولَ إِنَّ المأمورَ بالصلاةَ كانَ غَيْرَهُ ، حتَّى قالوا بأجمعهم : اختارَهُ رسولُ اللهَ لِدِينِنَا فاختَرناه لدُنْيَانَا . وحقَّ قالوا : ولأَنَّ رسولَ اللهَ صَلَاتِنَا ، وَكَانُنَا تَبِعُ لَصَلَاتِنَا وَهِيَ مَعْظَا أَمْرِ الدِّينِ .

ولا يستطيعُ أحدٌ أن يقولَ : إِنَّهُ لَمْ يَهْدَمْ أَبُو بَكْرٍ بالناسِ لِيَصَلِّيَ بِهِمُ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ مُسَجِّى قَالَ لَهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ : وَمَا لَكَ تَصَلِّيَ بِنَا عَلَى غَيْرِ عَهْدٍ وَلَا سَبَبٍ . وَلَا قَالَ رَجُلٌ مِّنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَلَا قَالَ ١٠ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : مِمَّنَّا مَصَلَّى وَمِنْكُمْ مَصَلَّى ، كَمَا قَالُوا : مِمَّنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ .

فَإِنْ كَانَ النَّاسُ مَعَ كَثْرَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِيهِمْ تَرَكَوا مَجَارَاتِهِ وَمَدَافَنَتِهِ فِي قِيَامِهِ فِي مَقَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَتَبْرِيزِهِ ، كَانَ ، عَلَيْهِمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ فَكَفَى بِذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى الْفَضْلِ ، وَحُجَّةً عَلَى الْاِسْتِحْقَاقِ . ١٥

وَإِنْ كَانَ رِضَاهُمْ بِذَلِكَ وَتَسْلِيمُهُمْ<sup>(١)</sup> ، لِلَّذِي ثَبَّتَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَتَقْدِيمِهِ إِيَّاهُ ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي ذَلِكَ مَتَكَلِّمٌ ، وَلَا لِشَاغِبٍ<sup>(٢)</sup> فِيهِ مَتَمَلِّقٌ ، وَلَا لَوَاقِفٍ فِيهِ مُعْذِرٌ ، وَالْقَوْمُ جَمِيعٌ ، وَمُصَلِّاهُمْ وَاحِدٌ ، وَتَقْدِيمُهُ ظَاهِرٌ .

ولم تكن صلاة واحدة فيكون خلسة<sup>(١)</sup> . والقوم كانوا أشدَّ تقدماً  
لذلك المقام من أن يدعوا رجلاً لم يهزمهم بسيفه ، ولم يمتنع عليهم  
بمشيرة ، ولم يُفِضْ فيهم الأموال ، وليس معه فضلٌ بائن ، ولا سببٌ من  
من قرابة ، ولا أمرٌ من النبي صلى الله عليه .

• فإن صاروا إلى الاعتلال بالأحاديث وذكر الآثار قالوا<sup>(٢)</sup> : إنما نحتاج  
إلى المقابلة بين أفعالٍ على أفعال غيره ، لو كُنَّا لا نحمد له غير الأفعال .  
فإذا كتبنا قد وجدنا له من غير الأفعال ما هو أدلُّ على الفضيلة من  
الأفعال ، لم يكن لنا أن نتخطى الأفضل إلى الأقص في دفع التثلب ،  
 وإقامة المستحق عند ظهوره وزوال التثنية فيه . لا أنهم<sup>(٣)</sup> قابلوا بين  
١٠ جميع المهاجرين في القرب والبعد ، ولا أنهم صنعوا العلم بفضله بعد موت  
النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم قومٌ قد كانوا من قبل ذلك بثلاث  
وعشرين سنة يرى بعضهم بعضاً ويعرف بعضهم أمراً بعض ، يفزون  
معاً ويُقيمون معاً ، ويسمعون من النبي صلى الله عليه القول بعد القول ،  
ويرون أحوال الرجال عند النبي صلى الله عليه ، وفي المسلمين وفي أنفسهم ،  
١٥ فعلوا بذلك فضل أبي بكر ، فلما توفّي النبي لم يحتاجوا مع علمهم الأول  
إلى أن يضموا علماً ثانياً .

ولو أن رجلاً منا شاهدَ النبي صلى الله عليه وأصحابه سنة واحدة  
ماخفياً عليه من القدر عند وعند المسلمين ، ومن أشبههم به هدياً

(١) في الأصل : « حله » .

(٢) في الأصل : « وقالوا » .

(٣) في الأصل : « ولائهم » .

وعلاً ، وطريقةً وعزماً . فاطَّذَكَ بالسَّلف الطَّيِّب ، وإِخيار المُتَحَبِّين ،  
وأُسَّ الإسلام ومُرُصَى قواعده .

وذلك أَنَّ أبا بكر لا يخلو حيث أسلمَ أن يكون أسلمَ قبل الناس ،  
أو ثانياً ، أو ثالثاً . فإن كان إسلامُهُ قبل الناس فقد تَبَيَّنَ لثاني تقدُّمُهُ ،  
ولثالث تقدُّمُهُما عليه . فإذا كانوا ثلاثة لم يَخْفَ عليهم أيُّهم أفضل . ٥  
ثم إن أسلمَ بعدهم نفرٌ لم يَخْفَ أيضاً قصَّةُ الثلاثة المتقدمين . وكلُّما  
أسلمَ قومٌ لم يَخْفَ عليهم حالُ الأفضل بالذي يرون عند من أسلمَ قبلهم .  
فكانوا كذلك ثلاثاً وعشرين سنة .

فقد أيقنَّا أَنَّ القومَ لم يُؤْتُوا في تقديم أبي بكر من الجهل بموضع  
الفضل ، أطاعُوا الله في إقامته أم عصَوْه . وكذلك لو كانوا قدَّموا غيره ١٠  
ما كانوا إلَّا متممدين . وذلك أَنَّ الأفضالَ إنما تدلُّ على ظاهر عدالة  
الرَّجل وفضيلته ، ولا تدلُّ على باطن طهارته <sup>(١)</sup> وإخلاصه .

وقولُ الرَّسول صلى الله عليه في الرَّجل ومديحه له وإخبارُهُ عن  
فَضْلِهِ ومنزلته ، والوحيُ ينزل عليه صباحَ مساءً ، أدلُّ على طهارته  
وإخلاصه . ١٥

وإذا كان العبد كذلك كانت النفوس إليه أسكن ، وكان من  
التَّجَبُّل <sup>(٢)</sup> أبداً ، مع السلامة من التَّفَاق ، والدَّخَل في الاعتقاد ؛ لأنَّ <sup>(٣)</sup>  
الغلطُ في خبر الرَّسول صلى الله عليه ونَصِّه وتبيينه وإقراره للرَّجل <sup>(٤)</sup>

(١) في الأصل : « طاهرته » .

(٢) التَّجَبُّل : ترك التَّصاوت . في الأصل : « التَّجَبُّل » .

(٣) في الأصل : « ولأن » .

(٤) في الأصل : « الرَّجل » .

بالفضيلة والاستحقاق ، أقلُّ من النُظْم فيها بين أقدار الناس ، من الموازنة بين أنماهم وعقُولهم ، وعادتهم وتجاربهم ، وصلاح الناس عليهم ، مع كثرة عدد الأفعال المتساوية والمتقاربة ، ومع كثرة عدد المتساويين والمتقاربين من الرجال .

- فما يدلُّ على تفضيل النبي صلى الله عليه له قوله يومَ قَدِيرٍ خُمْ<sup>(١)</sup> وهو قابضٌ على يده وقد أَشْحَمَهُ قَاتِمًا لمن بحضرته : « مَنْ كَتَبُ مَوْلَاهُ فَعَلُ مَوْلَاهُ . اللَّهُمَّ عَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَوَالِ مَنْ وَالَاهُ » . وقوله : « أَنْتَ رِسِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ مِنْ بَعْدِي » . وقوله : « اللَّهُمَّ آتِنِي بِأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْكَ يَا كُلُّ مَعِيَ مِنْ هَذَا الطَّيْرِ » ١٠ ثلاثًا ، كلُّ ذلك يَحْبِبُهُ النَّاسُ ، طَعْمًا أَنْ يَكُونَ أَنْصَارِيًا ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَمْتَلِكَهُ الْآكِلُ ، وَالْآتِي ، وَالْأَحَبُّ .

ومن ذلك أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه حينَ آخَى بين أصحابه فَفَرَّقَ بين الأشكال ، وَفَرَّدَ<sup>(٢)</sup> بين الأمثال ، جملة أَخَايْنِ بين جميع أُمَّتِهِ وَعِلْيَةِ أَصْحَابِهِ .

- ١٥ قيل لم : إِنَّ الْأَخْبَارَ لَا بَدَّ فِيهَا مِنَ التَّصَادُقِ كَمَا لَا بَدَّ فِي دَرَكِ الثُّقُولِ مِنَ التَّعَارُفِ ، فَإِنَّ فِي عَدَمِ التَّعَارُفِ فِي حُجَجِ الثُّقُولِ ، وَالتَّصَادُقِ فِي حُجَجِ السَّمْعِ ، عَدَمَ الْإِنْصَافِ ، وَبُطْلَانَ الْكَلَامِ .

وليس لكم أَنْ تَرَفَعُوا خَبْرًا لَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْإِسْنَادِ وَتُوجِبُونَ<sup>(٣)</sup> تصديقَ مثله ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَصْمَيْنِ لَا يُعْجِزُهُ دَفْعُ الْمُسْتَفِضِّ بِلِسَانِهِ ،

(١) حكاها وردت العبارة في الأصل . ولعل الكلام : « فَإِنَّ قَالَتِ الرَّافِضَةُ : مَا يَدُلُّ عَلَى تَفْضِيلِ . . . الخ .

(٢) فرد : جمع . وفي الأصل : « فرد » .

(٣) أي وأتم توجبون .

فضلاً عن دفع الشاذ وإن كان ناقلاً عدلاً في ظاهره . فإذا كان ناقلاً ذلك كذلك فأولى الأمور بكم وبهم الصدق . وليس كل من أراد الصدق في مثل هذا قدّر عليه إلا بالتقدم في كثرة السماع وأنساع الرواية . وليس لأحد ، وإن حسن عقله وصح فكره ، أن يقول فيما لا يضاف علمه إلا من طريق الخبر حتى يكون صاحب خبر ، وطالب أثر . فإذا صح عقله وكثر سماعه ، خفت<sup>(١)</sup> مؤوته على نفسه وعلى خصمه .

أو ما علمتم أن خصومتكم وهم أكثر منكم عدداً ، وأكثر قبيهاً ومعدتاً ، يروون أن النبي صلى الله عليه قال : « ليس أحد أمتي علينا بصحبته وذات يده من أبي بكر ، ولو كنت متخذاً من هذه الأمة خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، لكن وذا وإنا إيمان<sup>(٢)</sup> » . فإن كان هذا الحديث كما نقلوا لم يميز أن يكون النبي صلى الله عليه أخاً أحد إلا أن يكون الأخ غير الخليل ، ولا نعلم الخليل إلا أخص منزلة وأقرب مودة . مع أن قوله « ولكن » دليل على أنه قد كان أخاه .

وأعجب من هذا يروون أن النبي صلى الله عليه قال في شكاته وقبيل وفاته : « إنه لم يكن نبياً قبل فيموت حتى يتخذ من أمتي خليلاً ، وإن خليلى منكم ابن أبي قحافة<sup>(٣)</sup> » .

ويروون أن النبي صلى الله عليه قال : « اقتدوا بالذين من بعدي : أبي بكر وعمر » .

(١) في الأصل : « وخفت » .

(٢) في الأصل : « وذا وإنا إيمان » صوابه من الرياض النضرة ١ : ٨٥ . وانظر فتح الباري ٧ : ١٥ .

(٣) الرياض النضرة ١ : ٨٤ .

وقد تملكون أن إسنادَه مبند الملك<sup>(١)</sup> ، عن رِبِمْي<sup>(٢)</sup> عن حذيفة<sup>(٣)</sup> ،  
والآخر سَلَمَةُ بْنُ كَهَيْلٍ ، عن أَبِي الزُّهْرَاءِ<sup>(٤)</sup> ، عن عَبْدِ اللَّهِ<sup>(٥)</sup> .  
ويروون أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، نظر إلى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ مُقْبِلَيْنِ .  
فقال : « هَذَانِ سَيِّدَا كَهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، إِلَّا  
الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ . يَا عَلِيُّ لَا تُخَيِّرْهُمَا » .

فَزَعَمُوا جَمِيعًا أَنَّ عَلِيًّا قَالَ : وَلَوْ كُنَّا حَيِّينِ مَا حَدَّثْتَكُمْ .  
ويروون جَمِيعًا أَنَّ عَلِيًّا قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيئًا فَقَالَ : « أَلَا إِنَّ خَيْرَ  
هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ، وَالثَّانِي عُمرُ ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَخْبِرَكُمْ  
بِالثَّالثِ قُلْتُ » . فَكَتَفَى عَنْ ذِكْرِ عُثْمَانَ .

ويروون أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لَمَّا أَسَّسَ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ جَاءَ بِمُحَمَّدِ بْنِ  
فَوْزَمَةَ ، ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِمُحَمَّدِ بْنِ فَوْزَمَةَ ، ثُمَّ جَاءَ عُمرُ بِمُحَمَّدِ بْنِ فَوْزَمَةَ ،  
ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ بِمُحَمَّدِ بْنِ فَوْزَمَةَ ، فَسُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ :  
« هُمُ الْأَمْرُ الْخُلَافَةُ<sup>(٦)</sup> مِنْ بَعْدِي » .

وَقَالُوا : لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ خَطَّ لِأَهْلِ قُبَاءِ مَسْجِدَهُمْ  
بَعْنَزَةَ<sup>(٧)</sup> ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ حَجَرًا ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ضَعْ

- (١) فِي الْأَصْلِ : « عِنْدَ اللَّيْلِ » . وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَمِيرٍ بْنُ سُوَيْدٍ بْنُ حَارِثَةَ الْفَرَسِيُّ  
الْكُوفِيُّ . الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٦ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ .
- (٢) رَبِمْي بْنُ حِرَاشٍ الْكُوفِيُّ . الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٠٤ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ .
- (٣) حَذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ، الصَّخَاوِيُّ الْجَلِيلُ ، وَكَانَ سَاحِبَ سِرِّ رَسُولِ اللَّهِ . مُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٦ .  
الْإِسَابَةُ وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ .
- (٤) هُوَ خَالِدُ سَلَمَةَ بْنِ كَهَيْلٍ . وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمٍ الْكِنْدِيُّ الْكُوفِيُّ ، وَهُوَ  
أَبُو الزُّهْرَاءِ السَّكْبَرِ ، كَانَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ .
- (٥) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ .
- (٦) كَذًا فِي الْأَصْلِ .
- (٧) الْعَنْزَةُ ، بِالضَّرْحِ : عَصَا فِي قَدْرِ نِصْفِ الرَّمْعِ فِي طَرَفِهَا الْأَسْفَلُ زَجَجَ كَزَجِ الرَّمْعِ .



حجرًا إلى جنب حَجَرِي ثم قال : يا عِثَانُ خُذْ حَجْرًا فَضْمُهُ إِلَى جَنْبِ قُمْرٍ .  
ثم التفت إلى سائر الناس فقال : وَضَعْ رِجْلُكَ حَجَرَهُ حَيْثُ أَحَبَّ .

ويروون أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ : « مَثَلُ أَبِي بَكْرٍ  
فِي الْمَلَائِكَةِ مَثَلُ مِيكَائِيلَ يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ ، وَمِثْلُهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ ،  
ومِثْلُ عِمْرٍ فِي الْمَلَائِكَةِ مِثْلُ جِبْرِيلَ يَنْزِلُ بِالسُّخْطِ ، وَفِي الْأَنْبِيَاءِ مِثْلُ  
مُوسَى » . والحديث طويلٌ ولكنِّي اختصرته .

ويروى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَضِعَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَالْأُمَّةُ  
فِي السَّكَّةِ الْأُخْرَى ، فَرَجَحَ بِهِمْ ، ثُمَّ أَخْرَجَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَوَضِعَ  
أَبُو بَكْرٍ مَكَانَهُ فَرَجَحَ بِالْأُمَّةِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ أَبُو بَكْرٍ وَوَضِعَ عَمْرُ مَكَانَهُ فَرَجَحَ  
بِالْأُمَّةِ ، ثُمَّ أَخْرَجَ فَرَفَعَ الْمِيزَانَ <sup>(١)</sup> .

١٠

وقالوا : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ  
بِعَثْنِي إِلَيْكُمْ جَمِيعًا فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ ، وَقَالَ لِي صَاحِبِي : سَدَقْتَ ، فَهَلْ  
أَنْتُمْ تَارِكُونَ صَاحِبِي ؟ » .

وَمَا يُؤَكِّدُ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى  
الْإِسْلَامِ إِلَّا وَقَدْ كَانَ لَهُ تَرَدُّدٌ وَكِبُورَةٌ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّهُ  
لَمْ يَتَلَمَّحْ » .

وقالوا : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَسْؤُنِي  
قَطُّ ، فَأَعْرِفُوا ذَلِكَ لَهُ » ، فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ .

فَإِنَّ كَانَ مَارُويْتُمْ فِي فَضِيلَةِ عَلِيٍّ حَقًّا ، وَمَا دَعَا فِي فَضِيلَةِ أَبِي بَكْرٍ  
حَقًّا ، فَأَبُو بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ ، وَعَلِيٌّ خَيْرٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ . وَهَذَا هُوَ

٢٠

الْتِنَاقُضُ ، وَالْحَقُّ لَا يَتَنَاقُضُ . وَفِي هَذَا دَلِيلٌ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
لَمْ يَتَكَلَّمْ بِذَلِكَ وَلَا قَالَهُ ، لِأَنَّ الظَّهْرَ إِذَا خَرَجَ مَخْرَجَ الْمَامِّ فِي تَفْضِيلِ  
أَبِي بَكْرٍ ، وَكَذَلِكَ فِي تَفْضِيلِ عَلِيٍّ ، فَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ إِلَّا مَا قُلْنَا ، إِلَّا أَنَّ  
يَكُونُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ أَحَدَ الْقَوْلَيْنِ وَصَحَّحَتْ بِهِ الشَّهَادَةُ ، وَلَمْ  
يَقُلْ الْآخَرَ وَإِنَّمَا وَلَدَتْهُ الرِّجَالُ ، وَسَمِعَتْهُ حَمَلَةُ السَّيْرِ . وَلَا سَبِيلَ لَنَا إِلَى  
مَعْرِفَةِ ذَلِكَ إِذَا كَانَ الْإِسْنَادُ مُتَسَاوِيًا ، وَعِنْدَ الرِّجَالِ مُتَقَارِبًا . وَلَيْسَ فِي هَذِهِ  
الْأَحَادِيثِ كُلِّهَا حَدِيثٌ يَضَعُرُ خَصْمَهُ إِلَى مَعْرِفَةِ صِحَّتِهِ ، أَوْ يَكُونُ النَّبِيُّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَكَلَّمَ بِكَثِيرٍ مِنْ هَاتَيْنِ الرِّوَايَتَيْنِ وَكَانَ مَعْنَاهُ وَقَعْدَهُ فِيهَا مَعْرُوفًا  
عِنْدَ مَنْ كَانَ بِمَحْضَرِهِ ، حَتَّى كَانَ الْجَمِيعُ يَعْرِفُونَ خَاصَّهُ مِنْ هَاتِهِ . وَلَكِنْ  
١٠ التَّائِلِينَ احْتَمَلُوها مِنَ السَّلَفِ بَجُرْدَةٍ<sup>(١)</sup> بَنِي تَأْوِيلَ مَعَانِيهَا ، فَأَدَّوْهَا عَلَى  
الْلفظِ الْمَامِّ ، فَصَارَ السَّامِعُ يَتَنَاقُضُ عِنْدَهُ إِذَا قَابَلَ بِعَظْمَا يَمُضُ ، لَجْهَلِهِ  
بِأَسْوَاحِ مَخَارِجِهَا ، وَكَيْفَ كَانَ مَوْقِعُهَا .

وَالَّذِي فَسَّرْتُ لَكَ مِثْلَ تَعْرِفٍ بِهِ سَمِعْتُ الْحَبِيبَةَ ، وَقَصَدَ السَّبِيلَ .  
وَهُوَ كَمَا تَقُولُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا أَقَلَّتِ النَّبْرَاءُ وَلَا  
١٥ أَظَلَّتِ الْخُضْرَاءُ عَلَى ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ » . وَلَمْ يَكُنْ بِالنَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اسْتِثْنَاءِ نَفْسِهِ حَاجَةً ؛ لِمَعْرِفَتِهِ بِاسْتِثْنَاءِ النَّاسِ  
عَنِ ذَلِكَ .

وَقَدْ عَرَفْنَا بِوَجْهِ آخَرَ أَنَّ حَدِيثَ أَبِي ذَرٍّ كَانَ يَخْرُجُهُ مَخْرَجَ الْمَامِّ  
وَأَنَّهُ خَاصٌّ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ خُصُوصِيَّتُهُ مَوْجُودَةً فِي لَفْظِ الْحَدِيثِ ؛ لِأَنَّا  
٢٠ إِذَا سَأَلْتَ الشَّيْخَ قُلْتَ : أَيُّ الرِّجَالَيْنِ كَانَ أَصْدَقَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) فِي الْأَمَلِ : « بَجُرْدَةٍ » .

أبو ذَرٍّ أو عليّ ؟ قالوا بأجمعهم : عليّ وإنما تركه<sup>(١)</sup> النبي صلى الله عليه  
لعله بمعرفة السلم بذلك من رأيه .

وكذلك لو سألت الثمانية فقلت : أيّ الرجلين كان أصدقَ عند النبي  
صلى الله عليه : أبو بكر أو أبو ذَرٍّ ؟ قالوا : أبو بكر ، كقول الشيخ  
في عليّ .

قد أجمعَ المُتَنَفِّان جميعاً أنَّ غير أبي ذَرٍّ أصدقُ من أبي ذَرٍّ .  
ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه : « متاً خير فارس في العرب »  
قالوا : من هو ؟ قال : عكاشة بن محصن .

وليس بين الأئمة تنازع أنَّ زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب الطَّيَّار ،  
والزُّبير ، خيرٌ من عكاشة .

ومن ذلك قولُ النبي صلى الله عليه : « بَأْتِيَكُمْ خَيْرُ ذِي يَمَنٍ ،  
[عليه<sup>(٢)</sup>] مَسْحَةٌ مُلْكٌ » . فَأَتَانِي جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ .

فلو كان هذا اللفظ العامُ حاصلاً في ممناه ، ولم يكن النبي صلى الله عليه  
اتَّكَل فيه على معرفة القوم ، فترك لذلك الاستثناء والتفسير ، لكان  
واجباً أن يكون جريرٌ خيراً من سعد بن مُعَاذ ، ومن حَمِيَّة الدَّيْر<sup>(٣)</sup> ،

(١) في الأصل : « نزل » .

(٢) انظر اللسان ( مسج ٤٣٤ ) .

(٣) هو حاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري ، وكان قد قتل مسافراً والجلال ابن  
طلحة ، من عتلاء المعركين ، يوم أحد ثم قتل ، فأرسلت فريش ليؤتوا بهي من جسده ،  
فبعث الله عليه مثل الغلة من الدر ، غمته منهم فارتدعوا عنه حتى أخذوه المسلمون فدفنوه .  
الإصابة ٤٣٤٨ والسيرة ٦١٠ ، ٦٣٩ واللسان ( دبر ) . والدر ، يفتح الهمزة  
وكسرها : النحل .

ومن غسيل الملائكة<sup>(١)</sup> ، ومكَّام الذَّئِبِ<sup>(٢)</sup> . وهذا ما لا يقوله مسلم .  
ومن ذلك قولُ النبي صلى الله عليه لأبي سفيان بن الحارث<sup>(٣)</sup> : «أبوسفيانَ  
خير أهلٍ» . وقد علمنا أنَّ حمزةَ والمُبَّاسَ وعليًا وجعفرًا خيرٌ من  
أبي سفيان .

٥ ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه : « خير أهل الله عمر بن الخطاب »  
وقد أجمع المسلمون أنَّ غيره خيرٌ منه ؛ لأنَّ النَّاسَ إمَّا مُعْرِئٌ وإمَّا عُلُوئِيٌّ ،  
فالعُلُوئِيُّ يقدِّم عليًا ، والعمرِيُّ يقدِّم أبا بكر .

والجملَةُ أنَّه لم يقل أحدٌ قطُّ : إنَّ عمر خيرُ الناس . فهذا بابٌ قد  
فرغْتُ [منه] ، تعرف به أنَّ النبي صلى الله عليه قد يتكلَّم بالكلام  
المعروف المعنى عند مَنْ حَضَرَهُ ، فإذا تَقَلَّوْا الكلامَ وَتَرَكُوا المعنى التَّبسُّ  
على العَابِرِينَ<sup>(٤)</sup> وجهُ المعنى فيه .

فمن ذلك ما يُعرَفُ ، كالذي حكينا من حديث أبي ذرٍّ ، ومُعَاشَةُ  
ابنِ محمَّدٍ ، وجبريٍّ ؛ ومنه ما يُجْهَلُ كحديث عليٍّ ، وأبي بكر .  
وقد تَقَلَّوْا عن النبي صلى الله عليه في رجال كلامًا وتفضيلًا ما يَقِلُّ  
١٥ مثله في أبي بكر وعليٍّ ، اللَّذَيْنِ فِيهِمَا التَّنَازُعُ .

- 
- (١) هو حفلة بن أبي حاصِر بن صيفي الأنصاري ، وكان أبوه في الجاهلية يعرف بالراهب  
وكان حفلة استأذن رسول الله في قتل أبيه قَتَاهُ من ذلك ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم  
بعدما قتلَه شداد بن سمعوب : « إن صاحبكم نفسه الملائكة » . الإِسَابَةُ ١٨٥٩ .
- (٢) هو أحيان بن أوس أو ابن الأكرع ، أحد الصَّعَابَةِ ، زعموا أنَّ الذَّئِبَ كله وبهره  
٢٠ بالرسول . انظر حواشي الحيوان ٣ : ١٣٠ .
- (٣) أبو سفيان ، اسمه المغيرة ، وقيل اسمه كنيته ، وهو أخو الرسول من الرضاع ، وأبوه  
الحارث بن عبد المطلب هم رسول الله . الإِسَابَةُ ٥٣٥ باب الكنى .
- (٤) العَابِرُ : المُقْسِرُ .

من ذلك أنهم قالوا عن النبي صلى الله عليه أنه قال : « كم من دى طيرين <sup>(١)</sup> لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء بن مالك » . وهذا كلام عظيم إن كان حقاً ، وليس عندنا فيه إلا أن رده إلى الله ورسوله .

- وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في رجال كلاماً لو كان قاله في أبي بكر وعلى لكان أصحابهما سيجعلونه في أول ما يختبئون به في الإمامة والتفضيل مثل قول النبي صلى الله عليه : « رضيت لأمتي ما رضيت لها ابنُ أمِّ عبد ، وكريهت لها ما كره <sup>(٢)</sup> » .

ومن ذلك قوله : « لكل أمة أمينٌ وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة » .

- وقوله في طلحة يوم أُحد ، حين واثاه السهم فوق النبي صلى الله عليه ١٠ فقال ، حين أسابه السهم : حس <sup>(٣)</sup> ! فقال النبي صلى الله عليه : « لو قال باسم الله لرفقته الملائكة » .

- ومن ذلك دخول هبان عليه وهو مكشوف الفخذ ؛ فنطأها ، فقيل له : يا رسول الله ، لم تنطأها من أبي بكرٍ وحمزٍ وغطفانٍ عند دخول هبان . فقال : « كيف لا أستحي ممن تستحي منه الملائكة » . ١٥ وقال : « اهتر المرث لموت سعد بن معاذ <sup>(٤)</sup> » .

---

(١) الطير : التوب الخلق . يقول : رب ذى ثوبين خلقين أطاع الله حتى لو سأل الله تعالى أجابه . ويروى : « رب أشعت أظفر لا يؤبه له » .

(٢) انظروا ما سبق في ص ٨٦ .

(٣) حس : كلمة يقال عند الوجع .

(٤) وفيه يقول حسان « الكامل ٧٧٨ » :

وما اهتر مرث الله من موت هالك سيمنا به إلا لسعد أبي عمرو

فهذا أيضاً بابٌ يُعرَف به أنَّ الرجل ليس يستحقُّ التقديم بالرواية والحديث ، إذ كان هؤلاء دونَ أبي بكرٍ وعليٍّ في الفضل ، وقد جاء فيهما ما لم يجيء فيهما .

٥ ولقد رَوَّاهُ في رجلٍ لم يُهاجر ، ولم يَصْحَبْ ، ولم يشهد المشاهد ، ولم يُفَقْ ، ولم يَتَرَضَّ ، ولم يَدْعُ إلى الله ورسوله ، إلَّا أَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ يَطْلُبُ الْحَنِيفِيَّةَ قَبْلَ مَبِيتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ زَيْدُ بْنُ سَمُرَةَ ابْنِ نَفِيلٍ . فزَعَمُوا أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ : « مُبِيتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةٌ وَحْدَهُ » .

وَأَيُّ شَيْءٍ أَدْلَى عَلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لِمَعَارٍ : « لَا تُؤْذُوا عِمَارًا فَإِنَّمَا عِمَارٌ يَجْلِدُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْ » .

١٠ مَا أَحْطَتْ الرَّائِضَةُ الطَّاعَةُ أَبَدًا ، وَلَا رَضُوا مِنَ النَّاسِ بِالْإِنْصَافِ ! وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ حِزَّةَ وَجْهَرًا وَعَلِيًّا ، كَانُوا أَفْضَلَ مِنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَلَمْ يَهْزَنْ لِمَوْتِهِمْ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَقَتَلُوا شُهَدَاءَ ، وَلَمْ تَنْخُمْ لِحُومِهِمُ الدَّيْرُ ، وَلَا تَسْلَتْهَا اللَّائِمَةُ<sup>(١)</sup> .

١٥ فَاللهُ أَعْلَمُ بِمَعْنَى هَذِهِ الْأَحَادِيثِ . وَلَمَّا صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ فِي كُلِّ رَجُلٍ قَوْلًا عَدْلًا ، وَكَانَ ذَلِكَ قَوْلًا مَعْرُوفًا مَفْهُومًا عِنْدَ الْحَاضِرِ ، وَلَكِنَّهُ أَدَّى اللفظَ وَتَرَكَ الْمَعْنَى<sup>(٢)</sup> .

فَإِذَا كَانَتِ الْأَحَادِيثُ فِي أَسْلَافِنَا وَأَعْتَمْنَا عَلَى مَا حَكَيْتُ لَكَ لَا تَمْنَعُ مِنْ مَعْرِفَةٍ وَتَدَافِعٍ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْهُ ، كَانَ وَاجِبًا أَنْ يَكُونَ الْفَرْعُ فِي أَمْرِهِمْ إِلَى الْخَبَرِ الَّذِي يَجِيءُ الْحُجَّةَ ، وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا لَا يُبْدِي مِنْ

٢٠ (١) انظر ما سبق في ص ١٣٩ — ١٤٠

(٢) في الأصل : « أدَّى اللفظَ وترك المعنى » وانظر ما سبق في ص ١٤٠ من ١٠ .

سَمَّ وَلَا يُبْرِدُ مِنْ حَيَرَةٍ . وَإِنَّمَا الْخَبِيرُ الْمَسْحُوحُ الَّذِي لَا يَتَمَدُّ<sup>(١)</sup> بِنُصْفِ  
الْإِسْنَادِ ، وَلَا يُتْرَكُ لِمَنْفَعِ الْأَسْلِ ، وَلَا يُوقَفُ فِيهِ لِكَثْرَةِ الْمَارِضِ  
وَالْمُتَاوَرِ<sup>(٢)</sup> ؛ كَنَحْوِ مَارَوْيْنَا مِنْ مَآثِرِهِمْ فِي مَقَامَتِهِمْ وَمَشَاهِدِهِمْ ، وَكَمَنْعِ  
عَلِيٍّ وَمَوَازَرَتِهِ يَدْرُ ، وَكَكُونَ أَبِي بَكْرٍ فِي الرِّيشِ . وَهَذَا مَا لَا يَتَدَاخَلُ  
وَلَا يَتَنَاقِضُ ؛ لِأَنَّ قَتْلَ عَلِيٍّ الْأَقْرَانَ يَدْرُ لَيْسَ بِنَاقِضٍ لَكُونَ أَبِي بَكْرٍ •  
فِي الرِّيشِ ، وَلِأَنَّ مَوْقِفَ عَلِيٍّ بِأَحَدِهِ لَا يَدْفَعُ كُونَ أَبِي بَكْرٍ فِي النَّارِ ،  
وَلِأَنَّ صَنِيعَ عَلِيٍّ بِخَبِيرٍ لَا يَدْفَعُ لِنِفَاقِ أَبِي بَكْرٍ الْأُمُورِ ، وَعَقْفَةِ الرَّقَابِ .  
فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ نَحْنُ لَا نَحْمَدُ لَهُ رَأْدًا وَدَافِعًا ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ شَكْلِ  
مَا قَالُوا : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي  
بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ » وَتَقْلَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ لِعَلِيٍّ : « أَنْتَ مَتَى  
يَمْزِلُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » ، وَكَأَيُّهَا قَالَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَخَى  
بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ عَلِيٍّ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ قَالَ : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا  
لَا تَخَلَّتْ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا » فِي أَشْبَاهِ هَذَا قَدْ حُكِّيتْ لَكَ فِي صَدْرِ  
الْكِتَابِ ، لَتَعْرِفَ مَجْرَى الْكَلَامِ فِي السَّلَفِ .

- فَإِنْ قَالُوا : فَلَمَّا قَالَ النَّبِيُّ قَالَ : « اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي » وَقَدْ كَانَ  
مَعْلُومًا فِي [ ذَلِكَ ] الْوَقْتُ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ مُسْتَقْبَلًا فِي هَذَا الْقَوْلِ .  
قِيلَ لَهُمْ : وَلَعَلَّهُ قَالَ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَ مَوْلَاهُ » [ وَ ] قَدْ كَانَ  
مَعْلُومًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ مُسْتَقْبَلًا .

(١) كَذَا فِي الْأَسْلِ .

(٢) فِي الْأَسْلِ : « الْمَسَاوِي » .

فإن قالوا : الفرق في ذلك أنكم لا تُفكرون روايتنا في عليٍّ ،  
ونحن نذكر روايتكم في أبي بكر .

قيل لهم : إنَّ المعجزةَ كلَّ المعجزة أن تميمه على خصمك بشيء  
لا يُعجزه . فإن أتوا إلَّا جحد الأخبار وتكذيب الآثار والإيجاب على  
الناس ما لا يُوجبون لهم مثله فإن الذين نقلوا أنَّ النبي صلى الله عليه  
قال : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ ففلي مولاة » لم ينقلوا معه في الحديث :  
« اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ » .

وإنما سمعنا هذه الزيادة من الشَّيخ ، ولم نجد له أصلًا  
في الحديث المأمول .

١٠ روى الأعمشُ — وكان رافضياً — عن سعد بن عُبَيْدة ، عن ابن بُرَيْدة<sup>(١)</sup>  
عن أبيه قال : بعثَ النبيُّ صلى الله عليه عليه في سرية واستعمله عليهم ،  
فلما جاء قال : كيف رأيتم صاحبكم ؟ قال : فلما شكوتهُ وإمَّا شكاه  
غيري ، وكنت رجلاً مكباباً<sup>(٢)</sup> ، فرفعتُ رأسي فإذا النبيُّ صلى الله عليه عليه  
قد احمرَّ وجهه وهو يقول : « مَنْ كُنْتُ وَلِيَهُ ففلي وليه<sup>(٣)</sup> » .

١٥ فواحدة أنَّ الذي رَوَى هذا الأعمش ، وهو ظنينٌ في عليٍّ مضعفٌ  
عند أهل الحجاز . وسعدُ بن عُبَيْدة ليس هناك .

وثالثة<sup>(٤)</sup> أنَّه لم يقلْ من كنت مولاة ، وقال : « من كنت وليه »

(١) هو عبد الله بن بريدة بن الحبص الأسدي . تهذيب التهذيب .

(٢) في اللسان : الرجل مكب ومكباب : كثير النظر إلى الأرض .

(٣) في الأصل : « مولاة فلي مولاة » ثم كتب تحت « مولاة » : « وليه » في  
الموضحين ، وهو ما يطلبه الكلام ليا بعد .

(٤) في الأصل : « وثالثة » .



فإذا اختلفت الألفاظ دلّ ذلك على الوهم . ولم يقل : « اللهم طه من  
 ماداه ووال من والاه » . ونحن نشهد أنّ من كان النبي صلى الله عليه  
 وليّه فسمد بن مضاء وليّه . وعلى أنّهم قد زوّوا في شكايه أقوام<sup>(١)</sup>  
 في تلك الفرقة لمليّ كلاماً قبيحاً .

- ووجه آخر مما يدلّ في هذا الحديث على الاختلاف والوهم : أنهم  
 نقلوا أنّ هذا القول في عليّ كان أنّ عليّاً جارى زيد بن حارثة<sup>(٢)</sup>  
 في بعض الأمور ، ولاحائه فيه ، لأنّه أغلظ له<sup>(٣)</sup> ، فردّ عليه زيدٌ مثل  
 مقالته ، فقال له عليّ : تقول هذا القول لمولك ؟ فقال زيد : إنّما  
 ولأبيّ لرسول الله صلى الله عليه عليه ، ولست لي بمولّى . فأبى عليّ النبي  
 صلى الله عليه عليه ، فشكا إليه زيداً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ١٠  
 « من كنت مولاه فعليّ مولاه » . وصدق النبي صلى الله عليه عليه أنّ عليّاً  
 مولى زيد ، إذ كان النبي صلى الله عليه عليه مولاه ، وكذلك المباس والفصل ،  
 وعبد الله ، وُقُوم ، ونعمان ، ومعبّد .

- وإذا كانوا هؤلاء موالى زيد لأنّ النبيّ صلى الله عليه عليه مولاه ، فليعلم  
 النبيّ صلى الله عليه عليه من ذلك ما ليس لهم جميعاً<sup>(٤)</sup> فإنما أراد النبيّ صلى الله  
 عليه أنّ يعلم زيداً غلطه في ذلك القول ، حين ظنّ أنّ ابن عم النبيّ  
 صلى الله عليه عليه ليس مولاه .

فإذا كان أمرُ عليّ وزيد مشهوراً عند أصحاب الآثار ، فإنما حتى

(١) في الأصل : « أقوم » .

٢٠ (٢) في الأصل : « زيد ثم حاربه » ، وهو من هيب التعريف .

(٣) في الأصل : « غلط له » .

(٤) في الأصل : « ما ليس لهم بهم جميعاً » .

- مولى التَّمة ، وليس في هذا إخبارٌ عن فضلٍ على في الدين .
- ولو كان النبي صلى الله عليه قال كما زعمت الزوافض : « اللهم عادٍ من عاداه ووالٍ من والاه » ، كان هذا القول يدلُّ على أنَّ زيدا قد أتى جُرماً عظيماً ؛ فلم<sup>(١)</sup> يكن ليتخطى دعاه النبي صلى الله عليه على من عادى علياً إلى غيره إلا بعد وقوعه به ، لأنَّ زيدا هو المشتكى ، ومن أجل سنيته خرج النبي صلى الله عليه إلى مثل هذا القول الشديد ، وهذا الدعاء القاصم ، ومن قوله ومنه غَضِبَ عليه ، وعليه نَصٌّ وإيَّاه عَسَى .
- وإنما يقول هذا ويحورّه من لا علم له بقدر زيد عند النبي صلى الله عليه عليه . أو ما علمت أنَّ زيدا أحدُ من روى النَّاس عنه ونقلوا أنَّه كان أقدم النَّاس إسلاماً . وقد دلَّلنا على فضيلة إسلامه على إسلام عليٍّ ١٠ في صدر كتابنا ، في كلام المائة<sup>(٢)</sup> .
- وقد بلغ من قدره عند النبي صلى الله عليه عليه وتفضيله إيَّاه أنَّه لم يكن في سرِّه قط إلا كان أميرها ، ولا أقام ببلادٍ إلا وهو أميرها .
- ويدلُّك على ذلك أنَّ النبي صلى الله عليه عليه أمره على جعفر الطَّيار ، وعقد له يوم مؤنة ، ثم عقد لابنه أسامة على كبار المهاجرين والأنصار ، ١٥ منهم عمر بن الخطَّاب ، وسعيد بن زيد ، وأبو عُبَيْدة بن الجراح ، وسعد ابن أبي وقاص . حتَّى قال رجالٌ من المهاجرين - وكان أشدَّهم في ذلك عِيَّاش بن أبي ربيعة<sup>(٣)</sup> - : يولَّى علينا هذا الغلام ! فغضب مُمرَّ وردَّ

(١) في الأصل : « ولم » .

(٢) انظر ما سبق في ص ٢٢ - ٢٤ .

(٣) في الأصل : « عباس بن أبي ربيعة » تحريف . الإصابة ٦١١٨ ولتأنيق الأصماع

٥٣٧ وفقح الباري ٧ : ٦٩ / ٨ : ١١٥ - ١١٦ .

عليهم ، ثم أتى النبي صلى الله عليه فقال : أَلَا أُعْجِبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ  
من رجالٍ يقولون كذا وكذا ؟ ! فحسب النبي صلى الله عليه إلى التبر  
في شكاته التي تَوَفَّى فيها فقال :

ما مَقَالَةٌ بَلَفْتَنِي عَنْ بَعْضِكُمْ فِي أَسَامَةِ وَتَأْمِيرِهِ ؟ ! ولئن طعنتم في إمارته  
لقد طعنتم في إمارَةِ أَبِيهِ . وإيْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ خَلِيفَةً لِلْإِمَارَةِ ، وَإِنْ ابْنَهُ  
خَلِيفَتُ لَهَا ، وَإِنْ كَانَ كَيْنٌ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَابْنُهُ كَيْنٌ أَحَبُّ  
النَّاسِ إِلَيَّ .

فهو الحُبُّ وأبو الحُبِّ ، وهكذا يقال بالمدينة : أَسَامَةُ الحُبِّ .  
ولذلك قَالَ حُرٌّ لابنه عبد الله حين زَادَ فِي فَرِيضَةِ أَسَامَةَ عَلَى فَرِيضَتِهِ ،  
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : لِمَ فَضَّلْتَهُ عَلَيَّ وَنَحْنُ سَيِّانٍ ؟ فَقَالَ عَمْرٌ : إِنْ أَبَاهُ  
كَانَ أَحَبُّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَبِيكَ ، وَكَانَ هُوَ أَحَبُّ إِلَى النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْكَ .

وَقَالَتْ حَائِشَةُ عِنْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : لَوْ كَانَ زَيْدٌ حَيًّا  
لَا سَتَخَلَّفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْكُمْ .

هذا وَأَبُوهَا الْخَلِيفَةُ وَالْمَجْعُولُ إِلَيْهِ الْإِمَامَةُ .

وَمَا يَدُلُّكَ عَلَى فَضِيلَةِ أَبِي بَكْرٍ وَمَكَاتِهِ وَغَايَتِهِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِظَمِ شَأْنِهِ عِنْدَهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [لَمَّا] آخَى بَيْنَ الْمَاجَرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ آخَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ هِزْهَةَ ، وَإِلَيْهِ أَوْصَى هِزْهَةَ يَوْمَ أَحُدٍ . وَقَدْ  
تَعْلَمُونَ أَنَّ هِزْهَةَ اسْتَشْهِدَ وَهُوَ أَجَلُ النَّاسِ فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَعْظَمُ  
فِي أَنْفُسِ الْمَاجَرِينَ . وَإِنْ أَمْرًا يَكُونُ كَقُنْطَرَةٍ لِحِزَّةٍ فِي الْإِخَاءِ ، وَحِزَّةٍ عَلَى  
مَا وَصَفْنَا ، لَمْ نَظْمِمْ الشَّأْنَ ، وَفِيهِ الْمَكَانُ .

ولو لم يُعرف من قدره إلا أن ذكره الله باسمه في كتابه ، كما ذكر لقمان ، ولم يفضل هذا لغيره من هذه الأمة ، لقد كان ذلك دليلاً على النزلة والقرية ، فكيف يجوز أن يكون في الحديث : « اللهم هاد من عاداه ووال من والاه » وحال زيد وصفته على ما ذكرنا وفسرنا ١٩ مع أن اللفظ في الحديث لو كان : اللهم هاد من عاداه ووال من والاه ، لم يكن فيه دلالة تضطر إلى إمامته ، وحجة قهر العقول وتحملها على معرفة خاصته ، ولكنه لفظ يدل على الفضل والقدر ، وليس بالتميز الذي لا بدّه ، والتقديم الذي لا فوقه .

وإنما الكلام الذي لا بدّه قول النبي صلى الله عليه : « ما أخذتُ من علينا بصحبته من أبي بكر » ، وقوله : « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً » ، وقوله : « أبو بكر ومُر سيّدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين » .

فإذا كان هذا الحديث مختلفاً في أصله وفي رحمة غرضه ، ومختلفاً في تأويله وفرعه ، والحجة في أصله متدافعة ، والحجة في فرعه متكافئة ، فكيف يكون جحد على إمامته واستحقاقه وفضيلته على نظرائه .

ولو كان هذا الحديث مجتمعا على أصله ورحمة غرضه ، ثم كان لفظه محتملاً لضروب التأويل ، ما كان للروافض فيه حجة تقطع الخصم ، وتظهر الباطنة .

ولو كان هذا الحديث مجتمعا على أصله ورحمة غرضه وكان لا يحتمل من التأويل إلا معنى واحداً ما اختلفت في تأويله العلماء ، ولا اضطربت فيه الفقهاء ، ولكان ذلك ظاهراً لكل من صحّ لُبّه ، وحسن بَيّانه ،

ولا سيما إذا كان الحديث ليس مُفَصِّحاً عن نفسه ، ومعرباً من تأويله ، إلا  
عن قصد الرسول وإرادته لأن يكفّهم مَوْنَةُ الرواية والأسباب الشكّة  
فيلبّنى على هذا القياس أن يكون علماء المنيّة وفقهاء المُرْجئة تَعْرِفُ من  
ذلك ما تعرف الروافض ، ولكنها تجحد ما تعرف ، وتُنْكِر ما تعلم .

- ولو كان هذا الحديث مجتمعا على أصله ولكنه غامض التأويل ، ٥  
وعويص المعنى ، لا يكاد يُدركه إلا الراسخ في العلم ، البارِع في حُسن  
الاستخراج ، كان الثُدر في جهل إمامته وفضيلته على غيره واسماً مبسوطة  
لأكثر المسلمين ، وجُلّ الناقلين ، وليكبراء الشكّكين .

- وإنما سارت الروافض إلى إكفار الأنصار والمهاجرين ، بِزعمهم<sup>(١)</sup>  
أنّ النبي صلى الله عليه نصّ على إمامته ، ودلّ على فضيلته ، فإنّه لا بدّ ١٥  
للناس في كلّ عصر من إمام من ولده ، لأنّ ذلك الموضع إذا كان مَعْنِياً  
وَمَعْلُوماً كان أخفّ على الناس في المِحْنة ، وأبعد من الخطأ والزلل ، ولأنّ  
اختيار الله لهم لأنفسهم ، لأنّه لو كان ذلك لا يكون إلا بالنظر دون النصّ  
لم يَصِلُوا إلى إقامته ، لكثرة عدد الناس ، ولكثرة عدد الفضل<sup>(٢)</sup> وليما  
في ذلك من الإشكال عند الموازنة ، والشغل عند المدوّ . ٢٥

فإذا كان السبب في الإمامة<sup>(٣)</sup> هو الذي قالوا ، فلا بدّ من حديث  
لا يحتمل التأويل ، ولا يمنع من معرفة صحّة أصله وصدق تخريجه .  
فإن قالوا : فإنّا سنأتيكم بمثل اللفظ الذي أنتمتمونا به حتّى لا يكون  
لفظ أدلّ على الناية منه . من ذلك قول النبي صلى الله عليه عند طائفة<sup>(٤)</sup>

(١) في الأصل : « وهو » .  
(٢) « عدد الفضل » كذا في الأصل - ويصح أن تقرأ « الفضل » جمع فاضل . أو لعلها  
عدد ذوي الفضل .  
(٣) في الأصل : « وزعمهم » . (٤) الظر ما سبق في ص ١٣٤ - ٩ - ١٠ .

أَتَيْ بِهِ فَأَرَادَ أَكْلَهُ فَأَحَبَّ أَنْ يَشْرَكَهُ فِي أَكْلِهِ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ  
فَقَالَ : « اللَّهُمَّ آتِنِي بِأَحَبِّ عِبَادِكَ إِلَيْكَ يَا كُلُّ مَعَى هَذَا الطَّائِرِ »  
ثُمَّ قَالَ لَأَنْسَ : أَخْرُجْ فَاظْطَرُّ مَنْ تَرَى بِالْبَابِ ؟ فَخَرَجَ فَوَجَدَ عَلِيًّا فَلَمْ  
يَأْذَنْ لَهُ ، وَلَمْ يُعَلِّمِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَانَهُ طَلْعاً أَنْ يَكُونَ أَنْصَارِيًّا .  
فَفَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ثَلَاثًا ، كُلَّ ذَلِكَ يَحْبِبُهُ أَنْسٌ ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ ،  
فَلَمَّا طَلَعَ قَالَ : « اللَّهُمَّ وَالْ (١) » .

قِيلَ لَهُمْ : أَمَّا وَاحِدَةٌ فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ سَاقِطٌ عَنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ ،  
وَلَوْ كَانَ صَحِيحًا عَنْهُمْ فَلَمْ يَجِئْ إِلَّا مِنْ قَبْلِ أَنْسٍ فَقَطْ ، وَأَنْسٌ وَحْدَهُ  
لَيْسَ بِحُجَّةٍ ، فَلَمْ (٢) يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَقَالٌ وَلَا مَتَكَلِّمٌ .

١٠ وَثَانِيَةٌ : إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ إِلَّا يَحْتَجُّ بِخَبَرِ أَنْسٍ لِأَنَّهُمْ مَعَشَرَ الشَّيْخِمْ ،  
لَأَنَّ أَنْسًا عَنْدهُمْ كَافِرٌ كَذَّابٌ .

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ سُوءِ قَوْلِهِمْ فِيهِ أَنَّكُمْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ كَذَّبَ عَلَى عَلِيٍّ ،  
كَذَبَهُ وَبَهَّتْهُ بِأَمْرِهِ ، فَدَعَا اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ بَسَقَ فِي وَجْهِهِ فَبَرَسَ مِنْ قَرْنِهِ  
إِلَى قَدَمِهِ . وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ بِمَثَلِهِ لِلْحِجَابِ ، وَتَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ  
١٥ أَكْفَرُ بِاللَّهِ وَلَا أَجْعَدُ لِإِمَامَةِ عَلِيٍّ وَلَا أَنْقَضَ لِأَمْرِهِ ، وَلَا أَقْتُلُ لِشَيْعَتِهِ  
مِنَ الْحِجَابِ وَلَا مِنْ وَلَاهٍ ، وَأَنْ مَنْ وَلِيَ لَهَا فِي طَرِيقِهِمَا وَحَكَمَهُمَا .

وَأُخْرَى أَنَّهُ إِنْ كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ كَمَا يَقُولُونَ وَقَدْ صَدَّقْتُمْ عَلَى أَنْسٍ ،  
فَقَدْ زَعَمَ أَنْسٌ بِزَعْمِكُمْ أَنَّهُ كَذَّبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ  
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . وَقَدْ أَمْسَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَنِ الطَّلَامِ وَهُوَ يَشْتَبِهُهُ ،

(١) كَذَا وَرَدَ الْحَدِيثُ مَبْتُورًا إِلَى الْأَسْلِ .

(٢) فِي الْأَسْلِ : « لَمْ » .

فأحبَّ لشهوته له أن يَشْرَكَ فيه أشبهُ الناس به فدعا ربَّه ؛ وأنه  
إذ دعا ربه ثلاثَ مرارٍ كلَّ ذلك يَسْتَجِيبُ له ، وكلَّ ذلك يراه أنسٌ  
ويكذِّبُ له ويصدُّه عن حاجته ، ويمنِّعه سرعة الاستجابة ، وتمجِّلُ  
قضاء الحاجة ، وتسويته أكلَ المُشْتَمَى من طعامه . كلَّما دعا دَعْوَةً قال  
أخرج يا أنس فانظُرْ من الباب ، ثقةً منه برَّبه ، وانكلاً على الذي  
عنده له ، ويرجع وقد كَتَمَهُ وحجَّبه عنه ، وممنَّه سرور تمجِّلِ الدعاء ،  
وأكلَ شهيئِ النِّداء .

فإن كان أنسٌ كما تقولون فقد ركبَ أمراً عظيماً ، وذهبَ مذهباً قبيحاً  
وكيف يَصْدُقُ على النبي صلى الله عليه من خُلِقَ بهذا<sup>(١)</sup> ، وكذَّبه في وجهه  
ثم لا نعلم الأولى من الثانية ، والثانية من الثالثة . هذا والوحي ينزل  
بأسرع من الطَّرف بلعن قوم ومدح آخرين .

وإنَّ أمراً احتملت نفسه وشاع في طبعه أن يواجهَ النبي صلى الله عليه  
بالكذب ثلاثَ مرات في أحبِّ الناس وأوجبهم حقاً عليه ، لحريَّ ألاَّ يصدق  
عليه في مُعْظَمِ أمر الدين ، مع أنَّ الحديث نفسه هو أضعفُ حديث عند  
أصحاب الأثر من<sup>(٢)</sup> أن يحوِّجنا إلى الإطْئاب فيه ، والإخبار عنه .  
ومنى أدعينا ضَعْفُ حديثٍ وفَسَادُهُ فانهم رأينا ، وخِفَتِ مِيلَنَا  
أَوْ غَلَطْنَا فاعترضوا مَحَالَّ الحديث وأصحاب الأثر ، فإنَّ عندم الشفاء فيما  
تنازعنا فيه ، والمعلم بما التبسَ علينا منه .

(١) كذا في الأصل . وله وجه .

(٢) كذا ورد الأسلوب ، وفيه استعمال « من التضليلية » مع أصل التفاضل المضاف ،  
كقول ليس بن الحطيم :

نحن بغرس الودى أهلكنا منا يركن الجياد في الصدق

وقد أنصف كلَّ الإنصاف من دعاكم إلى القنص مع قُرب داره  
وقلّة جوره وأصحاب الأثر من شأنهم رواية كلِّ ما سمعَ عندهم ، عليهم  
كان أولهم . مع أن هذا الأمر ليس يُعرف من قبل الحديث ، وإنما  
يُعرف من الوجه الذي به يَقْضَى على جميع الدّين .

٥ وإنما احتجبنا عليكم في أنسِ بالذي سمعتم ، لأننا وجدناكم تكفرونه  
حتى إذا جرى سببٌ يؤكد ما تقولون جعلتم كفره إيماناً ، وكذبه  
تصديقاً ، وعداوته ولاية . ثم لم ترشوا بأن الحقنموه بالأولياء وأخرجتموه  
من حدود الأعداء ، حتى أقم خبره وحده مقامَ خبرٍ من يكذبُ  
آيًّا<sup>(١)</sup> به ، أو مقام خبرٍ يمتنع الكذب في مجيئه لاختلاف عللِ أهله .  
١٠ فأما نحن فلما نرى أنه رجلٌ عظيمُ الحرمة واجبُ الحق<sup>(٢)</sup> ،  
إذ كان قد خدم النبي صلى الله عليه صغيراً واعتصم به كبيراً ، وكان  
من رهن سِدْق .

وأما ما حكيتُم من ولايته للحجاج فقد ولى للحجاج وسلّى خلفه  
من كان يرى إكفاره فضلاً عن من يرى تسيقه ، وفي البراءة منه وفي  
١٥ التّقيّة سعة ، وفي الخوف عذر .

فأما الذي حكيتُم من البياض الذي أصابه فلن المؤمن برّض مصائب  
ما كان في دار الدنيا . وما كان الذي أصابه في جنب الذي كان فيه أيوبُ  
النبي صلى الله عليه ؟ ! وقد كان شبيب مكفوفاً !

ولو كان على كما يقولون فأراد أنه كان إذا بصق على إنسانٍ فأراد

(١) في الأصل : « مقام جبرئيل عليه السلام » .

(٢) في الأصل : « صاحب الحق » .



أَنْ يَرِيسَ بَرِيسَ ، لَمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فُوقَ .

وَالْمَجْبُوبُ إِنْ كَانَ كَمَا تَرْمِهُونَ ، كَيْفَ لَمْ يَبْصُقْ عَلَى أَبِي مُوسَى فَيَجْذِمَهُ ، أَوْ عَلَى جَيْشِ صَفِيِّينَ فَيَهْزِمَهُ ١٩ بَلْ كَانَ عَلَى أَظْهَرِ سَلَمًا ، وَأَرْجَحَ حِلْمًا وَأَشَدَّ وَرَمًا ، وَأَكْثَرَ فِقْهًا ، وَأَبْيَنَ فَضْلًا ، مِنْ أَنْ يَدْمِيَ .  
هَذَا وَشِبْهَهُ .

وَلَيْسَ يَمْدَحُ عَلِيًّا بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا هَازِلٌ أَوْ جَاهِلٌ .

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « أَنْتَ مَتَى كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » ، وَإِنَّ<sup>(٢)</sup> النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَرَادَ بِهَذَا أَنْ يُعْلِمَ النَّاسَ أَنَّ عَلِيًّا وَصِيَّهُ وَخَلِيفَتُهُ ، فَإِنَّا سَنَقُولُ فِي ذَلِكَ ، وَبِإِلَّهِ ١٠ وَحْدَهُ نَسْتَعِينُ .

نَقُولُ : إِنَّ خِلَافَةَ الرَّجُلِ لَا نَكُونُ إِلَّا فِي إِحْدَى مَزَلَتَيْنِ : إِمَّا فِي حَيَاةِ الْمُسْتَخْلَفِ وَإِمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ . وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ اسْتَخْلَفَ عَلِيًّا فِي غَزْوَةٍ مِنْ غَزَوَاتِهِ ، فِي كَثْرَةٍ مَا غَزَا ، وَكَثْرَةٍ مَا وَلَّى .

١٥

قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ خَلَفَهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ . وَقَالَ قَوْمٌ : الْمُسْتَخْلَفُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ . وَهُمْ إِنْ اخْتَلَفُوا فَلَمْ يَخْتَلَفُوا أَنَّ عَلِيًّا كَانَ مَقِيمًا بِالْمَدِينَةِ وَالْأَمِيرُ غَيْرُهُ ، وَالْإِمَامُ سِوَاهُ .

٢٠

(١) فِي الْأَسْلِ : « فَإِنْ » .

ولولا أن خلفاء النبي صلى الله عليه في غزواته يُصاب عليهم<sup>(١)</sup> بكل مكان ، وفي كل سيرة ، لقد كتبته لك في كتابي الذي رددت فيه على من صغر قدر الإمامة وزعم أنها غير واجبة ، وأنها تصلح في العدد الكثير . وأما غير ذلك من كتب فلم أتحل فيه قولي ، وجعلت الكتاب هو الذي عبر عن نفسه ، وقت مقام جميع الخصوم ، وجعلت نفسي عدلاً بينهم . ولو لم أكن على ثقة من ظهور الحق على الباطل لم أستحل كتابته مع زوال الثقة ، وصالح الدهر ، وإنصاف القيم .

ثم رجعنا إلى كلامنا الأول قتلنا : لا بد لخلافة الرجل من إحدى منزلتين : إما في الحياة أو بعد الموت : فأما في الحياة فلا يستطيع أحد أن يقول : إن النبي صلى الله عليه استخلف علياً في حياته . وليس يضع ذلك من علي ؛ لأن أبا بكرٍ ومهر الدين هما عندنا أولى بالأمر منه لم يستخلفهما النبي صلى الله عليه قط في حياته . أو تكون الخلافة بعد الموت فلا يجوز أيضاً أن يكون النبي صلى الله عليه عسى بقوله « أنت مسي بمنزلة هارون من موسى » الخلافة لمي بعده والذي قد علم أن هارون قد مات قبل موسى : لأن هارون وموسى وأمهاتاً جميعاً في شهر واحد ، وكان موسى صلى الله عليه آخرهم موتاً . ولذلك قالت بنو إسرائيل لموسى : أنت قتلت هارون<sup>(٢)</sup> .

فإن قالوا : ومن يقول : إن هارون مات قبل موسى ؟  
قيل لهم : إن شئتم فاعترضوا أصحاب التفسير والسيرة ، والتمسوا لهم

٢٠ (١) أى يوقع عليهم . وفى القرآن : « سابوا بهم : وقموا بهم » .  
(٢) انظر كامل ابن الأثير ١ : ١١١ ففيه قصة وفاة هارون . وانظر كذلك سفر العدد ٢٠ : ٢٨ ، ٢٩ .

ذلك من قبل أصحاب ابن عباس ، وإن شئتم فأهل الكتاب يهودم  
ونصارهم الذين ليس لهم في ذلك دَفْعُ مَضَرَّةٍ ولا اجتلابُ منفعة ، ولو  
أَمَرُوا أَنْ يَجْعَدُوا مَا عَرَفُوا ، وَأَنْ يُطَبِّقُوا عَلَى إِنْكَارِ مَا عَلِمُوا ، وَكَانَ  
ذلك مَحْكَمًا فِي الْقُدْرَةِ ، سَائِمًا جَائِزًا ، لَجَعَدُوا أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخَذَتْ  
مُوسَى يَقْتُلُ هَارُونَ تَمَنُّتًا وَبَغْيًا ، أَوْ غِلْمًا أَوْ جَهْلًا .

وهذا مشهورٌ عند أهل الكتاب وأهل التفسير .

وليس أحدٌ أحقَّ بأنْ يُصِيبَ فِي الْأَمْثَالِ إِذَا ضَرَبَهَا ، وَلَا أَوْلَى بِمُسْنِ  
التَّشْبِيهِ إِذَا شَبَّهَ ، مِنْ خَيْرَةِ اللَّهِ وَصَفَوْتِهِ مِنْ رَسَلِهِ ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ  
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْتَ مَتَّى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » وَهُوَ  
يُرِيدُ الْخِلَافَةَ ، وَهَارُونَ لَمْ يَكُنْ مِنْ مُوسَى خَلِيفَةً مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ  
عَلَى خَلِيفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَيَاتِهِ . فَنَفَى أَيْ الْمُتَزَلِّينَ وَعَلَى آيَةِ  
الْحَالِإِنْ يَكُونُ عَلَى خَلِيفَةٍ إِذْ لَمْ يَكُنْ اسْتَخْلَفَهُ النَّبِيُّ <sup>(١)</sup> أَيَّامَ حَيَاتِهِ . بَلْ  
كَيْفَ يَجْعَلُهُ مِنْ نَفْسِهِ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى وَهُوَ يُرِيدُ الْخِلَافَةَ مِنْ  
بَعْدِهِ ، وَهَارُونَ لَمْ يَكُنْ خَلِيفَةَ مُوسَى بَعْدَهُ .

وَلَا بَدَّ لِلْحَدِيثِ مَعَ سُوءِ تَأْوِيلِكُمْ وَاضْطِرَابِ حُجَّتِكُمْ مِنْ ضَرِيئِينَ :  
إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِاطِّلَالٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَإِمَّا أَنْ  
يَكُونَ حَقًّا وَمَعْنَاهُ غَيْرُ مَا قُلْتُمْ ، وَتَفْسِيرُهُ غَيْرُ مَا ادَّعَيْتُمْ .  
وَلَوْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ عَلِيًّا خَلِيفَةً مِنْ بَعْدِهِ إِذْ لَمْ  
يَكُنْ جَعَلَهُ خَلِيفَةً أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، لَقَالَ <sup>(٢)</sup> : أَنْتَ مَتَّى بِمَنْزِلَةِ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ

٢٠ (١) فِي الْأَسْل : « اسْتَخْلَفَهُ مُوسَى » ، وَكَلَامُهُ « مُوسَى » مُقْصَصَةٌ .

(٢) فِي الْأَسْل : « فَقَالَ » .

إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » ، لَأَن يَوْشَعَ كَانَ خَلِيفَةً مُوسَى فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ  
بَعْدَهُ ، وَكَانَ نَبِيًّا قَبْلَ مَوْتِ مُوسَى وَبَعْدَهُ .

فَلِإِنْ قَالُوا : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لَمْ يَقْصِدْ إِلَى الْخِلَافَةِ وَلَمْ يُرِدْ  
الْإِمَامَةَ ، وَلَكِنَّهُ عَلَى الْوِزَارَةِ .

٥ قلنا : إِنَّ وِزَارَةَ هَارُونَ مِنْ مُوسَى لَا بَدَّ فِيهَا مِنْ أَحَدٍ أَمْرَيْنِ :

أَمَّا أَنْ يَكُونَ مُوسَى هُوَ جَمِلُ لَهُ ذَلِكَ وَهُوَ وَزِيرُهُ عَلَى جِهَةٍ مَا يَتَّخِذُ  
الْإِمَامُ وَزِيرًا وَالْمَلِكُ وَزِيرًا عَلَى مَعْنَى الْاِخْتِيَارِ وَالِاسْتِكْفَاءِ وَالثَّقَةِ .

أَوْ يَكُونَ وَزِيرُهُ عَلَى جِهَةِ الْمُوَازَرَةِ وَالْمَكَاتِفَةِ وَالتَّعَاوُنِ ، عَلَى أَنَّ  
كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَزِيرُ صَاحِبِهِ وَمَعَاوُنُهُ وَمَكَاتِفُهُ ، إِذَا غَابَ عَنْ قَوْمِهِ  
١٠ كَانَ الْآخَرُ خَلِيفَتَهُ ، لِأَنَّ مُوسَى الْجَاعِلُ ذَلِكَ لَهُ .

وَلَا مَنَزَلَةَ لِهَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا هَاتَيْنِ الْمَنْزِلَتَيْنِ فِي جِهَةِ الْخِلَافَةِ  
وَالْوِزَارَةِ ، لِأَنَّ نَبُوَّةَ هَارُونَ لَا تَكُونُ مِنْ قَبْلِ مُوسَى ، وَالنَّبُوَّةُ  
لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ قَبْلِ اللَّهِ .

وَلَيْسَ يَخْلُو قَوْلُ مُوسَى لِهَارُونَ : « اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي » مِنْ ضَرِيرَيْنِ :  
١٥٦ أَمَّا أَنْ يَكُونَ هُوَ جَمْلُهُ خَلِيفَتَهُ عَلَى جِهَةِ الْاِخْتِيَارِ وَالِاسْتِكْفَاءِ وَالثَّقَةِ بِهِ ،  
وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ خَلِيفَةً عَلَى أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا غَابَ عَنْ  
قَوْمِهِ كَانَ الْآخَرُ خَلِيفَتَهُ .

فَإِنْ كَانَتْ وِزَارَةُ هَارُونَ وَخِلَافَتُهُ لِمُوسَى إِمَّا كَانَتْ مَنَزِلَتَيْنِ أُنْزِلَ فِيهِمَا  
مُوسَى ، وَلَيْسَتْ لِهَارُونَ مِنْ مُوسَى مَنَزَلَةٌ غَيْرُهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ  
٢٠ عَلَيْهِ : « أَنْتَ مَتَى بِمَنَزَلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » فَكَأَنَّمَا قَالَ : لَكَ خِلَافَتِي

ووزارتي<sup>(١)</sup> ، فكيف يقول : إَلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي . والنَّبِيُّ مَنْزِلَةٌ من الله لهارون وليست مَنْزِلَةٌ لهارون من موسى . فإذا كان ذلك كذلك فكيف يستثنى الحكيم المرشد الشيء من [غير] شكله ؟ ! وهل يكون بمنزلة من غير كَلْمَةٍ ؟ !

- وكيف يقول : قد جعلتك خليفة ووزيراً ، إَلَّا أَنِّي لَمْ أَجْعَلْكَ نَبِيًّا مثلًى ، وَمَنْزِلَةُ النَّبِيِّ لَيْسَتْ إِلَيْهِ كَمَا كَانَتْ مَنْزِلَةُ الْخُلَافَةِ وَالْوِزَارَةِ إِلَيْهِ . وإِنَّمَا قَوْلُهُ : « أَنْتَ مَعِيَ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى » يُرِيدُ بِهِ : إِنْ لَكَ مَعِيَ مِثْلُ الَّذِي كَانَ لِهَارُونَ مِنْ مُوسَى ، وَهُوَ الْخُلَافَةُ وَالْوِزَارَةُ . فكيف يقول : « إَلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » فيستثنى مَا لَا يَمْلِكُهُ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَمْلِكَهُ ، مِمَّا قَدْ مَلَكَهُ وَيَجُوزُ أَنْ يَمْلِكَهُ مَنْ هُوَ دُونَهُ مِنْ خُلَفَائِهِ وَمِنْ خُلَفَاءِ خُلَفَائِهِ .

- أو يكون هارون كان وزيرَ موسى على جهة الوِزَارَةِ وَالْمَعَاوَنَةِ ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَزِيرَ صَاحِبِهِ وَخَلِيفَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ وَحَاضِرَهُ الْآخَرِ ، لَيْسَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ خَلِيفَةً وَوَزِيرًا . وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَتْ لِهَارُونَ مِنْ مُوسَى مَنْزِلَةٌ مِنَ الْوِزَارَةِ وَالْخُلَافَةِ إَلَّا وَلِمُوسَى مِنْ هَارُونَ مِثْلُهَا . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ قَدْ صَارَتْ خِلَافَتُهُمَا وَوِزَارَتُهُمَا كَتَبَوْتَهُمَا أَوْ رَسَالَتَهُمَا . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْتَ مَعِيَ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، وَلَيْسَتْ لِهَارُونَ مِنْ مُوسَى مَنْزِلَةٌ إَلَّا وَلِمُوسَى مِثْلُهَا مِنْ هَارُونَ ؟ ! . وكيف يجوز أن يقول النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ لِمُوسَى وَمَنْزِلَةُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى مَنْزِلَةُ النَّبِيِّ مِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « فَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ خِلَافَتِي وَوِزَارَتِي » .

النبي ، والشكل من الشكل ، واللئيل من اللئيل ، وهي منزلة من الله كما أن نبوة موسى منزلة من الله ؟

وكيف يقول : إلا أنه لا نبي بعدى ، وسبيل النبوة سبيل منزلة هارون من موسى على ما حكيناه من التماون والتأزر ؟

٥ وإذا كان هذا الحديث لو صح في أصله وأول مخرجه ، وسليم من الزيادة والنقصان وحاء مجيء الحجة ، لم يقدر القوم على أن يحملوه دليلاً موجباً وشاهداً صادقاً على<sup>(١)</sup> خلافته وإمامته دون غيره ؛ فما ظنك به إن كان قد دخله من الخلل والضعف والاحتمال في الفساد ما يوجب تكذيبه وردّه .

١٠ وأقل ما للمثانية في هذا الحديث أن يساؤوكم في تأويلكم ، وفي ذلك الخلاف بطلان حجتكم .

وقد زعم ناس من المثانية أن هذا الحديث باطل من أجل أنه لا يحتمل من التأويل إلا ما حكيت لك ، وأن النبي صلى الله عليه لا يملن ولا يظهر غير ما يُضمّر ، ولا يتكلم بالفاسد ، ولا يستكره المانع ، ولا يتكلم بالتمقّد<sup>(٢)</sup> ، ولا يضرب مثلاً ولا يشبه شيئاً بشيء إلا وذلك الشيء وفق ما قال ، لا يزيد عليه ولا ينقص عنه .

ووجه آخر : أن هذا الحديث لم يرو إلا عن عامر بن سعد<sup>(٣)</sup> . فواحدة إن عامر بن سعد هذا لو كان بالفقه والحديث والفضل معروفاً

(١) في الأصل : « وعلى » .

(٢) يقال عقد كلامه تقييداً : عوصه وعماه .

(٣) عامر بن - سعد بن أبي وقاص ، تاهي ثقة توفي سنة ١٠٤ . تهذيب التهذيب .

وكان كأشاله من بنى الصحابة كعبد الله بن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن<sup>(١)</sup> وغيرهم ، ما كان ليكون وحده حجة في تأخير أبي بكر عن مقامه ، فكيف وهو في غير سبيلهم وطريقهم . ولو سمعنا هذا الخبر من سعي وحده ما كان إلا حجة على نفسه كالحجة على عليّ في روايته أن النبي صلى الله عليه قال في أبي بكر ٥  
ومر : « هذان سيّدا كهول أهل الجنة » .

وكيف يروى هذا سمع مع قوله في الإمامة : « ما أنا بقهيمى هذا أحقّ متى بها » وهو يدعو عليّاً إلى الشورى والخيرة والمكارة بالهاسن ، ويقول : « أعيذوها شورى كما كانت » ، ويسبّ عليّاً بالاستبداد ، ويقول : « كنتُ سابع سبعة مع النبي صلى الله عليه ، ١٠  
ما لنا طعامٌ إلّا ورق الشجر ، ثمّ جاءني أهرابيّ يملأى دين الله ، ما أنا بقهيمى هذا بأحقّ متى بها » .

وإنما نفّر بأنّه كان سابع سبعة على عليّ لأنّ عليّاً لم يكن فيهم عنده ، وكان إمّا حدّثاً صغيراً وإما على أمر غير ذلك .  
وسمعت من العشرة ، ومن السّعة ، ومن السبعة<sup>(٢)</sup> ، والمستجاب ١٥

---

(١) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن موف ، قيل اسمه عبد الله ، وقيل إسماعيل ، وقيل اسمه كنيته . تهذيب التهذيب ١٢ : ١١٥ — ١١٨ .  
(٢) أى العشرة للبصرين بالجنة ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن موف ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وأبو عبيدة بن الجراح . وفي شأنهم ألف أبو الطيب كتابه « الرياض النضرة » ، في مناقب المعصية .  
وأما السّعة فهم أهل القورى ، الذين اختارهم عمر بعد أن طعن ليختاروا من بينهم رجلاً لاختلافه ، وهم عليّ ، وعثمان ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن موف ، والزبير ، وطلحة . ثمّ ضم إليهم عبد الرحمن بن عمر سابقاً على ألا يكون له شيء من الأمر . الطبرى —

الدعوة . وقال له النبي صلى الله عليه : « ارمِ يدك أبي وأمي » .  
ومن كان لهذه الأمور مستحقاً لم يجمع بين طلب غايمة رجل ومكاثرة  
بالحاسن وهو مُقرٌّ أنَّ النبي صلى الله عليه جَمَلَ خصمه منه بمنزلة  
هارون من موسى ، إلا أن يكون تأويل الحديث عند سعيدٍ وعند من  
شهد سماعاً على غير معناكم .

وحديثُ عامرٍ على غير ما يروون ، وإنما قال : « أنت مَنِّي بمنزلة  
هارون من موسى ، إلا أنه ليس مَنِّي نبي » ، هكذا رَوَاهُ عن عامر  
ابن سعيدٍ على غير معناكم .

وفي قول النبي صلى الله عليه : « هذا خالي أبي به فليأت كلُّ  
أمرئٍ بخاله <sup>(١)</sup> » تفضيل له على كلِّ خالٍ في الأرض ، وقد كان على خالٍ  
جمعة بن هُبيرة . ولم يستثن أحدًا .

فإن قالوا : الدليل على ما قلنا أن النبي صلى الله عليه لَمَّا آخَى بين  
المهاجرين والأنصار آخَى بينه وبينه ، فإلا أنه كان أشبهَ الناس به  
هذياً ، وعلماً وفضلاً ، لم يجعله عدلاً نفسه دون غيره .

١٥ قيل لهم : أنتم ليس لكم علمٌ بالأثر ولا بالخبر . وكيف يعرف الآثار  
والأخبار من يكفرُ الأسلاف ، ويبرأ من القابضين ، ويجحد كلَّ مالم

٥٠ - ٣٤ - ٣٥ . وأما السبعة فهم السابقون إلى الإسلام من الرجال : زيد بن حارثة ،  
وأبو بكر ، وعثمان ، والذير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة .  
الرياض النضرة ٢ : ٢٩٧ . وميون الآخر . ١ : ٩٣ - ٩٥ .

٢٠ (١) يقول هذا في شأن سعد بن أبي وقاص . الإصابة وصفة الصفوة ١ : ١٤٠ ،  
والرياض النضرة ٢ : ٢٩٦ . قال أبو الطيب : « وكان سعد من بني زهرة ، وأم النبي صلى  
الله عليه وسلم من بني زهرة ، فذلك قال : خالي » .



يوافق هواه ، ويدعى ماوافق هواه وإن كان باطلا ، بل لا يرضى حتى يتقوّل الزور ويؤدّد الباطل .

- وليس شيء أسير من أن يقول قائل : إن النبي صلى الله عليه وآله  
آخى بين أصحابه آخى بين نفسه وبين أبي بكر . ولكن الحق أحق  
ماخضع له واحتمل ما فيه . وهذه الفقهاء وأصحاب الآثار عُرَضَ لكم ،  
فإن لم يقولوا إن النبي صلى الله عليه وآله آخى بين المهاجرين والأنصار •  
آخى بين عليّ وسهل بن حنيفة فنحن أولى بمحمد المروف منكم .  
وقد قال الله : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » (١) .  
وأنتم لستم (٢) أصحاب آثاره ، فاسألوا أصحاب الآثار إن كنتم لا تعلمون ؛  
فإن ذلك أمر مشهور لا خفاء به ، ولا دافع له ، أعني المؤاخاة بين  
عليّ وسهل بن حنيفة .

- ولتقوّ عليّ به استعمله على المدينة حين خرج منها . ومن أجل  
سهل بن حنيفة امتنع الزبير وطلحة أن يركبوا عثمان بن حنيفة وإلى  
عليّ على البصرة بأكثر مما كانوا ركبوه به . ولذلك السبب صلى  
أبو أمامة بن سهل بن حنيفة بالناس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله ١٥  
وعثمان محاصر ، رأى عليّ كان في ذلك ، ولتلبّته على الدار ، وأنه  
كان يُطاع بأكثر من طاعة الزبير وطلحة وسمد  
١ ، وإتّما آخى النبي صلى الله عليه وآله بينه وبين سهل بن حنيفة الأنصاري  
كما كان آخى بين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت (٣) . ولذلك قال

(١) الآية ٤٣ من سورة النحل .

(٢) في الأصل : وليس .

(٣) هو أخو حسان بن ثابت .

حَسَّانٌ يَحْمِي دُونَهُ وَيَنْصُرُهُ بِالْكَلَامِ وَالشَّمْرِ ، وَيُظْمِرُ اللَّيْلَ عَلَى عَلِيٍّ  
حِينَ قَالَ :

يَا لَيْتَ شِمْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرُ تُخْبِرُنِي مَا كَانَ شَأْنُ عَلِيٍّ وَابْنِ عَفَّانًا<sup>(١)</sup>  
لَنَسْمَنَّ وَشِيكًا فِي دِيَارِكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَمَارَاتِ عُمَانَا  
• وَلَقَدْ قَالَ فِي كَلَامِهِ لَهُ وَهُوَ يَسْتَمِدُّ رَأْيَ عَلِيٍّ وَاخْتِيَارَهُ : تَكَلَّمْتُ أُمَّ زُرَّالٍ  
حَرْبَ لُقَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ كَفَافًا ، وَسَمِعْتُ أُمَّ زُرَّالٍ رَأَى لُقَى ابْنَ أَبِي طَالِبٍ  
سَهْوًا . فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ ، وَشَمْرٍ كَثِيرٍ .

وَكَمَا أَخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَسَلْمَانَ ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
ابْنَ قَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ، وَبَيْنَ حُدَيْفَةَ وَعَمَّارٍ<sup>(٢)</sup> ، وَبَيْنَ سَحْزَةَ وَزَيْدَ<sup>(٣)</sup> ،  
١٠ وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ

فَإِنْ قَالُوا : فَلَعَلَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَى بَيْنَ عَلِيٍّ وَبَيْنَ نَفْسِهِ ، وَبَيْنَ  
عَلِيٍّ وَبَيْنَ سَهْلِ بْنِ حَنْفِيٍّ ، وَهَذَا مَا لَا يَدْفَعُ ، كَمَا كَانَ يُوَافِقُ بَيْنَ الرَّجُلِ  
الْمُهَاجِرِيِّ وَبَيْنَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ مَا أَخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ بَعْضِهِمْ  
فِي بَعْضٍ ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ تَصِيرُ<sup>(٤)</sup> الْوُضَاعَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اثْنَيْنِ :  
١٥ مُهَاجِرِيٍّ وَأَنْصَارِيٍّ .

قُلْنَا لَهُمْ : أَمَّا وَاحِدَةٌ فَلَنَا<sup>(٥)</sup> لَمْ نَجِدْ قَوْلَكُمْ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
أَخَى عَلِيًّا إِسْنَادًا يَتَّقِي بِهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ جَاءَ بِحَيْءٍ

(١) ديوان حسان ٤١٠ .

(٢) حذيفة بن اليمان ، وعمار بن ياسر .

(٣) زيد بن حارثة . حيون الأثر ١ : ٢٠١ .

(٤) في الأصل : « تصير » .

(٥) في الأصل : « فلنأ » .

الحديث . ولو كان النبي عليه السلام حيث آخى بين المهاجرين ولم يرض لعل إلا بنفسه لفضل على على غيره وأنه أشبه الأمة به وأقربهم حالاً من حاله ، ثم آثر أن يُواخى بينه وبين رجل من الأنصار كفضله بغيره من المهاجرين - كان ينبغي له أن يُواخى بينه وبين أفضل الأنصار ؛ إذ كان الذي يمنعه من أن يُواخى بينه وبين بعض المهاجرين مطلباً • أفضلهم ، وكان ينبغي على هذا المذهب أن يُواخى بينه وبين سَمَد بن مُعَاذ .

فإن قالوا : سهل بن حُنَيْف أفضل من سَمَد ومن سَمِيٍّ الدَّيْر ومن غَسِيل اللَّائِكَةِ ، ومن مكَّثم الدُّب<sup>(١)</sup> ومن غيره ، لم يكن هذا منكراً ١٠ من مكَّثم وجعلهم .

فإن قالوا : إنه جائز أن يُواخى بين غير الأشكال في الفضل ، وجائز ألا يُواخى بين التساويين والتقاربين .

فيلزم : فليلاً أيضاً النبي صلى الله عليه لم يُواخى بين نفسه وبين على - إن كان آخاه كما زعمتم - من قبل تقارب الحال والمساكلة في الأفعال . ولعل النبي صلى الله عليه لم يُواخى ملياً رأساً إذا أجاز ألا ١٥ يُواخى بين الأشكال ، ولا يقارب بين الأمثال . وأدنى ما فيه أن يكون ذلك قد كان جائزاً .

فإن تركوا هذا أجمع وقالوا : كيف يجوز أن يكون أبو بكر هو الإمام وقد كان النبي صلى الله عليه جملة في جيش أسامة ، وما زال يقول في شكاته : « أنفذوا جيش أسامة » يُعيد ذلك ويكرره ، إلى أن قبضه الله إلى جنته . ٢٠

(١) النظر مسبق في ص ١٣٩ - ١٤٠ .

قيل لهم : إن في أمر النبي صلى الله عليه له أن يقوم مقامه في الصلاة بالمسلمين . ومائشة وحفصة قد اعتوتنا<sup>(١)</sup> ليصرفا ذلك إلى عمر ، ويقولان : إن أبا بكر رجل رقيق لا يستطيع أن يقوم مقامك .

وهو قد ودّع المسلمين في خطبته التي خطبها في شكاكته حين قال :  
 • « إن عبداً من عباد الله خيرٌ الله بين الدنيا والآخرة فاحترار الآخرة »  
 فبكى أبو بكر ، فمحبب الناس منه وقالوا<sup>(٢)</sup> : قال رسول الله صلى الله عليه :  
 إن عبداً من عباد الله ! قالوا : وكان أبو بكر أعلمنا برسول الله صلى الله عليه .  
 عليه . هكذا انظر ثم جاء جبريل في شكاكته فقال : يا محمد ، هذا ملك الموت يستأذنُ عليك ولم يستأذنْ على آدمي قبلك . قال : ائذنْ له . فأذن له جبريل حتى وقف بين يدي النبي صلى الله عليه ثم قال : يا محمد ، إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك فيما أمرتني به ، فإن أمرتني قبضت نفسي قبضتها ، وإن كرهت ذلك تركتها . قالوا : فسمع النبي صلى الله عليه يقول : « الرقيق الأهل » . فعلم أنه قد خيّر صلى الله عليه .

ثم كان عند كل صلاة لا يجيد عندها إفاقة يقول : « مروا أبا بكر يصلي بالناس » ويقول : « أتي الله إلا أبا بكر » ، وفي قوله أتي الله أن يصلي إلا أبو بكر ، دليله أن ذلك من قبل الوحي . مع قوله لمائشة وحفصة حين أردنا صرف ذلك إلى عمر : « أنن صواحب يوسف ، أتي الله ورسوله أن يصلي إلا أبو بكر » بالتلظ . فلو كان الخطب في ذلك صغيراً ما أعلظ النبي صلى الله عليه لها ، ولا اشتد عليها .

٢٠ (١) اعتوتنا ، مثل تماوتنا . وفي الأصل « اعتونا » .

(٢) في الأصل : « وقال » .

فإن قالوا : ومادما حائشة إلى صرفِ هذا الأمرِ العظيم والقَّامِ الشريف إلى امر ؟

قيل : فإنه ليس عندنا في ذلك إلا ما اعتدَّتْ هي به لنفسها ؛ فإنها قالت : إني والله ما أردتُ صرفَ ذلك على أني لم أعرفُ شرفه وخطره ، ولكنتُ خِفْتُ أن يتشامم المسلمون به ، وألاَّ يحبُّوا رجلاً قامَ ٥ مقامه أبداً .

فأمَّا حديث الربيع بن سبيع<sup>(١)</sup> عن الحسن فإنه زعم أنها قالت : خِفْتُ ألاَّ يطبقَ حملُ الخلافة ، وظننتُ أنَّ الناسَ سيُريدون منه مثلَ ماتمودوا من النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلمتُ أن أحداً لا يكون كالنبي .  
فإن كان النبي صلى الله عليه وسلم جعله في جيش أسامة فقد استثناه حين ١٠ اشتكى ، من جميع الجيش ، إذا استخلفه في مقامه ، وأثره بالصلاة لأُمَّته ؛ لأنَّ من صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وفي مسجده ومصلاه ، في أعياده وسائر أيامه ، فقد صلى بجميع الأمة ، وتأثر على جميع البرية .

وإنما أدخلنا فيها صلاة الجمعة والميدين لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : « أيُّ الله ورسوله إلا أن يصلي أبو بكر » لم يستثن صلاة دون صلاة . فإذا كان الكلامُ عاماً والنبي صلى الله عليه وسلم على يقين من فراق الدنيا ، والوحي ينزل عليه ، فقد دخل في ذلك صلاة العيد والجمعة ؛ لأنَّ النبي يتكلم كلاماً عاماً<sup>(٢)</sup> .

(١) يفتح الصاد وكسر الباء ، كما في حواشي تهذيب التهذيب .

(٢) بعده في الأصل : « وهو على يقين من فراق الدنيا والوحي ينزل عليه » .

وقد علم الله ورسوله أن الكلام المأم يتخذُه الناسُ حجةً فيما يدلُّ عليه المأم .

وقد علم الله أن أبا بكرٍ سيصلي بالناس في أعيادهم وسائر صلاتهم وأنه سيُحتجُّ في استحقاق أبي بكر بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أبي الله ورسوله أن يصلي إلا أبو بكر » ؛ فكان ذلك دليلاً على أن الله قد أراد ذلك وأوجبه ، وعناه وأجبه .

فهذا دليلٌ على أن أبا بكر لم يُخالَف أمرَ الله بتخلفه عن جيش أسامة إن كان أبو بكر ممن كان في ذلك الجيش قبلَ شكَاةِ النبي صلى الله عليه وسلم وأمرِهِ له بالسَّلاة .

١٠ ووجه آخرٌ يدلُّ على ماقلنا . وهو أننا لم نجد أحداً من المسلمين ولا من الأنصار والمهاجرين ذكروا عنه في ذلك الدهر حرفاً واحداً من ذكر تخلف أبي بكر ، لا عتاباً زارياً ، ولا مستفهما مسترشداً ، ولا متعجباً ناقلاً ، ولا مصوباً طاذراً ؛ ولم يذكر أحدٌ حديثاً - ضعف إسنادُه أم قويٌّ - أن أحداً احتجَّ لأبي بكر ولا عليه<sup>(١)</sup> .

١٥ ولا يكون رجلٌ في مثل نباهة أبي بكر وقدره ، وفي مثل نباهة ماصار إليه ، لأنه لا موضع أولى بشدة<sup>(٢)</sup> الحسد وكثرة الطعن منه ، وقد كان منه التخلف الذي لا ينفى موضعه ، مع تأكيد النبي صلى الله عليه وسلم وشِدته على ذلك ، ثم لا يلجأ في تخلُّفه إلى حجة ولا أمر

(١) في الأصل : « علا عليه » .

(٢) بين هذه الكلمة وسابقتها يائس في الأصل بقدر كلمة واحدة .

من النبي صلى الله عليه وسلم ثم يطبق<sup>(١)</sup> جميع الخلق في ذلك على السكوت والرضا والاستحصان أكثر مما صاروا إليه .

هذا وهو عبد مناف شهود<sup>(٢)</sup> ، وخالد بن سعيد<sup>(٣)</sup> ، قد ترك بيعته سنة أشهر ، وقال : أرضيتُ معشرَ بني عبد مناف أن يكلّوا عليكم رجلاً من تيم ؟ وقال أبو سفيان بن حربٍ مثلاً ذلك . وقالت الأنصار : منّا أميرٌ ومنكم أمير . وقد سمع أبو قحافة رجلاً وهو بمكة ، وهو مكفوف ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : مات النبي صلى الله عليه وسلم قال : فما صنع الناس ؟ قالوا : أقاموا ابنك . قال : فرضيتُ بنو عبد منافٍ بذلك ؟ قالوا : نعم : قال : وبنو الميرة ؟ قالوا : نعم . قال : فلا مانعٌ لما أعطى الله ، ولا معطى لما منع<sup>(٤)</sup> .

١٠

وفي إطباق الجميع على السكوت عن التخلّف مميّنه ، مع قول خالد وأبي سفيان ، دليلٌ على أنهم لو وجدوا غيرةً أو خلافاً أو ممصيةً لم يدعُوا الاحتجاج به ، والخوض فيه . ولو كانت القية قطعهم عن ذلك لقطعهم عن ذكر الطمن في إمامته ، كما قطعهم عن ذكر الطمن في تخلّفه .

١٥

وفي رضا أسامة وتسلميه وسكونه وقناعته حتى لا يحسب عنه في ذلك كلمة واحدة ، دليلٌ على ما قلنا .

فإن قالوا : إن أسامة قد عرّف سنيمة في تخلّفه ولكنه كان في توبة منه ، لأنّ أبا بكرٍ لو لم يكن هو الطاع في العوام ، والمقتنع

(١) في الأصل : « ثم يلجأ في يطبق »

(٢) خالد بن سعيد بن العاص .

(٣) في الأصل : « معط » .

في الدهماء ، ما تقدم بني عبد مناف وكان أسامة لا يستطيع أن يبدرى في دهرٍ مَرٍّ من ذلك شيئاً ، لشدةِ مُرٍّ في تنظيم أبي بكر ؛ لأنَّ الطَّعنَ في أبي بكرٍ راجعٌ على مرٍّ ، وأن رعيةَ مَرٍّ رعيةُ أبي بكر وكذلك كان أسامةُ في دهرِ عِثانٍ ، لأنه نَسَقَ واحدَ دَسيلٍ واحدة .

٥ قيل لم : فما منه أن يتكلم في دهرٍ علىٍّ ومع علىٍّ يومئذ مائة ألف سيفٍ يُطيمه . وهل عندكم في أسامة أكثر من أن تدعوا على ضميره غير ما يدلُّ عليه ظاهرُ عمله ؟ وإنَّ أولى النَّاسِ ألاَّ يمتنعَ بأسامة لأنهم ؛ لأنَّ أسامةَ هو الشَّاهد لطلحة على علىٍّ ، حين قال علىٌّ : **بِأَمَّتِي وَنَسَكْتِ يَمُتِي** . قال طلحة : **« بِأَمَّتْكَ وَاللَّجُّ عَلَى قَتَى »** <sup>(١)</sup> .  
١٠ واستشهدَ أسامة ، فقال أسامة : **أَنَا السَّيْفُ عَلَى قَفَاهُ فَلَمْ أَرَهُ وَلَكِنْ بَابِعَ وَهُوَ كَارِهِ** . في أمورٍ كثيرةٍ تدلُّ على أنَّ أسامة كان مربيًا ، ليس هذا موضعُ ذكرها . فهذا هنا .

وفي إطباقهم جميعاً يدعونهُ خليفةَ رسولِ الله مِن تلقاء أنفسهم ، لا مكرهين ولا مقهورين ، لم يُرفع عليهم سوطٌ ولا شُرٌّ <sup>(٢)</sup> سيف ، ولا سَمِعُوا وعيداً ، ولا رأوا لذلك أُرّاً ، ولا رأوا منه إمرةً لبعض العشاير ، فيخافون أن يتقوَّى بهم عليهم ، مع كثرة التدد واختلاف الأنساب وتفرُّق الأهواء ، و [ في ] الذي قبله ، دليلٌ على ما قلنا ، وحجةٌ على الذي ادعينا .

(١) الحج : السيف . قال ابن سيده : وأظن أن السيف إنما سمى لما في هذا الحديث وحده .  
٢٠ قن ، أى قنأى . ومى لثة هذيل ، يمحون ألف المقصور بآء عند إضافته لياء ، ومته قول أبي ذؤيب :

سبجوا هوى وأعتقوا لمواهم ففزعوا ولكل جنب مصرع  
أى هوى . وانظر الطبري : ١٧٤ : ٢٠٤ في حوادث سنة ٣٦ .  
(٢) في الأصل : « ولا يهجر » .



ومما يُقَرَّب من قولنا قولُ النبي صلى الله عليه : « أُنْفِذُوا جَيْشَ أسامة » . فقد يعلم المستدلُّ أنَّ النبي صلى الله عليه إنما قصَدَ بذلك الأمرَ في خاصَّته والمُطَاعِينَ ، لأنَّ قولَه : « أُنْفِذُوا » دليلٌ أنَّه قد كان هناك مَنْ ينفِذُ أمرَه ، وإليه قصَدَ بالأمر مُقْتَمِينَ<sup>(١)</sup> غيرَ سَاحِطِينَ .

ولو كان الأمرُ إنَّما كان لأسامة وأصحابه كان اللفظُ على غير هذا .  
فإذا كان ذلك كذلك فَمَنْ أُولَى بَأْن يكون من المُخَاطَبِينَ المُطَاعِينَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَخَلِيلِهِ<sup>(٢)</sup> ، وصِفِيهِ ، على ما كتبتُ لك في كتابي هذا ، مع أَنَا لم نبلغه ولم نَسْتَقْصِهِ ، إِنَّمَا بِالْخَوْفِ مَتَا وَالْكَرَاهَةِ لِإِطَالَةِ الْكِتَابِ ، وَإِنَّمَا بالتقصيرِ مَتَا في معرفةِ جَمِيعِ محاسنه .

ووجهُ آخر : أَنَّكَ لو جَهِدْتَ أَنْ تَجِدَ لِحَدِيثِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كان في جيشِ أسامة أصلاً لم تَجِدْ ، وَإِنَّمَا أَنَّى حَامَةُ ذَلِكَ<sup>(٣)</sup> مِنْ رِجَالٍ كَوْنِ عُمَرَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ ، لأنَّ عُمَرَ وَأَبَا هَبِيبَةَ<sup>(٤)</sup> كَانَا مِنْ أَوَّلِ مَنْ انْتَدَبَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ .

ولَمَّا كان النَّاسُ كَثِيراً مَا يَرَوْنَ عُمَرَ يَجْرِي مَعَ أَبِي بَكْرٍ غِلْطُوا فِي ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ ، حَتَّى جَرَّ ذَلِكَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِرَارَ عُمَرَ يَوْمَ أَحُدَ ، فَقَالَ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ : وَفَرَّ يَوْمَ أَحُدٍ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . وَمَوْقِفَ أَبِي بَكْرٍ وَالْعُمَرُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِي يَوْمِ أَحُدٍ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَطْمَسَ عَلَيْهِ جَاهِدُ . وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ عُمَرَ كَانَ فِي جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ، فَأَلْحَقُوا بِهِ أَبَا بَكْرٍ .

(١) مقننين ، أى راضين . أقصه العى : أرضاه . وفى الأصل : « مقننين » .

(٢) فى الأصل : « وخاله » .

(٣) فى الأصل : « حامة فى ذلك » .

(٤) فى الأصل : « وابن عمه » . وانظر حيون الأمر ٢: ٢٨١ ولتتبع الاسماع ١: ٣٧ .

فإن أتوا إلا أن يكون قد كان في ذلك الجيش فالجواب على ما قلنا .  
فإن قالوا : قد سمعنا مقاتلكم ، ولكن ما الدليل على أن النبي  
صلى الله عليه أمر أبابكر بالصلاة بالناس ؟

قلنا لهم : إنه ليس لأنه كان مأموراً بالصلاة فقط ، ولكنه صلى  
بالتناس سبعمائة صلاة إلى أن توفي النبي صلى الله عليه وذلك  
أن النبي عليه السلام بدي<sup>(١)</sup> يوم الأربعاء لليتين بقيتا من سفر ،  
ويوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول . وهذا هو السبب عندهم .  
وزعم أصحاب السير والأخبار أن النبي صلى الله عليه كان يأمر بلالاً  
بالأذان ، فإذا وجد إفاقة خرج يصلي بالناس ، وإن اشتد ما به قال :  
« مروا أبابكر يصلي بالناس » ؛ فكان النبي وأبو بكر يصليان على  
هذه الصفة .

فإن أنكروا أن يكون النبي صلى الله عليه أمر أبابكر أن يصلي  
و [ادعوا<sup>(٢)</sup>] أن هذه الأخبار كلها باطل ، وأن السنة في هذه الأيام  
كلها لم تمنع النبي صلى الله عليه من الصلاة حتى مات .

١٥ قيل لهم : رأيتم هذا الذي قُلتُموه وادّعيتموه ، أشيأ استخرجتموه  
أو سمعتموه ؟

فإن زعموا أنهم سمعوا قلنا لهم : فأتوا بفتية واحد أو محدث يقول  
كما تقولون ، ويحدث كما تزعمون ، وجب ما يدعي باطل .

(١) في عيون الأثر ٢ : ٢٨١ : « فلما كان يوم الأربعاء بدي برسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه لم يصدح » .  
(٢) يمثل هذه التكلفة يتم القول .

وإن كان إذا اعترضوا المحدثين والناقلين لم يجدوا أحداً إلا وهو يُخبر بما قلنا فالحقُّ أحقُّ أن يتبع . ولا يجوز أن يقولوا : إننا استخرجنا معرفة هذا المعنى ؛ لأنَّ الاستخراج لا يكون إلا من عيانٍ أو خبر .  
أو ليس قد كان النبيّ موضوعاً على سريره حين زاغت الشمسُ يوم الاثنين إلى حين زاغت من يوم الثلاثاء ، يصليُّ الناسُ عليه وهو على شفير قبره<sup>(١)</sup> وأبو بكر يصليُّ بالناس ؟ !

فلنْ أتوا بمحدثٍ واحدٍ أنه صلى بالناس في غير ذلك الوقت غير أبي بكرٍ فالقول كما قالوا . وإنْ أتوا بمحدثٍ واحدٍ أنه صلى بالناس غير أبي بكرٍ أوَّلَ صلاةٍ صلاها المسلمون [ حينَ ] اختلفوا في تأمير الأُمراء واستخلاف الخلفاء عليهم ، كما قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ١٠ فالقول كما قالوا .

وهل يستطيعون أن يزعموا أنهم قالوا : « منّا مصلٍّ ومنكم مصلٍّ » .  
والموجب<sup>(٢)</sup> كيف لم يقولوا : إنَّ عليّاً لم يزلْ هو المصلّي بالناس ،  
والمأمور بالصلاة ، فغُيبَ حقُّه وعُظم مقامه ؟ ! ١٥

وكيف يجوز أن يجيء رجلٌ من أرضه وسمائه من غير نسب ولا سبب ، حتّى ينفذ من أشرف المقامات ، بحضرة القرائة والمشيرة ، من عمر وابن عم ، وقريبٍ ونسب ، ورجلة المهاجرين والأنصار ، والمطاهر وعلية قريش ، ودُعاة العرب ، ثمَّ لا يتكلَّم في ذلك رجلٌ واحد ؟ ! فإنما

(١) في إنتاج الإجماع ١٠١ : « فصل عليه وسريره على شفير قبره » .

(٢) في الأصل : « والموجب » .

يقول هنا من لا يعرف قَدَرَ ذلك القام في الصدور ، وكيف طبائمه قريش وأغنة العرب .

٥ « فإِنْ قالوا : كيف يكون أبو بكر إماماً ولم يجتمع المسلمون على إمامته والرضا به ١٩ وقد قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، وقال سلمان : « كَرْدَاذُ وَنَسْكَرْدَاذُ »<sup>(١)</sup> . وقال خالد بن سميد : أرضيتُم معشر بني عبد منافِ هذا . وقال أبو سفيانُ بنُ حربٍ مثل مقالته ، وخرجَ الزُّبيرُ بسيفه شاذاً<sup>(٢)</sup> ، فلما رآه مر قال : دُونَكُمْ الْكَلْبُ . وجلس على<sup>(٣)</sup> [ في ] منزله واعتلَّ بأنه آلى ألاَّ يبرحَ حتَّى يجمع القرآن .

١٠ قيل لهم : ليس الأمر على ما تقولون . ولو كان الأمر على ما تقولون ما كان خلافُ هؤلاء ناقضاً لأمره ، لأن الرجل إذا كان أفضل الناس وأكملهُ وأفضله للمسلمين وأردّه عليهم<sup>(٤)</sup> ، فمليهم إقامته والتسليم له ، والرضا به ؛ لأنَّ كلَّ ما عدتُ لك من فضله هم كانوا أعلم به ، إذ كانوا يُسافرون معاً ويُقيمون معاً ، وكانوا أغنى بمعرفة الخبير ، وأسرع إلى العلم به منا ومن أهل دهرنا .

١٥ ولو كان أبو بكرٍ تنقِضُ إمامته ، وكان عليه اعتزال ذلك القام ، بخلاف<sup>(٥)</sup> رجلٍ أو رجلين أو ثلاثة ، كان أولى الناس بأن يكون له في الإمامة

(١) كلتان فارسيتان معناهما « صنعتم ولم تصنموا » . كرداد بمعنى التشييد والتأسيس وإقامة الشيء . والنون علامة التنوين في الفارسية . انظر ماسيني في السلام ص ١٧٩ وكذا معجم استنباط ص ١٠٢٢ .

٢٠ (٢) في الأصل : « شاذاً » . وفي الطبري ٣: ١٩٨ : « مصلاً باليف » :

(٣) أي أ كثرهم نقماً . وفي اللسان : « هذا الأمر أرد عليه ، أي أغف له » .

(٤) في الأصل : « خلاف » . وانظر ماسيني في صفحة ١٧٧ .

(٥) « بأن يكون له في الإمامة » . هكذا وردت في الأصل ، والوجه بأن لا يكون له في الإمامة .

سبب ولا حق ومتعلق على<sup>(١)</sup> بن أبي طالب ، لأن<sup>(٢)</sup> سعد بن أبي وقاص كان أحد الشورى وأحد الأكتفاء ، وقد أباه وقال قولاً أيّين من قول خالد وأبي سفيان وسلمان ، قال : « ما أنا بقميصي هذا أحقّ مني بها ، أعيذوها سُورى ، أمّا بالسيف فلا أريدُها » . وقال لرسول الله حين أرادوه على بيّته : تسكّلتُ أمّ لم تلدني ، لئن كنتُ سادسَ ستّةٍ ما لنا طعامٌ إلّا ورزقُ البشّام ، ٥ وقد جادى أهرابُ الأوس تملّمي دينَ الله ؟ ! في كلام كثير<sup>(٣)</sup> .

وخالفه طلحة والزبير وما شريكاه ، وأحدهما فارس النبي صلى الله عليه ، والآخر وقابته ، فقال على : يايمتاني ؟ قال : الزبير : ما بايعتك قط ، إن كنتَ على يقين أنك أولى بها فاجعلها سُورى ، بيعة وحقّ دعواك من باطله<sup>(٤)</sup> .

وقال طلحة : « يايمت واللّج على قفى<sup>(٥)</sup> » حين رقى<sup>(٦)</sup> إليه المصاكر وطمنت عليه عائشة واستحلّت بحاربه . ثمّ اجتمع على حربِ أهل الشام قاطبةً فيهم عبد الله بنُ مر ، وكعب بنُ مرة التّهيمي<sup>(٧)</sup> ، وكان من فضلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي قال حيث قال النبي صلى الله عليه : « ستكون فتنةٌ هذا فيها يومئذٍ على الحقّ » ، وأوماً إلى رجلٍ مقنّع ، ١٥ فكشف عن رأسه فإذا هو هُنان ، فلما قُتل هُنان وهو يكفّ عن القتال استنصر ، فكان يحدث هذا الحديث .

(١) في الأصل : « ولأن » .

(٢) انظر ما سبق في ص ١٥٩ .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) انظر ما مضى في ص ١٦٨ .

(٥) كتبت في الأصل : « وقا » .

(٦) الإصابة ٧٤٧٨ .

ومنهم وائلة بن الأسقع اللثبي ، وله صحبة ونُسك<sup>(١)</sup> ، والشَّهْنَان بن بشير ، ومسلمة بن مخلد ، وحبيب بن مسلمة ، وذو الكلَّاع ، ومُعاوية ابن حُذَيْج<sup>(٢)</sup> .

ومن التابعين أبو مسلم الخولاني ، وشُرَّحْبِيل بن السمط ، وعمرو بن وائد النامدي<sup>(٣)</sup> الذي قال [ فيه ] مكحول : كَأَنَّهُ قَدْ مَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ وَخُوسِبَ<sup>(٤)</sup> ثُمَّ رُدَّ إِلَى الدُّنْيَا ، فَمَعَهُ خَوْفُ الْمَجْرَبِ .

ثم خالف عليه خاصة إخوانه ونُسَّاك أصحابه ، وأهل البصائر من جُنْدِهِ وَحَدَّثَ<sup>(٥)</sup> حَتَّى أَكْفَرُوهُ وَخَلَعُوا<sup>(٦)</sup> إِمَامَتَهُ وَوَلَايَتَهُ .

وفيه مع نسكهم وجِدَّهم نَفَرٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم فروة بن نوفل الأشجعي ، وخرقوص بن زهير . وفيهم من التابعين مثل رئيسهم عبد الله بن وهب الراسبي ، وزيد بن حصن الطائي<sup>(٧)</sup> .

ولقد دعا محمد بن مسلمة إلى عَوْنِهِ ، واعترضَ أَخَذًا بسيفه ، ثم كسره وقال : أَضْرَبُ الْمُسْلِمِينَ بِسَيْفٍ ضَرَبْتُ بِهِ الْكَافِرِينَ ؟ !

١٥ (١) الإصابة ٩٠٨٨ وصلة الصفوة ١: ٢٨٠ . والأسقع بالفتح .

(٢) الإصابة ٨٠٥٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ٨: ١١٥ .

(٤) وردت هذه الكلمة في الأصل في نهاية هذه الفقرة .

(٥) كذا في الأصل .

(٦) في الأصل : « وجعلوا » . ٢٠

(٧) الإصابة ٢٨٨٧ وذكر أنه كان عامل عمر بن الخطاب . قال ابن حجر : « وقد قُتِلَ غير مرة أنهم كانوا لا يؤمرون في ذلك الزمان إلا بالصباغة » . ولم يذكره بذلك في تهذيب التهذيب

فدعا زيد بن ثابت إلى عونه فأبى وقال : أنت والله تعلم أن لو شحنا أسدنا فاه<sup>(١)</sup> لألقمته كفى دُونَكَ ؛ فأبى أن أُضربَ بسيفي لأؤكِّدَ لك مُلكاً فلا .

ودعا عبد الله بن عمر فقال حين أرادَه على بيئته : إني لن أنزع يدي من جامع وأصنمها في فرقة . وكذلك قال حين قيل له بعد ذلك : •  
لو بايعة أخاك عبد الله بن الزبير . قال : إن أخي وضع يده في فرقة ، وإني لن أنزع يدي من جامع وأصنمها في فرقة .

وطمن عليه سمع بن زيد بن عمرو بن نفيل وعلى طلحة وقال : « فتنة عمياء يخبط أهلها » . قال طلحة : ابن مَكَّ كان أعلم بي وبك حين جعلني في الشورى وأخرجك منها . قال : إنَّ ابنَ عمِّي خانك وأمنى . ١٠

ودعا<sup>(٢)</sup> إلى بيئته وعونه أسامة بن زيد فقال : إني إذن لمفتون ! وأسامة هو الذي كان طلحة استشهده على قوله : « قد بايعة والنج على قفى » فسلَّ أسامة من ذلك ، فكلَّمه طلحة بكلام غليظ .

وقول صهيب أيضاً ، وسلمة بن سلامة بن وقش ، كل هؤلاء السبعة [ ما منهم<sup>(٣)</sup> ] إلا من شهد بداراً . ١٠

وزعم ابن سيرين والشمسي أنهما قالَا : وقت الفتنة بالمدينة وأصحاب النبي صلى الله عليه أكثر من عشرة آلاف ، فقال : فما يدعون من خف فيها عشرين رجلاً . فسمياً حرب على طلحة والزبير وصيفين فتنة .

(١) شحناه يصحوه ويشعاه : فتحه .

(٢) في الأصل : « ودعاك » .

(٣) يمثلها يفتح الكلام .

وكما قال الشعبي : من حدثك أنه شهد الجبل ممن شهد بداراً أ كثر  
من أربعة نفر فكذبته . كان علي\* ومّار في ناحية ، وطلحة والزبير  
في ناحية .

وقد تملون أنه لم يكن في الأرض عثماني\* إلا تملون أنه مُنكر  
لإمامته . وم أ كثر عدداً وأ كثرهم قبيهاً وعدثاً . ولقد كان الرجلُ  
من أصحاب الآثار يُظنُّ به التشيع فيترك ويضعف ويُتهم عند أهل العلم ،  
حتى أنه كان يطويه ويستره أكثر مما يستر الشيء يكون بمجلده .

فلو كان الفاضل الكامل تنقيضُ إمامته وتفسدُ عدالته من قبل خلاف  
أربعة أو خمسة ، لسا كان في الأرض أشدُّ انتقاصاً من إمامة علي .

١٠ وأما قولكم : إن الأنصار قالت لقريش والمهاجرين : منّا أميرٌ ومنكم  
أمير ! فهذا إلى أن يكون حجةً عليكم أقرب ، لأنّ النبي صلى الله عليه  
وعلى آله لو كان أقامَ علياً وجعله خليفةً ووصياً ونصَّ على ذلك يندبرخُم\* ،  
أو في بعض المنازى ، ما كان بلغَ من حرّهم<sup>(١)</sup> وعُودهم أن يقولوا هذا  
الكلام والإمام قائم الحجة ، معروف السكان .

١٥ وكيف حاز أن يُلنوا ذكره حتى لا يذكرونه في شيء من مُحاطباتهم  
ومنازاتهم ، إلا والقوم لم يكن عندهم فيه عهد ولا سبب . فهذه  
حجة قاطعة .

وأخرى : التي رأينا من قلة مبالانهم من أقاته المهاجرون كائناً  
من كان ؛ لأنّ قولهم : منّا أمير ومنكم أمير ، قول قوم كأنهم قالوا :

٢٠ (١) الحرب ، بالصريك : الخصومة والغضب .



لا بدّ لنا ممثّر الأنصار من أميرٍ على حال ، وأنتم بمثّد أعلمُ بشأنكم  
فأثروا عليكم منّ بدا لكم . وليس في هذا طمّنٌ على خاصّة أبي بكر ،  
كما أنّه ليس فيه تأكيدٌ لإمامته دون غيره .

وهذا قولٌ كان من نفعٍ من الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، قبل أن  
يقومَ فيهم أبو بكرٍ خطيباً وواعظاً ، ومبيناً ومعتجاً . فلا يستطيع أحدٌ  
أن يقول : إنّ أحداً منهم ردّ على أبي بكرٍ خاصّةً كلمةً واحدة . فليس  
في قولهم : منّا أميرٌ ومنكم أمير ، خلافاً على أبي بكرٍ ؛ وإن كان خلافاً  
فإنّما هو على الجميع .

وإن كان هذا الكلامُ منهم حجةً ما كان إلّا على من زعم أنّ  
الإمامة غير واجبة ، أمّا على من زعم أنّها لأبي بكرٍ دونَ عليٍّ فإنّها  
غير لازمة .

ولعمري لو كان القوم حيث قالوا : منّا أميرٌ ومنكم أمير قالوا :  
ولا يكون أميركم إلّا عليٌّ أو فلانٌ أو فلان ، أو قالوا : الرأى لكم  
أنّ تجملوا أميركم عليّاً أو فلاناً أو فلاناً ، كان في ذلك ما يمتلئ به  
مقتضى ، ويشتبّه به شاغب . وهذا ما لا يحتاج به عالم ، لأنّ الحجة فيها  
للافضة أثم ، وعليها أوكد .

أمّا قولهم أنّ سلمان قال ما قال<sup>(١)</sup> ، فإنّما سلمان رجلٌ من عرض  
المسلمين ، لا يصلح أن يكون خليفة ، ولا يجوز أن يكون في الشورى  
ومع الأكفاء ، فتتقدّم به مريّة أو تبرّم به ؛ لأسباب :

منها أنه ليس من المهاجرين ، ولا من شهد بدرًا ولا أحدًا ، ولا لقي في الله مائتي نظراؤه عند الناس كبلالٍ وصُهب ، وخِجَابٍ وعمار ؛ ولا كان من الذين آوَوْا ونَصَرُوا ، وذُكروا في القرآن وقدّموا .

وكان حديث الإسلام قليل المشاهد ، وإنما أسلم حين انعمرت الشدة ٥  
واشكشفت عنهم معظم الكربة ، ولكنه كان من الصالحين ومن الفضلاء المخلصين ؛ وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم وجيها ، وعند خلفائه مقربًا . وقد قال النبي فيه قولًا حسنًا ، ولكنه ليس من الأكفء في الإمامة وموضع الثورى والخلافة ، فيكون قوله حجةً تنقِضُ به الإمامة ، وطمئه عليه يصرف الخلافة .

١٠ ثم آخر: أنا قد وجدناه ولي لعمرو بن الخطاب على المدائن ، يُقيم له الحدود ويحيى له الخراج ، ويدعو له على المنبر ، ويؤكد له خلافته ، وينفذ أمره ، مطيعاً غير مكره ، ومُخْلِ غير مقصور ، فولايته لعمرو دليلٌ على تصويب أبي بكر ، ومطيعٌ مُهرٌ أذعن لأبي بكر ، ومعظمُ مُهرٍ أشدُّ تمظيلاً لأبي بكر .

١٥ ولقد كان يخرج آذِنُ عمر والناسُ يبابه فيجمله في الفوج الأول . حتى روى عن أبي سفيان بن حربٍ وسُهَيْل بن عمرو في ذلك كلامٌ مشهور : من ذلك أنهم كانوا يباب عمر في جِلَّةٍ من قریش والعرب ، مثل عبيدة بن جِصْنٍ . وغيره ، إذ خرج آذِنُ عمر فقال : أين بلال ؟ أين سلمان ؟ أين صُهب ؟ أين عمار ؟ ادخلوا . فتغيرت وجوههم واستبان الجزعُ فيهم ، فأقبل عليهم سهيلُ بن عمرو وإعطاء ، ومُمرًا<sup>(١)</sup> ومذكراً ،

(١) التمرير : التبيين والإيضاح .

قَالَ : دُفُّوا وَدُمِينَا ، فَاسْرِعُوا وَأَبْطَأْنَا ، [وَلَمَّا حَسَدْتُمُوهُمْ<sup>(١)</sup>] عَلَى بَابِ  
مَرَكْنَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَهْظَمَ .

فَمَا فِي الْأَرْضِ عَاقِلٌ يَظُنُّ أَنَّهُ يَأْذَنُ لِسُلْمَانَ قَبْلَ أَبِي سُوَيْيَانَ بْنِ حَرْبٍ  
وَسُهَيْلِ بْنِ مَعْرُورٍ ، وَيُوَلِّيهِ بِلَادَ كَسْرَى وَآلَ كَسْرَى ، وَسُلْمَانُ عِنْدَهُ  
ظُلُمٌ فِي بَيْمَةِ أَبِي بَكْرٍ وَفَاتَمُ عَلَيْهِ .

وَقَدْ بَارَكَ عَمْرُؤُا بَكْرٌ<sup>(٢)</sup> ، فِي خَالِدِ بْنِ سَمِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، حِينَ  
عَقَدَ لَهُ عَلَى أَجْنَادِ الشَّامِ ، لِكَلِمَتِهِ الَّتِي كَانَتْ فِي بَيْمَةِ أَبِي بَكْرٍ ،  
حَقِّقَ مَرْزَلَهُ .

فَكَيْفَ يَحْتَمِلُ لِسُلْمَانَ الطَّمَنَ وَالْخِلَافَ ثُمَّ لَا يَرْضَى لَهُ إِلَّا بِالْوِلَايَةِ  
عَلَى بِلَادِ كَسْرَى ، وَسُلْمَانُ لَا يَجْرِي عِنْدَ مُعَرَّجِ بْنِ خَالِدٍ وَلَا قَرِيْبًا ۱٩  
فَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ سُلْمَانَ لَمْ يَقُلْ : « كَرْدَاذُ وَنَكْرَدَاذُ<sup>(٣)</sup> » . وَإِنْ  
كَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ حَقًّا كَانَتْ تَرْجُمَتُهَا بِالْمَرِيَّةِ : صَنَعْتُمْ وَلَمْ تَصْنَعُوا .  
يَقُولُ : قَدْ أَقْتَمَ قَاضِيًا مُجْزِيًّا وَلَوْ كَانَ غَيْرَهُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ .  
وَأُخْرَى فَلَوْ كَانَ سُلْمَانُ كَانَ عِنْدَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَ قَدْ

- 
- (١) مَكَانَ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ يَلِغُ فِي الْأَسْلَ ، وَأَمْتُهُمَا مِمَّا سَيَأْتِي فِي كَلَامِ الْجَاهِلِ فِي الْوَرَقَةِ ١٥  
١٦٢ مِنَ الْمَشْطُوطَةِ . وَجَاءَ فِي صِفَةِ الصَّفُورَةِ ١ : ٣٠٧ : « فَقَالَ أَبُو سُوَيْيَانَ : لَمْ أَرْ كَالِيَوْمَ قَطُّ  
يَأْذَنَ لِمَوْلَاهُ السَّيِّدِ وَمَنْ عَلَى بَابِهِ لَا يَلْتَمِزُ إِلَيْنَا ؟ » فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ مَعْرُورٍ — وَكَانَ رَجُلًا عَاقِلًا —  
أَيُّهَا الْقَوْمُ إِنِّي وَاللَّهِ لَأَدْرِي الَّذِي فِي وَجْهِكُمْ ، إِنْ كُنْتُمْ غَضَابًا فَافْضَحُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، دُمِيَ الْقَوْمُ  
وَدَعَيْتُمْ فَاسْرِعُوا وَأَبْطَأُوا . فَكَيْفَ بَعْدَ إِذَا دَعَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَرَكْتُمْ ۱٩ أَمَّا وَاللَّهِ لَمَّْا سَبَقُوا  
إِلَيْهِ مِنَ الْفَضْلِ عَمَّا لَا تَرَوْنَ أَحَدًا عَلَيْكُمْ فَوْتًا مِنْ يَأْ بِكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ عَلَيْهِ .
- (٢) بَارَكَ : أَدَامَ لَهُ التَّعْزِيزَ وَالْكَرَامَةَ .
- (٣) انْظُرْ مَا سَبَقَ ص ١٧٢ .

استخلف علياً ونصبه إماماً وجعله وصياً لم يقل : صنعتهم ولم تصنموا ،  
إلا أن قوله « صنعتهم » تثبت لإمامته ، فكأنه قال : هو إمام ، لو كان  
غيره كان خيراً لكم منه . وليس على هذا بُني القول <sup>(١)</sup> .

ولو احتج بهذا القول الزيدية كان أشبه من أن يحتج به الطاعن  
• في إمامة أبي بكر حين قال : ارتدَّ الناسُ كلُّهم عن الإسلام بإنكارهم  
إمامة عليٍّ ، والتسليم لمن أنكر ، ما خلا أربعة نفر : سلمان ، والمقداد ،  
وأبو ذر ، وبلال . ثم زعموا أن حذيفة وعمَّاراً تابا بعد عمر .

ولئن كان بلالٌ كما قالوا من الطَّعن والخلاف على أبي بكر وعمر ،  
لقد شاركهما حيث ولى لها دمشق ، لأنَّ عمر كان ولى بلالاً دِمَشْقَ ،  
١٠ فكان أفضَلُ لأمره من أبي عبيدة .

وكيف يكون بلالٌ طامعاً على أبي بكر وعمر حتَّى قد شَهِرَ بذلك  
من بين الخلق وعمرُ يولِّيه ، ويقرِّبه ويُدنيه ، ويقدمُ إذنه ، ويلحق  
عطائه بمطاء عثمانَ وعليٍّ وطلحةَ والزَّبيرِ وسعد ، ويقول : « بلالٌ  
سيدنا ومولى سيدنا » ، ومرة يقول : « أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا » .

١٥ ولا يجوزُ هذا القول من عمر منَّ يجوزُ طعنَ بلالٍ على أبي بكر ،  
إلا جاهلٌ بمُمر ، جاهلٌ بأمر السُّلطان ، وعزُّ الخلافة .

فأمَّا ذكرهم المقدادَ فما حللنا ولا علم أصحاب الآثار أنه نطق  
في خلافة أبي بكر وفي هُضْبها ، وفي خلافة عليٍّ وتوكيدها ، بحجوب  
قط ، ولا وقتَ في ذلك موقفاً ، ولا قام في إنكاره [أ] وتبنيته متاماً .

٢٠ وما ندرى : بأيِّ سببٍ ادَّعَوْهُ ؛ إلا أن يكونوا ذهبوا إلى إنَّ علياً رحمةُ

(١) في الأصل : « القوم » .

الله عليه. ربما كانت له الحاجةُ إلى النبي عليه السلام ، فيُكسِّر النبي صلى الله عليه ويمنِّمُه عن مواجهته بها ، فيكف ذلك المقداد .

من ذلك حديث هشام بن عروة ، عن أبيه في الرجل إذا دنا من المرأة فأمذى ولم يمسا ، فاستحبا على أن يسأل النبي صلى الله عليه عن هذا من أجل ابنه ، فقدم المقداد فسأله ، فقال النبي عليه السلام : ٥ « يغسل ذكره وأُتْيِيه ويتوضأ » . وغير ذلك .

والأغلب علينا<sup>(١)</sup> أن المقداد لم يزل مُتَكَرِّراً لى ، لأن المقداد حين خطب مُبَاعَةً بنت الزبير بن عبد المطلب إلى النبي صلى الله عليه ، بت النبي إليها علياً بذلك يخبرها ، وأنه قد رضى لها ، فكره على ذلك فرجع إلى النبي صلى الله عليه ، وقال : رأيها كارهة . فأرسل النبي ١٠ إليها رسولاً فقالت : أولم أخير علياً أننى قد رضى لنفسي بما رضى به النبي ؟ ! فقام النبي صلى الله عليه خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا على قم فانظر من عن يمينك وعن شمالك ، واعلم أنه ليس لك فضل على أسودم وأحرم<sup>(٢)</sup> إلا بالدين » . فهذا قد روى ، والله أعلم .

ولم يُرَو من المقداد الطمن على أبي بكر في خلافته ليؤكد بذلك لعل شيئاً .

وأقل ما يبنى للتكلم أن يتعرف فروق الأمور ؛ فإنه إذا عرفت ذلك لم يمتلئ من الأسباب إلا بامتنها . فأمّا تجريد الباطل وكثرة الدعوى بلا سبب ، فهذا جهد الماجر .

ولُجُماً تَلَقَّوْا بِالسَّبِّ الضَّعِيفِ ، كَالَّذِي وَجَدُوا لِمَعَارِ بْنِ يَاسِرٍ مِنْ عِدَاوَةِ عُمَانَ ، وَصَنَعَ عُمَانُ بِهِ ، فَلَمَّا كَانَ عُمَانُ عِنْدَهُمْ فِي طَرِيقِ مَعْمَرٍ وَأَبِي بَكْرٍ وَفِي حَيْثُ هُمَا جَمَلُوا طَمَنَ مَعَارٌ عَلَيْهِ طَمَنًا عَلَيْهِمَا ، وَاحْتِجَاجَ مَعَارٍ لِمَلَى احْتِجَاجًا عَلَيْهِمَا .

٥ ولو اجتهدتَ أَنْ تُصِيبَ لِمَعَارٍ مَوْقِفًا وَاحِدًا أَوْ كَلَّةً طَاعَةً عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ وَعُمَانُ ، فَضَلَا عَلَيْهِمَا قَبْلَ إِحْدَانِهِ ، وَقَبْلَ أَنْ يَجْرِيَ بَيْنَهُمَا مَا جَرَى ، مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ .

١٠ وهل كَانَ لِمَعْمَرٍ وَالْأَفْعَدُ لَطَاعَتُهُ مِنْ مَعَارٍ ؟ ! وَلَقَدْ رَفَعَ عَلَيْهِ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا طَمَعًا فِي ظُهُورِ حُجَّتِهِ ، وَالضَّرْحَ عَنْ نَفْسِهِ (١) ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ عِنْدَهُ قَالَ : مَا عِدْنَا خَيْرَ لَكَ يَا أَبَا الْيَقْطَانِ .

وَمَنْ أَجَلَ صَفِّ مَعَارٍ فِي الْوِلَايَةِ وَقَوَى النَّبِرَةَ حِينَ شَكَاهَا أَهْلُ الْكُوفَةِ قَالَ مَرٌّ : « أَهْضَلْ بِي (٢) أَهْلُ الْكُوفَةِ ، إِنْ وَلَّيْتَ عَلَيْهِمْ تَقِيًّا ضَمَفُوهُ ، وَإِنْ وَلَّيْتَ عَلَيْهِمْ قَوِيًّا فَجَرُّوهُ » .

١٥ فَلِذَا كَانَ مَعَارٌ يَخْطُبُ عَلَى مَنِيرِ الْكُوفَةِ بِتَوْكِيدِ إِمَامَةِ مَعْمَرٍ ، وَبِأَمْرِ النَّاسِ بِطَاعَتِهِ ، وَيَقِيمُ الْحُدُودَ وَالْأَحْكَامَ بِأَمْرِهِ ، وَيَفْتَحُ الْفَتْوحَ بِتَأْمِيرِهِ ، فَيَرَى الْقَتْلَ وَالسَّبَّ وَإِحْلَالَ الْفُرُوجِ ، غَيْرَ مَكْرَهٍ يَوْعِضُهُ وَلَا مَقْصُورٍ يُلَاقِعُ ، فَأَيُّ دَلِيلٍ أَدْلَى مِمَّا حَكَيْنَاهُ .

وَلَوْ أَنَّ طَاعِنًا طَمَنَ فِي طَاعَةِ سَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ ، وَعُمَانَ بْنِ حُثَيْفٍ ، وَأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَأَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ ، لِمَلَى ، هَلْ كَانَ عِنْدَكُمْ

٢٠ (١) الضَّرْحُ : الدَّفْعُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « أَهْضَانِي » ، صَوَابُهُ فِي الْلِسَانِ (عَضَلُ ٤٧٩) .

في دفع ذلك إلا مثل ما عندنا من الدفء عن طاعة سلمان وبلاي  
وعمار وأقل منه .

فأما أبو ذرٍّ فزم أصحاب الآثار أنه كان يظلم عمر بن الخطاب تعظيماً  
ما عظمه أحد قط . فمن ذلك أن عمر سأله يوماً فمصر<sup>(١)</sup> يده وكان أبداً ،  
فصاح : يا قفل الفينة ! ومسح من وجهه العرق يباطن راحته ، وعمر  
موموك وهو يقول : بأبي رخصاؤك<sup>(٢)</sup> لو قد ميت صرنا هكذا - وشبك  
بين أصابعه - أوجمتني ! نفلأه وقال : ما هذا ؟ فقال سميت النبي  
صلى الله عليه يقول : « لن تزالوا بخير ما كان هذا بين أظهركم » .  
وقال عمر لشاب : غفر الله لك ! فقام إليه أبو ذرٍّ فقال : استغفرني !  
وهو حديث فيه أمور كثيرة .

١٠

ولو لم ينجي من أبي ذرٍّ من هذا قليل ولا كثير لكان حكمه الرضا  
والتسليم ، إذ لم نر منه طعناً ، ولا رأينا له متوعداً .

ولو اعترضتم مائة من أصحاب النبي صلى الله عليه فقلتم : إنهم كانوا  
ملأين على أبي بكر مؤكدين لخلافة علي ، ما كان عندنا في أمرهم  
حديث قائم ، ولا خبر شاهد ، أكثر من أن يحكم المسك عن الطعن  
والخلاف هو الرضا<sup>(٣)</sup> والتسليم .

١٥

ولقد ينبغي لنا ولكم أن تتفكر في معنى كلمة سلمان<sup>(٤)</sup> ، فقد

(١) في الأصل : « فصر » .

(٢) الرخصاء : العرق في لثر الحمى .

(٣) في الأصل : « والرضا »

(٤) الفلر ماضى في ص ١٧٢ -

٢٠

أكثرتم فيها، حيث قال صنمتم ولم تصنعوا؛ ومعنى هذا الكلام: إنكم قد أقمتم مجزياً وتركتم من هو أجزاء منه، فيجب أن نعرف الخلل الذي لم يسدّه أبو بكر...<sup>(١)</sup> التي لم يملأها، والوضع الذي عجز عنه، ما هو؟ وأي ضرب هو؟ إلا أن امتحن بما لم يمتحن به أحد قبله، ولا يمتحن به أحد بعده، من قيامه في مقام رسول الله صلى الله عليه، وفي عقب الذي تمود السلون من طريقته، وتمرّفوا من سيرته في نفسه وفي أمته، ثلاثاً وعشرين سنة — وهي السيرة التي لا تحتاج إلى الإخبار عن فضلها، والإطّلاب في نشرها — فلم يُغادر ولم يتحرف ولم يتغير، ولم يؤرّر<sup>(٢)</sup> ولم يمتف.

١٠ وقد علمنا أنّ الذي عظم صغير ما كان من أمر عثمان، وشنع عظيم ما كان منه من الضعف وغير ذلك، الذي كان من إفراط جلّ عمر، وشدة رأيه وشكيمته، وقطّعه وخشوعته، وثبات عزّمه، وشمّله نفسه على مذهب صاحبيه قبله. ولذلك قال هي ملا<sup>(٣)</sup>: «ما قتل عثمان غير عمر». فالفضل الذي بين النبي صلى الله عليه وابن بكر أكبر وأظهر من فضل<sup>(٤)</sup> ما بين عمر وعثمان. ولذلك قال عمر بن عبد العزيز: «ليس لله ستر أكشف ولا أسبغ من ستره على الصديق حين لم يتكشّف» إذ قام يعقب النبي صلى الله عليه.

وقد تعلمون أنّ لو كان النبي غائباً عن المدينة في غزاة، أو حجّة

(١) يانص بقدر كلة في الأصل، لعلها «في الأمور».

(٢) في الأصل: «ولم يور».

(٣) كذا في الأصل.

(٤) في الأصل: «ونصل».



- وارتدت العرب وانتفضت اليهود ، وظهر النفاق وماج الناس ، فوثب رجل من عرض أصحابه ، فلم يزل باللين والشدّة ، والكف والإقدام ، والبطلان والحيلة ، حتى رده في نصابه ، وأعادّه كأحسن ما دتّه يذلّ النفس فما دونها<sup>(١)</sup> ، لقد كان صنع صنيماً عظيماً ، وفعل فعلاً كبيراً .
- فكيف برجله قام بأمر الإسلام وقد هتكت أستارهُ ، وتقطعت أطنابه ، ومرجت عهوده<sup>(٢)</sup> ، منفرد<sup>(٣)</sup> بالرأى غير مستعين عليه ، ولا مستوحش<sup>(٤)</sup> إلى غيره ، بل خالفه الجميع في صوابه<sup>(٥)</sup> وما أوجده الرأي ، ودلّ عليه النظر من عزمه ، وقد أبى إلّا صرامةً وبصيرةً وثقةً ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد مات غير مخوف ولا متوقع قدومه ، فردّ أهل الردّة قاطبةً ما بين أهل الحيرة ، إلى شحرُهمان إلى أقاصى البتّين ، وقع النفاق بالمدينة وما حولها ، وقتل مُسلمةً واستنفع الجمامة ، وأسر طليحةً ، ثمّ أوطأ خيله الشام ، وجنّد الأجناد ، ومنع الحوزة ، ووطأ الأمر ، وقتل الصدوّ بكلّ مكان . ثمّ لم يستأثر بدرهم ، ولم يكثر ديناراً ، ولم يخلف درهماً ، ولم يتفكّه بفنيمة ؛ وجعل عائلته مردودة على بيت مال المسلمين . ولذلك قال عمر : « رحم الله أبا بكر لقد شقّ على من بعده » .
- ١٥
- فما الشيء الذى لو كان على هو القيم به كان أجراً منه ، وبلغ منه ما لم يبلغه . وكيف يكون على أجراً منه ولم تُفلق الفتوح إلّا في زمانه ، ولم تكن الفتن إلّا على رأسه ، ولم تخرج الخوارج إلّا عليه . وهذا

(١) في الأصل : « فيما دونها » .

٢٠ (٢) مرجت اليهود : اختلطت وقل الوفاء بها .

(٣) في الأصل : « ومنفرد » .

(٤) في الأصل : « وكنا في الأصل » .

(٥) في الأصل : « وصوابه » .

باب<sup>(١)</sup> الكلام فيه على عليّ ، ولكنّا إذا فعلنا ذلك فقد دخلنا في الذي عبنا .

مع أنك لو طفت في الآفاق تطلب لكرداذ ونكرداذ<sup>(٢)</sup> إسناداً<sup>(٣)</sup> .  
ولكنّا قد رويّا أنّ سلمان قال : « أصبتم الحقّ وأخطأتم المدين »  
ففرى أنّه إن كان قال هذا القول فإنّما ذهب إلى أنّ الأمر لو كان في بيت النبي صلى الله عليه وعلى التّوارث الأقرب فالأقرب ، كان أجدرّ ألاّ يطمع فيه ذوّ بان المرّب ودّهة التّمجيم ، على غابر الأيام ، وتطاول الدّهور .  
وسلمان رجلٌ فارسيّ ، وهذا كان شاهد كسرى ؛ فتوهّم أنّ حكم الكتاب والسنة حكم تدير السرّ<sup>(٤)</sup> والقاعين بالملك ؛ فإنّما تكلم على عادة وتريته . ١٠

ولمّرى لقد كان في قوم قد ساسوا النّاس سياسةً ورتبهم ترتيباً ؛ يقطع عن الطمع في الملك بآيين<sup>(٥)</sup> : لم يميلوا للصّانع أن ينتقل عن صناعته إلى الكتابة ؛ ولم يميلوا للكتاب أن ينتقل من كتابته إلى القيادة ؛ ولم يميلوا لأبنائهم إلّا مثل ما كان لأبائهم ؛ ليمودوا النّاس عادة يستوحشون معها إلى الخروج منها<sup>(٦)</sup> . ١٥

وإنّما حسنَ هذا في ملكهم إذ كان بالرأي والقلبة ، ولم يكن لأهله

(١) كذا . ولله « باب يكثر » أو « باب ينسج » .

(٢) انظر ما سبق في ص ١٧٧ .

(٣) في الكلام تقص ظاهر ، تديره « ما قدرت عليه » أو نحوهم .

(٤) السرّ : القائد والرئيس ، فارسيته « سر » . وفي الأصل : « تدير السر » . ٢٠

(٥) الآيين : القانون ، كلمة فارسية .

(٦) إنّما يبال : استوحش عنه ومنه : لم يأنس به .

أَمَثَلُ من التدبير والحكم ، لم يكن شأنهم الأخذ بالكتاب والسنة ؛ وسبيل الإمامة غير سبيل الملك .

فإن كان سلمان إلى هذا المعنى ذهب ، وإياه عفى ، فإنما قوله حجة للمباسبة لاللملوية .

- وسنخبر عن مقالة المباسبة ووجوه احتجاجهم بمد فراغنا من مقالة المثانية ، بنائية ما يمكن من الاستقصاء ، وإنصاف البعض من بعض ، لتكون أنت المختار لنفسك بمقتك ، والأقويل ظاهرة مجلبة لديهنك ؛ فلئن أعجزك الاختيار الأرجح بمد الكفاية إنك من استنباطه وتخليصه أعجز .

- ١٠ وقد ذكر هشيم ، من العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي قال : قال سلمان حين يبيع : « أصبت حين بايعت وحيد الناس ، وأخطأت حين عزلتموها عن أهل بيت نبيكم ، ولو وضعتوها فيهم لأكلهم رعداً » . وهذا حكم من سلمان أن أب بكر خير من علي ومن جميع الناس ، والناس على خير الناس أصلح منهم على من دونهم .

- وأخرى : أن سلمان حين قال « كرداذ » كما زعم ، لو لم يكن عندكم عظيم القدر نبيل الرأي ، قدوة عند الاختلاف ، لم تسمعوا قوله بهذا المكان ، حتى صار مثل طمته وخلافه ، يفتض إمامة الأئمة ، وتتخذونه على خصائكم حجة .

- وإن كان سلمان على ما قد وصفتم ، وبالمكان الذي وصفتم ، من الحكمة والبيان ، فما دماه إلى أن يكلم العرب والأعراب بالفارسية ، وهو عربي اللسان مصبح الكلام ، وهو يعلم أنه لم يكن بمحضرة المدينة فرس ولا من يتكلم بالفارسية ولا من يفهمها . وهو إنما أراد الاحتجاج عليهم والإعذار إليهم ، وأن يقضى حق إمامة علي ويقوم بشأنه .

وقد ينبغي لمن يُلخِّص من صِدْق نَبِيِّهِ وفَرَط اجْتِناع لُبِّهِ<sup>(١)</sup> وشِدَّة عَزِيمَتِهِ أن يَتَكَلَّمَ في دار التَّحْيَةِ<sup>(٢)</sup> لافي دار العَلَانِيَةِ ، حتَّى خَاطِرُ بِنَفْسِهِ وبِكُلِّ شَيْءٍ يَهْوُلُهُ ، ومن شَأْنِهِ أَنْ يُفْهَمَ الْحِجَّةُ ، وَيُوضَحَ الْمَوْعِظَةُ ، وَيُبَيَّنَ عَنْ مَوْضِعِ الْمَظْلَمَةِ ، وَإِلَّا فَسَكُوتُهُ<sup>(٣)</sup> أَحْسَنُ مِنَ الْفَارْسِيَةِ .

٥ وكيف فَهَمْتَ مَعْنَاهُ الْعَرَبُ وَهِيَ لَا تَعْرِفُ<sup>(٤)</sup> مِنَ الْفَارْسِيَةِ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا ، وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ تَرْجَمَانٌ يَدَبِّرُ عَنْهُ لِلْفَرَسِ فَيَكُونُ ذَلِكَ التَّرْجَمَانُ كَانَ حَاضِرًا لِكَلَامِهِ ، فَيُفَسِّرُ لِلنَّاسِ مَعْنَاهُ .

وكَيْفَ قَلَّتْ عَنْهُ السَّحَابَةُ إِلَى التَّائِبِينَ وَكُلُّ مَنْ كَانَ بِمَحْضَرَةِ الْقَوْمِ حِينَ يَأْتِيهِمْ أَبَا بَكْرٍ لَا يَفْهَمُونَ الْفَارْسِيَةَ ، وَيَكُونُ سَلْمَانُ حِينَ تَتَكَلَّمُ بِهَا ١٠ اسْتَرَابُوا عِنْدَهَا فَسَأَلُوهُ عَنْهَا فَفَسَّرَهَا . وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لِحُكَاةِ الَّذِينَ تَقَالُوا الْحَدِيثَ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَى الرَّوَافِضِ ، لِأَنَّهُمْ إِذَا تَقَالَوْهُ لَيَمْرُقُوا مِنْ كَانَ الطَّاعِنَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ . وَالطَّعْنُ كُلَّمَا كَثُرَتْ فِيهِ الْمَرَاجِعَةُ وَالْمُنَاقِضَةُ ، وَطَالَ سَبِيحُهُ ، وَعُرِفَ عِلْمُهُ ، كَانَ أَدْلَّ عَلَى الشُّبْهِةِ ١٥ وَالِاسْتِغْضَاةِ ، وَأَنَّ الْأَمْرَ كَانَ حَقًّا مَعْرُوفًا .

فَوَاحِدَةٌ أَنَّ الْأَمْرَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَتْ الرِّوَاغِضُ أَسْرَعَ النَّاسِ إِلَى حِكَايَتِهِ ، لَتَسْتَشْهَدُ عَلَى الدَّعْوَى ، وَلَتَقْوَى بِهِ الْحَدِيثُ ، وَتَشْدُّ بِهِ الْحِجَّةُ .

(١) الْب : مَا جِئَ فِي لَبِّ الرَّجُلِ مِنَ الْعِلْلِ . فِي الْأَسْل : « ه » .

(٢) بِمَدِّ هَذِهِ السَّكَلَةِ فِي الْأَسْلِ وَرَدَّةً بِأَكْثَرِهَا يَدُو أَنَّهُمَا قَفَزَتْ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ نِهَائِهِ ٣ . السَّكَبُ فَرَدَتْهَا إِلَى مَوْضِعِهَا هُنَاكَ مِنْهَا عَلَيْهِ .

(٣) فِي الْأَسْل : « وَإِلَّا يَسْكُوتُهُ » .

(٤) فِي الْأَسْل : « وَهِيَ لَا يَفْهَمُ » .

وثانية : أن الناقلين أنفسهم كانوا سيحكونه ، إذ كانوا إنما حكوا نفس الكلمة ليعرفوا أنه قد كان هناك خلاف ، ويدلونا على أن سلمان كان ممن خالف ، ونحن له هذا القدر الرفيع الذي يُحتجُّ بخلافه . وأخرى : أن ذلك لو كان قاله سلمان ، وهو طعن على أبي بكر ،

- كان مشهوراً عند عمر وعثمان ، وأبي عبيدة وسعد وعبد الرحمن ، وهؤلاء عندكم شيع أبي بكر . فكيف أطبقوا على ترك التسليم على سلمان والدأر دارهم والحكم حكمهم ، ومهم الرقبة والرهبة ، مع أن المرأة<sup>(١)</sup> على سلمان أيسر وأسلم من الجراءة على أبي بكر . وقد أطبقت على طاعته الأمة خلا أربعة نفر : أحدهم سلمان . وليس سلمانُ معروفاً بالنجدة وشدة الشكيمة ، ولا وراء ظهر يمنة ، فكيف لم يزجره عن ذلك زاجر ، ولم يدغمه عن ذلك دافع . ولم يناظره مناظر ، ولم يشجب منه متعجب ، ولم يرفع ذلك رجل إلى أبي بكر كما رفعوا إليه قول خالد ابن سعيد .

فإن قلت : إن أبا بكر كان سداً يابساً يتسع صدره لأكثر من هذا كما اتسع صدره فلم يمايب خالداً ولا أرادته على بيعته . كيف سلم على حدة حكم<sup>(٢)</sup> فأين جدُّ عمر وحده وقلة احتماله ، واعتقاده لمثل هذا ؟ وكيف [سلم] طلحة مع شدة باؤه<sup>(٣)</sup> وصرامته . ولا نعلم شيئاً مما ادَّعوه أظهر باطلاً ، ولا أفسد معنى من قوله « كَرْدَاذَ وَفَكْرَدَاذَ » .

(١) في الأصل : « المرأة » ، بالحاء ، في هذا الموضع ، وبالجيم في ناليه .  
(٢) كذا في الأصل .  
(٣) البأو : الكبر ورفعة النفس .

وأما ما ذكرتم من ترك خالد بيعة أبي بكر ثلاثة أشهر فإن الذين  
 قتلوا هذا هم الذين قتلوا أن خالداً يوم تُوُفِّي النبي صلى الله عليه كان  
 على صدقات اليمن ، فقدم بمد أن بايع الناس أبا بكر ، فلما دخل  
 المدينة استقبله عثمان وعلي فقال لهما : أرضيتم معشر بني عبد مناف أن  
 على هذا الأمر عليكم غيركم ؟ فلم يذكر لنا أنهما رداً عليه قولاً ،  
 ولا أظهرنا قبوله . ثم جلس عن بيئته لا يسأله ذلك أبو بكر  
 ولا يدعو إليه ، فيبينا هو كذلك إذ مر أبو بكر بدار خالد مُظْهِراً<sup>(١)</sup>  
 لبعض الأمر ، وخالد في داره ، فسلم عليه أبو بكر فقال له خالد : أنتخب<sup>١٠</sup>  
 أن أبايعك ؟ قال : أحب أن تدخل في صالح ما دخل فيه المسلمون . قال  
 له خالد : موعذك المشية . فأتاه وهو على المنبر فبايعه .

ففي هذا وجوه من الكلام :

منه أن خالداً لم يطمئن في إمامة أبي بكر من جهة الجزء<sup>(٢)</sup> والكفاية  
 والكمال والفضل ، ولا من طريق ما تنفسد به الإمامة وتنتقض به الخلافة  
 وإنما ذكر الحسب وطرائق<sup>(٣)</sup> الجاهلية . وهذا الأمر إن كان مقصوداً في  
 قوم<sup>(٤)</sup> دون قوم ، فليس هو في بني عبد مناف عامة . وإن كان ليس  
 [ مقصوداً ] في قوم ، وليس لقول خالد معنى ، فإن كان مقصوداً في  
 عبد مناف للشراف أو للقرابة ، فالعباس أولى بذلك من علي وجميع  
 عبد مناف .

(١) أي في وقت الظهيرة .

(٢) الجزء : الكفاية والثناء . وفي الأصل : « الحرو » .

(٣) في الأصل : « طرائق » .

(٤) في الأصل : « في قوم » .

ولو أراد علياً لم يقل : أرضيتُم بنى عبد مناف ؟ لأنَّ عثمانَ وعليَّ  
مَنافِيَّانِ ، بل كان يقول : أرضيتُم مَعشَرَ العِترة ، أو معشرَ بنى هاشم  
ومعشرَ بنى عبد المطلب . مع أنَّه لو قال ذلك لكان للعباس في ذلك  
القول من السَّبب ما ليس لعلی ؟ لأنَّ هذا الأمر إن صلح أن يخرجَ  
من رِهطِ النبي صلى الله عليه وآله ، ومن أقرب الناس إليه ، إلى أقصى ٥  
بنى عبد مناف ، لصلح أن يخرجَ إلى أقصى بنى كلاب . فإذا كان ذلك  
كذلك فتيماً وعبد منافٍ سواء .

ومِمَّا يدلُّك على أنَّ خالداً لم يقلْ شيئاً ، أنَّ هذا الأمر إن كان  
إنما يُستحقُّ بالعلم والعمل والجزء<sup>(١)</sup> والفتاء<sup>(٢)</sup> فليس لذكر عبد منافٍ معنى .  
وإنَّ كان هذا الأمر لأفضل قرىشٍ كائناً من كان فلم يقلْ خالدٌ شيئاً ، ١٠  
وليس لذكر عبد منافٍ معنى .

وإنَّ يكنْ هذا الأمرُ في أقرب النَّاسِ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله  
وعلى آله فلم يصنعْ خالدٌ شيئاً .

وإنَّ يكنْ هذا الأمرُ لرجلٍ بعينه قد نصبه النبي صلى الله عليه وآله عليه ودلَّ  
عليه فلم يصنعْ خالدٌ شيئاً ؛ لأنَّه كان ينبغي له أنْ يسيرَ بالمنصوص ١٥  
أو بالملول عليه .

أو يكونَ هذا الأمرُ لا يُصاب إلا من طريقِ الإرث . فإنَّ كان ذلك  
كذلك فلم يصنعْ خالدٌ شيئاً ؛ لأنَّ صاحبَ الإرثِ أظهرُ أمراً وأشهرُ

(١) في الأصل : « الحزو » . والنظر ما سبق في ص ١٩٠ .

(٢) كتبت في الأصل : « التقي » .

موضناً من أن يحتاج إلى كلمة ليست بأن تدلّ عليه بأقرب منها من أن تدلّ على خالف نفسه .

• وجه آخر : أنه قصد بكلامه إلى عثمان وعلى جميعاً ، ليهزّهما معاً ؛ لأن هذا اللفظ الأغلب على ظاهره حبّ المصيبة ، والمهاماة على الأحساب ، وترك التّخاير بالأفصال ، والتفاضل بالجزء<sup>(١)</sup> والسّكال .

ولمّا أراد عثمان دون عليّ ، أو لمّا أراد نفسه والتذكير بها والتنبية عليها ؛ فإنه كان أشرف من عثمان وأقدم إسلاماً منه ، وكان بين مهاجرة الحبشة ، وكان ذا قدر عظيم . وهو ابنُ أبي أُحَيحة<sup>(٢)</sup> ، وكان أبو أُحَيحة إذا اهتمّ بمكة لم يتمّ بها أحد ؛ إكباراً لقدره ، وتفضيلاً لحاله<sup>(٣)</sup> . ١٠

وكان عثمان لا يحال . . . سعيد بن العاصي .

وظاهر كلام خالد وقع على عبد مناف بُحّة ، وهو يرى أنه في السّر منهم . فإن كنتم أردتم أن تُغيروا عن خلاف خالد على أبي بكر وجولسه عنه ، فلقد كان ذلك حتّى راجع من تلقاء نفسه ، وثاب إليه ١٥ هازبُ رأيه ، فأناب إلى خطّته ، ودخل في صالح ما دخل فيه غيره . وما كان تخلفه عن بيّته إلّا ربّما ذهب عنه حميّة ، وانجباب عن . . . وتيقظ من نومه .

(١) في الأصل : « وللأفصال بالمرء » .

(٢) أبو أُحَيحة سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس . الإصابة ٢١٦٣ .

(٣) ما يهبط قلبك ما ألهده المبرد في السّكال ١٩٧ .

٢٠ أبو أُحَيحة من يتمّ محمته يضرب وإن كان ذاملاً وذامداً



وما ذلك بأعجب من اجتماع الأنصار وقوله للمهاجرين الأولين :  
 « مِنَّا أميرٌ ومنكم أمير » والفار دارم ، والمهاجرون ضيقانهم وزُولُ  
 فيهم ، وم أولُ القاسِ والمددُ والصلاحُ والرأى ، فكانوا مُجَلِّين<sup>(١)</sup>  
 جاذِبين مجذِبين ، فما هو إلَّا أن هجم عليه الصديقُ وقام فيهم مُرشداً  
 ومُعتجِلاً [ حتى ] استبدلوا بالخلاف طاعة ، وبالضجَّةِ إطراقاً ، وبالأَنفَةِ •  
 خضوعاً ، وبالطيشِ حلمًا ، وأنصتوا ممّا واستموا بما .

وكان السائلُ إنّما أراد تريفنا أنّه كان من خالفٍ خلافٌ . فقد كان  
 ذلك ثم رجع إلى نفسه وعرف موضع خطئه ، غير مرغوب ولا مرهوب .  
 وإن كان إنّما أراد أن يجعل هذا وشبهه حجةً في إمامة عليّ فليس  
 لعلّ رحمة الله عليه في ذلك من الحجّة على إمامته قليلٌ ولا كثير ، ١٠  
 إذ لم يذكره في شيء من أمورهم ، لا في يسير أمرهم ولا قسيره .  
 ولو ذكره ما كان لذكرهم دليلٌ على أنّه أولى بالإمامة من أبي بكر ،  
 مهما عددنا عليك من خصاله التي لا يبقَى بها عليٌّ ولا غيره .  
 وإنّما كان يكونُ هذا الإدخال حجة لو قلنا : إن أحداً لم يخالف  
 أبا بكر . ١٥

ورضى الجميع وسكونهم وسواهم<sup>(٢)</sup> لم<sup>(٣)</sup> يكن لينهاً أبداً ، حتّى لا يطلق  
 أحدٌ بحرف واحدٍ لا جاهل ولا عالم ، ولا عصيٌ ولا حاسد .  
 وكيف يتفق إطباقهم على سكونٍ واحدٍ والناسُ من بين حاسدٍ وراضٍ ،  
 وعصيٍّ وتقٍ ، وحليمٍ وسخيفٍ ، وغالطٍ ومصيبٍ ، وقليلٍ وأحقّ ؟

٢٠ (١) التجليل : الصبغ والتصويت .  
 (٢) كذا في الأصل . (٣) في الأصل : « ولم » .

وإذا كان النبي صلى الله عليه مع رجائه على جميع الخلق لم يسلم  
على أمته [ من ] المستجيبين له ، فضلاً على جاحديه والمنكريين له ،  
كان أبو بكر أجدر ألا يسلم من رعيته .

ولقد قام رجل إلى النبي صلى الله عليه فقال : والله يا محمد ما عدلت  
في الرعيّة ، ولا قسنت بالسوية . وقال الله : « ومنهم من يلمزك في  
الصدقات<sup>(١)</sup> » وقال : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات<sup>(٢)</sup> » .  
وقال عباس بن مرداس :

أجمل نهي ونهب المبيد بين عينة والأقرع<sup>(٣)</sup>

فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في الجمع

١٠ في شعر له طويل .

وقال أبو حذيفة بن عتبة<sup>(٤)</sup> يوم بدر : يقتل أبناء وأممنا وينهانا  
من عشيرة<sup>(٥)</sup> ، والله لئن أدركته لأرجفنه بالسيف

وخالفوا عليه في يوم الحديبية في نحر الهدى ، وحيث قالوا :  
« لا نعطي الدنية مرة بعد مرة » ، في أمور كثيرة .

١٥ فليس في طعن الطاعن دلالة إذا كان المظنون عليه كاملاً فاضلاً .

(١) الآية ٨٨ من سورة التوبة . وانظر تفسير أبي حيان : ٥٥ .

(٢) الآية ٤ من سورة الحجرات .

(٣) انظر الحزاة ١ : ٧٣ ، والمبيد : اسم فرس عباس . عينة بن حصن الغزاري .  
والأقرع بن حابس المخاضمي التيمي . أصلها رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بغيره وكان  
من المؤلفات قلوبهم ، وأعطى عباس بن مرداس أمارت فسطحها .

(٤) الإصابة ٢٦٣ من باب السكينة ، والسيرة في مواضع كثيرة . وفي الأصل : « عيه » .

(٥) في الأصل « عسره » ؟

وإجماع الناس كلهم على الصواب أمرٌ لا ينال ، ولكن إذا كانت الأمة قد أبطقت على طاعة رجل على غير الرقبة والرقبة ، ثم لم يكن اغتراراً ولا إغفالاً ؛ فليس في شئوذ رجل ولا رجلين دلالة على انتقاص أمره ، وقساد شأنه .

- ٥ . وليس يحتاج بهذا وشبهه إلا رجلٌ جاهل بطبائع الناس وعلمهم . ولو كان هذا وشبهه ناقضاً لإمامة أبي بكر ، كانت إمامة على أقض وأفسد ؛ لأنّ الدنيا انكفت بأهلها عليه<sup>(١)</sup> وماجت بساكنها . . . من ولايته ، وتداعت من أقطارها ، تريد محاربتها ، حتى لقد نازمه فيها من ليس في مثل حاله ولا شرف موضعه ؛ ولا في فضيلة دينه فناهضه الحرب ، ونازله القتال . . . يمتعه ، والتج<sup>(٢)</sup> عليه الخلاف من أهل طاعته ، وموضع الجدل في عسكره ، فرداً بأسه في أصحابه ، ومصرف كيدته إلى جنده ، وجلس خلى الدرع ، رضى البال ، [ في ] عجب الفاتن وسرور المخادع ، وعز المصيب ، وبأو الأريب<sup>(٣)</sup> . ثم بث رسولا قد اختاره بالحكم عليه وله ؛ فساكن رسولُه المخدوع ورسولُ خصمه المخادع ؛ ثم رجعت الأمور إلى ١٥ خصمه ، وانثرت منه ومن ولده مرةً بالبطش ، ومرةً بالحيلة .

ثم كان يرى من خلاف أصحابه واضطراب جنده وتبديل أصحابه مثل ما يرى خصمه من طاعة خاصته ، ونصرة جنده ، وثبات عهد أصحابه ؛ فلم يكن ذلك حاراً عندنا ولا عندكم على على ، ولا دليلاً على نقص رأيه ،

(١) في الأصل : « طى » .

(٢) التج : اختلط . في الأصل « والمع » .

(٣) البأو : الكبير والنفير .

وضمف حَزْمُه ، وَسَمَّه علمه وكثرة فضله . وقد أصابه من الخلاف والتعذر وانتشار الأمر ، واضطراب الجبل ، وظفر الأهداء وشماتة الحساد ، ما قد رأيتم ؛ ثم قد جثم تشبثون بطن سلمان ، وقول أبي سفيان ، وقمود خالد ، كأنكم لم تعرفوا ما عند خصومكم ؛ غرارة وقصا .

• وأعجب من هذا أنكم مرة تزعمون أن الذي حتمل بى أمية على صرف الإمامة عن عليّ الضنن الذي في نفوسها ، والأحقاد التي في صدورها ، تقتل عليّ أبناءها وإخوتها وأعماسها . ومرة تملكون وتحتجون في نقض إمامة أبي بكر بطن عظيمى بى أمية في إمامته كمل ؛ كخالد بن سعيد ، وأبى سفيان بن حرب . وإذا شتم كانا لكم ، وإذا شتم كانا عليكم .

١٠ وأما ما ذكرتم من قول أبي بكر : « ما كانت بيمة إلا فلتة » ، وقول عمر : « ما كانت بيمة أبى بكر إلا فلتة وقى الله شرها » فإن الأمر على هذا واضح ، والحجة فيه قاطعة .

وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توفى كان الناس على طبقات : من رجل مؤمن عالم ، ناصح لله ورسوله .

١١ ومن رجل مطاع ليس له علم بالإمامة ، وما السبب الذي به تنعقد من السبب الذي به تنحل .

ومن رجل مكانه في قرين أشرف من مكان أبى بكر ، وليست غايته صلاح المسلمين ، إنما غايته أن يكون الإمام من أقرب القبائل إليه ، ليزداد هو وقومه بذلك شرقاً وغرباً .

٢٠ ومن رجل له قرابة فهو يرى أنها تقنيه عن العلم والعمل . ومن رجل شديد في رأسه ، ضعيف في دينه ، يخفى في ذات يده

بمسيرة الهمة حامل في هدوء الناس وأمتهم ، فهو لا يألو إضرار الفتنة ،  
وتيسير الشفلة ، يرى أنَّ في المصيح ظهور نجدة ، وخروجه من المحول  
إلى التباهة ، ومن الإغلال إلى الإكثار .

ومن رجل دخل في الإسلام مع مَنْ دخل في دين الله ، دخل من  
الأفواج ، لا يعرف حقيقته ، ولا يستريح به إلى الثقة .

ومن رجل أخافه السيف ، واتقى الدلّ والقنل بإسلامه ونفاقه ،  
كتنافي المدينة ومن حولها من أهل القرى والبادية ، يمتصون على السليين  
الأنامل بالنميط ، وهم البطانة لا يألون خبالاً ، يترقبون الدوائر ،  
وينفرون إلى الأراجيف ، ويستريحون إلى الأمان .

ومن رجل صاحب سلم ، يدِين لمن قلب ، لا بدفع مُبتلاً ولا يمين  
مُحقاً ، يرى أنَّ سلاح خاصته هو سلاح العامة .

ثم الذي كان من وثوب الأنصار ، وم أهل المدد وأصحاب الدار  
والأموال ، على أمر لو تابعتهم المهاجرون عليه حتى يكون من كل فرقة  
أمير ، لفتحت بذلك باباً من الفساد لا يقوى أحدٌ على سدّه ، ولكان  
الذي يقع بين الأوس والخزرج في الأمر أشدّ مما كان يُضاف منها ومن  
قريش ؛ لأنّ القرابة كلّما كانت أمتسّ ، والجوار أقرب ، كانت العداوة  
على قدر ذلك .

ولو أنَّ الأنصار حين أتاها أبو بكر فأظهروا الشقاق والخلاف . . .<sup>(١)</sup>  
عن الحقّ وجهلوه ، ما كان لهم دون البوار مانع ، ولكان غير مأْمون  
وثوبٌ منْ بالمدية ومنْ حولها من الناقبين وأشباهم ، من الحشو

(١) يان في الأصل بعد ثلاث كلمات .

والطغام ، ولكان غير مأمون أن ينضم إليهم من حول المدينة من المرتدين ، ممن بدل إسلامه ساعة بلفته وفاة النبي صلى الله عليه . ولو ساروا إلى ذلك لكانوا أقوى من المهاجرين والأنصار ، إذ كانوا جميعاً نشر<sup>(١)</sup> وقلوبهم شتى ، وبأسهم بينهم ، ولكان غير مأمون عند ذلك أن ينزوم مسيلة في أهل اليمامة طائفة مع من حولها من أهل البادية . ثم كان غير مأمون أن يستمد بجميع أهل الردة ممن نكت<sup>(٢)</sup> ونصب العداوة .

وجميع ما قلنا إنه كان غير مأمون ، لم نقله إلا بأسباب قد كانت هناك قائمة معروفة ، فما عسى فقه<sup>(٣)</sup> المهاجرون والأنصار على ما وصفنا وتركتنا . ١٠

قد صدق أبو بكر وصف عمر<sup>(٤)</sup> أن تلك البيعة كانت فلتة وأعجوبة وغريبة ، إذ سلبت على كل ما وصفنا من أسباب الملكة ، وهي سرب<sup>(٥)</sup> ، وليس دونها ستر ولا رد<sup>(٥)</sup> ، فكانت يمتد يمناً وبركة أقعد الله بها من الملكة ، وجمع بها من الشتات ، ورد بها الإسلام في نصابه ، بعد تحمله واضطرابه . فأمانت السخيمة ، وأودعت القلوب السلامة ، وجمعتها على الألفة . ١٥

(١) اللعير : المتفرقون . وفي حديث عائشة : « نرد نفر الإسلام على هرة » ، أي رد ما انتفر من الإسلام إلى حاله .

(٢) في الأصل : « لئن نكت » .

(٣) كذا في الأصل . ٢٠

(٤) السرخ : الأرض الواسعة البعيدة الأجزاء . في الأصل : « سوغ » .

(٥) الرد ، بالكسر : ما يرد العي . - ألق في اللسان :

• فكان له من البلايا ردا •

أي مقل يرد عنه البلاد .

وهذه مكرمة وعطية ، ولا يجوز أن يحبوا بها خلق المباد إلا نبياً  
أو خليفة نبي .

فأما قوله : « ما كانت يمتي إلا فلتة وقى الله شرها » ، فقول  
أمرئ عالم بالعواقب ، عالم بأسباب الفساق ، شديد الشفقة منها ، حامد لربه  
على السلامة منها .

- أَوْ مَأْلَعَتْ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ بَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ عَلَى الْمَاجِرِينَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَالنَّبِيُّ مَسْجُوعٌ ، وَهُوَ يَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ وَيَعْرِفُهُمْ سِرْفَهُمْ ،  
وَاعْتِدَادَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لَمْ يَمُتْ . وَقَدْ خَافَ أَنْ  
يَصِيرَ بِهِمُ الْإِفْرَاطُ فِي التَّطْلِيمِ ، وَالنَّارُ فِي الْحُبِّ ، أَنْ يَضَارِعُوا مَذْهَبَ النَّصَارَى  
وَخَافَ أَنْ يَكُونَ آخِرُ أَمْرِهِمْ أَشَدَّ مِنْ أَوَّلِهِ . وَكَانَ أَشَدَّ الْأُمُورِ عَلَيْهِ فِي ١٠  
ذَلِكَ أَنَّ مِثْلَ مُرٍّ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَعُمَيَّانَ ، هُمُ الَّذِينَ كَانُوا خَرَجُوا  
إِلَى مَا لَا يَنْبَغِي مِنَ الْقَوْلِ ، فَبَدَرَهُمُ بِالْمُطْلَبَةِ عَتِجًا عَلَيْهِمْ وَمَعْرِفًا لَهُمْ مَوَاضِعَ  
غُلْطِهِمْ ، وَنَحْصَ إِفْرَاطِهِمْ ، فَخِينٌ تَبَيَّنَ لَهُمْ خَطْوُهُمْ وَسَلَمُوا لاحتجاجه  
عليهم ، أَنَاهُ آتٍ فَقَالَ : إِنَّ الْأَنْصَارَ قَدْ اجْتَمَعَتْ إِلَى سَعْدِ بْنِ جُبَادَةَ  
فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، يَقُولُونَ : مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ . فَرَأَاهُ ذَلِكَ ، ١٥  
وَصَوَّرَ لَهُ الْحَزْمُ كُلَّ خَوْفٍ ، فَعَلِمَ أَنَّ الدَّاءَ الَّذِي عَنْهُ نَفَقُوا أَشَدَّ مَلَاجًا  
مِنَ الدَّاءِ الَّذِي نَفَقَ عَنْهُ هَرُورُ عُمَيَّانَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَالنَّفَرُ مِنَ الْمَاجِرِينَ  
الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَمُتْ ؟ وَهَلُمَّ أَنْ يُرَاءَ كُلُّ  
سَقَمٍ أَهْوَنُ مِنْ إِرَاءِ سَقَمِ الْحَيَّةِ وَالطَّمْعِ فِي الْمَلِكِ ، وَلَا سِيَّماً إِذَا شَهِبَهَا  
سَوْءُ تَأْوِيلٍ ، وَضَافَرَهَا الْحَسَنُ بِالْقُوَّةِ . وَهَذَا كَوْنُ الدَّاءِ الْمُضَالِ (١) ، وَالْدَاهِيَةِ الْمَقَامِ . ٢٠

(١) فِي الْأَسْلِ : « الْمَضَاء » .

فلما انتهى إليه أمرهم ، وعرف جميع مآعليه طبائعهم وعلمهم ، وطبائع أتباعهم ، لم يكن شيء أحمّ إليه من الیدار إليهم قبل أن يستفصل الشرّ ، ويتمكّن العزم ، فرّ حثيثاً وتبعه عمر ، ولحقه أبو عبيدة في نفر من قريش ، فيمرّ بالناس خلقاً عزيّزاً وهم يبيكون ويتحدثون ، فيقبل عليهم فيقول . أنتم جُلوسٌ تفرّكون أعينكم وفي الإسلام المسا

الیدار . وقيل البوار<sup>(١)</sup> .

فلو لم يتداركهم بحيطته وقظته وصدق حسّه ، وأبطأ عنهم ريثا كانوا يطارحون الرأى ، ويستتبرون دفين الحسد حتى يتمكّن ذلك الحسد ، وتمثّل لهم سورة الظفر ، فلو هجم عليهم أبو بكر في ضعف من بالدينة من قريش ، لم يكن في طاقتهم دفعهم ، والدّار دارهم ، والبلاد بلادهم والبادية باديّتهم ، ومن فيها تبع لهم ؛ فكان من صليح الله أن كان هو الدّائد والقاتم ، والحارس ، والماعف والدّاوى ، ولم يكلمهم الله إلى نظرهم واختيارهم ، فيكون ذلك فسادهم وهلكتهم .

فلن قالوا : فما معنى قول أبو بكر للأنصار حين أنام : « إن هذا الأمر ليس بمنلسة . قد علمت معشر قريش [ أنا ] أكرم العرب أحساباً ، وأينها أنساباً ، وأنا عترة النبي صلى الله عليه وآله ، والبيضة التي تفقأت عنه ؟ »

فلم يذكر أبو بكر قريشاً وأحسابها وعترة النبي صلى الله عليه وآله والبيضة التي تفقأت عنه ، إلا وهو يرى أن له عليهم بهذا من الفضل ما ليس لهم ، ومن السبب إلى الخلقة ما ليس لهم . فقد ينبغي أن يكون لبني هاشم على هذا القياس من الفضل والسبب ما ليس لبني تيم .

(١) كذا في الأصل .



قلنا لهم : إن أبا بكر لم يقل هذا القول وهو يريد معنى مذهبيكم فيه ، مع أنكم قد قطعتم الكلام ، لأنه قال : « فإنه لم يكن فينا فسكر يوح<sup>(١)</sup> » به وإنا نحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، وإن الله لم يذكرنا وإياكم في شيء من القرآن إلا بدأ بذكرنا قبلكم ، فمنا الأمراء ومنكم الوزراء .

فلم يقل أبو بكر : « قد علمت يا مشر قريش أنا أكرم العرب أحساباً ، وأيقننا أنساباً ، وأنا عترة النبي وأصله » ، وهو يريد أن يخبر أن الرئاسة في الدين تستحق لنير الدين ، والخلافة أعظم رياسات الدين ، فعلى حسب ذلك يحتاج إلى العمل الصالح .

- ولكن أبا بكر خطب على قوم كانوا يزور للحسب قدرا ، وللقربة ١٠ سبباً ، فاتام من ماتهم<sup>(٢)</sup> ، وأخذهم من أقرب مأخذهم ، واحتج عليهم بالذي هو عندهم ، ليكون أقطع للشغب ، وأسرع للقبول . وليس في كل المواضع تفسير لحجة أمثل من إظهار الجلة ، وتمريف الناس الناية ، وحملهم على أدق الحجج وأصوبها . وربما أخفى الإمام<sup>(٣)</sup> كثيراً مما يريد بالناس عنهم ، للذي . . . . من بعضهم عن فضله ، وضيق صدورهم عن سمة فضله ، بل يعلم أنه لو أطلعهم طلع إرادته<sup>(٤)</sup> ، والذي عزم عليه من صلاحهم ، كانوا أسرع إلى طلب بنفسه من عدوم .

(١) كذلك في الأصل

(٢) في الأصل : « من ماتهم » .

(٣) في الأصل : « الاحتمام » .

٢٠

(٤) في اللسان : « وفي حديث ابن أبي يزن ، قال لعبد المطلب : أطلعك طلعه .

أي أملكك . الطلع : بالكسر : اسم من اطلع على الشيء . إذا علمه » .

وقد دلّ أبو بكر على مذهبه في الأحساب في أوّل خطبة خطبها على المهاجرين والأنصار ، حين قال في كلامه :

«وعليكم بقوى الله ؛ فإن أ كيس الكيس التقوى ، وأحقّ الحق الفجور ، وإني متبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنت فأمينون ، وأن زغت فقومون . أيها الناس ! إنّه لم يدع الجهاد قوم قط إلاّ ضربهم الله بذلّ ، ولم تشع الفاحشة في قوم قط إلاّ عمهم بالبلاء . أيها الناس اتّبعوا كتاب الله ، واقبلوا النصيحة ، فإنّ الله يقبل التوبة ، ويمحو عن السيئة . واحذروا الخطايا التي لكلّ بنى آدم منها نصيب ، ولكنّ خيرهم من اتقى الله . واتّقوا يوماً لا ينفذ فيه حيم ولا شفيع يطاع .

١٠ ألا تراء ذكر جميع بنى آدم ثم قال : ولكنّ خيرهم أهام كما قال الله : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ثم قال : اتّقوا يوماً لا ينفذ فيه حيم ولا شفيع ؛ قد أخبر عن نفسه ومذهبه في ذلك المقام بناية ما يتكلّم به أصحاب النسوة . فكانّ أبا بكر إنّا قال : فإن كان هذا الأمر معشر الأنصار إنّا يستحقّ بالحسب ، ويستوجب بالقرابة قريش أكرم منكم حسبا ، وأقرب منكم قرابة ، وإن كان إنّا يستحقّ بالفضل في الدين فالسابقون الأوّلون من المهاجرين المقدّمون عليكم في جميع القرآن أولى به منكم . لأنّ أبا بكر ذكر في صدر كلامه الحسب والقرابة ، وفي عجزه فضل المهاجرين على الأنصار . فلما أبصر القوم وجه الحجة ، وقرّروهم بما لم يزل عليه قبل ذلك طائفتهم ، لحقوا بالطاعة وأعطوا القادة .

٢٠ وكيف يكون كبار الأنصار أفضل من كبار المهاجرين ، وقد سبقهم المهاجرون وأسلموا قبلهم بالسّتين قبل السّتين ، والأنصار بمئتي على دين

آبائهم ، وعبادة أَسَنَامِهِمْ . ثُمَّ اتَّيَّ لِقَى الْمَاجِرُونَ فِي اللَّهِ يَبْطُنُ مَكَّةَ  
وَالْأَنْصَارُ وَادْعُونَ فِي بَيْتِهِمْ ، وَافْهَوْنَ فِي دِيَارِهِمْ ، نَاعِمٌ بِالْأَمِّ ،  
خَرَلِي سَرَبِهِمْ<sup>(١)</sup> ، لَقْدِئْ عَيْشِهِمْ . ثُمَّ هَاجَرُوا إِلَى دَارِهِمْ فَكَانُوا مَعًا  
فِي الْعِبَادَةِ وَالْجِهَادِ ، إِلَّا مَا فَضَّلُوا بِهِ مِنْ وَخْشَةِ الْإِغْتِرَابِ ، وَفِرَاقِ الدَّارِ  
وَالْأَحْبَابِ . فَلِلْمَاجِرِينَ مِثْلُ مَا لِلْأَنْصَارِ ، وَقَدْ بَانُوا بِسَابِقَتِهِمْ ، وَإِنَّمَا قُدِّمُوا  
فِي الْقُرْآنِ لِتَقْدُّمِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ .

- وَمَا أَنَّ الْمَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ لَيْسُوا كَثِيرًا مِنَ الْمَاجِرِينَ ، وَكَأَنَّ  
مَنْ أَسْلَمَ بَعْدَ الْفَتْحِ لَيْسَ كَمَنْ أَسْلَمَ قَبْلَهُ ؛ فَكَذَلِكَ لَيْسَ مَنْ أَسْلَمَ وَالنَّاسُ  
كُلُّهُمْ كَفَارٌ غَيْرُهُ ، كَمَنْ أَسْلَمَ وَقَدْ أَسْلَمَ النَّاسُ قَبْلَهُ .
- وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ قَوْلَ الصَّدِّيقِ لِلْأَنْصَارِ : « إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ  
بِمُخْلَسَةٍ » عَلِمْتَ أَنَّهُ كَانَ ثَابِتَ الْجَنَانِ ، رَابِطَ الْجَأَشِ ، وَاقِفًا بِالْحُجَّةِ ،  
حَارِفًا بِمَوَاضِعِ الْإِمَامَةِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ غَايَتُهُ تَقْرِيرَ بَفَضِيلَةِ الْمَاجِرِينَ ،  
لَأَنَّهُمْ إِذَا صَارُوا إِلَى ذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى ذِكْرِ نَفْسِهِ وَتَعْرِيفِهِمْ فَضْلَهُ ،  
لَأَنَّ تَبَرُّيَّهِ كَانَ يَبِينُ عَلَى الْمَاجِرِينَ ، وَفَضْلُهُ كَانَ ظَاهِرًا عَلَى السَّابِقِينَ .
- وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ خَوْضَ الْأَنْصَارِ وَكَلَامِهَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِيمَا بَيْنَ  
مَجْلَةِ الْأَنْصَارِ وَمَجْلَةِ الْمَاجِرِينَ ، قَالُوا : مَتَى أَمِيرٌ وَمَنْكُمْ أَمِيرٌ . فَأَ هُوَ  
إِلَّا أَنْ قَرَّرَ بَفَضِيلَةِ الْمَاجِرِينَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَتَكَلِّمٌ ، حَقٌّ  
أَطْبَقُوا جَمِيعًا عَلَى بَيْتِهِمْ وَالْمَاجِرُونَ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْمَاجِرِينَ - فَلَا يَسْتَطِيعُ  
أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِي أَنَّ إِنْسَانًا قَالَ مِنَ الْأَنْصَارِ : فَإِنْ كَانَ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ  
مَعَكُمْ الْأَمْرَ فَإِلَيْكُمْ فَلَانِ ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ وَأَحَقُّ بِقَرَابَةٍ أَوْ بِمِثْلِ - ٢٠  
فَسَكَتُوا مَعًا سَكَةً وَاحِدَةً ، وَسَلَمُوا مَعًا تَسْلِيمًا وَاحِدًا .

(١) السَّرْبُ ، بِالْفَتْحِ : الطَّرِيقُ وَالْوَجْهُ وَالرَّأْيُ .

ولو أنَّ الأنصار كانوا قد سلّموا للمهاجرين في البدء فلم يفارقوا ولم يتناوذا ، وكانوا كالمهاجرين في إطباقهم على أنَّ الإمام منهم ما كان ليظهر للناس من شهامة أبي بكر وصرامته واجتماع نفسه وقوة مؤنّته ، وجلّد رأيه ، وقِلّة حَيَرته وتضجّجه<sup>(١)</sup> مثلُ الذي ظهر لهم . وإنّما يَعرِف الماقلُ فَضْلَ الماقلِ في مَنابِقِ الأمور ، وساعةِ الجُلُوة ، والمُعجِلةِ والحيرة ، وظُهُورِ الفِتنة ، ومَوَجانِ السَّفلة ، واضطرابِ المِلّةِ<sup>(٢)</sup> واختلاطِ الخِلاصةِ بالعامّة .

فَهَلْ أَعْمَلُ بِهِ دَلالَةٌ فَلَمْ يَسُدَّ قَرَرَهُ<sup>(٣)</sup> ، أَمْ هَلْ نَجَمَ بِلَا فَلَ يَتَوَلَّى قَمْعَهُ ١٩  
وزممت (المناية) أنَّ أحداً لا ينالُ الرِّياسةَ في الدِّينِ بغيرِ الدِّينِ .  
١٠ ولوجاز أن يعطى الله رجلاً عطيةً ويفضّله على غيره لِنَسَبِهِ ، ومحلّهما سواء  
في دارِ اللهِ نِيا ، جاز أن يفضّله عليه في الآخرة .

وليس ذلك كالماقَى والمُبْتلى ؛ لأنّ المافية والبلاء ، والشكر والصبر ، والثواب على الطاعة بهما والمقاب على المعصية فيهما ، إذا وازَنت بين عواجلِ أمورهما وأَواجِلها مِن كُلِّ وَجْهها ، رأيتُهما سواءَ لا فَضْلَ بينهما . ١٥

وكذلك شأنُ المملوك والمالك ، والفقير والغني ، والمُبْتلى والمُعاقِ  
فإنّ كان القريبُ القرايةَ والبعيدُ القرايةَ سيَلُهما في التَّقْصِ والفَضْلِ ، والصَّبْر والشكر ، والثَّواب والمقاب ، وجميع حالاتهما في الماقل والأجل ، كالماقَى والمُبْتلى ، والمالك والمملوك ، والفقير والغني ؛ فليس بين القريب

٢٠ (١) تنجح في الأمر : تلمذ ولم يقم به .

(٢) في الأصل : « الضربة » .

(٣) في الأصل : « فلم يسير بمره » .

والبعيد فرق ، وليس لقرايته فضيلة على غيره ، ولا ينفعه شيء إلا كما نفع الماعى والنقى فى ظاهر أمرها ، وما يقع البيان عليه منهما ، وما فى النقى والمصلحة ، والنظر والصنع ، سواء .

وليس على هذا بنى القوم أحرم فى القرابة ؛ لأنهم زعموا أن القرابة سبب للرئاسة فى الدين . ولو قالوا إنها سبب للقدر والنباهة فى الدنيا كان ذلك وجهاً ، كما ترى من فضل حال المتبع الرهط ، الجليل الرواء ، والماعى فى يده الكثير المال ، على الدليل الرهط القديم فى روائه ، البتلى فى بدنه ، القليل ذات اليد ، وما فى مُتَيِّب أمرها ، وفيما لا يقع البيان عليه من شأنهما ، سواء فى صنع الله وفضله وعائدته .

- [ وإنما ] كان لنا أن زعم أن القرابة تنفع فى الدين والحسب ١٠ فتكون سبباً إلى الرئاسة فيهما ، أن لو كنّا رأينا من عظم قدر القرابة ونبل من أجله<sup>(١)</sup> نال الرئاسة الكبرى بالحسب . فإذا رأينا النبي صلى الله عليه لم يستحق ذلك الموضع البائن المالى إلا بالفضل دون المركب<sup>(٢)</sup> كان من مت بقرابته أجدر ألا ينال الرئاسة إلا بالفضل دون المركب ؛ لأن النبي صلى الله عليه لو كان نال ذلك بالهاشمية كان هو ورجل من ١٥ عُرض بى هاشم سواء .

ولو كان ناله بسبب المطلب لكان وقد عبيد المطلب لصلبه أقرب إليه . وقد نعلم أن ذلك لو كان لشخص بالهاشمية أو بالمطلبية لكان لطفى فى ذلك ما ليس لأحد ، لأنه ابن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وأمه فاطمة ابنة أسد بن هاشم .

٢٠

(١) كذا فى الأصل .

(٢) المركب : الأصل والمنبت . هو كريم المركب ، أى كريم أصل منصبه فى قومه .

فلما وجدنا الأمر كما ذكرنا ، علمنا أن النبي صلى الله عليه لم يصيره مستحقاً لأعظم الرياسات وأشرف المقامات إلا بالعمل ، إذ كتبنا قد وجدنا من يساويه في الهاشمية لا يستحق مثل ما له .

وزعمت ( النهاية ) أن لها في التسوية بين القريب والبعيد حججاً كثيرة ، قد عرفتها وسمعتها من أهلها .

ولكن كتابي هذا لم يوضع إلا في الإمامة ، ولربما ذكرت من المقالة والملة<sup>(١)</sup> والنحلة التي تعرض في الإمامة صدرأ ، طلباً للتمام ، وتعرفاً لوجه الإمامة وما دخل فيها .

والكلام في التسوية كلام يدخل في باب التمديل والتجوير ، وهو ١٠ باب يشتد الكلام فيه ويمنع ، فإن أخبرنا عن فرعه ولم نخبر عن أصله لم ينفع القارئ به ، وسار وبالأعلى عليه .

وقد زعم ناس من ( النهاية ) أن الله بفضله ومنه كفى أكثر الناس مؤونة الروية ، وتكلف غامض الكلام في التسوية ، فأخبرهم في كتابه بأبين الكلام وأوضحه عن معاني التسوية ، وما يجوز في عدله وحكمته . فقال وهو يريد أن يعلم الناس أنهم لا يستفهمون بصلاح آبائهم ، ولا يضرهم فساد رءسهم فقال : « وإبراهيم الذي وفى . ألا تزرؤ وازدة وزر أخرسى . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى<sup>(٢)</sup> » . فإذا كان كون الإنسان ابن نبي وابن خليفة نبي ، أو ابن عم نبي ليس من سميه ، فقد أخبر أنه لا شيء له في ذلك حين قال :

٢٠. (١) في الأصل : « والملة » .

(٢) الآيات ٣٧ — ٣٩ من سورة النجم .

« وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » فَالْمَعْنَى معروف ، والكونُ من رَهْطٍ دُونَ رَهْطٍ لَيْسَ مِنْ سَعَى الْمَرْءِ فِي شَيْءٍ ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ تَقَرُّبُهُ حِينَ يَجْمَعُهُمْ : « يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَيَا سَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَيَا فُلَانُ وَيَا فُلَانُ ، إِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا .

- وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا مِنَ الْقَرَابَةِ إِذَا هُوَ عَصَى وَهَمَى غَيْرَهُ بِمَثَلٍ مِمِّهِتِهِ غَفَرَ اللَّهُ [لَهُ] تَقَرُّبُهُ ، وَلَمْ يَنْفِرْ لِلْآخَرِ ، وَكَانَ إِذَا أَطَاعَ وَأَطَاعَ غَيْرَهُ بِمَثَلٍ طَاعَتِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُعْطَى الْآخَرُ ، لَكُنَا إِذَا اسْتَوَيَْا فَلَمْ يَطْلِمَا جَمِيعًا وَلَمْ يَمْسِيَا ؛ فَكَانَا إِذَا طِفْلَيْنِ وَإِذَا مَجْنُونَيْنِ وَإِذَا نَائِمَيْنِ ، وَإِذَا سَاهِيَيْنِ ، أَعْطَى الْقَرِيبَ وَفَضَّلَهُ ، وَلَمْ يُعْطِ الْآخَرَ شَيْئًا وَلَمْ يَسُوِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ لَمْ يُطِيعْ وَلَمْ يَقْصُرْ ، كَمَا لَمْ يُطِيعِ الْقَرِيبُ وَلَمْ يَقْصُرْ ، لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لِيَقُولَ لِعَمَّةٍ وَهَمَّتْهُ : إِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا . وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « الْمُسْلِمُونَ تَشْكَاؤُكُمْ ، وَيَسْعَى بِذَمِّهِمْ أَذْنَانِ » .

- وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : النَّاسُ كُلُّهُمْ سِوَالَا كَأَسْفَانِ الْمَشْطِ . وَالْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ . وَلَا خَيْرَ لَكَ فِي صَحْبَةِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِثْلَ ١٥ مَا يَرَى لِنَفْسِهِ .

وَلِذَلِكَ قَالَ حِينَ بَلَغَهُ أَنْ عُنَيْنَةً قَالَ : أَنَا ابْنُ الْأَشْبَاخِ ، أَنَا عُنَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ بْنِ مَرْوٍ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ : « أَشْرَفَ النَّاسِ يُوسُفُ بْنُ يُعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ » .

- وَلِذَلِكَ أَخَذَ وَبَرَّةً مِنْ جَنْبِ بَمِيرٍ يَوْمَ حُتَيْنٍ فَقَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي ٣٠ بِيَدِهِ مَا أَنَا بِهَذَا أَحَقُّ مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

وقد قال الله : « وَأَتَوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ<sup>(١)</sup> » ؛ فلم يستثن من جميع النفوس نفسًا واحدة ، لا ابنَ نوحَ ولا ابنَ عمه .

وقال الله : « يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا<sup>(٢)</sup> » . والمولى كلمة واقعة على جميع ، فنه ابن عم المرء ، ومنه خليفته ، ومنه مولاة من فوق ، ومنه مولاة من تحت ، ومنه مولاة الذي ملكه قبل عتقه . فإذا قال الله : « يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا » فقد دخل فيه ابنُ العم وغيره ، ولم يستثن الأنبياء دون المسلمين .

وقال : « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ<sup>(٣)</sup> »  
 ١٠ وقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَآخِشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا<sup>(٤)</sup> » ثم قال : « إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرُغَنَّكُمْ بِاللَّهِ الْفُرُورُ » .  
 فمن اغترَّ بعد هذا بالقرابة وانسكل على غير العمل الصالح فقد ردَّ تأديبَ الله وتلميحه .

١٥ ثم الذي رأينا من قصة ابنِ آدَمَ حينَ قَرَّبَ مع أخيه قُربانًا فُتَقَبِّلَ من أخيه ولم يُتَقَبَّلَ منه ، فقتله حسداً له وبغياً عليه . وكيف لم تنفعه قِراجهُ من آدَمَ حيثُ لعنه الله وبرئ منه ، وجعله من أصحاب النار ، ثم قال : « وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ<sup>(٥)</sup> »

(١) الآية ٤٨ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٢١ من سورة النحل .

(٣) الآية ٨٨ — ٨٩ من سورة الصافات .

(٤) الآية ٣٣ من سورة لقمان .

(٥) من الآية ٢٩ في سورة المائدة .



لكي لا يتشكل أحدٌ ظالمٌ ببدءه على قرابته ، ولا يفتَر بأن يكون ابنُ نبيٍّ . ولذلك أُرسل الكلامُ على تخرج الموم . ولم يُخرجه ذلك المخرج إلا وذلك لإرادته .

فإن قالوا : إنه لم يكن لصلبه ، ولو كان لصلبه لفقته ذلك عنده .

- قلنا : إنه ليس لأحدٍ مسموحٌ الله يقول : « واتلُ عليهم نبأ ابْنِ آدَمَ » أن يجعلهما من عُرضِ بَنِي آدَمَ بعد سبعين قرناً إلا بحُجَّةٍ . وإن لم تكن له في ذلك حُجَّةٌ فليس له أن يُزيل مسمي ابنٍ عن أصله<sup>(١)</sup> ؛ لأنَّ الأصل المستعمل الموضوع أن يكون الابنُ للصلب ؛ فإنما جاز أن يقال لابن الابن على التشبيه بالابن ، [و] على الحمل عليه . وكذلك الابنُ الذي هو على التَّبَيُّ والتَّريية ؛ لأنَّ رجلاً لو قال : ١٠ أتاني فلانُ بنُ فلانٍ ، لم يكن لأحدٍ أن يقول : إنه لم يَمُنْ أبنته وربيته ، إلا بحُجَّةٍ ؛ وإلا فالكلامُ موضوعٌ على أصله وعلى المستعمل المعروف منه . ثم صنيعُ الله بـابْنِ نوحَ ، وهو كما علمت من أعظم الأنبياء قدراً ومَنْزَلةً ومكاناً ، حين عصى فيمن عصى ، كيف عَرَفَهُ فيمن عَرَفَ<sup>(٢)</sup> . بمن لا قرابة له ولا ولادة .

١٥

فإن قالوا : إنه لم يكن أبنته ، لأنَّ<sup>(٣)</sup> الله قال : « إنه ليس مِن أَهْلِكَ إنه عملٌ غيرُ صالح<sup>(٤)</sup> » ، وذكر امرأةَ نوحَ وامرأةَ لوط فقال :

(١) في الأصل : « من صلبه » .

(٢) في الأصل : « كيف عَرَفَهُ فيمن عرف » .

(٣) في الأصل : « إلا أن » .

(٤) الآية ٤٦ من سورة هود .

« كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا <sup>(١)</sup> » .

قبل لهم : لأنه ليس لنا أن ندع قول الله : « وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ إِلَى تَأْوِيلِهِ مُخْتَلَفٌ فِيهِ . وَلَقَوْلُهُ الْخِيَانَةَ غَارُجٌ غَيْرُ تَأْوِيلِكُمْ . وَقَدْ تَفْجَرُ الْمَرْأَةُ بِمَدِّ أَنْ صَحَّ مِنْهَا لِبَاسُهَا وَلَدٌ كَبِيرٌ . وَفِي قَوْلِهِ : « فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » دَلِيلٌ أَنَّ عَجَبَهُمَا كَانَ الصَّفْحَ عَنْ خِيَانَتِهِمَا ، وَأَنَّ عَجَبَهُمَا لَمْ تُغْنِ <sup>(٢)</sup> عَنْهُمَا شَيْئًا .

ولا يُشْبِهُ قَوْلَكُمْ [فِي] نِسَاءِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِي نَمَرُفٌ مِنْ حُسْنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ لَهُمْ مِنْ طَيْبِ الْمَنَاجِكِ ، وَطَهَارَةِ الْمَخَاضِ . وَهَذَا مَعْنَى طِبَاعِ النَّاسِ .  
١٠ لم يكن الله ليترك امرأة نبي تصير إلى تهجينه والتقصير بقدره ؛ لأن الرسالة منطقة مُسَمَّاة ، لا تحمل الأقناء ، ولا تملق بها الأُدُنَاسُ ، ولا يَلُوقُ <sup>(٣)</sup> المَبْطُلِينَ عليها الإعتدال .

وفي قول الله لإبراهيم ، وهو شَجَرَةُ الرِّسَالَةِ ، وَخَلِيلُ رَبِّ الْمَرْءَةِ حِينَ يَقُولُ لَهُ : « إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا <sup>(٤)</sup> » قَالَ إِبْرَاهِيمُ إِمَامًا مُسْتَقَرِّمًا وَإِمَامًا طَالِبًا : « وَمِنْ دُرَيْتِي » قَالَ : « لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » . وَأَعْبَرَ أَنَّ عَهْدَ إِمَامَتِهِ وَخِلَافَتِهِ لَا يَنَالُ الظَّالِمَ وَإِنْ كَانَ مِنْ خَيْرٍ خَلَقَ اللَّهُ .

(١) الآية ١٠ من سورة التحريم .

(٢) في الأصل : « لم تغنيا » .

(٣) طلاق العرى بطوقه : أطلاله وقدر عليه .

(٤) من الآية ١٢٤ من سورة البقرة .

ففي هذا دليلٌ أنَّ الرِّياسة في الدِّين لا تُنال بغير الدِّين .

وقال الله : « ولقد أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ <sup>(١)</sup> » أَلَا تَرَى أَنَّ الذَّرِيَّةَ وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا ذَرِيَّةً وَمَكَانُهَا مِنَ الْقَرَابَةِ سَوَاءً ، فَهِيَ وَلِيٌّ وَمِنْهَا عَدُوٌّ .

فإِنْ تَرَكُوا هَذَا جَانِبًا وَقَالُوا : كَيْفَ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يَرَى التَّسْوِيَةَ ، وَكَانَ لَا يَرَى أَنَّ الْفُرُوسِيَّةَ أَوَّلُ لِلْإِمَامَةِ ، وَالْقَرَابَةُ شُعْبَةٌ عَنِ الْخِلَافَةِ . وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ أَبَدَ مِنْ هَذَا الْمَنْهَبِ مِنْ خَاصَّتِهِ وَخَلِيفَتِهِ وَسُنْمَتِهِ ، وَالْمُتَذَنِّبِ عَلَى مِثَالِهِ ، مَرَّ بِنِ الْخَطَّابِ ؛ لِأَنَّهُ فَضَّلَ الْقَرَشِيَّاتِ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى غَيْرِهِنَّ ، وَفَضَّلَ الْعَرَبَ فِي الْمَطَا عَلَى الْوَلَّى . وَقَالَ : « زَوْجُوا الْأَكْفَاءَ » . وَكَانَ أَشَدَّ مِنْهُ ١٠ فِي أَمْرِ الْمَنَافِعِ .

قِيلَ لَهُمْ : إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ رَجُلٌ كَانَ أَبَدًا مِمَّا قَلَّمَ مِنْ مَرٍّ ، وَلَا [ظَهَرَ] مِنْهُ - خِلَافَ مَا ادَّعَيْتُمْ - مِثْلُ الَّذِي ظَهَرَ مِنْهُ . وَالذَّائِلُ عَلَى غُلَطِكُمْ وَخَطَا قَوْلِكُمْ ، أَنَّ مَرَّ لَنَا فَرَضَ الْأَعْطِيَةِ وَدَوَّنَ الدَّوَاوِينَ وَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ ، فَقَالَا : ١٥ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَدِيَاؤُ كَدِيَاوَانِ بَنِي الْأَصْفَرِ <sup>(٢)</sup> ؛ إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ أَتَّكَلَ النَّاسُ عَلَى الدِّيَاوَانِ وَتَرَكَوا التَّجَارَاتِ وَالْمَعَاشَ فَقَالَ مَرٌّ : قَدْ كَثُرَ النَّعْيُ وَالْمَسْلُوكُ .

فَفَرَضَ لِلْمُهَاجِرِينَ وَمَوَالِيهِمْ ، وَلِلْأَنْصَارِ وَمَوَالِيهِمْ ، مِثْنَ شَهْدٍ بَدْرًا

في ستة آلاف ستة آلاف<sup>(١)</sup> فكان عطاه عمرو على وعبد الرحمن وطلحة  
والزبير وأبي عبيدة بن الجراح ، وعطاء بلال وسالم مولى أبي حذيفة  
وجميع الموالى سواء .

ثم فَرَضَ على قَدَرِ الْفَضْلِ والنَّهْاءِ والسَّاقَةِ ، على قَدَرِ بُعْدِ الدَّارِ  
وَقُرْبِهَا مِنَ الْمُهَاجِرِ ، ففرض لأهل اليمن في السبعمائة إلى الألف ، وم  
أَبَدُ خَلَقَ اللهُ مِنْهُ وَمِنْ مُضَرٍ أَرْحَامًا وَنَسَبًا . وإنما أرغبهم وزادهم لِبُعْدِ  
دَارِهِمِ مِنَ الْمُهَاجِرِ<sup>(٢)</sup> ، وكانوا أَهْلَ قَرْيٍ وَمَزَارِعَ ، فَتَرَكَوا مُطَنِّبَهُمْ<sup>(٣)</sup>  
رَغْبَةً فِي الْمُهْجَرَةِ .

وفَرَضَ لِمُضَرَ وَبَلَيٍّْ وَكَلْبٍ وَطَيٍّْ فِي الثَّلَاثَةِ إِلَى الْأَرْبَعَةِ . فَنَسَوِيته  
١٠ بين مضر وطىء دليلٌ على ماقلنا .

وفرض لربعة في خمسين ومائتين وقال : إِنَّمَا هَاجَرُوا مِنْ أَطْنَابِ  
يَبُوتَهم . وربيعةُ أَمْسُ بِهِ وَيَمُضَرُ مِنْ بَلَى وَطَيْء .

وفرض لأشراف الأَحْجَمِ : لِنَهْرَقَانَ نَهْرِ الْمَلِكِ<sup>(٤)</sup> ، وَهُوَ فَيَرُوزُ بْنُ  
يَزْدَجِرْدَ ، وَلابْنِ السَّحْرَخَانِ<sup>(٥)</sup> ، وَنَخْلَافَةَ وَجَيْلِ ابْنِي بَصْبَهْرَى<sup>(٦)</sup>

١٥ (١) في الأحكام السلطانية لأبي يعلى ٢٢٢ أنها أمة آلاف درهم في كل سنة .

(٢) في الأصل : « للمهاجرين » .

(٣) المنطب : موضع الإقامة ، يقال طنب بالمكان طنبتيا : أطم به . في الأصل : « يصمهم »  
وانظر ما سيأتي .

(٤) نهر الملك : كورة واسعة يقفاد كانت تشتمل على ثلاثة وستين قرية ، على عدد أيام  
السنة . بالرت . ٢٠

(٥) كذا . وفي الطبري « النخريجان » . انظر ١ : ١٠٣٨ ، ٢٤١٩ ، ٢٤٢٢ ،

٢٤٣٩ ، ٢٥٩٩ ، ٢٦٢٧ طبع ليدن .

(٦) انظر البيان ٢ : ٢٦٣ .

دهقان الفلوجة ، ولسظام بن نرسی دهقان بابل ، وجُفينة العبادي ،  
وربيل<sup>(١)</sup> في ألفين ألفين .

وفرض للوسحان<sup>(٢)</sup> ، والمُرمزان ، وليسياء وخش<sup>(٣)</sup> وأمقلاس  
في ألفين وخمسة ، وهو أقصى شيء أخذَه عربي قط ، فقبل له في ذلك ،  
فقال : قوم أعاجمُ أشرف ، أحببتُ أن أنالَفَ بهم غيرهم .

وفرض لسوى هؤلاء النَّفَر من العجم من الحاشية والموام مَن سُبَيَّ  
وأسر وخرَج في الصَّلح مع رئيسه وقائده ، في أقلِّ مما فَرَض للأعراب  
وحاشية العرب وعوامهم ، فقبل له في ذلك فقال : إنَّ الأعرابيَّ إلَّا  
يقاتلُ من دينه قاتل من رطله وشقَّه وناحيته . وإن لم يكن ذا بصيرة  
في دينه قاتلَ حمامةً عن حَسَبه وأصحابه ، وقد أُميتُ تحوُّله إلى عدوه .  
فأقلُّ ما عنده إذا لم يُبلَّ أن يكثر السَّواد ويكتف الجيش . وهو على حال  
أفقَه في الدين ، وأغهم للتأويل . والمجميُّ ليس بذى بصيرة في الإسلام  
ولا يقاتل من داره ، ولا يُحامي عن حَسَبه ، ولا يدافع عن رطله  
وغير مأمون عليه التحولُ إلى أصحابه فيدلُّ على السَّورة ، وهو أجدرُّ  
ألَّا يفهم تزيلا ولا تأويلا .

وسحلَّ قوماً في البحر وآخرين في البر ، ففضل على قَدْر المؤونة ،  
وأعطى على قَدْر المشقة .

(١) كذلك في الأصل .

(٢) سياه وخش معناه في الفارسية الأسود الدين . استينجاس ٧١٣ . وهو سياوخش

ابن مهران بن بهرام شوبين الرازي الطبري ٤ : ٢٥٣ .

فهكذا كانت عطايه ، وهكذا كان تديره فيها قلت العلماء وروّت  
الفتاه . ولا يشك في ذلك صاحب خبر ، ولا يدفعه صاحب أثر .

فأما ما ذكروا من تهجينه أمر المجيم ، وتمظيمه أمر العرب ، فإنما  
كان ذلك لأنه لما ندب الناس إلى قتال كسرى والأساورة تناقلت عن  
• ذلك العرب والأعراب وجميع المهاجرين والأنصار ، هيئة لناحية كسرى  
والفرس ، وخفوا لغزو الروم ونشطوا له ، حتى انتدب أبو عبيد الثقفي  
أول من انتدب ، فلذلك عقد له على كبار المهاجرين الأولين ،  
والأنصار ، والبدريين ، فلم يكن له هم إلا تصغير أمرهم وتهجين شأنهم  
والخط من أقدارهم ليرد ذلك من نفوس العرب .

وهكذا ينبغي أن يكون تدير الدبر . ١٠

أو ما علمت أن المنيرة بن شعبة لما سمع قيس بن مكشوح يقول  
حين عاين الفرس : مارأيت كالسيوم حديداً ولا عديداً ! وهذا يوم  
القادسية ، وقد كان قيس شهد قبل القادسية حروب الروم ، وقيس  
يومئذ على الخليل ، والمنيرة على الرجال ، فأقبل عليه المنيرة منتهراً له  
١٥ وهو يقول : إنما هذا زبد من زبد الشيطان (١) !

وقد كان المنيرة قد عاين مثل الذي عاين قيس ، ولكن التدير  
كان غير الذي ذهب إليه قيس .

ومن الدليل على ما وصفتنا من تدير عمر ، تركه الاستخفاف بأقدار  
المجيم وإظهار احتقارهم والإزراء بهم ، بمد جلولاه (٢) .

٢٠ (١) الزبد ، بالفتح : الرقد والملاء .

(٢) كان بها الرقة المسمورة للسلين على الفرس سنة ١٦ قتلوا منهم مائة ألف .  
مجم البلدان والطبري ١ : ١٧٩ .

فمن ذلك أنه لما أتى بسيف كسرى وقبائه ومنطقته ألبسه سُرَاقَةً  
ابن مالك بن جُعْمُثُم ، ثم قال له : أدبر ، ثم قال له : أقبل . فلما  
أقبل عليه مُر وعنده الناسُ فقال : أمّا والله لربّ يومٍ لو كان هذا  
من كسرى وآلِ كسرى لسكان شرقاً لك ولقومك ، في أمور كثيرة  
من هذا الضرب لم يكن مُر لينطقَ بحرف منها وحرفهم تخوفة ،  
ونفوس العرب لهم هائية .

وهكذا تدبيرُ الخلفاء ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ولو كانوا إذا  
لم يفهموا عن الأمة لم يترضوا عليهم ولم يخطبوا لهم ولم يجهلواهم كان أيسر .  
ولا أعلم في الأرض جيلاً أجهَلَ بهذا وشبهه بمن يتصلح اسم الكلام  
ويتنصب نفسه للخصومات . ثم الروافض خاصة ، ليس يعرفون من أمر  
الإمام إلا أنه يعلم ما يكون قبل أن يكون .

ومن الدليل على ما وصفنا به مُر ، قوله لسعد بن أبي وقاص  
حيث وجهه إلى القادسية وأوصاه ، قال : يا سعد سعد بن وهيب<sup>(١)</sup> إن  
الله عزّ وجلّ إذا أحب عبداً حبّبه إلى الناس ، فاعتبرْ منزلتك من الله  
بمنزلتك أن يقال خال رسول الله صلى الله عليه ، فإن الناس في ذات  
الله سواء .

فأى قول أجمع وأدلّ ، وأى فعل أشبه بالذى حكينا عنه من  
التسوية ، من هذه الأقاويل<sup>(٢)</sup> والأفاعيل .

(١) هو سعد بن مالك بن وهيب — أو وهيب — بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب

انظر ما مضى في ص ٥٦ .

(٢) في الأصل : « الأوائل » .

وكان سمعُ خال النبي ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وقد أخذ بيده : « هذا خالي أبي به فليأت كل امرئُ بخاله » .

وفي قول عمر في النكاح : « ليس شيء من خصال الجاهلية إلا وقد تركته ، إلا إني لستُ أبالي إلى من نكحت ، وإلى من أنكحت » . فإن شئت أن تقول : وإيُّ أمرٍ هو أوجبُ على المائل المسلم الحرُّ من ألا يبالي إلى من نكح وأنكح ؟

قلت : وإن قلت إن هذا الكلام من عمر يدلُّ على بقية عصبية فيه . فاستبرأ<sup>(١)</sup> إليك منه حين جملة<sup>(٢)</sup> من خصال الجاهلية إلا وهو آبٍ له وناءٍ عنه ، وزارٍ عليه . وفي قوله هذا دليلٌ على أنه قد اكترث لبقية عادة الجاهلية ، وأنه راغب عنهما كما رغب عن أكبر منهما .

وفي قوله امجد الله بن عمر حين فرض له في ألفين وفرض لأسماء في ألفين وخمسمائة ، وابنه قرشيٌّ وأسماءُ موالي ، حين قال له عبد الله : أتفضل عليَّ أسامة في العطاء وأنا وهو سَيِّانٌ ؟ قال : إنَّ أسامة كان أحبَّ إلى رسول الله منك ، وكان أبوه أحبَّ إلى رسول الله من أيك .

١٥ ألا ترى أنه يدور مع الدين حيناً دار ؟

وفي قول عبد الله بن عمر لأبيه : تفضل عليَّ أسامة في العطاء وأنا وهو سَيِّانٌ ، دليلٌ على أن القوم كانوا لا يميزون إلا الدين والسابقة ، والفناء عن المسلمين .

وفي وصيته عند وفاته أن يصلي عليه صُهيب ، وفي أمره بإياه بالصلاة

٢٠ (١) في الأصل : « فقد يرى » .

(٢) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل إلا الحرف الأول .



بالناس في مقامه إلى أن يختارَ المسلمون رجلاً ، دليلٌ على ما قلنا .  
وصُيِّبَ مَوْتِي لمبد الله بن جُذعان .

والدليل على أن صهيياً رجلٌ من العَجَم قولُ رسول الله صلى الله عليه :  
« بلالٌ سابق الحَيْشَةِ ، وسَلْمَانُ سابق فارس ، وصُيِّبُ سابق الرُّومِ » .

وهذا حديثٌ لم يختلف فيه قُضَيَان .

وفي خُروجِ آذِنِهِ وحاجِيهِ يوماً إلى النَّاسِ ، وقرِيشٌ والعربُ جالِسٌ  
ببابه ينتظرون إذنه ، فيهم أبو سفيان بن حَرْب ، ومُثَيْلُ بن عمرو ، وحكيم  
ابن حِزام ، والأقرع بن حابس ، وعُتَيْبَةُ بن حِصْن ، فنادى بأعلى صوته :  
أين تَمَارٌ ؟ أين بلالٌ ؟ أين صهيبٌ ؟ أين سَلْمَانُ ؟ فينهضون مكرمين ومغضلين ،  
وعلى النَّاسِ مقدِّمين ، وتلك الجَلَّةُ وتلك السَّادَةُ جالِسٌ لا يَنْطِقُونَ .  
ولا يُنْكِرُونَ ، فلَمَّا كَثُرَ ذلك عليهم تَمَرَّتْ وجوههم ، وامْتَقَمَتِ أَلْوَانُهُمْ ،  
فأَبْصَرَهُمْ مُثَيْلٌ فَعَرَفَ ما قَدْ أَصَابَهُمْ وَزَلَ بِهِمْ ، وكان حليفاً خطيباً فقال :  
لِمَ تَمَرُّ وجوهكم وتَتَغَيَّرُ أَلْوَانُكُمْ ، ولا تَرْجِعُونَ بِاللَّامَةِ على أنفسكم ؟ !  
دُعِيَانَا وَدُعُوا ، فَأَبْطَأْنَا وَأَمْرَعُوا ، وَلَنْ حَسَدُكُمْ عَلَيَّ بَابُ حُمُرٍ لَلَّذِي  
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَفْضَلَ (١) !

ثم الدليل الذي ليس فوقه دليلٌ ، قوله وعندَه أصحابُ الشَّوَرَى وكبارُ  
المهاجرين وِجَلَةُ الأنصار ، وَعِلْيَةُ العرب ، وهو مُوفٍ على قَبْرِهِ ينتظر  
خُروجَ نفسه : « لو كان سالمٌ حَيًّا ما تَخَالَجِي فِيهِ الشُّكُّ » . وسالمٌ مَوْتَى  
امرأةٌ من الأنصار ، وكان حليفاً لأبي حَذَيْفَةَ بن عُتْبَةَ بِمَكَّةَ ، فلذلك كان يقال :  
مولى أبي حَذَيْفَةَ ؛ لِأَنَّ حليفَ الرَّجُلِ مَوْلَاهُ .

(١) انظر ما مضى في ص ١٧٨ — ١٧٩ .

فإن كان هذا لا يدلُّ على التَّباعد من الحِبة والأمرانيَّة والمصبيَّة ،  
ولا يدلُّ على التَّسوية ، فما عندنا ولا عند أحدٍ شيءٌ يدلُّ على شيءٍ ! وإذا  
كان هذا مذهبه وقوله في الإلغافَةِ فما ظنُّك به فيما دونَ الإلغامة ؟ !

وهذا بابٌ إن استقصيناه كثرَ وشغلَ الكتابَ . وفيما قلنا مُقنعٌ  
٥ لمن كان الحقُّ له مُقنماً ، والصَّوابُ له مُألَفاً .

فهل يقدِّرُ أحدٌ أن يحكي عن عليٍّ مثلَ الذي حكينا عن مُمرٍ  
في التَّسوية ، أو شطره ؟ !

إنَّ أكبرَ ما رأينا في أبيديكم منه قوله : « إنني قرأتُ ما بين دفتي  
المصحفِ فلم أجِدْ فيه لبي إسماعيلَ على بنِ إسحاقَ فضلاً » .

١٠ فهذا قولٌ إنَّ قاله علىٌّ فليس فيه دليلٌ أنَّه أراد به الطَّعن على مُمرٍ  
وإظهارَ خلافه ؛ لأنَّ علياً قد ملَّكَ أكثرَ الأرضِ خمسَ حِجَجٍ ، فلو كان  
رأيه في خلاف مُمرٍ على ما تصفون ، وكان مُمرٌ عنده لا يرى التَّسوية في  
التَّعطاء ، لقد كان غيَّرَ دواوينَ مُمرٍ ، وبدَّلَ أعطيته وفُروضه وحوَّلها  
إلى الحقِّ عنده ، أو نطقَ فيها بحرفٍ ، أو أظهرَ ذلك في هيئته<sup>(١)</sup> إن لم ينطق به  
١٥ خطيباً ومحتجاً .

وكيف يكون ذلك ولا أحدٌ أعلمُ بصوابِ ما دبرَ مُمرٌ في ذلك من عليٍّ ؟ !  
وكيف يكون مُمرٌ لا يرى التَّسوية وقد صنَّعَ صنيعاً لو قام مقامه أشدُّ الناس  
سُتياً - ما لم يُجَرَّ عن الحقِّ ويَمْدَلْ عن السَّداد - ما كان عنده ولا في طاقته  
أكثر منه .

٢٠ والمعجب أنَّكم ترمون أنَّ علياً كان يرى التَّسوية ، وأنَّ مُمرَ صاحبُ

١ (١) في الأصل : « منه » .

حجة ، فأنتم ترون أن أكثر احتجاجه إنما كان بذكر قرابته وأمنه أسبابه ومُصاهرته ، مع أن القرابة هي التي أخرجتكم إلى هذا الإفراط كله . فأنتم تحبون بني هاشم وتفضلونهم للقرابة ، وتوجبون لهم الإمامة للقرابة . ثم تزعمون أن علياً كان يرى أن ولد إسماعيل وإسحاق سواء ، وكان يرى أن العرب والمجم سواء .

•

وكيف غضبتهم على عمر لأنه فضل قريشاً على العرب ، والعرب على المجم ، ولم تفضلوا على أنفسكم حين فضلتم بني عبد المطلب على بني هاشم ، وفضلتم بني هاشم على بني عبد شمس ؟ !

ففضلوا أيضاً بني عبد شمس على سائر قُصَى ، وسائر قُصَى على سائر كعب ، وسائر كعب على سائر قريش ، وكذلك سائر قريش على سائر مضر ، وكذلك سائر مضر على ربيعة ، وربيعة على ولد إسحاق ، وولد إسحاق على ولد قحطان .

وإن شئتم ففضلوا ربيعة على اليمن ، واليمن على المجم . وإذا أنتم قد دخلتم في كل ما عبتهم .

فإنما أن تفضلوا من شئتم على من شئتم - وإن كان من لم تفضلوا في القياس كن فضلتم - فليس ذلك لكم ؛ لأن القياس قد اعترض دون مشيئتكم وقضى عليكم .

ولو أن قائلًا قال : أنا أزعم أن الناس كلهم بمد بني عبد المطلب لمصلبه سوا ، كما قلتم إن الناس كلهم بمد بني هاشم سواء ، ما كان<sup>(١)</sup> الذي قال أمس بالرسول وأولى بالحكم . فإن قلتم : فن أين كان له أن يقف على

(١) في الأصل : « كما أن » .

جدُّ عبد المطلب وليس بينه وبين هاشم إلا أب ؟ فيقال لكم<sup>(١)</sup> : وكيف كان لكم أن تقفوا على جدِّ هاشم وبين هاشم وعبد مناف أبٌ واحد ؟ وكيف كان لكم أن تقطعوا التفضيل وحقَّ القرابة من لدن هاشم ، وهاشم وعبد شمس أخوان لأم وأب ؟ ! ولذلك قال الشاعر :

٥ عبد شمس كان يتلو هاشماً وما بعدُ لأيم وأب

فاجبلوه يتلو هاشماً في حقَّ القرابة واستحقاق الإمامة . وإذا جاز عندكم أن تتخطى الإمامة الممَّ إلى ابن الممَّ كان [ ذلك ] في الأخ للأم وللأب . ثم زعم أن الدليل على أن عمر صاحب عصبيَّة وحيَّة ، ردُّه لسلمان حين خطب إليه ابنته ، وسلمان كان أعقل من أن يخطب إلى

١٠ أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلى .

قلنا : جوابنا في هذا في خطبته إلى عليٍّ ، وإن كان عليٌّ أشرف موضعاً . مع أن القائم من سلمان أنه كان يقول : قال لي النبي صلى الله عليه : « يا سلمان لا تبغض العرب فتبغضني » . وكان يقول : أمرنا أن نأثم بكم ولا تؤمكم ، وأمرنا أن نزوجكم ولا نزوج منكم .

١٥ فليس في الأرض متعربٌ وصاحبُ عصبيَّة إلا وأكبرُ ما يحتجُّ به في الناكح حديثُ سلمان .

وقد تمتع الأشرافُ عقائلَ نساءها لأسبابٍ غير التَّحريم ، لا يكون ذلك عيياً عليهم في آدابهم ، ولا قصصاً في أديانهم .

وفي قول عليٍّ يوم الجمل حين رأى عبد الرحمن بن عتابٍ صرياً :

٢٠ « شَقِيتُ نَفْسِي وَجِدَعْتُ أَنْفِي . قَتَلْتُ الصَّنَادِيدَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ »

(١) في الأصل : « قال لكم » .

والتقى<sup>(١)</sup> الأيمان من بنى مُجَح ! « قال له رجل : لشد ما جَزَعَتْ عليه يا أمير المؤمنين ! قال : « إِنَّهُ قد قامت عَنِّي وعنه نِسوةٌ لم يَقْمَنَّ عَنْكَ » دليلٌ أَنَّهُ قد كان يرى للأَمْهَلَت قَدراً كثيراً ، وللنكاح خطراً عظيماً .

- وفي كراهته أن يزوج القصداءُ بُبَاعَةَ بنتِ الزُّبير ، حتى كان من الذي إليه الذي كان ، دليلٌ على شدة تديره .

وإنما ينبغي أن يقضى بين أصحاب محمد من قد عرف أَوْزَم في جميع مُتَقَلِّبِهِمْ ؛ لأنه غيرُ مأمونٍ على التكلُّم إذا قلَّ سماعُهُ أن يخرجهُ الجهلُ [ إلى ] استصنارِ بعضهم أو تضليلهِ<sup>(٢)</sup> والبراءة منه ، فهلك هلاك الدنيا والآخرة .

١٠

وإن أغنى الناس أن يكون أصحاب محمد خصوصته لأنهم ممشر أصحاب النظر والتكلمين .

والذين نحلوا حمر المصيبة رجلان : رافضٍ أحب أن يفتته إلى العيِّم والموالي ، ومتعرب عرف أن حمر عند الناس قدوة ، فتَحَلَّه ذلك ليكون له حجة . فاهرف ذلك .

١٥

وأما ما ذكروا من أن الزُّبير خرج شاداً بسيفه يوم السقيفة ، فإن كانوا صادقين فإن هذا لمو الطيش والتسرُّع إلى الفتنة ، وتهيج الناس على إظهار السلاح .

(١) كذا في الأصل . وانظر أُنساب قريش ١٩٣ .

(٢) في الأصل : « سلبه » .

وإنما أتى أبو بكر الأنصارَ واعظاً ومحتجاً ، ومسكناً ومصلحاً بألنِ  
الكلام وأحسنِ الهدى ، لم يحمل سوطاً ولا سيفاً ، ولم يُظهر مُعازةً  
ولا أرادَ المُنالبة<sup>(١)</sup> . فما وجه خروج الزبير بسيفه شاداً نحوَه ؟ بل  
كان أشبهُ الأمور بالزبير وأولاهها به ، والذى يجبُ علينا أن نقتله به ،  
أن يقوم محتجاً ومُصلحاً ؛ فإذا أبانَ عن حُجَّتِهِ وأَعذَرَ في موعظته فلم يرَ  
ذلك ناجحاً<sup>(٢)</sup> ولا مقبولاً ، ورأى شيئاً يجوزُ به سحْلُ السيف والشَّدُّ به ،  
كان مِن وراء ذلك .

وكيف علمَ أن الزبيرَ إنما سلَّ سيفَه ليؤكدَ لعلَّ إمامته أو ليوطئَ  
له خلافته ؟ ولعله إنما أرادَ الأمرَ لنفسه دونَ غيره . ولعله إنما  
غضب لصرف الأمر عن خاله وكبيره وشيخه العباس بن عبد المطلب .  
فكيف علمَ أنه إنما أرادَ صرفها عن أبي بكر خاصة ؟ وكيف يشدُّ  
على رجلٍ لم يَقُلْ بايعوني ، ولا أظهرَ الحرصَ عليها ، وإنما كره أن  
يبقى الناسُ نَشَرًا ، وعلمَ أن على الأنصار أن يسمَعوا للمهاجرين ، وقد قال  
لنَّاسٍ : « بايعوا أيَّ هذين شئتم » ، يعنى أبا عبيدة وعمر . إلا أن يكونَ  
الزبير قال : ولمَ كنتَ أنتَ المحتجُّ على الأنصار والمُعرفُ لهم فضلَ  
المهاجرين عليهم دونَ عليّ .

ويقال لهم عند ذلك : أمَّا بادئ الرأي والذى لا نَشْكُ فيه نحن  
ولا أحدٌ ممن خالفنا ، فالذى كان من مُناسِبةِ الزبير لعلَّ وعاريته له  
دونَ الإمامة ، وزعمه أنه أَفْضَلُ منه وأولى بها منه ، ولو جملها سُورَى  
لفرَّقه وبرَّزَ عليه .

(١) في الأصل : « معارة إلا أرادَ المُغالبة » . والمُغالاة : المُغالبة في العزة .

(٢) في الأصل : « ناجحاً » .

ثم الذي لا يشكُّ الناسُ فيه من طاعته لعمْر ، وإنما مرَّ شعبةٌ من شعب أبي بكر . ولقد بلغ من تعظيمه لعمْر وطاعته له وإكباره لقدومه ، أنه عا نفسه من الديوان لما قُتلَ عمْرُ تَسْلَبًا عليه<sup>(١)</sup> ، ورفعاً لقدْرَه أن يلىَ منه من الإحطاء والنزع أحدٌ كما كان يليه منه عمْر . كما عا نفسه من الديوان حَكيم بن حزام لما تُوِّفَى النبي صلى الله عليه . وكذلك عا نفسه من الديوان عبدُ الله بن الزبير حين قُتلَ عثمان .

ولقد بلغ من طاعته لعمْر أنه بمشه مددًا لتمرو بن العاص ، فجعل عمرًا الأمير عليه ينفذ لأمره ويصلى بصلاته .

والذي يدلُّك على انبثاته<sup>(٢)</sup> في هوى أبي بكر ، واقطاعه إليه جموده ، الخاصةُ التي كانت بين أبي بكر وبينه . وذلك أنَّ عبد الله بن مسعود أوصى إليه حين مات . وعبدُ الله مُمرئٌ محض ، وهو القائل في عثمان حين برَّز على الشورى : « ما ألَوْنَا أَنْ جَمَلْنَاهَا [في أعلا]نا ذا فَوْقُ<sup>(٣)</sup> فإذا كان هذا قوله في عثمان وعلىَ فا ظنُّك به في أبي بكر ومُمرٌّ<sup>(٤)</sup> » .

ثم أوصى إليه عثمان بن عفان [و] هو أصلُ العمريَّة والثُمانيَّة ، والمباينة لعلِّي وشيعته عندهم . وأوصى إليه عبد الرحمن بن عوف ، وهو المختار

(١) التسلب : الإحداد . (٢) في الأصل : « انبثاته » .

(٣) في الأصل : « نادى فوق » والتكلم والتصحيح مما سيأتى مما سأليه عليه ، وما استنصأت به من اللسان ، ففيه مادة (فوق) (١٩٥) : « وفي حديث ابن مسعود : اجتمعنا فأمرنا عثمان ولم نأل من خبرنا ذا فوق » أى خبرنا سهما في الإسلام والسابقة والفضل . ذو الفوق ، بضم الفاء ، هو السهم . وفوقه : موضع الورث منه .

(٤) في الأصل : « وعلى » .

لعثمان على عليّ ، وصاحبُ أبي بكر ، والدّائع بالوسم في خلافة أبي بكر  
من بين جميع المهاجرين .

هنا مع أسباب الزُّبير الواشجة بأبي بكر : فمن ذلك إسلامه على  
يديه ، واحتماله مؤونته في مصاهرته ، حيث رغب إليه في تزويج ابنته  
٥ أسماء ذات النطاقين ، فولدت عبد الله - وعبد الله كنيته أبو خُبَيْب -  
وعُروة وغيرها . وكان عبد الله أولَ مولود ولد في الهجرة ، فسماه الزُّبير  
باسم جدّه أبي بكر ؛ لأنّ اسم أبي بكر عبد الله ولقبه عتيق ، وإنما  
لقب بعتيق لعتق وجهه ودقّة محاسنه . ثم كنى الزُّبير بأبي بكر  
بكنية جدّه ، فكان عبد الله بنُ الزُّبير يكنى أبا بكر تيمناً منهم بكنيته  
١٠ وتبرّكاً باسمه .

وقالت عائشة رضی الله عنها : ألا تكنيني يارسول الله ؟ قال :  
« بلى ، اكفني بابنك » يعني عبد الله بن الزُّبير . فكانت عائشة تُكنى  
بأم عبد الله . ولذلك كانت تقول : قال ابني ، وفعل ابني ، وكادوا  
يوم الجمل أن يقتلوا ابني .

١٥ فيقال للرافضة : أمّا البيان والوجود فهو الذي خبرناكم به . وأمّا  
ما ادّعيتم من [ أن ] الزُّبير سلّ سيفاً لبؤكّد إمامة عليّ فقد يبنني أن تأتوا  
على ذلك ببرهان . فأما مادادة الزُّبير له ومحاربه إيّاه ونفره عليه ، فهذا  
مالا يدّفع عنه . ولقد فخرّ عليه حين دعاه إلى الثّوري وأبى ذلك عليّ فقال :  
أسلّمتُ بالثّام مدركاً وأسلّمتُ ناشئاً طفلاً ، وكنتُ أول من سلّ سيفاً  
٢٠ في الإسلام يطن مكة وأنت مستخف في الشّعب يكفك الرّجال ويؤنك  
الأقارب من هاشم ، وكنتُ فارساً وكنتُ راجلاً ، وكنتُ شجاعاً وكنتُ



بطلًا . ولئن كنت تزعم [ أنك ابن عمه ] إني لابنُ عمته<sup>(١)</sup> . وأنا عابر  
البحر يوم الحبشة ، وفي هيئتي نزلت الملائكة ، وأنا حواري رسول الله  
صلى الله عليه وفارسه .

خبرني بهذا الكلام أبو زُفر<sup>(٢)</sup> عن ضراب<sup>(٣)</sup> ، أن الزبير  
كان احتجَّ به .

وخبرني جماعة من الميمنية عن محمد بن عائشة<sup>(٤)</sup> ، أن الزبير كان  
احتجَّ به ، وقد سقط عني بعضه لطول التهد بسماعه .

وقالت ( الميمنية ) : المجبُّ أن الروافض رُبما احتجت علينا بأن  
الزبير سَلَّ سيفه ومضى قُدُماً في تأكيد بيعة عليٍّ وخلع سواه ، ونقص  
من أبي بكر .

فيقال لهم : فَمَا منعكم أن تقولوا لما مات النبي صلى الله عليه  
وجحد السلفُ إمامةً عليٍّ : كفر الناس خلا خمسة نفر<sup>(٥)</sup> أولهم الزبير  
في نفسه وفُضيلته على غيره . وأكبر ما كان منه من سَلَّ السيف  
والشدُّ به ، وهذا موقفٌ لم يَقفه بلالٌ ولا أبو ذر . وأنتم على يَقَر أن

(١) في الأصل : « لأن عمه » ، والوجه ما أثبت ، فإن أباه الزبير والدته صفية بنت عبد المطلب ١٥  
عمة رسول الله .

(٢) أبو زفر ، ذكره ق. لسان الميزان ٦ : ٣٧٩ وقال : « ذكره ابن النديم في مصنف  
المتزلة » . وليس في النسخة المطبوعة من الفهرست .

(٣) ضراب ، آخره باء في الأصل . ولعله « ضرار » آخره واء ، وهو ضرار بن عمرو  
صاحب الضاربة . انظر حواشي الحيوان ٥ : ١٠ .

(٤) هو محمد بن حنبل . انظر حواشي الحيوان ٢ : ١٢ .

(٥) انظر ما مضى ص ١٨٠ م ٥ — ٧ .

ذلك كان ، وأن السيف لم يحمل إلا لنصرة عليّ دون الميأس وجميع  
بنو عبد مناف وما ولّد قصّى .

وكيف لم يكن أدنى منازل الزبير أن يكون قد كان مؤمناً ولياً  
إلى أن جحد إمامة عليّ بعد مقتل عثمان ، فيكون سبيله شبيهاً بسبيل  
حذيفة وعمار ؛ لأنهما كانا عندكم كافرين حتى تابا في زمن عثمان ،  
فكان يكون الزبير مؤمناً إلى أن كفر عند مقتل عثمان .

وإنما سار حذيفة وعمار عند الرفضه ولّين لأنهما قالاً بزعمهم :  
والله ما دخل عثمان حفرته إلا كافراً ، وإنه لـجيفةٌ على الصراط يوم  
القيامة ، يتأذى به أهلُ الجَمْع .

١٠ فلن كانوا إنما صاروا إلى تولّيهما بعد إكفارهما من أجل تصديق  
هذا الحديث فلن الذين رَوَوْه هم الذي رَوَوْا أنّهما قالوا : والله ما دخل  
عثمان حفرته إلا كافراً ، وإنه لـجيفةٌ على الصراط يتأذى به أهلُ الجَمْع ،  
وإنه لا يلي هذا الأمر بعد عمرٍ إلا كلُّ أصغرٍ أبتر ! فلن كانوا قد تابوا  
بقولها الأول لقد ارتدّا بقولها الثاني حين قالوا : وإنه لا يلي هذا الأمر  
من بعد عمرٍ إلا كلُّ أصغرٍ أبتر .

ولو لم يكن ذلك كذلك بل كانا مرتدين فتأبى فتولّيتموها عند توبتهما  
وما ذبتموها قبل ذلك على طاعتها لمر ، فما بالكم لم تقولوا مثل ذلك  
في الزبير أنه لم يزل مؤمناً حتى جحد إمامة عليّ بعد ١٩ مع أن سلّ  
الزبير سيفه ، وعدّوه نحو أبي بكر وأصحابه ، وقول عمر : « دونكم  
الكلب » حتى أخذ سيفه وخطر ، إنما هو حديثٌ وجدناه في بعض  
السيرة ، وليس من الأخبار المستفيضة ، وليس مما يحقّقه أصحاب الحديث .

- وإن قالوا : فما قول أبي بكر في خطبته التي خطب بها في أول خلافته : « وَلَيْتُكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » ؟ وهل يخلو هذا القول من الصدق والكذب . فإن كان صدقاً فهو خلاف قولكم في تفضيله على جميع أئمتكم ، والرجل كان أعلم بنفسه وبأهل دهره . وإن كان كاذباً فأى كذب أقبح من كذب إمام على مدبر جماعة ؟ ومن أحق بالآل يلبثهم ويحمل إمامة دينهم ودنياهم بمن يكذب على منبر الرسول من غير أن يسكره أحد أو يريد عليه ، أو يكون في تقيّة تكائف السوط والسيف ؟ بل ما يدهوه إلى الكذب ، والكذب مقبّح في العقل مقبّح في الدين ، ولم يكن هناك رهبة تسوقه ولا رغبة تقوده ؟ على أن كذب الرعية<sup>(١)</sup> أسخف وأقبح ، وهو لا يخلو من أن يكون صادقاً ١٠ فلا يسهل أن يتقدم من هو خير منه وقد مكنته تقديمه ، أو يكون كاذباً<sup>(٢)</sup> فالقول فيه على ما قلنا .

قلنا : إن ( الثمانية ) تذكر ذلك وجوهاً :

- فنها : أن الحسن كان يقول : والله أعلم أنه كان خيراً ، ولكن المؤمن يهضم نفسه . فزعم الحسن أنه إنما هضم نفسه ووضع منها ١٥ لأن الخلف المشفق كثيراً ما يزي على نفسه ويسب عليها ويستبطنها<sup>(٣)</sup> ، ويظهر الموت لما والخوف عليها . فهذا كان مذهب الحسن .

وأما قتادة فزعم أن قوله : « وَلَيْتُكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » إنما أراد في الحسب ، ليعلمهم أنه إذ يلبسهم بالحسب فإنما وليهم بالسابقة ، لأنهم

(١) أي الكذب على الرعية . (٢) في الأصل : « كذباً » . ٢٠  
(٣) هذه الكلمة تامة الإجمال في الأصل .

قد كانوا أكثروا من قولهم : أرضيت معشر بني عبد مناف أن تلي عليكم تبم ؟ ١٩ وأراد في أول مقامه قائمه أن يُبلمهم [أن] ذلك المقام لا يُقال بأن يكون صاحبه خير الناس حسباً ومركباً ، إنما يُقال بأن يكون خير الناس علماً وعملاً .

٥ وأما غيرهما فزعم أن من عادة الخائفين الرجلين المُتفقين أن يقول الرجل منهم : كلُّ أحدٍ خيرٌ مِنِّي ؟ ثم يبيح على تضييعه ، ويستعظم صغير ذنوبه كأنه ليس في الأرض مُذنبٌ سواه . وأكثر ما يقول ذلك عند ذكر بعض ذنوبه أو عند بعض ما يمارضه به الشيطان والإنسان ، من تركيته وتقرظه وإظهار تفضيله لنفسه وإحسانه ، والمُحِبُّ<sup>(١)</sup> بحاله . لأنه ليس بعد أن يرى العبدُ أن ذنبه من قِبَلِ رَبِّهِ مذهبٌ هو أعظمُ من استكبار الطاعة واستصغار المعصية . فمعد ذلك يمارضه المؤمنُ بتقريع نفسه وتأنيبها ، وتوقيفها على ما فرط منها ، وتذكيرها مساوئها ، واستعظام كل ما كان من تقصيرها وإساءتها ، واستصغار كل ما كان من عظيم إحسانها وطاعتها ، فيقول : كلُّ أحدٍ خيرٌ مِنِّي . وما أشبهه من الكلام .

١٥ وهذا الضرب من اللَّفْظ ، إذا كان على هذا الوجه فليس في سَجَرِي الكَذِبِ وقولِ الزُّور . وإن كان القائلُ : « كلُّ أحدٍ خيرٌ مِنِّي » خيراً من كل أحد .

فكانَ أبا بكرٍ لما خَطَبَ النَّاسَ وقامَ مقامَ رسولِ الله صلى الله عليه ، وسلم عليه المهاجرون والأنصارُ وعليه قريشُ وسادةُ العرب قياماً على أقدامهم ، وصوفوا على مراتبهم ، يقولون : السَّلامُ عليك يا خليفةَ رسولِ الله

(١) في الأصل : « ولحب » .

وَأَلْقَيْتُ إِلَيْهِ أَزِمَّةَ الْأُمُور ، وَأَعْطَوهُ الْمَقَادَةَ ، وَأُصْحَحَتْ نَفُوسُهُمْ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَقَدْ صَرَفُوهَا عَنِ الْقِرَابَةِ وَعَنِ أَهْلِ الشَّرَفِ ، رَأَى بِسُلْطَةِ عَيْشِهِ <sup>(١)</sup> مِنْ عِزِّ الْخِلَافَةِ وَبَأْوِ الْإِمَامَةِ ، مَا لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ غَيْرُهُ ، وَلَا تَأْتِي الصَّفَةُ عَلَى كُنْهِهِ . وَلِلشَّيْطَانِ <sup>(٢)</sup> هُنَاكَ مَدَاحِلُ وَنَخَائِلُ ، وَدَسٌّ وَنَحْرِيكٌ وَطَمَعٌ ، لَيْسَ يَقْوَى بِشَرِّهِ عَلَى دَفْعِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ ، وَلَسْكَيْنِ تِلْكَ الْحَرَكَةَ ، وَالنُّهُوضُ بِتِلْكَ الْهَمَّةِ ، • إِلَّا بِنَايَةِ الزُّرِّيِّ عَلَى النَّفْسِ وَالْحُضْمِ لَهَا ، وَالبَحْثُ والتَّخَوُّنُ مِنْهَا ، وَتَنَاسِي ذِكْرٍ جَمِيعٍ عَاسِنِهَا ، وَاجْتِلَابِ ذِكْرِ جَمِيعٍ مَسَاوِيهَا . فَبِالْحَرِيِّ إِذَا صَنَعَ ذَلِكَ أَنْ يَرُدَّ مِنْ غَرَبِهِ وَطَوَائِعِ نَفْسِهِ ، وَحَرَكَةِ هِمَّتِهِ ، وَاتِّشَارِ هَزَمِهِ ، وَانْقِضَاضِ رِجَّتِهِ .

وَهَذِهِ حَالٌ لَا يُجْتَنَّبُ بِهَا إِلَّا الْخُلَفَاءُ ، وَلَا يُجْتَبَرُ بِهَا إِلَّا الْأَئِمَّةُ الْهُدَى ؛ ١٠  
لَأَنَّ مَعَهُمْ مِنْ قُوَّةِ الثَّمَنِ وَمِنْ فُضُولِ الْأَحْلَامِ ، وَشِدَّةِ الْوَرَعِ وَكَثْرَةِ الْعِلْمِ ، وَثِبَاتِ النَّفْسِ ، وَالْمَعْرِفَةِ بِمَا آدَاءُ الطَّائِعِ ، وَإِمَانَةِ الشَّهَوَاتِ ، وَقَعٌ ... مَا يَقَامُ بِهِ مَوْرَهُ <sup>(٣)</sup> مَكَابِدِ الشَّيْطَانِ وَتَمْظِيمِ الْإِنْسَانِ ، وَهَزُّ السُّلْطَانِ . وَالنَّفْسُ لَا تُسَمِّحُ بِإِعْطَاءِ مَا عَلَيْهَا حَتَّى تَتَمَتَّعَ بِمَا لَهَا .

وَأِنْ كَانَ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ : « وَتُؤْتِيَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ » إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ ١٥  
مَدَاوَةَ قَلْبِهِ ، وَالزُّرِّيَّ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ بِكَذِبٍ وَإِنْ كَانَ خَيْرُهُمْ ، إِذْ كَانَ إِنَّمَا أَرَادَ إِصْلَاحَ قَلْبِهِ ، وَعِلَاجَ دَائِهِ ، وَالبُيُودَ مِنْ تَقْرِيرِ الْقَوْمِ بِتَقْصِيرِهِمْ عَنْ فَضْلِهِ ، وَالتَّخَوُّرَ عَلَيْهِمْ بِتَبَرُّزِهِ . فَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ سَبِيلُهُ سَبِيلَ مَنْ يُظْهَرُ التَّعَلُّمُ إِذَا عَمِلَ ، وَسَبِيلُ مَنْ يَتَوَاضَعُ إِذَا عَظُمَ . فَجَمَعَ بِذَلِكَ حَسَنَ الْأَدَبِ ، وَالبُيُودَ

(١) فِي الْأَسْلَ: « وَاسْطَلَهُ عَيْشُهُ » .

(٢) فِي الْأَسْلَ: « وَالشَّيْطَانُ » .

(٣) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْمُبَارَاةُ نَاقِصَةً بِحَرْفَةِ .

من التزكية ، والتجيب إلى المستمع ، والتواضع لربه ، والداواة لقلبه ،  
والظفر بمدوءه ، وإحراز دينه .

وقد يكون إخلاص ظاهر لفظه على شيء ومعناه غيره ، فلا يكون  
ذلك كذباً ، لمعرفة القائل بقهم المستمع عنه . وهذا بابٌ كثيراً  
ما يستعمله العرب .

يقول الرجل لامرأته : أقيتُ حبلكِ على غاربك ! وهو يعنى طلاقها  
وليس هناك حبْلٌ أقيى على غارب .

ويقول : مالى فى هذا الأمر ناقة ولا جمل ! وليس ذلك يُريد .  
و : لست منها فى شيء ولا تغير ! وليس ذلك يُريد .

١٠ وقال مُمرٌ فى الصداق ما بلىكم ، فلما احتجبت عليه المرأة بقول  
الله : « وآتيتم إحداهن قينطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً »<sup>(١)</sup> قال : كل أحد  
أقنه من عمر .

وهذا القول ينبئ أن يكون على قياسكم هذا كذباً . ولا نعلم أحداً  
رواه عن مُمر إلا على التفضيل له . ووجهه قائمٌ معروف .

١٥ فإن قالوا : مامنى قول أبى بكر : « يايموا أى هذين شتم » ، يعنى  
مُمر وأبا عبيدة .

قيل لهم : إن أبابكر إنما قال هذا الكلام للأنصار ومن حَضَرَ  
بعد أن قرّر الأنصار يفضل المهاجرين عليهم ، وأن الأمراء منهم . فلم  
عند ذلك أنه بائنٌ عند الأنصار من جميع المهاجرين كما بان عند المهاجرين

٢٠ (١) الآية ٢٠ من سورة النساء . وفى الأصل : « وإن آتيتم » ، وهو تحريف .

ولكنه كان سائساً رفيقاً ، فكرِه أن يقول بايموني ، ليكونوا هم الذين يطلبون منه ذلك ويُريدونه عليه ، ويظهرون حبّ تقديمه ؛ لتكون النفوسُ بطاعته أسمع ، وفيها أرغب ، ولذهب أحد ، ولأنّ ذلك عندهم أبعَدُ من الاستبداد عليهم ، والافتيات بالأمر دونهم ، والحرص على التأثر عليهم . ولذلك مَثَى في الناس بمدّ بيته ثلاثاً يقول : هل من مستقبلٍ فيقال ؟

وقد قال في خطبته بمدّ البيعة :

وقد كانت بيمتي فلتةً ، وخشيت الفتنة . وإيم الله ماخرّستُ عليها يوماً ولا ليلة ، ولا سألتها الله في سرِّ ولا علانية ، ومالي فيها راحة .  
وقد قلّدتُ أمراً عظيماً مالى به طاقة ، ولوددتُ أنّ أقوى الناس ١٠ عليها مكانى .

ألا ترى زُهدَه فيها<sup>(١)</sup> ، وقلة حرصه عليها ، وكيف يُخبرُ أنه لو لم يُخشَ الفتنة ما قبلها ، وتودّ أنّ أقوى الناس عليها مكانه ؟!

وقوله « لوددت أنّ أقوى الناس عليها مكانى » ، يقول : وددت أنه لو كان في الناس من هو أقوى عليها مني . ليس<sup>(٢)</sup> أنه يرى أنّ ١٥ في الأرض يومئذ رجالاً هو أقوى عليها منه .

ومثلاً هذا في كلام العرب كثير .

وقال الراجز<sup>(٣)</sup> وذكر إليه فقال : إذا كانت عليها متارُضها<sup>(٤)</sup> :

(١) في الأصل : « ألا ترى في زهدِه فيها » .

(٢) في الأصل : « فليس » .

(٣) هو أبو عماد القنصى . اللسان ( غرض ) .

(٤) جمع فَرْض ، كجلس ، وأصله جانب البطن أسفل الأضلاع ، وهو مايقع عليه الفَرْض وهو حزام الرجل . وقد عني به الجاحظ الأغراض . ويبدو أن هذه العبارة متعجمة ، وموضهها بعد .

• بشرين حتى تُنقِضَ المنازعة (١) •

يقول : بشرين حتى لو [كانت عليهما منازعة] سميت لها قضيضا .  
والبشر لا يُورد وعليه غرضه وبطائه .

ثم رجعا إلى الحديث الأول

• فكان أبو بكر حين قال : « يا أيها الذين شتمتم » علم أن عمر وأبا عبيدة لا يستجيزان تقدمه والتأثر عليه ، كما بلغنا من قول عمر في أبي بكر ، يوم جمع المهاجرين والأنصار يستشيرهم في غزو الروم حيث خالفوه وأبى أبو بكر إلا إنفاذ ذلك الجيش والتمريف لهم بالحجة (٢) فيه ، حين يقول : « الحمد لله الذي يمنح بالخير من يشاء من خلقه . والله ما استبقنا إلى شيء من الخير إلا سبقنا إليه ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .  
وقال أيضاً يوم السقيفة حين قال أبو بكر : يا أيها الذين شتمتم : « والله لأن أقدم فتضرب عنق أحب إلي من أن أقدم أبا بكر » .  
وقال : « والله لأن أضجع فأذبح كما يذبح الجمل أحب إلي من أن أقدم أبا بكر » .

١٥ • ولقد بلغ من تعظيمه له وتقديره إياه ، أنه قال حين سئل عن الكلافة : « والله إنى لأستحي الله أن أرى خلاف رأي أبي بكر » .  
وأنت لم تجد أبا عبيدة تقدمه في موقف قط ، وقد وجدت أبا بكر قد تقدم أبا عبيدة في مواقف كثيرة ، في حياة رسول الله صلى

(١) في أساس البلاغة : « حتى تلتأ » .

(٢) انظر التلخيص ٤ من الصفحة السابقة .

(٣) في الأصل : « الحجة » . وانظر ص ١٠٥ س ٨ - ٩ .



الله عليه وبعد وفاته ، كما حكينا لك قبل هذا . ولم نجد ذكر أبي بكر وعمر في موضع قط إلا وأبو بكر المقدم عليه ؛ مع مقامات لأبي بكر شريفة ليس لغيره فيها ذكر .

- فبين أن يكون أبو بكر بأمرهم بذلك أمراً أو يطلب إليهم طلباً ، وبين أن يجعلهم إليهم فيكونوا الطالبين له والراغبين إليه ، وليكون ذلك من تلقائهم وطيب أنفسهم ، فرق عظيم .

- وأية بيمة أثبت من بيمة عقدها عمر والنبي يقول : « ضرب بالحق على لسانه » و « الشيطان يفرق من حسه <sup>(١)</sup> » و اللهم أعز الإسلام بعمر » ١٩ وأية بيمة أثبت من بيمة عقدها أبو عبيدة والنبي يقول : « لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » . ١٠ وأية بيمة أثبت من بيمة عقدها عبد الرحمن بن عوف وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأمين <sup>(٢)</sup> » . فإذا كان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته ، والفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل ، حيث قال : « لا يُعبد الله سراً بعد اليوم » قد عقدا بيمة وأكدا أمره <sup>(٣)</sup> ، فما عسى أن يبلغ قول قائل ؟ ! ولو كان ذلك عن مواطاة من ١٥

(١) في الرياض النضرة ١ : ٢٠٨ في حديث المرأة الأصبارية : « فقامت بالدف على رأس النبي صلى الله عليه وسلم فنقرت نقرين أو ثلاثاً ، فاستفتح عمر فسقط الدف من يدها وأمرعت إلى خدر عائشة . فقالت لها عائشة : مالك ؟ قالت : سمعت صوت عمر نهيبته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان يفر من حس عمر » .

(٢) انظر السيرة ٤١٠ جوتيجن ، لقول رسول الله في شأنه : « اثبتوني المشية أبيت » . ٢٠ منكم القوي الأمين » . وفي الرياض النضرة ٢ : ٣٠٨ : « لأن لكل أمة أميناً وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح » أخرجه البخاري وسلم . وأخرجه الترمذي وأبو حاتم ، ولفظهما : لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة ... » .

(٣) في الأصل : « عقد بيته وأكده أمره » . وإنما هو أبو عبيدة الأمين ، وعمر الفاروق .

أبي بكر لأبي عبيدة كما واطأ معاوية عمرو بن العاص ، ما استعمل عليه  
خالد بن الوليد أميراً أيتام حياته حتى عزله عمرو بن الخطاب ، ولكن كان كما  
صنع معاوية بعمرو حين أطعمه مصر .

وَأَبْنُ يَمَعْرَ أُثْبِتُ مِنْ يَمَعْرَ عَقْدَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْمُودٍ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى  
الله عليه يقول : « رَضِيتُ لَأُمِّتِي مَا رَضِيَ لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ ، وَكَرِهْتُ  
لَهَا مَا كَرِهَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ <sup>(١)</sup> » . فإذا رضى ابنُ أُمِّ عَبْدِ يَمَعْرَ رَجُلٍ فَقَدْ  
رَضِيَتْهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذْ كَانَ النَّبِيُّ قَدْ قَالَ : « رَضِيتُ لَأُمِّتِي مَا رَضِيَ  
لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ ، وَكَرِهْتُ لَهَا مَا كَرِهَ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ » .

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ تَقْدِيمِهِ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُمَانَ أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ اخْتِيَارِ  
١٠ النَّاسِ لِمَنْ : « مَا أَلَوْنَا أَنْ جَمَلْنَاهَا فِي أَعْلَانَا ذَا فَوْقِ <sup>(٢)</sup> » .

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ تَعْظِيمِهِ لِمُرٍّ وَتَقْدِيمِهِ لَهُ ، أَنَّهُ قَالَ : « لَقَدْ خَشِيتُ اللَّهَ  
فِي حَبٍّ مَرٍّ » . وَقَالَ : « مَا صَلَّيْنَا ظَاهِرِينَ حَتَّى أَسْلَمَ مَرٌّ » . وَقَالَ بَعْدَ  
مَوْتِ مَرٍّ : « إِنْ مَرٌّ كَانَ لِلْإِسْلَامِ حَصَنًا حَصِينًا يَدْخُلُ النَّاسُ فِيهِ  
وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهُ ، فَلَمَّا مَاتَ انْتَلَمَ ذَلِكَ الْحَصَنَ فَصَارَ النَّاسُ يَخْرُجُونَ  
مِنْهُ وَلَا يَدْخُلُونَ فِيهِ » . وَقَالَ : « إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ هَيَّ هَلَا  
بِعَمْرٍ <sup>(٣)</sup> » .

فَإِذَا كَانَ عَمْرٌ وَعُمَانُ مِنْ أَنْبَاءِ أَبِي بَكْرٍ وَشِيعَتِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، وَهَذَا  
قَوْلُهُ فِيهِمَا ، وَتَفْضِيلُهُ لَهَا ، فَمَا ظَنُّكَ بِهِ فِي أَبِي بَكْرٍ ؟

(١) انظر ما مضى في ص ٥٦ ، ١٤١ .

(٢) انظر ما مضى في ص ٢٢٣ . وكتبت في الأصل : « اعلى نادى فوق » . ٢٠

(٣) أى ابتداء به وبجمل يذكره .

ولو أن رجلاً واحداً من نحو من ذكرنا فقد لعلَّ إمامة ، أو نطق فيه بكلمة ، لأكلت الشَّيْعُ والرَّافض هذه الأمة فضلاً عن أن تحتج برضاه واختياره . فهذا هذا .

ثم الذي نقلوا إلينا<sup>(١)</sup> من تثبيت عليٍّ بيمّة أبي بكر . وذلك أنهم قالوا : لما بُويِع أبو بكر وبإيمّة عليٍّ وبنو هاشم ، قام أبو بكر فطاف في الناس ثلاثاً يقول : « أيُّها الناس ، قد أفلتكم يميني » ! قالوا : يقول عليٌّ من بين الناس : « والله لا نُقِيّيك ولا نَسْتَقِيّيك ، قدّمك رسول الله صلى الله عليه تَصَلَّى بالناس فن ذَا يُوْخِرُكَ ؟ » .

ثم الذي نقله النَّاسُ عن عليٍّ حين قال على منبره : « أَلَا إِنَّ خَيْرَ هذه الأمة أبو بكر ، والثاني مُعمر ، ولو شئت أن أخبركم بالثالث فعلت » .

ونقلوا جميعاً أن عليّاً قال : بينما أنا يوماً عند رسول الله صلى الله عليه إذ أقبلَ أبو بكر ومُعمر فقال النبي : « هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، ما خلا النبيين والمرسلين ، لا تخبرهما بالذي قلت يا علي » . دلوا : قال عليٌّ : لولا أنهما قد ماتا ما حدثتكم . ١٥

قال الشعبي : قال عليٌّ : « إنَّ أبا بكر كان أَوْاهاً مُنِيّاً ، وإنَّ مُعمر ناصح الله فنصحه الله » .

ونقلوا أن عليّاً قال — ودخلَ على مُعمر وقد مات وهو مسجى —

(١) في الأصل : « ملوا إلينا » .

قَالَ : رَجَعْتُ إِلَهُ يَاعْمُرُ ! وَاللَّهِ مَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أُلْقِيَ اللَّهُ بِمِثْلِهِ  
صَحِيفَتِهِ مِنْ هَذَا السَّجِّيِّ صَاحِبِ السَّرِّ !  
وَبَلَنَّهُ أَنْ رَجُلًا تَنَاوَلَ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرٌ ، فَقَالَ لِلرَّجُلِ : لَوْ سَمِعْتُ  
مَعَكَ الْقَدَى بَلَنِي لَأَقْبَيْتُ أَكْثَرَكَ شَرًّا .

• وَقَالَ : لَوْ أُبَيِّنْتُ بِرَجُلٍ يَشْتُمُهُمَا لَجِدْتُهُ حَدَّ الْفَتْرِى .

ثُمَّ الَّذِي قَالَهُ جَمِيعُ أَصْحَابِ الْأَثَارِ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ مِنَ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ حَدِيثًا نَفَعَنِي اللَّهُ بِمَا شَاءَ مِنْهُ ، فَإِذَا حَدَّثَنِي الْغِيْرَ عَنْهُ  
اسْتَحْلَفْتُهُ ، فَإِذَا حَلَفَ لِي بِسَدِّقَتِهِ . وَإِنْ أَبَا بَكْرٍ حَدَّثَنِي - وَصَدَّقَ  
أَبُو بَكْرٍ - حَدَّثَنِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « مَا مِنْ رَجُلٍ  
يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا  
تُغْفِرَ لَهُ <sup>(١)</sup> » .

أَلَا تَرَى كَيْفَ أَوْرَدَهُ بِالتَّصَدِيقِ وَقِلَّةِ التَّهْمَةِ ، وَأَقَامَهُ مَقَامَ التَّقْلِيدِ  
وَرَفَعَ الْأَسْرَابَةَ .

فَهَذَا مَذْهَبُ عَلِيٍّ فِيهِمَا وَنَظْمُهُ لَهَا .

١٥ ثُمَّ الَّذِي كَانَ مِنْ تَرْوِيحِهِ أُمَّ كُلثُومَ بِنْتَ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ ، مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، طَائِمًا رَاغِبًا ، وَعَمْرٍ يَقُولُ : إِنِّي سَمِعْتُ  
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّهُ لَيْسَ سَبَبٌ وَلَا نَسَبٌ  
إِلَّا يُنْقَطِعُ ، إِلَّا نَسَبِي » . قَالَ عَلِيٌّ : إِنَّهَا وَاللَّهِ مَا بَلَنْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .  
قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أُرِيدُهَا لَدَاكَ إِنْ أَرَسَلَهَا إِلَيْهِ فَتَنْظُرَ إِلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ،

ثم زوّجها إياه ، فولدت منه زيد بن عمر ، وهو قاتل سُودانَ مَرَّوانَ<sup>(١)</sup> ، فلما أتى التَّمِيُّ أُمَّ كَلثومَ كَدَّتْ عليه حُرْنًا حتى ماتت ، وقالت : واحسبها ! قاتل أبوها على بن أبي طالب ، وقُتل زوجها عمر بن الخطاب ، وقُتِل ولدها زيد بن عمر .

- ثم تسمية على أولاده بأسمائهم ، كما يتبرك الرجلُ بأسماء أئمتِّه وقادِّته ،
- حين سَمَّى بِعمر وعثمان وأبي بكر ، فأعقب عمر ولم يُعقب أبو بكر وعثمان .
- ثم التَّمِيُّ كان من قبولة ولاية عمر حين استخلفه على المدينة ، ومضى عمرٌ مُمسكراً يريد جيشَ مِهْرانَ<sup>(٢)</sup> بعد وقعة قَسِّ الناطف<sup>(٣)</sup> فأتاه على مُسكِّره فأشار عليه فيمن أشار<sup>(٤)</sup> بأنَّ الرَّاى أن يرجع إلى المدينة ولا يلقاه بنفسه وحده ، بل يكون للمسلمين فيته<sup>(٥)</sup> . فرجع عمر .
- ١٠ . وإِذا أراد عمر بذلك تحريك النَّاسِ ليجدوا ويمزموا .
- فإن قالوا : هذا كله باطل ، أو قالوا : إنَّ هذا الذي حكيتُموه وإنَّ كان حقاً فإنما كان على التَّقِيَّة . فقد قلنا في ذلك أجمع بالتَّيِّ يكفى به .
- والمعجب أنَّهم يوجبون على النَّاسِ تصديقَهُم أن سلمان قال : « كَرْدَاذ

(١) انظر لسب قربش ٣٥٢ - ٣٥٣ ، ٢٧٢ وجمهرة أنساب العرب ١٤٧ .

(٢) هو مهران بن باذان الهذلي القائد الفارسي ، وكان هربي الأصل نشأ مع أبيه باليمن إذ كان حاملاً لسكرى . وروى الطبري ١ : ٧٨ أنه قال في تلك الحرب : إن سألوا عن فاني مهران أنا لمن أنكرني ابن باذان

هسكرو الرجل والجيش : كان في المسكر . وفي الطبري ٤ : ٨٣ : « خرج عمر - حق نزل على ماء يدمي ضراراً فسكر به » .

٢٠ . (٣) كانت في سنة ١٣ .

(٤) انظر خبر هذه الشورى في الطبري ٤ : ٨٣ - ٨٤ .

(٥) أي مرجعاً .

ونَكَرْدَاذ<sup>(١)</sup> » وَأَنَّ الزُّبَيْرَ خَرَجَ شَاذًا بِسَيْفِهِ لِيُؤَكِّدَ إِمَامَتَهُ عَلَى ، وَأَنَّ  
الْأَنْصَارَ إِنَّمَا خَالَفَتْ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ تَقْصًا مِنْ اسْتِبْدَادِ أَبِي بَكْرٍ<sup>(٢)</sup> ، وَأَنَّ  
أَبَا سَفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ، وَخَالِدَ بْنَ سَمِيدٍ ، إِنَّمَا قَالَا : « أَرْضَيْتُمْ مَعشَرَ  
بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ أَنْ يَبْلَى عَلَيْكُمْ نَيْمٌ » ، نَصْرَةً لِعَلِّ دُونَ جَمِيعِ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ،  
٥ فَإِنَّ اللَّهَ رَدَّ عَلَيْهِ الشَّمْسَ<sup>(٣)</sup> ، وَإِنَّ النَّبِيَّ قَالَ : « أَنْتَ مَتَى يَنْزِلُ هَارُونَ  
مِنْ مُوسَى » ، وَجَعَلَ إِلَيْهِ طَلَاقَ نِسَائِهِ ، وَأَنَّهُ قَسَمَ النَّارَ<sup>(٤)</sup> ، وَمَسَاحِبَ  
الْعَرَضِ ، وَالْقَائِمُ عَلَى الْخَوَاضِ ، فَيُوجِبُونَ عَلَيْنَا أَنْ نَصُدِّقَهُمْ فِي هَذَا  
وَلَا يُوجِبُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لُحْمَالِ الْأَمَارِ أَنْ عَلِيًّا قَالَ فِي الْخَلِيقَةِ وَالْبَرِيَّةِ ،  
وَالْبَائِنَةِ ، وَالْبَقَّةِ ، وَطَلَاقِ الْحَرَجِ ، وَأَمْرُكَ بِيَدِكَ ، وَالْحَرَامِ ، أَنَّهُا كَثَلَاثُ  
١٠ تَطْلِيقَاتٍ . وَيُوجِبُونَ عَلَى طُلَّابِ الْحَدِيثِ أَنْ عَلِيًّا كَانَ لَا يَرَى الطَّلَاقَ  
إِلَّا طَلَاقَ السُّتَةِ .

وهذا أمرٌ ما سَمِعْنَا قطُّ عن عليٍّ إلاَّ منهم .

وليس بأعجب من استشهادهم الْبَيَانَ والإجماع وما عليه الوجود ،  
واستشهادهم الْقَصْدَ وَالضَّمِيرَ وَالنَّبِيَّ ، وَجَعَلَهُمْ لَهُ يَوَازُنَ الظَّاهِرِ وَالشَّائِعِ .

١٥ وذلك أَنَّ الْقَائِلَ إِذَا قَالَ : أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ كَهَلَا وَأَسْلَمَ عَلَى طِفْلٍ .

(١) انظر ما سبق في ص ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢) في الأصل : « أَبِي بَكْرٍ عَلَى » .

(٣) في الرِيَاضِ الضَّرَّةِ ٢ : ١٧٩ : « عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ : كَانَ رَأْسُ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَرٍ عَلَى وَهُوَ يُوحَى إِلَيْهِ فَلَمَّا سَرَى عَنْهُ قَالَ : يَا عَلِيُّ ، سَلِمَتِ الْبَصَرُ ؟  
٢٠ قَالَ : لَا . قَالَ : أَلَيْسَ بِكَ تَعْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ فِي حَاجَتِكَ وَحَاجَةُ نَبِيِّكَ فَرَدَّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ . فَرَدَّهَا  
عَلَيْهِ فَسَلِمَتْ وَمَاتَ الشَّمْسُ . خَرَجَهُ الْهَوَالِي قَالَ : وَقَالَ عَلِيٌّ الْحَدِيثُ : وَهُوَ حَدِيثُ مَوْضُوعٍ  
وَلَمْ تَرَدْ الشَّمْسُ لِأَحَدٍ ، وَإِنَّمَا حَبِثَ لِيُوضَعَ بَنِي نُونٍ » .  
(٤) كَذَبًا فِي الْأَصْلِ .

قالوا : كان عليٌّ وهو ابن سبع سنين أرجحَ عقلاً من أبي بكر وهو ابن إحدى وأربعين سنة . فتركوا البيان وعارضوا الشاهد بالغائب .

وإنَّ قال قائل : إنَّ أبا بكر كان مع النبيِّ في النار وقد نطقَ به القرآنُ وثبته الإجماع . قالوا : فإنَّ عليًّا أباته النبيُّ على فراشه .

- وإن قلت : إنَّ النبيَّ سمَّى أبا بكر بالصديق تفضيلاً له ولم يجعل له اسماً يفصله به . قالوا : بلى ، قد كان النبيُّ سمَّاه الصديق الأكبر ، ولكنَّ الناس منموه ذلك وظلوه ، حين لم يُسَيِّروه وبُشيموه .

وإن قلت : إنَّ النبيَّ اشتكى أياماً وليالي ، كلَّ ذلك يأمر أبا بكر بالصلاة ، وهو حاضرٌ ولا يأمره . قالوا : لأنَّ عليًّا كان مشغولاً بتعريضه .

- وإن قلت : إنَّ الناس لما افتتنوا بعد موت النبيِّ وعظموا شأنه حتى دحاهم الإفراطُ إلى أن قالوا : لم يمُت ، ولكنه يغيب مثل ما غاب موسى عن قومه . فكان أبو بكر هو التكلُّمُ والمُتَجِّ والمُحَامِي حتى عرفهم الحقُّ وتنبَّهوا من الوَسْنة . قالوا : لأنَّ عليًّا قد كان اشتدَّ حزنُهُ حتى قطعه عن الاحتجاج والتعريف .

- فإن قلت : حين أظهروا الفرقة والدارُ دارُهم ، لو تركهم أبو بكر ولم يعرفهم فضل المهاجرين عليهم ، لكان في ذلك أشدُّ الفتنَةِ وأكبرُ الفساد ، فمُاجَلَّتْهم ونَجَرَدَ للاحتجاج عليهم ، حين كان كلُّ إنسانٍ همُّهم نفسِهِ ، وطىُّهم بمزلي حتى كأنَّهُ كان ظلياً . قالوا : لأنَّ عليًّا قد كان عَرَفَ حسدَ قريشٍ وبغيتها عليه ، وطاعتها وجهها لأبي بكر ، فلم يكن ليقدح في غير مقدح ، أو ينفخ في غير فم .

فإن قلنا : إن إظهارَ عليّ الرضا بالشورى دليلٌ على طاعة عمر .  
قالوا : إنما ذلك للتعبة .

فإن قيل : فلم رضى بعبد الرحمن غتاراً وعبد الرحمن عنده من  
عدوّه ، وأدنى منارله أن يكون كان غرقاً عنده ، وأدنى من ذلك أن  
يكون التلطف غير مأمورٍ عليه .

قلنا : وهلاً أظهر من الخلاف شيئاً يسيراً إلينا ، وهلاً نطق بحرفٍ  
واحد بقدر ما يتخذُه الناسُ بمُدِّ حُجَّةٍ ، ولم يكن بلغ أقصى خلافهم  
فيُرى بعيداً أو إيقاعاً .

فإن قلت : إن علياً قال لأسماء بنت عميس — وهي يومئذ امرأته —  
١٠ حين تفاخر ولدها من أبي بكر وجعفر وعليّ عندها : اقضى بين ولدك .  
فقلت : ما رأيتُ شاباً كان أظهر من جعفر ، ولا رأيتُ شيخاً كان  
أفضل من أبي بكر ، وإن ثلاثة أنت أحسنهم لفصلاً<sup>(١)</sup> ! فلم يُنكر ولم  
يحتج ، ولم يفرق<sup>(٢)</sup> ولم يتمعّب ، والكلام يؤثّر والقضية تظهر .

قالوا : إن فضله أظهر في الناس من أن يحتاج إلى الاحتجاج ،  
وإنما قالت ذلك مازحة ، كما تمزح المرأة مع زوجها وتحرّشُ به<sup>(٣)</sup> .

فإن قلت : إن علياً قد بايع أبا بكر وأعطاه صفته طائفاً غير مكره  
والحكم السابق من الله ورسوله أن الدّعي عليه إذا أقرّ ولم يُنكر ،  
ولم ير الوالي أثرَ جنونٍ ولا إكراها ، أن إقراره جائزٌ عليه ، فكذلك

(١) انظر ما سبق في ص ٩٥ .

(٢) الفرق : الخزع . في الأصل : « ولم يعرف » .

(٣) التحريش : الإغراء . في الأصل : « وتحرش به » .



على<sup>١</sup> إذا كان قد بايع وليس على رأسه سيف ولا سوط ، فحكه حكم  
الراضى المسلم .

قالوا : قد كان هناك إكراه ظاهر ، ولكن الناس تكاثروه  
وأخفوه فيما بيننا وبينهم ، إذ كان الجمهور الأكبر معهم .

- فلن قلت : قد صدقناكم في قولكم إنه قد كان في تقيّة من أبي بكر  
ومر وعثمان ، رأيتم أياهم ساطان نفسه ومئة مائة ألف سيف تطيمه  
وأهل الأرض كلهم رعيته ما خلا الشام ، لم كان يظهر زكية أبي بكر  
ومر على منبره وفي مجلسه ؟

قالوا : للتقيّة من رعيته ، إذ كان أكثرهم على هوام وطاعتهم .

- قلنا : قد عرفنا أن تركه لنهم والبراءة منهم والإخبار من ١٠  
استبدادهم وظلمهم ، على التقيّة ، فما حمله على تركيتهم والإخبار من  
محاسنهم ، والرواية الحسنة فيهم ، وقد كان له في السكوت سعة ، وعن  
الكلام مندوحة ؟ ولقد تمدّى في مدح أبي بكر ومر حتى قال لابن  
طلحة : إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله : « إخواناً  
على سرور متقابلين » .

- ١٥ وإن قلنا : إن في تسميته بنيه بأسمائهم دليل على تعظيمهم لهم .  
قالوا : لأنه قد كان علم أن شيعته سيحتاجون في آخر الزمان إلى  
الترحم على أبي بكر ومر وعثمان ، تقيّة من شيعتهم ، فسمّى بنيه بأسمائهم ،  
حتى يكون ذلك الترحم واقفاً عليهم ، ولأن ينصيب لهم من إذا قصدوا  
إليه بالترحم أصابوا الحق ولم يحتاجوا إلى الإلطاط<sup>(١)</sup> .

(١) الإلطاط : الدعاء ، والاعتداد في الحسنة .

وإن قلنا : إنه زوج عمرَ غير مُكره<sup>(١)</sup> ، ولا شيء أدلُّ على الخاصّة والصّفاء من الشاركة والمصاهرة .

قالوا : قد كان هناك توعّد وتخوّف ، وقد قال بعضهم : إن هذا باطلٌ وإنّ عليّاً لم يزوّج عمرَ قطّ . ونبئت من بعضهم أنّه قال : قد كان ذلك على النقيّة ، ولكن الله سأنها فأخفاها ورفضها .

فقيل له : نفبرنا عن التي رأوها في منزل عمر وعلى فراشه ، وولدت منه زيدا ، ما هي ؟ وأي شيء كانت ؟  
قال : شيطانة في صورة امرأة .

وإن قلت لهم : كيف زعمتم أنّه كان أشدّ أهل الأرض قلباً ، وأنتم تزعمون أنّه كان يتقى كلّ شيء ، حتى ليسلم حرمة إلى كافر من غير أن يُشهرَ عليه سيف أو يُضرب بسوط . وقد رأينا من هو في دون حاله في التجدّة والشجاعة ، والحجّة والبصيرة ، يمتنع حتى يُقتل في دون هذا . وقد تملكون أنّه لم يُكلم ولم يُخدش ، فضلاً على أن يُجرّح ويُقتل ، في جميع المقامات التي زعمتم أنّه إنّما استعجاز واستحل من النقيّة .

وأعجبُ من جميع هذا أنّنا رأيناكم تزعمون أنّ أبا بكرٍ ومُهان كانا من أجبن البريّة وأبغده من حميّة ، وقد رأينا سليحَ أبي بكرٍ في الرّدة كيف نهض بالليل في عاربة الكثير ، وكيف أشاروا عليه بأن يستعين بجيش أسامة حتى إذا ردّ الرّدة أعاد الجيش إلى حاله . وكيف قال لهم حين قالوا له : إنّنا قد أمينا غزو الرّوم إيانا في يومنا هذا ، ولسنا نأمن مع ارتداد جميع العرب أن نفزى في عُقر دارنا ! قال : لو بقيت حتى يأكلني

(١) انظر ما مضى في ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

الكلابُ وحدي ما أخرجتُ جيشاً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإفناذه .  
ثم رأينا عثمان ، وهو عندهم أضغثُ من أبي بكر وأجبن ، قد كان  
محاصراً مُعطشاً مخدولاً قد قهره عدوه ، والسيوفُ تلمع على بابه ، وقد أفضنوا  
إلى داره ، وتسلقوا عليه من خَوْخِثَةٍ<sup>(١)</sup> ، وهم يريدون نفسه أو خلعَ  
الخلافة من عنقه ، فصبَرَ حتى قُتِلَ كريماً عتسباً وهو يقول :  
« لا أنزع قبيماً قمصتبه الله ! » ، وهو يرى الجِدَّ وليس معه أمانٌ  
من يقيته .

وقد يزعمون أن علياً قد كان يعلم أنه لا يُقتل ولا يموت حتى  
يقاتل الناكثين والناسطين والمارقين ، ومع ذا يزعمون أن الله<sup>(٢)</sup> قد  
كان أسراً إليه علم كل ما يحدث في هذه الأمة من الفتن والفتنج . وهذا  
لا يُشبهه اتخاذه أبا موسى حكماً عليه وله ، مع غباء<sup>(٣)</sup> أبي موسى  
وعداوته كانت له ، ولا سيما إذا قرنه بعمرو بن الماص . وما ظنك برأى  
عمرو وقد كان فيه معو<sup>(٤)</sup> .

ففي جميع ما قلنا دليل على أن القوم إما أن يكونوا<sup>(٥)</sup> مالسكين لأهوائهم .  
فإن قالوا : ما الدليل على إسلام أبي بكر فضلاً على تقديمه وتفضيله ؟  
ومباينته ؟ ومن أين لكم أن تزعموا أنه قد كان مسلماً وأنتم خصومكم  
جمعون على أنه قد كان كافراً ، ثم ادَّعيتُم أنه قد أسلمَ بعد كفره وأنكر  
ذلك خصومكم ، فليس لكم أن ترجعوا عما اجتمعتم عليه إلا بإجماع منكم

(١) الخوخة : كوة في البيت تؤدي إليه الضوء .

(٢) في الأصل : « الذي » .

(٣) في الأصل : « ها » بالإعمال .

(٤) كذلك في الأصل .

(٥) كذلك في الأصل . والوجه « لم يكونوا » .

يوازنه . وقد ينبغي أن تطرحوا موضعَ الفِرقة وتَقَضُّوا بموضع الجماعة ، وقد جامَتمونا أنَّ علينا لم يزل مؤمنا .

قيل لهم : إنَّا لو كنَّا عرفنا أنَّه قد كان مرَّةً كافراً من قِبَل خبر أصحابنا وجماعةٍ خصوصهم لهم ، وكان علمُ ذلك لا يُصاب إلَّا بمجامعتهم لأصحابنا ، لقد كان الذي قلتم واجباً وقياساً صحيحاً . ولكنَّا عَرَفْنَا أنَّه قد كان كافراً بقدير من الخبر قد يكذب مثله <sup>(١)</sup> ، وبه ثبت عندنا أنَّه قد كان في الدنيا ، فضلاً على أن يكون كان له فِعْلٌ يسمَّى كُفْراً وإيماناً . وإنَّما الحجَّة في الجبِّ الذي لا يكذب مثله ، ثم لا نلتفت بعد ذلك إلى موافق ولا إلى مخالف ، ولا إلى عقل ولا إلى نظر . ثمَّ نظرنا فإذا الوجهُ الذي منه علمنا أنَّه قد كان في الدنيا ، منه علمنا أنَّه قد كان مرَّةً كافراً ، و [هو] الوجهُ الذي منه علمنا أنَّه قد أسلم بعد كفره . ولو أنَّا عرفنا كفره بنا وبمخصوصنا ، لما عرفنا لإمانه إلَّا بنا وبهم .

ووجهٌ آخرٌ من الجواب : أنكم قد جامَتمونا على أنَّه قد كان يشهد الشهادة ، ويأكل الذبيحة ، ويظهر الإسلام ، في حيثُ النفاقُ مستخفٍ وثوبُ الإسلام داجٍ <sup>(٢)</sup> ، والكفرُ ذليل والإسلام عزيز ؛ [ثمَّ] ادَّعيتُم بعد أن أقررتُم أنَّه قد كان يُظهر الإسلام في دار الإسلام ، أنَّه كان مُستسيراً بالكفر ، وأنَّه كان من المؤلِّفة قلوبهم .

فالواجب بالقياس أن يُحكَّم له بالإسلام على ظاهر ما اجتمعنا عليه من جلسته ولا نضع موضعَ الإجماع إلى قولكم وحدكم : إنَّه قد كان إسلامه

(١) في الأصل : « لا يكذب مثله » .

(٢) دجا : الإسلام : قوى وأبس كل شيء ، كما يدجو الليل ، إذا تم وأبس كل شيء .

على نفاق ، لأنَّ الجماعةَ لا تنزِلُ إلى فِرقةٍ ، ولأنَّ الحقَّ لا تُتركُ إلاَّ بِحُجَّةٍ .  
 فإنَّ قالوا : فإنَّ أبا بكرٍ لم يشهد قطُّ الشَّهادةَ ، ولا سَلَى [ إلى ] القبلة .  
 قلنا : ما تقولون في رجلٍ رأيناهُ كافراً في دار الكفر ، ثمَّ رأيناهُ  
 بعد ذلك في دار الإسلام وفي زِيٍّ أهله ، وحكم الإسلامُ غاليه ، ومعلومٌ  
 أنَّ من عادةِ أهله قَتْلُ من كفر ، كيف يكون حكمُ ذلك الرجل ؟ ٥  
 فإنَّ قالوا : ولكننا نفى في متَّبعيه .

قلنا : اجعلوا أبا بكرٍ ذلك الرجل .  
 فإنَّ قالوا : فإنَّ أبا بكرٍ لم يزلْ يُظهر الكفر في دار الإسلام ، كما كان  
 يظهر الكفر في دار الكفر .

قلنا : لا بدَّ لكفره من وجهين : إمَّا أن يكون كان يظهره على ١٠  
 عهدٍ وذمَّةٍ فلذلك لم تقتلوه . أو يكون كان على غير عهدٍ وذمَّةٍ .

فإنَّ ادَّعوا أنَّ كفره كان على عهدٍ وذمَّةٍ كما جعل الله ورسوله للنصارى  
 وللْيَهُودِ ، خرَّجوا إلى ما لا نحتاج مع فَحْشِهِ إلى الكلام فيه . وإنَّ زعموا  
 أنَّه كان على غير عهدٍ وذمَّةٍ وحكم الإسلام ظاهرٌ ، فما أشبهَ هنا  
 القول بالقول الأوَّل . ١٥

ويقال لهم : خبرونا عن أبي بكرٍ ، هل يخاف من أن يكون لم يقلْ  
 قطُّ في دار الإسلام : لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله ، أو يكون قد قال  
 ذلك مرَّةً واحدةً ؟

فإنَّ زعموا أنَّه قد قالها مرَّةً واحدةً ثمَّ تركها ، قيل لهم : فقد  
 أقررتُم وجاستمَ خصوصكم على أنَّه قد شهَّد الشَّهادةَ ، فليس لكم أن ٢٠

تخرجوه إلى نفاقٍ أو إلى تركٍ ، إلا لجماعة خصومكم لكم ، إذ كانت الفرقة لا تنقض الجماعة .

فإن قالوا : فإنه لم يقل لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة قط من دهره ، لاعلى نفاق ولا على غيره ، بل كان يظهر عبادة الأصنام ، ثم مع ذلك سلم على حكم الكتاب والسنة ، وعلى حكم الدار . فليس عندنا في ذلك إلا إسقاطه وتحريم كلامه وإمضاء حكم مثله فيه .

بل قد ثبت إسلامه بعد الوجوه التي ذكرتها بوجوه :

منها أن الله أنسى على عباده الصالحين ، نفس بتفضيله السابقين والمهاجرين الأولين ، وقد اجتمعت الأمة أنه من المهاجرين الأولين مع فضيلة هجرته ، إذ كانت هجرته وهجرة رسول الله صلى الله عليه وآله . فهذا وجه .

ثم الذي رأينا من ذكر الله وثنائه على أهل بدر . وقد أجمع المسلمون أنه كان ممن شهد بدرًا ، مع ما فضل به من الكون في العريش ، ولا موضع أدل على الخاصة من ذلك الموضع في ذلك الموقف ، مع ما شهد به من مستجيبه وعتقائه ومواليه . ولقد بلغ من قدر من شهد بدرًا أن عامة الفقهاء تحدث أن الله « أطاع على أهل بدر فقال امشوا ماشتم » فلذلك كان الحسن يقول : إن طلحة والزبير وعليًا في الجنة معًا وإن لم يكونوا كانوا<sup>(١)</sup> في الدنيا ، لأنهم عتقوا الله من النار ، ولم يكن الله ليمتق عبداً ثم يميده في ريقه . ولذلك كان الحسن ، وحوشب ، وهاشم الأوقص ، وبكر بن أبي عمير ، يقولون إذا ذكروا يوم الجمل : « هلك الأتباع ونجت القادة » . فهذا هذا .

(١) في الأصل : « وا » بالإمالة .

- ثم الذي كان من ذكر الله وحسن ثنائه على من بايع تحت الشجرة .  
وأى شيء أعجب من اجتماع السلف مهاجريها وأنصاريتها خلا أربعة نفر  
على تقديم رجل في مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقضى في أبنائهم  
وأشعارهم وفروجهم وأموالهم ، ويحمل أماناتهم ، ويدعونه خليفة  
رسول الله ، حتى ترك<sup>(١)</sup> الشريف المطاع ذا السابقة والقدم وتولى مكانه  
الخامل التليل المقصر ، فلا يراؤ ولا يدافع ، ولا يرأج ولا يستفهم ، وهو  
المعروف عندهم بمحمد الرسول وعبادة الأوثان ، وليس بنذ عشيقة منيعة .  
ولا يستطيع أحد أن يزعم أنه قد كان واطاً المشار ليصرفوا إليه  
عونهم على أن يؤثروهم<sup>(٢)</sup> . ويفضلهم . ولو كان ذلك لظهر علمه ولم يخف أثره .  
ومثل هذا لا يستطيع كتابه وستره وتزويله .

- ١٠ وكيف وقد سوى بين الرفيع والوضيع ، والدليل [و] المنيع !! فلم  
يؤثر قريباً ولم يول نسبياً .

- ولو استمان بطلحة وولاه وفضله لقد كان لذلك موضعاً ، وللولاية  
والتقديم أهلاً ، بل صنع ضد ما يصنعه أصحاب الميل والأثرة ،  
والمصيبة والمراعاة .

- ١٥ ولو كان قريب القربة لجاز<sup>(٣)</sup> لقائل أن يقول : إنما قدم لقربته .  
ولو كان مصيبة لقالوا : إنما استحق بورائه .  
ولو كان منيع الرهط لقالوا : إنما قدم لكثرة قبيلته .

(١) في الأصل : « حول » بالإعمال .

(٢) في الأصل : « دورهم » بالإعمال .

(٣) في الأصل : « فمن لم » .

(٤) في الأصل : « وجاز » .

ولو كان استعان بقرع على مواطئة وشريطه ، كصنيع معاوية بنى  
الكلّاح وعمر بن العاص ، لقالوا : إنما قدّم رهبة بمن واطأه ، ورغبة  
فمن أكّد هواه .

[و] ولّى بنى غزوة أعتاق العرب وقاتل أهل الردّة ، وحرب  
مسيلة وعاربة طليحة ، دون رهطه . ولو ولّى ذلك طلحة لكان لذلك  
أهلا ، ولكنّ الطامع قد كان يحسد سيباً .

وكذلك عمر بن الخطاب لو كان أدخل في الشورى سعيد بن زيد  
كما كلّم في ذلك ، وأدخل في الرّقاء عبد الله بن ممر كما كلّم في ذلك ،  
لكان لذلك أهلا ، ولكنّ الطامع قد كان يحسد متعلّقاً .

١٠ وولّى خالد بن الوليد حرب مسيلة وطليحة وبني تميم وأهل البادية ،  
وولّى عكرمة ردة ثمان ، وولّى المهاجرة بن أبي أمية ردة أهل نجدير  
والهجن . وما زال عمر يماثبه في خالد فيقول أبو بكر : « لا أشبه سيفاً سلّه الله  
على الكفّار » . فهذا هذا .

والمعجب<sup>(١)</sup> لهذه الأمة كيف اختلفت في رجلين أحدهما خير خلق الله ،  
والآخر شرّ خلق الله . وكيف اختلفت في رجلين أحدهما لم يزل مؤمناً  
والآخر لم يزل كافراً ، ثمّ كان المقدّم الخسيس الكافر ، على الرّفع المسلم !  
[وم] أصحاب القرآن وخاتمة الرسول من الصحابة والبدريين والأنصار  
والمهاجرين ، وم الذين قال فيهم التأبون : خير هذه الأمة أصحاب محمد  
صلى الله عليه ! ابتلوا فمّبروا ، وأنهم عليهم فشكروا .

٢٠ (١) في الأصل : « والمعجب » في هذا اللّوحن وللّوحن منه .



- والمعجب كيف رأوا<sup>(١)</sup> تفضيل عليّ على أبي بكرٍ وعمر مديحاً له .  
 وإنما كان يكون عليّ<sup>٥</sup> مالياً رقيقاً متقدماً زاهداً عالياً سائساً أن لو كان  
 أفضلَ من فضلاء ، وأعلمَ من علماء ، وأعقلَ من عقلاء ، وأزهدَ من  
 زُهّادٍ ، وأسْوَسَ من ساسة . فأما أن يكون أفضلَ من أخصّ الناس ،  
 وأزهدَ من أرغب الناس ، وخيراً من شرّ الناس ، وأعلمَ من أجهل  
 الناس ، فليس في هذا التّفضيل دَرَكٌ فيتكلفه متكلف ، ويقوم به قائم .  
 والمعجب من رجلين بينهما هذا التفاوتُ والقبائُن ثم شهد التّكلمين<sup>(٢)</sup>  
 من سمهما يتنازعا فيهما ، فيحسب الحاضر أن شرّها خيرها ، وهو  
 الأريب الأديب النّاهب مع التصارف عن التناكر . وكيف التّبس الأعرُ  
 وأشكل أن لم يكن الأعرُ مشكلاً ملتبساً .  
 ١٠ وكيف يجوز أن يكون أبو بكر لم يزل كافراً ، أو يكون كُفر بجمعه  
 إمامة على وكُفر منه المهاجرون والأنصار ، وقد أجمع أصحابُ الأخبارِ  
 ومُحال الآثار أن النبي صلى الله عليه قال : « إن من أمّتي سبعمائة ألفاً  
 يدخلون الجنة بغير حساب » ، فقام عكاشة بن محمّن فقال : يا رسول الله ،  
 ١٥ دعه الله يحملني منهم . قال : أنت منهم . فقتل مع خالد بن الوليد يوم بُرّآخة  
 في إمرة أبي بكرٍ وطاعته والإقرار بخلافته ، قتله طليحة بن خويلد  
 الأسدي . فكيف يجوز أن تكون إمامة أبي بكر مَعْصيةً فضلاً على أن  
 تكون كفرًا والقتولُ في طاعته والنفاذُ لأمره من أهل الجنة .  
 ثمّ تزم الزّوافض أن الدليل على أن عليّاً كان المحقّ دون طليحة  
 والزبير ، أن النبي صلى الله عليه [ قال ] وذُكر زيد بن سُوَاحن : « زيد  
 ٢٠

(١) في الأصل : « ماوا » .

(٢) كذا وردت هذه العبارة

وما زيد ! يسبقه عضوٌ منه إلى الجنة . فقتل يومَ الجمل . فجعلوا الدليل على صواب عليٍّ في قتاله أنَّ زيداً قُتل في طاعته .  
 قيل لهم : ففي قول النبي « يسبقه عضوٌ منه إلى الجنة » دليلٌ أنَّ ذلك المعضومَ يسبق إلى الجنة إلاَّ وقد قُطِعَ في طاعة الله . وقد اجمعا أن يده قُطِعَ يومَ نهاوند ، في طاعةٍ مر .

وهذا بابٌ كبير إنَّ تتبعه متبَّع ، ولكننا أردنا أن ندلَّ على جميع الأبواب في تفضيل الشيعيين ، ونفى التنقُّص عنهما<sup>(١)</sup> .  
 وإن سأل سائل فقال : هل على الناس أن يتَّخذوا إماماً وأن يُقيموا خليفة ؟

١٠ قيل لهم : إن قولكم « الناس » يحتمل العامة والعامة . فإن كنتم قصدتم إليهما ، ولم تفضيلا بين حالتهما ، فإننا نزم أن العامة لا تعرف معنى الإمامة وتأويل الخلاف ، ولا تفصيل بين فضل وجودها ونقص عدسها<sup>(٢)</sup> ولأى شيء ارتدَّت ولأى أمر أملت ، وكيف مأتاها والسييلُ إليها . بل هي مع كل ربح تهب ، وناشئة تنجم<sup>(٣)</sup> ، ولعلها بالباطلين أقرت مينا [منها]<sup>(٤)</sup> بالحقين .  
 ١٥ وإنما العامة أداة للخاصة ، تبتذلها للمهن ، وزجَّت بها الأمور ، وتطول<sup>(٥)</sup> بها على المدو ، وتسدُّ بها الثفور . ومقام العامة من الخاصة مقام جوارح الإنسان من الإنسان ؟ فإن الإنسان إذا فكَّر أبصر ، وإذا أبصر عزم ،

(١) بعد هذه الكلمة يبدأ اختيار جديد في نسخة المصحف البريطاني الرموز إليها بالرمز (ب) وسأبه على نهايته من بعد .

(٢) في الأصل : « مزها » ، صوابه في ب .

(٣) في الأصل : « واسمه عشق » وأثبت ما في ب .

(٤) الكلمة من ب .

(٥) ب : « تصول » .

وإذا هزم تحرك أو سكن وهذا<sup>(١)</sup> بالجوارح [ دون القلب . وكما أن الجوارح<sup>(٢)</sup> ] لا تعرف قصد النفس ولا تزوي في الأمور ، ولم يُخرجها ذلك من الطاعة للتعزم ، فكذلك المأمّة لا تعرف قصد القادة<sup>(٣)</sup> ولا تدبير الخاصة ، ولا تزوي معها ؛ وليس يخرجها ذلك من طاعة عزما ، وما أبرمت من تدبيرها .

والمجوارح والتواثم وإن كانت مستخيرة ومدبرة فقد تمتنع للملئ تدخلها ، وأمور تصرفها ، وأسباب تنقضها<sup>(٤)</sup> ، كاليد يمرض لها الفالج ، واللسان يمتري الخرس ، فلا تدير النفس على تسديدها وتقويمها ، ولو اشتد عزما وحسن تأنيها ورقها . وكذلك المأمّة عند نفورها وتهيجها<sup>(٥)</sup> وغلبة الهوى والشغف عليها ، وإن حسن تدبير الخاصة وتمهد الساسة . ١٠ غير أن معصية الجارحة أبسر ضرراً وأهون أمراً ، لأن المأمّة إذا انكفت<sup>(٦)</sup> بالخاصة وتنكرت للقادة ، وتشرذمت على الرأسة<sup>(٧)</sup> كان التوار الذي لا حيلة له ، والفناء الذي لا بقاء معه .

وسلاح الدنيا وتام النعمة ، في تدبير الخاصة وطاعة المأمّة ، كما أن كمال المنفعة وتام ذكر الحاجة<sup>(٨)</sup> بصواب قصد النفس وطاعة الجارحة ، ١٥

(١) في اللسخين : « وما » .

(٢) التكلة من ب .

(٣) في الأصل : « المادة » وب « المامة » والوجه ما أثبت .

(٤) في اللسخين : « ينقضها » .

(٥) ١ : « نفورها وتهيجها » .

٢٠ (٦) كنا في اللسخين ، لها « نكتت » .

(٧) الراسة : جمع رائس . تشرذت : نصبت . والكلمة مهلة في الأصل . وفي ب

« تفرقت » تحريف .

(٨) في الأصل : « الحاجة » سواء في ب .

لأنَّ النفس لو أدركت كلَّ بُنية ، وأوفت على كلِّ غاية ، وضحت كلَّ مستغنى ، واستتارت كلَّ دفين ، ثم لم يُطمعها اللسانُ بحسن المِباراة ، واليدُ بحسن الكتابة ، كان وجود ذلك المستنبت — وإن جُلَّ قدره وعظم خطره — [ وعدمه <sup>(١)</sup> ] سواء .

٥ فلخاصةً يحتاج إلى المائة كحاجة المائة إلى الخاصة . وكذلك القلب والجراحة . وإنما المائة جُنة للدفع ، وسلاحٌ للقطع ، وكالتُّرس للرأى ، والفأس للتجار . وليس مضمًى <sup>(٢)</sup> سيف صارم بكفٍّ امرئٍ صارم بأمضى من شجاعٍ أطاع أميره وقَلدَ إمامه أو ما كَلَبُ أشلاء ربُّه وأحشمه كَلَابُه ، بأفرط تنزُّقا <sup>(٣)</sup> ولا أسرعَ هُدُماً ، ولا أشدَّ نهوراً ، من جنديٍّ أفراه طمعه ، وصاح به قائده .

١٥ وليس في الأعمال أقلُّ من الاختيار ، ولا في الاختيار أقلُّ من الصواب ، فلُبابُ كلِّ عملٍ اختياره ، وصفوة كلِّ اختيار صوابه ، ومع كثرة الاختيار يكثر الصواب . فأكثر الناس اختياراً أكثرهم صواباً ، وأكثرهم أسباباً موجبة أقلهم اختياراً ، وأقلهم اختياراً أقلهم صواباً .

١٥ فإن قالوا : فقد ينبغي للموامَّ ألا يكونوا مأمورين ولا منهيين ، ولا حاصنين ولا مُطيعين .

قيل لهم : أنَّا فيما يعرفون فقد يطيعون ويمصون .

فإن قالوا : فما الأمر الذي يعرفون من الأمر الذي يجهلون ؟

٢٠ (١) التكلة من ب .

(٢) في الأصل : « يحضى » ، صوابه في ب .

(٣) ب : « نزقا » .

قيل : أما الذي يعرفون فالتنزيل المجرّد بنفي<sup>(١)</sup> تأويله ، ومُجلة الشريعة بنفي تفسيرها ، وما جلّ من الخبر واستفاض ، وكثُر تردّده على الأسماع ، وكُرُورُهُ على الأفهام . وأما الذي يجهلون فتأويل المنزّل ، وتفسير الجمل ، وقامض الشئ التي حملتها<sup>(٢)</sup> الخواصّ عن الخواص من حلة الأثر ، وطلّاب الخبر ، مما يتكلّف معرفته ويتتبّع في مواضعه ، ولا يَهْجُم على طالبه<sup>(٣)</sup> . ولا يقهر سمح القاعد عنه .

والخبر ، خبران : خبر ليس للخاصة فيه فضلٌ على العامة ، كالصلوات الخمس ، وصوم رمضان ، وغُسل الجنابة ، وفي المائتين خمسة<sup>(٤)</sup> . وخبرٌ تفضّل فيه الخاصة العامة ، وهو كما سنّ الرسول في الحلال والحرام ، وأبواب الفضاء<sup>(٥)</sup> والطلاق ، والمناسك ، والبُيوع ، والأشربة ، والكفّارات وأشباه ذلك .

وبابٌ آخر يجهله العوامُ ويخبط فيه الخشو ، ولا تشمر بمَجْرَها<sup>(٦)</sup> و[لا] موضع دأبها<sup>(٧)</sup> . ومتى جرى سببُه أو ظهر شيء منه تسنّمت أَعْلَاهُ ، وركبت حَوْمَتَهُ<sup>(٨)</sup> ؛ كالكلام في القدر والتشبيه ، والوعد والوعيد ،

١٥

(١) في الأصل : « يد » ، صوابه في ب .

(٢) في الأصل : « جهلتها » ، صوابه في ب .

(٣) أي يسهل فهمه . ب : « يسهل » ، تحريف .

(٤) يشير إلى الزكاة .

(٥) هذا ما في ب . وفي الأصل : « الفضل » .

٢٠

(٦) ب : « يسرها » .

(٧) التكلفة السالفة من ب ودأبها في الأصل : « ذاتها » وفي ب « دأبها »

والوجه ما أثبت .

(٨) في الأصل : « حرمة » ووجهه من ب .

لأنّها قد تحجّم<sup>(١)</sup> [من] دموع الفُتيا ، ولا تنهات فيها ، [ولا] تتسكّع  
فيها لا يعرف منها<sup>(٢)</sup> ، ولا تستوحش من الكلام في [التعديل والتجوير ،  
ولا تفرغ من الكلام في<sup>(٣)</sup>] الاختيار والطّباع ، وجميـء الأخبار<sup>(٤)</sup> وكلّ  
ما جرى سببه من دقيق الكلام وجليله في الله وفي غيره .

• ولو برز<sup>(٥)</sup> عالمٌ على جاذبةٍ منهجٍ وقارعةٍ طريق ، فنازعٌ في اللّحو  
واحتجّ في العروض ، وخاض في الفُتيا ، وذكر النّجوم والحساب ، والطبّ  
والهندسة ، وأبواب الصّناعات ، لم يمرض له ولم يُفانحه إلّا أهل  
هذه الطبقات .

ولو نطقَ بحرفٍ في القدر حتّى يذكر العِلْمَ والمشيمة<sup>(٦)</sup> ، والاستطاعة  
والتكليف ، وهل خلق الله الكُفْرَ وقدره ؟ أو لم يخلقه ولم يقدره  
لم يبقَ سَمالٌ أغتر<sup>(٧)</sup> ولا يطاف<sup>(٨)</sup> غثٌ ، ولا خاملٌ غفلٌ ، ولا غيٌّ  
كهامٌ ، ولا جاهلٌ سفيهٌ ، إلّا وقفَ عليه ولاخاهُ ، وصوّبه وخطّاه ؛  
ثمّ لم يرضَ حتّى يتولّى من أَرْضاه ، ويكفرّ من يُخالِفُ هواه . فإنْ  
جاراه محقّقٌ ، أو أغلظَ له واعظٌ ، واتفقَ أن يكون بحضرته أشكاله ، استموى  
أمثاله<sup>(٩)</sup> فأشعلوها فتنةً ، وأضرموها ناراً .

(١) ب : « هزّت » . والتكلمة التالية من ب .

(٢) التسكّع : أن يعفى متصفاً للبر وجهه . ب : « ولا تسع » .

(٣) التكلمة من ب .

(٤) ب : « الآثار » .

(٥) في الأصل : « ولم رد » ، صوابه من ب .

(٦) هنا ما في ب . وفي الأصل : « التشبيه » .

(٧) الأغتر . لاحق الجاهل .

(٨) كذا في ب ، والحرف الأول بهل في الأصل .

(٩) استعواهم : نفق بهم إلى الفتنة .

فليس لمن كانت هذه صفته أن يتَّحيزَ مع الخاصة . مع أنه لو حَسُنَتْ  
نِيَّتُهُ لم تحتمل فطرته معرفة الفُصول وتمييز الأمور .

فإن قالوا : ولعلهم لا يعرفون الله ورسوله كالأعرفون عدله من جوره ،  
وتشبيهه بخلقه من نفى ذلك عنه ، وكذا لا يعرفون [ القرآن <sup>(١)</sup> ]  
تفسير <sup>(٢)</sup> مجله ، وتأويل منزله .

- قيل لهم : إنَّ قلوب البالغين مسخرة لمعرفة ربِّ المالين ، ومحوكة  
على تصديق المرسلين ، بالتنبية على [ مواضع <sup>(٣)</sup> ] الأدلة ، وقصر النفوس  
على الروية ، ومنها [ من <sup>(٤)</sup> ] الجولان والتصرف ، وكل ما ربَّت من  
التفكير <sup>(٥)</sup> ، وشغل عن التحصيل ، من وسوسة أو زراع شهوة ؛ لأنَّ  
الإنسان ما لم يكن متوهاً أو طفلاً فحجوجٌ على ألسنة المرسلين عند جميع  
السلين ، ولا يكون عجوجاً حتى يكون عالماً بما أمر به ، عارفاً بما  
نهى عنه ، لأنَّ من لم يعلم في أي الضرين سخط الله وفي أي اللومين  
رضاه ، ثم ركب السخط أو أتى الرضا ، لم يكن ذلك منه إلا على  
الاتفاق . وإنما الاستحقاق مع القصد ، والله يتعالى أن يماقب من لم يرد  
خلافه ولم يعرف رضاه ، أو يحمده من لم يثمد رضاه ولم يقصد إليه .  
ولم يكن الله ليمدّل صلته ويسوى أداته <sup>(٦)</sup> ، ويفرق بينه وبين  
النقص في بنيته وتركيبه ، إلا ليفرق بين حاله وحال الطفل والمتوه .

(١) التكملة من ب .

(٢) هذا ما في ب . وفي الأصل « شئ » .

(٣) ربه من العي : حبه وصرفه في اللسنتين : « على التفكير » ، تحريف .

(٤) ب : « آكابه » تحريفه .

وليس للمعرفة وجهٌ إلا لتبصيره<sup>(١)</sup> وتخييره ، ولولا ذلك لم يكن للذى خُصَّ به من الإبانة ، وتعديل الصُّنعة ، وإحكام البنية<sup>(٢)</sup> معنى . والله يتعالى عن فعل مالا معنى له .

وفى قول الله : « وما خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » دليلٌ على ما قلنا .

وليس لأحدٍ أن يُخْرِجَ بعضَ الجنِّ والإنسِ من أن يكون خُلِقَ للمعبادةِ إِلَّا بحجةٍ . ولا حجةٌ إِلَّا فى عقلٍ ، أو كتابٍ ، أو خبرٍ .

فإن قالوا : فإن كان الله إنما أبانهم بالتعديل والتسوية للمعبادة والاختيار مع الأمة فحكمهم<sup>(٣)</sup> حكم المسلمين المتعبدين . وإنما الإمام إمام المسلمين والمتعبدين .

قلنا : إنما يلزم الناس الأمر فيها عرفوا سبيله ، وليس العوامُ خاصةً معرفةً بسبيل إقامة الأئمة فيلزمها<sup>(٤)</sup> أمرٌ ، أو يجرى عليها نهى .

والعامة وإن كانت تعرف مجمل الدين بقدر ما معها من العقول فإنها لم يبلغ من قوَّةِ عقولها وكثرةِ خواطرها أن ترتفع إلى معرفة العلماء ، ولم تبلغ من ضعفِ عقولها أن تنحطَّ إلى طبقةِ المجانين والأطفال .

وأقذار طبائع العوامِ والخواصِّ ليست بمجهولةٍ فنحتاج إلى الإخبار عنها بأكثر من التنبيه عليها ، لأنكم تعلمون أن طبائع الرُّسل فوقَ طبائع

(١) فى الأصل : « وليس المعرفة وجه إلا لتبصيره » صوابه فى ب .

(٢) فى الأصل : « وتحكيم البنية » ، صوابه فى ب .

(٣) فى النصين : « وحكمهم » .

(٤) فى الأصل : « الأمة فيلزمها » ، صوابه فى ب .



الخلفاء ، وطبائع الخلفاء فوق طبائع الوزراء ، وكذلك الناس على منازلهم من الفضل ، وطبقاتهم من التركيب في البخل والسخاء ، والبكدة والدكاء ، والقدر والوفاء ، والجبن<sup>(٢)</sup> والنجدة ، والجزع [ والصبر<sup>(٣)</sup> ] والعيش والحلم ، والكبر والتثبي ، والحفظ والنسيان ، والى والبيان .

- ولو كانت المائة تعرف من الدين والدنيا ما تعرف الخاصة كانت العامة خاصة ، وذهب التفاضل في المرفة ، والتباين في البنية . ولو لم يختلف بين طبائهم لسقط الامتحان وبطل الاختبار ، ولم يكن<sup>(٤)</sup> في الأرض اختيار . وإنما خولف بينهم في الفرزة ليصبر صابر ، ويشكر شاكرك ، وليتفقوا على الطاعة . ولذلك كان الاختلاف هو سبب الائتلاف<sup>(٥)</sup> .

- ١٠ ويقال لهم عند ذلك : إنكم قد أكثرتم في أمر المواتم ، وخطئتم في الحكم عليهم ، فررة تزعمون أننا نكذب عليهم حين نزم آتهم غير محجوجين ، لأنهم بزعمكم لا يفصلون بين الأمور ، ولا يفرقون بين الكاذب المحتال وبين الصادق الحق . وجعلتم الدليل على ذلك أنكم اعترضتموهم بزعمكم فسألتموهم عن الدليل والحجة ، والفرق والملة ، فلم يجدوهم يشعرون بما<sup>(٦)</sup> يلزم فيها ولا يعرفون بابها ، وكيف الكلام فيها . ١٥

(١) البلدة ، يفتح الباء وضما ، والبلادة أيضا : ضد النفاذ والدكاء . وللضاء في الأمور .  
ب : « البلادة » .

(٢) في الأصل : « والحمر » مع الإجمال ، صوابه في ب .

(٣) التكله من ب .

(٤) في الأصل : « ولو لم يكن » ، صوابه في ب .

(٥) إلى هنا ينتهي هذا الاختيار الأخير في نسخة (ب) . وتنفرد لسختنا هذه بالنس .

(٦) في الأصل : « لما » .

وإنّا معشر أصحاب المعرفة قد تعمّدنا الكذب عليهم ، حين زعمنا أنهم يعرفون ذلك ، ويفرّقون بين معانيه . ومرتّة تزعمون أنهم يعرفون ما يعرفه الخواصّ والعلماء ، ويعلمون ما يعلمه المتكلمون والفقهاء ، من إقامة الأئمة وعقد الخلافة . فرتّة يخرجونهم من جميع المعرفة ، ومرتّة يحملونهم في غاية المعرفة . وأعدل الأمور في ذلك وأقسطها أن تزعموا أنهم يعرفون مجمل الشرائع الظاهرة الجلية<sup>(١)</sup> ، ومجمل السّنن الواضحة المستفيضة ، ويجهلون تفسير مجملها وتأويل منجزها ، وكل منصوص لم<sup>(٢)</sup> يظهر كظهور الحجج ، ولم يُشهر كشهرة<sup>(٣)</sup> صوم رمضان ، وغسل الجنابة ، ومحريم الخمر والخنزير والميتة والدم . ولكنّ دعونا جانباً ، واضربوا عمّا نقول صفحاً ، وقرّوا جميع القولين

١٠ لتعاون عليهما ، فأيهما كان أثبت على الامتحان ، وأنفى للقدى ، وأحسن منزى ، وأجد على الآيات . وأصبح على التقلب ، دناً به ، وحامينا عليه ، وتقربنا به ، وآثرناه على ما سواه .

على أنّا لا نستملى حقّ ذلك وصدقه إلّا منكم ، ولا نحتجّ عليكم إلّا بما تقرّون به على أنفسكم .

١٥ خبرونا عن العوامّ : هل يخلو أمرهم من أن يكونوا محجوبين أو غير محجوبين ؟ فإن كانوا غير محجوبين فقد دخلوا في أكثر ممّا عابوا . وإن كانوا محجوبين فهل تخلو الحجة التي بها قطع الرسول عندهم من ضربين : إمّا أن تكون المعرفة يصدق الرسول وفصل ما بينه وبين

(١) في الأصل : « الجلية » .

(٢) في الأصل : « ولم » .

(٣) في الأصل : « كمشهور » .

التلبي كما قول . وإما أن تكون الحجة في الدليل على المعرفة ،  
وليست بالمعرفة .

فإن زعموا أن الحجة هي المعرفة فقد وافقوا وأصابوا . وإن زعموا  
أنها الدليل على المعرفة فليخبرونا عن ذلك الدليل ما هو ؟

فإن قالوا : هو كلام الدُّب<sup>(١)</sup> وحنين المود<sup>(٢)</sup> ، وإظلال النامة<sup>(٣)</sup> ،  
وقصة الميضة<sup>(٤)</sup> ، وخذ الشجرة<sup>(٥)</sup> ، وكلام الدراع<sup>(٦)</sup> ، وعجز الشعراء عن  
تأليف القرآن ، والبشارات برسائته في الكتب .

قلنا : قد صدقتم فيما ذكرتم من هذه الآيات والأعاجيب ، ولكن

(١) هو دُب أهبان بن أوس الصحابي . قالوا : كله الدُّب ويعره بالرسول . انظر  
حواشي الميوان ٣ : ٥١٣ .

(٢) انظر لحنين الجذع سيرة ابن سيد الناس ١ : ٢٣٩ - ٢٤١ . وجاء في الحديث أن  
الذي صلى الله عليه وسلم كان يصل في أصل أسطوانة جذع في مسجده ، ثم تحول إلى أصل  
أخرى ، فحنت إليه الأولى ومالت نحوه ، حتى رجع إليها فاحضنها وسكنت .  
وفي حديث آخر أنه كان يصل إلى جذع في مسجده فلما حمل له المنبر سعد إليه ، فحن الجذع  
إليه ، أي تزعم واحتاق . انظر اللسان ( حتن ) .

(٣) كان ذلك ليا يروون في رحلة إلى الشام . السيرة ١٢٠ جوتجن .  
(٤) الميضة : الإناء يتوضأ منه . وهو إغارة إلى ماورد من أنه صلى الله عليه وسلم أتى  
بقدح فيه ماء فوضأ أصابعه في القدح فلم يمس ، فوضأ أربعة منها وقال : هلموا . فتوضؤوا أجمعين  
وهم من السبعين إلى الثمانين . سيرة ابن سيد الناس ٢ : ٢٨٨ .

(٥) الحد : الفخ . في الأصل : « وخذ البقرة » تحريف ، وفي سيرة ابن سيد الناس  
٢ : ٢٨٦ : « ونام فجاءت شجرة تفق الأرض حتى قامت عليه فلما استيقظ ذكرت له فقال :  
هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلم على فأذن لها » .

(٦) هو ذراع الشاة التي أحسها إليه زينب بنت الحارث ، امرأة سلام بن مسكم . وكانت  
أكثرت له من الدم في الذراع فتناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يشفها ثم قال : « إن هذا  
المظم ليخبرني أنه مسوم » . السيرة ٧٦٤ - ٧٦٥ .

[ لا ] تخلو عقولُ العوام من أن تكون قد عرفت هذا كله وأقرت به ،  
أو لم تعرفه ولم تقرّ به ، ولم تُودع العلم بصحة حجته .  
فإن زعموا أنها لم تعرف ذلك ولم تقرّ به ، قيل لهم : فن أين  
زعمتم أن الحجة لهم قاطمة ، والفريضة لهم لازمة ، ولم يعرفوا الحق  
ولا الدليل عليه .

• وإذا كانت المعرفة لا تستطاع إلا بالدليل ، والدليل معدوم ، والتكليف  
لازم ، فقد كلّفوا ما لا يستطاع ، ولم يصنع الكلام بيننا وبين الجبرية .  
وإن كان الله قد قرّر<sup>(١)</sup> عقولهم بالآيات ، وعرفهم صدقها وصحة حجتها ،  
فإنما الفرق بيننا وبينهم أننا زعم أن العاقل إذا كان قد جرب بعض  
التجربة أنه لا يمتنع من تصديق من أحيا الموت ، وأبرأ الأكف ، وفلق  
البحر ، وأطلق السباع . وأنتم زعمون أنه يمتنع ، ويجوز أن يعتقد أنه  
أكذبُ المالين وأبطلُ الباطلين ، مع ما أراه<sup>(٢)</sup> من عظيم البرهان وعجيب  
الآيات . ولعل قوم موسى كلما زادهم موسى آيةً وأردفها بسلامة ،  
ازدادوا جهلاً بصدقه<sup>(٣)</sup> ، واستبصاراً في تكذيبه .

١٥ وكيف يستطيع ذلك من سمحت فطرته ، وقد جرب من أمور الدنيا  
بعض التجربة ، وعرف ما يحدث في المادة وغير المادة .

وإن كانت المامة قد قرّرت بأعلام الأنبياء ، وعرفت الآيات كما  
زعمتم ، فقد كان ينبغي لنا إذا سألناهم عن صدقها وصحة حجتها وإن لم  
نفصل بينها وبين رجلة البطل ، أن يخبرونا عنها ويؤثروا لنا أمرها . فإلنا

٢٠ (١) في الأصل : « قدر » . وانظر ص ٢٦١ ص ٦ .

(٢) أى ما أراه إياه عي الموت ومبرئ الأكف .

(٣) في الأصل : « فصدقه » .

إذا سألناهم لم يزعمهم يعرفونها ، ولا يحصلون مجيئها ، ولا يخبرونا عن صدقها .  
فإن كان لكم أن تقضوا على المائة بالجهل بين النبي والتنبي ، لأنهم  
لم يزعمهم يحسنون الفروق ، ويفصلون بين الأمور ، فقد يبنى لنا أيضاً  
أن نقضى عليهم بالجهل ، وأنهم لم يعرفوا الدلالة ، ولم يقرروا<sup>(١)</sup> بشيء  
من الآيات والأحاديث .

فإذا كان القوم عندكم معجوجين قد قرروا وعرفوا ، ونحن لا نجد  
عندهم على المسألة من ذلك شيئاً ، وجاز لكم أن تزعموا ما زعمتم ،  
فإن لا يجوز لنا أن نزم أنهم [ كانوا ] عارفين وإن لم نجد ذلك عندهم  
على المسألة .

- ١٠ ولولا أني قد ذكرت هذا الباب مفسراً في « كتاب المعرفة » لأخبرت  
من أي وجهة جاز أن يكون بعض العارفين لا يخبر عن كل ما في نفسه  
ومن أين امتنع ذلك عليه .

فإن قالوا : قد فهمنا قولكم في المائة فما قولون في الخاصة ؟  
فهل كلّفها الله ذلك أم لم يكلفها كما لم يكلف المائة ؟ وفي ذلك سقوط  
التكليف من الجميع .

- ١١ قلنا : بل قول : إن على الناس إقامة الإمام ، زيد الخاصة .  
ولا قول أيضاً إن على الخاصة إقامة الإمام إلا على الإمكان .

فإن قالوا : وما سبب حجب الخاصة وإمكانها ؟

قلنا : من ذلك أن تكون المائة عليها مع جُند الباغي<sup>(٢)</sup> التثلب .

(١) في الأصل : « لم يروا » . قرره بالحق : حمله على الإقرار به والاعتراف .

(٢) في الأصل : « السامي » : وانظر ما سيأتي من ٢٦٤ س ٣ .

فإن قالوا : فهل يلزمها فرض الإقامة إذا كانت المائة كافةً من  
المون عليها .

قلنا : قد يلزمها في ذلك ولا يلزمها في أخرى .

وإن قالوا : ففي أية الحالين يلزمها ؟

٥ قلنا : إذا كان المستحق للإقامة والمستوجب للخلافة معروفَ الموضع ،  
مكتشفَ الأمر ، وكانت الثقة عنها زائلة .

فإن قالوا : وكيف لا تكون الثقة عنها زائلةً ، وهي على حالٍ أكثر  
عدداً من جند التئلب والباقي ، والمائة كافةً ممسكةٌ لها ولا عليها .

قلنا : إنه ليس في حال أكثر عدداً . فإذا كانوا أكثرَ عدداً  
١٠ وكانت الثقة زائلةً ، فعليه إقامة .

فإن قالوا : فلم جعلتم لهم الثقة ، وأسقطتم عنهم الفرض في الحال التي  
م فيها أكثر عدداً ؟

قلنا : لأسباب ، منها أن العدو إذا كان مُعدداً ، ذا سلاح وعتاد  
وكُراع ، وكانوا على هيئةٍ وأمرهم جميعٌ ، فقليلٌ مجتمعٌ أكثر من  
١٥ كثيرٍ نثر<sup>(٢)</sup> . مع أن مهمهم أنفذَ السلاحين ، وأوفر المتادين : الضرا<sup>(١)</sup>  
والذوبة ، وحسن التدبير والمعرفة ، بطول المارسة وكثرة الحاجة .

ومنها أن الخاصصة وإن عرفت موضع المستحق ، وظهر لها المستوجب ،  
وكانوا أكثر جهاحاً ، فكل واحدٍ منهم على ثقةٍ من محل صاحبه<sup>(٣)</sup> به  
وخذلانه له . ولا بد ، مادامت الثقة ، من التواكل والتخاذل ، وإن

٢٠ (١) ضرى بالقيء ضرا : لمج به وصار عادة له .

(٢) اللصر : التفرق . (٣) الخلل والهمال : السكر والكيد .

اتَّفَقَ رَأْيُ الْجَمِيعِ فِي الْمُنِيبِ عَلَى النُّصْرَةِ . وَلَيْسَ يُنْتَفَعُ بِاتِّفَاقِ أَهْوَائِهِمْ  
مَالِمَ يَتَشَاوَرُوا<sup>(١)</sup> .

فَإِنْ قَالُوا : إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَصِفُونَ وَجَبَ إِلَّا يَفِيمُوا إِمَامًا أَبَدًا ؛  
لَأَنَّهُمْ كَمَا لَا يَنْفَكُونَ مِنَ التَّقِيَّةِ ، كَذَلِكَ لَا يَنْفَكُونَ مِنَ التَّخَاذُلِ .

- قلنا : ليس الأمر كما تقولون ، لأنَّ تَقِيَّةَ بَعْضِ الْخَاصَّةِ لِبَعْضٍ قَدْ  
تَزُولُ بِأَسْبَابٍ كَثِيرَةٍ : مِنْهَا أَنْ تَسُوهُ سِيرَةُ التَّسَلُّطِ الْبَاغِي فِيهِمْ وَيَفْحَشَ  
جَوْرُهُ ، وَيَكْثُرَ تَمْضِيهِ<sup>(٢)</sup> وَاسْتِثْنَاؤُهُ وَتَهْرَهُ ، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ إِحْرَاجًا  
لَهُمْ<sup>(٣)</sup> وَسَبَبًا لِلْكَلَامِ وَالشُّكَايَةِ وَالتَّلَاقِ ، لِأَنَّهُمْ قَدْ دُمُّوا بِالْإِحْرَاجِ مِمَّا  
لِيَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُخْرَجِينَ يَتَّكِلُ عَلَى رَأْيِ سَاحِبِهِ ، لِمَلَمَةِ بِالَّذِي  
لَقِيَ مِنَ الْمَكْرُوهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، مِنْ تَوَرُّانِ النَّفْسِ وَتَهْيِيجِ الطَّيْبَةِ . فَلَا  
يَزَالُ بِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى يَتَّفِقُوا فِي الظَّاهِرِ كَاتِفَاتِهِمْ فِي الْبَاطِنِ ، إِذْ كَانَ  
الْإِحْرَاجُ قَدْ شَمِلَهُمْ وَتَمَّهَمَ ، وَبَلَغَ أَقْصَاهُ يَمَدَّ أَدْنَاهُ . وَعِنْدَ التَّلَاقِ  
تَرْدَادِ النُّفُوسِ حِمِيَّةً وَغَيْبِهَا بِصِيرَةً . فَإِذَا تَبَاثُؤًا وَتَكَاشَفُوا وَشَاحَ ذَلِكَ  
مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَتَهَيَّرَ مِنْ أَمْرِهِمْ ، عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ قَدْ ظَهَرَ لِعَدُوِّهِمْ ،  
وَالْتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ . فَإِذَا عَلِمُوا ذَلِكَ عَلِمُوا أَنَّهُمْ قَدْ لَحِقُوا فِي الْحَرْبِ ،  
وَنَشِئُوا فِي النَّاصِبَةِ . فَإِذَا عَلِمُوا ذَلِكَ لَمْ يَجِدُوا بَدَأًا مِنْ يَدْلِ الْمَالِ ،  
وَإِعْطَاءِ الْحَمْدِ . وَإِنَّمَا هِيَ أَسْبَابُ تَرَامَى ، وَعِلَلٌ تَدَاعَى ، وَأُمُورٌ تَهْيِجُ  
أُمُورًا ، وَأَسْبَابُ تَوْجِبِ أَفْعَالًا ، فَمِنْدَ ذَلِكَ تَمَكَّنَ الشَّدَّةُ ، وَيَجِبُ الْفَرَضُ .

(١) فِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ مَادَّةُ ( هَمْ ) : « وَتَقُولُ : بَيْنَهُمَا مَعَاشَرَةٌ وَمَعَاشَرَةٌ » .

(٢) التَّمْضِيْلُ : أَنْ يَضِيقَ عَلَيْهِ وَيَحْوِلَ بَيْنَهُ وَيَبْنِي مَا يَرِيدُ . وَفِي الْأَصْلِ « تَمْطِيلُهُ » ، تَحْرِيفٌ . ٢٠

(٣) فِي الْأَصْلِ : « إِخْرَاجُهُمْ » .

ومدار الأمر على الإيمان ، فحق بطل بطل الفرض ، ومتى وُجِدَ  
وُجِدَ الفرض .

وربما كان سببُ نكاشفهم ما يرفون من ضَمَفِ جُنْدِ الباغى عليهم ،  
والستيدَّ عليهم بأمرهم<sup>(١)</sup> .

• واضعفهم أسبابٌ : فربما كان لاختلاف يقع بينهم ، وربما كان لمدوِّ  
يدهم وينازعهم مُلكهم ، وربما كان لخلل<sup>(٢)</sup> يدخل عليهم ، والرقَّةُ تصيبهم ،  
من موت أعلامهم ، أو قتل قوادهم ، وربما كان لضعف رأى مدبرهم  
وسياسة سائسهم<sup>(٣)</sup> ، أو موت قيَّهم .

فهذا وأشباهه تنكَّش الفئاس ، وتظهر على السنهم ضمائرهم ، وتبدو  
١٠ أسرارهم ، ونفوسهم من قبل ذلك حنَّةٌ عليهم ، متديَّنةٌ بخلمهم والاستبدال  
بهم ، وإنما أمسكت عن الإنكار وأظهرت التسليمَ ربما تجد فرصةً  
وترى خلَّةً ، ويستجمع الأمرُ ، وتزولُ النقيَّةُ . مع أننا نعلم أنَّ المأمَّةَ  
أسخفُ أحراراً وأخفُ حركةً ، وأشدُّ طيشاً ، أن تؤثر الكفَّ والمزلة والتسليم  
والهوانة ، عند حرب الحقِّين والتسلُّطين . ولو كانت تطيق ذلك ويموز عليها  
١٥ ما كانت المأمَّةُ بمأمَّةٍ ، ولكانت المأمَّةُ خاصَّةً . ولكنَّا أجبنَّا على قدر  
مجرى المسألة .

وإنما البليَّةُ العظمى والذهابية الكبرى ، أن تناز المأمَّةُ حتى يصير  
بعضها مع الخاصَّة ، وبعضها مع البُناة والظلمة .

(١) في الأصل : « أمرهم »

٢٠ (٢) في الأصل : « وإنما كان لخلل » ، تحريف .

(٣) في الأصل : « وساء » .



والجلة أنهم متى أفروا لدوهم<sup>(١)</sup> وأمكنهم منهم ، والرجل المستحق  
ظاهر لهم معروف عندهم ، فليهم إقامته والدفع عنه .  
فإن قالوا : ومن لهم بمعرفة الرجل الذي لا يمهده<sup>(٢)</sup> ؟

قيل : إنه ليس على الناس أن يصنموا المعرفة ، وإنما هليهم إذا عرفوه .  
واستطاعوا إقامته أن يقيموه . ولابد للناس أن يقوم<sup>(٣)</sup> فيهم — إذ فرض  
ذلك عليهم — رجل يصلح لجباية خراجهم ، وإقامة صلاتهم ، وسد ثغورهم  
وتنفيذ أحكامهم .

فإن قالوا : فكيف تعرفون فضله ولم يتقابلوا بينه وبين غيره ، وأهل  
الفضل كثير ، والفضل ممنون<sup>(٤)</sup> مستفيض ؟

قيل : كما بان عند المعتزلة عمرو بن عبّيد ، وكما بان الحسن بن حمّ<sup>(٥)</sup> .  
عند الزيدية من بينها ، وكما بان مرداس بن أدية عند جميع الخوارج من بينهم ،  
وكما علمت من حال قيلان بدمشق ، وحال عبد الله بن المبارك بخراسان .  
وليس أن المعتزلة اجتمعت من أقطار الأرض فقالت نعم جميعها<sup>(٦)</sup> ،  
ولا وضعت فيه شورى ، ولا تساوى<sup>(٧)</sup> منهم نفر فاحتاجوا إلى القرعة .  
وكذلك الزيدية في الحسن بن حمّ ، والخوارج في مرداس بن أدية . ولكن

(١) أفروا لهم : أطالاه وقدر عليه

(٢) الكلمة مهملة في الأصل .

(٣) في الأصل : يقول .

(٤) كذا في الأصل . ولطها « منجنون » .

(٥) هو الحسن بن صالح بن صالح بن حي الحماني ولد سنة ١٠٠ ووفى سنة ١٦٩ . ٢٠

تهذيب التهذيب .

(٦) في الأصل : « وجميعها » .

(٧) في الأصل : « تساود » .

الأمور تَرُدُّ على القلوب ، وتهبُّهم على القول على طول الأيام ، [إنَّما] بالخبر  
الذى يَشْفِي من الشكِّ ويبرئ السَّقم . وإنَّما بالميمان<sup>(١)</sup> الذى يَشْلُج الصدور  
ويَضْطَرُّ القول .

وقد علمنا نحن على حداثة ألسنتنا وتقادم الناس قبَلنا ، أنَّ جالينوس  
٥ قد كان بائناً في طبعه ، وأنَّ الأرسطاطاليس كان البائن في المطق .

وكذلك علمنا أنَّ قيس بن زهير كان داهية قيس في الجاهلية ، وأنَّ  
الحارث بن ظالم كان فانكها ، وأنَّ هريم بن سنان كان جوادها ، وأنَّ  
النابغة كان شاعرها ، وأنَّ الحارث بن كندة كان ألبها ، وأنَّ عامر  
ابن الطفيل كان أفرسها . ولم نَسْعَ قطُّ في هذا شورى ، ولا وضَّه من  
١٠ كان قبلنا ، ولا استجمعت قيس ققابت<sup>(٢)</sup> بين خصال هؤلاء<sup>(٣)</sup> وبين جميع  
قيس ، لتعرف الفضيلة بالوازنة<sup>(٤)</sup> والمقابلة ، ولا احتاجوا في ذلك إلى  
الإقراع والمساهمة .

وإذا كنَّا مع تقادم الأخبار نعرف البائن في كل عصر ، والمقدم  
في كل أمر ، فعلى شبيه ما وصفنا<sup>(٥)</sup> يعرف الناس فضيلة المستوجب .  
١٥ وانخير لا يستطيع كتابه ، والشر لا يهتد من ظهوره .

واعلم أنَّه لا يمكن أن يكون رجلٌ أعلم الناس بالدين والدنيا  
ثم لا يُسمع به ، لأنَّه لا يصير كذلك إلَّا بالاختلاف إلى الغناء ، وبطول

(١) في الأصل : « فأما الميمان » .

(٢) في الأصل : « خصالهم لا » .

(٣) في الأصل : « للوارث » بدون ياء وبالإجمال . ٢٠

(٤) في الأصل : « ها وصفنا » .

مجاهدة<sup>(١)</sup> الفقهاء ، وكثرة دَرَسِ كتب الله وكتب الناس ، ومنازعة  
الخصم ومقاولة الأَكفَاء . وهذا كله مما يُظهر أمره ، ويظهر مكانه .

ثم الذي يدخل المالم<sup>(٢)</sup> من خِيَلَاءِ العلم وعِزِّ الحق ، وسرور الظفر  
بما أعيأ الناس معرفته ، حتى لا يستطيع أن يكتمه وإن اشتدَّ عزمه ، وقلَّ  
رِياؤه ونَفَجُه ؛ لأنَّ للمسلم سورة ، ولافتاحه بحد استغلاقه فَرَحُه ،  
ولا يضبطها بشرى<sup>(٣)</sup> وإن اشتدَّت حُسْكته ، وقوِيَتْ مُنْتَهه ، وفضلَتْ قوَتُه .

وإنَّك لتجد كثيرًا من العقلاء يُخاطرون بأعتاقهم ، ليمض العظمة  
يُجدونها<sup>(٤)</sup> في أنفسهم على خصوصهم وأكفائهم ، حتى لا يمتنعون من  
إظهارها والغفر بها ، فاعْلَمْكُ بالمالم إذا كان بائنًا بنفسه ، وكان  
في دولته . وتمظيُّمُ الناس مُوكَّل بصاحبه كيف يستطيع كتابته وإماتته ،  
مع ما أخذ الله على المالم من حُسْن الإرشاد واحتمال المؤونة ، واستنقاذ  
الناس من الجهالة . ومن القيام بحق العلم تعليمُ الجاهل . فهذا كله ينشئ عن  
لقاء الكلِّ للكلِّ .

ولو أشكل أمره ولم يَـيِّنْ من أمثاله ، وهو للناس أصلح من غيره ،  
فقد أمكن البأس<sup>(٥)</sup> ؛ إذ لو كان ظاهرًا لهم إقامته لنبه الله على مواضع  
فَضْلِه ، ولأذكر الناس ماسقط عنهم من تدييره ، ولبحث الهمم على حُبِّه  
وطلب محاسنه .

(١) مهيلة في الأصل . جائاه : جعل ركبته إلى ركبته .

(٢) في الأصل : « العلماء » .

(٣) في الأصل : « ويجدونها » .

(٤) البأس : الفدة . في الأصل : « وقد أمكن الناس أن لو كان ظاهرا » . وانظر ماسبق

وكيف يجوز أن يكون أكلُ النَّاسِ خفىً العِلْمِ ومغيَّبَ التَّصَلِّ ، وهو لا يكون كذلك حتَّى تَكْثُرَ تجربته ويكثرُ سوابُه ، ويشتدَّ حِلُّه ، ويحسنَ تدبيره . ولا بد من كثرة حُجَجٍ وَغَزْوٍ ، وسلاةٍ وصومٍ وسدقةٍ ، وذكرٍ وقراءة قرآنٍ ، وأمرٍ بالمعروف ونهىٍ عن المنكر ، وحَدَبٍ على الأولياءِ وَغِلْظَةٍ على الأعداءِ . إن دام فقرُه دامت قناعته وقلَّ إسفافه ، وإن دام غِنَاهُ دامَ بذله وقلَّ طُفْيَانُهُ . وليس من هذا شَيْءٌ إِلَّا وهو يَشْهَرُ صاحبه ويُظْهِرُ للناس مكانه ، ويدعو إلى محبته وتنظيمه .

وإن زعموا أَنَّهُ يجوز أن يكون خَيْرَ النَّاسِ أو أَهْلُ النَّاسِ ، وإن لم يُعرَفْ بشيء مما ذكرنا ، فقد صار خَيْرَ النَّاسِ من لم يعمل خيراً قط .  
١٠ فإن قالوا : فما تقولون إن وُجِدوا عَشْرَةٌ سواء ؟

قلنا : قد يكون أن نجدوا عَشْرَةً متقاربين ، فإذا صاروا إلى الموازنة بأنَّ الأفضل من الأتقص . وقليلاً<sup>(١)</sup> ما يكون ذلك ، كما وجدنا السُّتَّةَ الشُّورى الذين اختارهم عُمرُ والمهاجرون والأنصار معه ، فقد كانوا في طبقة واحدة . ولكنَّ أهل الطبقة قد يتفاضلون بأمرٍ بَيْنَ لا خفاء به ، كما نظروا فاختاروا عثمانَ غير مكرهين ولا محولين .

ولكن لا يجوز بوجهٍ من الوجوه أن يتَّفَقَ عَشْرَةٌ سواء في الحقيقة ، وعند الموازنة الصحيحة ؛ لأنَّ في اتفاق ذلك مُبْطِلَانِ الإمامة . ولو جاز أن يتَّفَقَ عشرة سواء لجاز أن يكون الرُّقَبَاءُ والشُّهود عليهم سواء . ولو جاز أن تستوى حالُهم وأفْئالُهم جاز أن يقولوا لِمَا يَنْبَغِي أن يقولوا فيه تَمَّ : « لا » معاً ، ولما يَنْبَغِي لهم أن يقولوا فيه لا : « نعم » معاً .

(١) في الأصل : « وقليل » .

وفى هذا فسادُ الاختيار والإقراع . فإذا فسَدَ الاختيار والإقراعُ ولم يكن الرجلُ بائناً فلا سبيل إلى إقامته . ولم يكن الله ليفرض أمراً ولا يحمل إليه سبيلاً ، ولم يكن الله ليكلف الناسَ أمراً إلاً وذلك الأمرُ مصلحةٌ لهم . فكيف بمنعهم مصلحتهم ، بل كيف يُظهر لهم فرض الإمامة وقد أمكنتهم الشدة<sup>(١)</sup> ، والمعلوم عنده أن العالم سيتهيأ فيه ويتفق ما لا يمكن منه أداء الفرض ، ولا بلوغ المصلحة .

ولو جاز أن يتفق عشرةٌ سواي في الحقيقة وعند الموازنة في جميع الاتصال ، ما كان إحياء الموت وإبراء الأكدر أعجب منه ، ولا أخرج من العادة . وإنما جعل الله ذلك لرسله فقط .

ولو جاز أن يتفق في العالم شيء يكون جاهلاً<sup>(٢)</sup> من الرسالة جاز ١٥ ذلك في أمور كثيرة . ولو جاز ذلك اختلط الكاذبُ بالصادق ، والحجة بالشبهة . وهذا ما لا يجوز على الله تبارك اسمه ، وتعالى جده .

ولو عرّفوا موضع الإمام بسينه ثم قال الشافعي : لا يكون إلاً منّا ، وقال المراقبي : لا يكون إلاً منّا ، وقال الحجازي : لا يكون إلاً منّا ، وكذلك القهامي والبزري . وكذلك إذا قال القرشي : لا يكون إلاً منّا ، وقال الحسيني : لا يكون إلاً منّا ، وقال العسني : لا يكون إلاً منّا ، وكذلك الفلاني والفلاني . وكذلك أن لو قال الإباضي : لا يكون إلاً منّا ، وكذلك لو قال الصُفري والأزرق والنجدي والزبيدي ،

(١) انظر ما مضى في ص ٢٦٧ س ١٥ .

(٢) كذا في الأصل .

والفلاّنى والفلاّنى — لَمَّا وصل أهلُ الحقِّ إلى إقامته إلّا بأن يكونوا في عدد الجميع وفي عَتَادِهِمْ .

والإمام يَقام من ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ :

فوجه كاللدى حَكِينَا ووصفنا .

- ووجه آخر مثل ما أقام المسلمون عثمان بن عفان حين اختار عمر ستّة متقارِبِينَ فاختاروا منهم رجلاً ، فلوْلا أنَّ الستّة كانوا بائِثِينَ عند الجميع لم يطبقوا ذلك الإطباق ، لأنّه لم يَقُلْ واحدٌ : كان ينبغي أن يكون منّا (١) ، ولم يقل واحدٌ من الرُقَبَاءِ ولا من الفقهاء والخاصّة : فينا واحدٌ كان ينبغي أن يكون معهم ، ولا قالوا : فيهم واحدٌ كان ينبغي أن يكون منّا . فهذا دليل أن الستّة كما كانوا بائِثِينَ عند عمر كانوا بائِثِينَ عند الخاصّة .

- ووجه آخر ، وهو مثل إقامة الناس لأبي بكر ، ليس على أن النبي صلى الله عليه وسلم جَمَلَ شورى كما وصّهما (٢) عمر ، ولا على جهة ما حَكِينَا من أمر الخاصّة والمأمّنة بإقامة الإمام والنّصّ عليه ؛ لأنّ ذلك أسلَمٌ وأخفُّ في المؤونة ، وأبعد من النّكَلَطِ والفتنة . وقد وجدتم ما هو أغمضُ معنى وأدقُّ مسلَكًا ، وأغوصُ مُستخرجًا ، وأخفّ مأثماً ، غير مفسّر ولا منصوبٍ عليه ، كالكلام في التّعديل والتّجوير ، وفعل ما بين الطّباع والاختيار ، والكلام في التشبيه ونفيه ، وفي مجيء الأخبار وحُجَجِ القول .

- ٢٠ ونحن لم نَرِ أحداً قطّ ألحد ولا تزندقَ مِنْ قِبَلِ النّاطِ في كلام

(١) في الأصل : « منّا » .

(٢) في الأصل : « وصّهما » .

الإمامة والاختلاف فيها . وَمَنْ وجدناه قد ارتدَّ زنديقاً أو دهرجاً مِنْ  
يَقْبَل هذه الأبواب أَكْثَر من أَنْ نُخَصِّىَ لَهُم عدداً ، أو قَتَفَ مِنْهُم  
على حدِّ .

فإِذْ جاز أَنْ يَتْرَكْنَا وأشدَّ الأُمَرَاءَ لَنَكُونُ نَحْنُ الَّذِينَ نَسْتَنْبِطُهُ  
وَتَشْكَأُ مَعْرِفَتُهُ ، لِيَكُونُ عاجِلُ سروره وريثه<sup>(١)</sup> وَأَجَلُ ثوابه وعظيم  
جزائه ، كانَ الذي هو<sup>(٢)</sup> أَظْهَرُ لِلْمَقُولِ ، وَأَسْهَلُ عَلَى الطَّالِبِ ، وَالْأَيْنُ  
كَفْئاً لِلوَاطِئِ ، وَأَقْرَبُ مَأْخِذاً لِلْمُسْتَرْشِدِ ، أَوَّلَى بِذَلِكَ .

ولا بدَّ لَهُم من أَنْ يَقُولُوا أَحَدُ أُمَرَاءِ : إِنَّمَا أَنْ يَقُولُوا : إِنَّا إِذْ وَجَدْنَا  
نَصَبَ الإمام والنَّصِّ عَلَيْهِ أَسْلَمَ لَنَا مِنَ الْخَطَا ، فَالْوَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَزِمَ  
أَنَّ اللَّهَ قَدْ قَتَلَ ذَلِكَ ، وَإِنْ لَمْ نَجِدْ خَبيراً نَضْطَرُّ إِلَيْهِ ، وَلَا قُرْآنًا يَنْصُرُ<sup>١٠</sup>  
عَلَيْهِ ، وَالْإِمَامَةُ مُتَخَلِّفَةٌ فِي ذَلِكَ ، فَإِنَّمَا أَوْجِبْنَا ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ حُسْنِ الظَّنِّ  
بِاللَّهِ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْصِبْ إِمَاماً ،  
وَلَا فِي الْخَبَرِ .

وإِذَا أَنْ يَقُولُوا إِنَّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ وَقَعَ مِنْهُ<sup>(٣)</sup> ، وَإِنَّمَا حَرَفْنَاهُ بِالْأَخْبَارِ  
وَالْأَمَارِ وَالْكِتَابِ .

١٥

فَإِنْ كَانُوا إِنَّمَا حَكَمُوا عَلَى اللَّهِ بِفَعْلِ ذَلِكَ لِأَنَّهُ أَسْلَمَ لَهُم مِنَ الْخَطَا ؛  
وَأَبْسَدَ لَهُم مِنَ الْفَلْطِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ وَجَدُوا بِذَلِكَ خَبيراً قَائِماً ، وَكِتَاباً  
دَالِلاً ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَمْ أَوْجِبُوا عَلَى اللَّهِ فِعْلَ مَا هُوَ أَيْسَرُ

(١) الرِّث : البَطْل . وفي الأصل « وروى » .

(٢) في الأصل : « كان هو الذي » .

(٣) في الأصل : « ولوع منه » .

وأظهر ، وقد وجدوا الله لم يصنع ذلك فيها هو أغمض وأشكل . كالذي  
وصفنا قبل هذا من الكلام في التمديل والتجوير ، والتشبيه ، وبجيء الأخبار .  
وقد علموا مع ذلك أن أكثر الناس لم يؤثروا في ملكتهم إلا  
من قبل سرف شهواتهم ، وغلبة طبائعهم .

- ٥ . وكيف لم يحكوا على الله بنير ما وجدوا من رفع مؤثراتها ، وقبح  
دواعيها ، حتى لا يلحج الناس طبائعهم ، ولا نورطهم شهواتهم .  
وإنما يحكم بهذا وأشباهه على الله من لا علم له بالله وتديره ؛ لأن الله لو  
أستطاع عن الناس كل ما أهمل ظهورهم ، واستبشعته نفوسهم ، وخالف أهواءهم  
لسقط الامتحان ، وبطل الاختبار<sup>(١)</sup> ، إذ لم يكن هناك حلاوة مُنجتَب  
١٠ ومرادة تركب ، ولقيذ يؤخر ، وكره يقدم .

وإن ذهب السائل إلى غير هذا الوجه ، وزعم أنه إنما قال إن الله  
قد نص على إمامة علي لأن الخبر به جاء المجيء الذي لا يكذب مثله .  
ولولا أن الخبر صحيح<sup>(٢)</sup> جاز عنده أن يكون الله يطوقهم النظر<sup>(٣)</sup> ،  
ويضع لهم الدلالة ، ولا ينصهم<sup>(٤)</sup> على شيء ولا يفسره لهم ، كفعلا فيها هو أدق  
١٥ وأخف ، وأعظم إنما وأشد خطراً .

قيل لهم : إنكم وإن سمعتم فلسنم بأهمل بالأخبار من غيركم .  
ولئن كنتم عبيد بخبر قد سمعناه منكم فلم يحجنا كما حجبكم ، إنه  
لمحجب . وإن كان الخبر قد حجب جميع من خالفكم مع كثرتهم ،  
وأطبقوا على كتابه وجعده وانفقوا عليه ، إن هذا لأعجب .

(١) في الأصل : « إن » .

(٢) في الأصل : « الصحيح » .

(٣) أى يكلهم بالنظر .

(٤) في اللسان والقاموس : « النص : النصين على شيء ما » .



وكيف تَحْجُبُونَ بَهِيرَ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَقِيمُوا حُجَّتَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَكُمْ . فَإِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ حُجَّكُمْ سَلَفُكُمْ فَحُجُّوا أَهْلَ عَصْرِكُمْ وَمَنْ مَعَكُمْ ، كَمَا حُجَّكُمْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ أَسْلَافِكُمْ .

وقد نفَضْنَا القرآنَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَلَمْ نَجِدْ فِيهِ آيَةً (١) تَنْصُرُ عَلَى إِمَامَةٍ ، وَلَا أَنَّهَا إِذْ لَمْ تَنْصُرْ كَانَتْ دَالَّةً عِنْدَ النَّظَرِ وَالتَّفَكُّيرِ ، وَلَا أَنَّهَا إِذْ لَمْ تُدَلِّ بِالنَّظَرِ وَالتَّفَكُّيرِ وَكَانَ ظَاهِرُ لَفْظِهَا غَيْرَ ذَلِكَ عَلَى مَا قُلْتُمْ كَانَ أَصْحَابُ التَّأْوِيلِ وَالتَّفْسِيرِ مُطَبِّقِينَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ بِهَا إِمَامَةَ فُلَانٍ .

فهَذَا بَابٌ لَا تَقْدِرُونَ مِنْ رِقْبَتِهِ عَلَى حُجَّةٍ ، وَلَيْسَ لَكُمْ فِي بَابِ الْخَبَرِ وَالْإِجْمَاعِ مَتَعَلِّقٌ وَلَا سَبَبٌ ، مَعَ قَوْلِ الْأَنْصَارِ : مِثْلُ أَمِيرٍ وَمَعَكُمْ أَمِيرٌ . وَقَوْلِ الْمُهَاجِرِينَ : بَلْ مِثْلُ الْأَمْرَاءِ وَمَعَكُمْ الْوُزَرَاءُ .

١٠ ثُمَّ وَجَدْنَا أَبَا بَكْرٍ وَهُوَ مَتَكَلِّمٌ قَرِيبٌ وَمُصَاحِبٌ أَمْرَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَالْمُنَازِعُ عَنْهُمْ يَوْمَ السَّقْفِيَّةِ ، يَقُولُ لِلنَّاسِ بَعْدَ سُكُونِ الْأَنْصَارِ وَارْتِدَاعِهِمْ : بَايَعُوا أَيْ هَذَيْنِ شَكْتُمْ - يَمْنَى مَرَّ وَأَبَا عُبَيْدَةَ - فَلَمْ نَجِدْهُ إِذَاهَا لِنَفْسِهِ ، وَلَا أَبَى أَنْ تَكُونَ لِنَفْسِهِ . وَلَمْ يَقُلْ إِنْسَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَلَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَلَا مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ (٢) : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَانَ جَمَلَهَا لِفُلَانٍ وَحَصَّنَ عَلَيْهَا لَهُ . وَلَا أَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَدْعُوا النَّبِيَّ (٣) قَالَ قَاتِلْ إِنَّ النَّبِيَّ اللَّهُ عَلَيْهِ قَدْ كَانَ قَالَ قَوْلًا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا لِفُلَانٍ ، وَلَمْ يَنْطِقْ بِذَلِكَ أَحَدٌ بَعْدَ تِلْكَ الْأَيَّامِ كَمَا لَمْ يَنْطِقْ أَحَدٌ فِيهَا (٤) .

(١) فِي الْأَسْل: « أَوْ » .

(٢) أَفْنَاءُ النَّاسِ : أَخْلَاطُهُمْ .

(٣) فِي الْأَسْل: « النَّصْر » .

(٤) فِي الْأَسْل: « مِنْهَا » .

ثم وجدنا أبا بكر حين أراد أن يجعلها إلى عمر من بعده كيف يمشى إليه رجال المهاجرين وهليئة السابقين ، ليصرفها إلى من هو ألين جانباً وأخفَضُ جناحاً ، وأقلُّ هيبة ، ويقولون : يا خليفة رسول الله ، إن الحاجة للأرمل والأرملة ، والضعيف والضعيفة ، وعمر رجل مهيب في صدور الناس والله ما نريد صرفها عنه ألا يكون سبق إلى كل يوم خير ؟ قال أبو بكر : أيربِّي تهديوني ، أمّا إذا لقيته فقال لي : من <sup>(١)</sup> استخلفت على عبادي ؟ قلت : استخلفت عليهم خير أهلك عندي <sup>(٢)</sup> .

فلم يمر بينهم ممّا يقولون حرف واحد .

ثم أن عمر بعد ذلك جعلها شورى بين ستة وجعل إليهم الخيار ، وسلم ذلك جميع المسلمين ، فيهم الأحرى والتيمي والمهاشمي والأموي والأسدي ، على أنها إن وقعت للأسدي لم يكن منكراً عند الجميع ، وكذلك الأحرى والأتموي .

وأعجب من هذا أجمع وأدل على الاختلاف ، وأبعد من النص والإجماع ، قول عمر في شكائه وهو مؤيد على قبره وعنده المهاجرون الأولون : « لو أدركت سألنا مولى أبي حذيفة ما تخالفت فيه الشاك » حين ذكر دُعابة على ، وبخل <sup>(٣)</sup> الزبير ، وبأو طلحة ، وحُبّ عثمان لهطه .

(١) في الأصل : « لمن » ، تحريف .

(٢) في الطبري ٤ : ٤٤ : م من أسماء بنت ميمس قالت : دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال : استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه ، فكيف به إذا خلا بهم ؟ وأنت لاني ربك لسانك من رحمتك ؟ فقال أبو بكر — وكان مضطجعا — أجلسوني . فأجلسوه فقال لطلحة : أباه تفرني — أو أباه تخوفني — إذا لقيت الله ربي فساءلي قلت : استخلفت على أهلك خير أهلك .

(٣) انظر أنساب الأشراف للبلاذري ٥ : ١٧ حيث يقول عمر فيه إنه : « لس » =

ثم الذي كان من مُنازعة سمير بن أبي وقاص لعلّ ، وتردّه بيمته ودعائه له إلى وضع الشورى ، والتخاير بالأعمال والجزء<sup>(١)</sup> ، فلم يجدوا أحداً من الناس يقول من وراء سمير أو في وجهه : ولم تخايرك وقد اختاره الرسولُ دونك .

- وقد كان يبنى لأصحاب عليٍّ ومن معه من المهاجرين والبدرين وسائر الصحابة والتابعين ، ألاّ يحسكوا عن ذكر هذه الحجة وإن أمسك عنها الناس وأضاعوها ، وماندوا أو غلطوا فيها . ولم نعلم هذا وأشباهه إلاّ دليلاً قاطعاً لمن لم يمتنع قلبه معرفة الحقّ ولسانه الإقرار به ، في محاربة طلحة والزبير وعائشة وعليٍّ ، وما أراقوا من الدماء . ولم يُقلّ واحدٌ من الناس : ولم تقاتلون رجالاً<sup>(٢)</sup> أو تطلبون غايرته وقد نصبه النبي صلى الله عليه وسلم ٥ أمره ، وبين شأنه . [ وهذا ] دليل على ما قلنا ، وبرهان لما ادّعينا .

- ولقد قال رجلٌ لمُمر بن عليٍّ : خبرني عن وصية رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبيك . قال : والله إن هذا الكلام ما سميتُ به قطّ إلاّ الساعة . وقد تعلمون أن الأمة كلّها مع اختلاف أهوائها ونحكها ، لا تعرف ممّا تدعون من أمر القسّ والوصية قليلاً ولا كثيراً ، وإنما هذه دَفْوَى ١٥ مقصودةٌ فيكم ، لا يعرفها سواكم . وإنّ أشدّ الناس عليكم في الوصية

---

== مؤمن الرضا كآل الفضل ، صحيح . لكن في الإصابة ٢٧٨٣ أنه « كان له ألف حلوكة يؤدون إليه الخراج فكان لا يدخل بيته منها شيئاً ، يتصدق به كله » . وانظر أيضاً الرياض الفسرة ٢ : ٢٧١ — ٢٧٢ حيث التنويه بجوده وكرمه .

(١) الجزء : الإجزاء والكفاية . في الأصل : « الحر » .

(٢) في الأصل : « ملا » ، وإذا التصقت الراء مائة إلى أعلى بالجيم صارت على هذا الشكل المهرج .

والتعنن للزبدية مع تشيعها وإفراطها وشدة إقدامها على عثمان ، وسوء قولها وشدة عداوتها للزبير وطلحة .

٥ فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم نصبه للناس وبين أمره واحتج له ، لم يكن هناك اختلاف ولا ارتياب ، ولا تحير ، ولا احتج بذلك المحجوجون على شاذ إن شذ ومقارق . [ وفي ] هذا وأقل منه ما يردع ذا اللب ، ويكف ذا الحجا .

١٠ وزعمت الرافضة أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى رجل بعينه ، وأمر أمته بالصوبة في تركاتهم ، لأن ذلك أجمع للشمل ، وأدعى إلى الألفة ، وأمنع للفساد ، وأقطع للشغب ، وأذهب للضمائن ، وأبعد من الغلط .  
إلا أن الله قد كان يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى ذلك المستحق تكفر أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة أنفس ، وأن الوصي سيفض من القيام بالحق ، وسيرل مع العام<sup>(١)</sup> بيديه<sup>(٢)</sup> إظهاره بلسانه ، وأنه لا يرضى بالكف عن شتمه الكافرين حتى يزكهم على منبره . فسبحان الله ما أعجب هذا القول !

١٥ وإن تركوا الكتاب وأضربوا عن الإجماع واحتجوا بالرواية ، فما أحد أجحد لها ولا أرد لمرفتها منهم . مع أن رواية غيرهم أكثر ، وعلى السنة أصحاب الحديث أظهر .

٢٠ ولو كانت روايتهم ورواية خصومهم سواء ما كان تأويلهم بأقطع لتأويل خصومهم من تأويل خصومهم لتأويلهم . مع أن الحديث إن كان يحتمل ضروبة التأويل فنلظ في حق ذلك من باطله رجل فليس بكافر

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل « يده » .

ولا مكابر ، لأن ذلك الحديث لو كان صحيحاً لم يكن بأبين من القرآن ولا أوضح .

وقد يختلف الناس في تأويله ولا يكفرون ولا يكابرون ، فكيف يكفر من غلط في تأويل حديث لو كان رده لم يكن حاسياً .

وإن كانت إمامة علي لا تثبت عندهم إلا من قبل الرواية فقد أفلح خصم الرافضة ، واستراح من كد المنازعة .

وقد زعم ناس من ( الثمانية ) أن الله قد اختار للناس إماماً ، ونصب لهم قيمياً ، على معنى الدلالة والإيضاح عنه بالعلامة ، لا على النص والتسمية ، لأن الله إذا قال : « وأشهدوا ذوى عدل منكم » .

— وقد عرفنا صفة العدالة — ففى رأيها فى إنسان علمنا أنه الذى كان عنى الله بالآية وإن لم يستمه فيها . وكذلك قول الرسول : « ليؤمكم خياركم » فقد عرفنا الله إختيار من الشرار ، والفضل من التقص ، ففى وجدنا الفضيلة فى رجل فهو الذى عناه النبى صلى الله عليه وإن لم يذكره باسمه .

(١) ولا يهمل الناس ويتركهم سدى من وضع لهم الأدلة ، ونههم ١٥ على موضع البرهان ، وعرفهم أبواب الصلاة .

ولو قلنا إن النبى صلى الله عليه قد اختار (٢) للناس إماماً على معنى أنه إذ أمر أبا بكر بأن يتقدم المسلمين فى مُصَلَّاه ومُتَمَّاه ومِنْبَره فقد استخلفه ، جاز ذلك فى الكلام . وباب الجواب فى هذه المسائل كثير (٣) .

(١) فى الأصل : « ومن لا » .

(٢) فى الأصل : « أجاز » .

(٣) الكلام بعد إلى « وحكم عليه » من ٢٧٩ س ٤ موضعه فى نسخة الأصل بعد كلمة

« التوبة » من ١٨٨ س ٧ . وقد أجهت فى موضعه الصحيح هنا .

- لأنه لا يجوز أن يكونوا لم يملوا ذلك وقد علموا ما هو أخفى وأدق .  
وأيسر خطياً وأقل نفماً ، وهم القوم الذين لا يُؤْتَوْنَ من نصيحة وحسن  
معرفة . وكيف يُؤْتَوْنَ منهما وبهم عرفنا النصيحة والمعرفة .  
فإن قالوا : فإنما كان خيراً للناس أن يختاروا لأنفسهم أو يختار  
النبي لهم .

قلنا : لو كان النبي قد اختاره لهم لقد كان ذلك خيراً لهم من  
اختيارهم لأنفسهم . فإذا لم يختره <sup>(١)</sup> لهم فترك اختياره خيراً لهم ، لأنه  
إذا كان أن لو كان اختاره لهم <sup>(٢)</sup> ، فقد دلّ تركه الاختيار أن تركه  
الاختيار لهم خيراً لهم ، إذ كان قد كان اختار التَّرك دون الاختيار ،  
وترك الاختيار رُبَّما <sup>(٣)</sup> كان اختياراً . وهو في هذه المواضع اختيار ،  
لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليختار لهم ترك النص والتسمية  
إلا وترك النص والتسمية خير من النص والتسمية .

وإنما هذا مثل قائل لو قال لنا : أرايتم التأويل الذي قد ضلّ من أجله  
عالم ، والتشبيه ، والوعد والوعيد ، والقدر ، والأسماء ، والأحكام التي قد كفر  
من أجلها بشر ، وبسببها تناحر الناس . وإنما كان خيراً لهم أن يعرفوه  
بأسره ، ويَتَّبِعُوا على حقيقته ، وَيُكْفُوا المؤونة فيه ، حتى كان لا يقع  
خلاف ، ولا يوجد خطأ ، ولا يَشيع فساد ، ولا يتفانى الناس أو يُترَكوا  
ونظروهم ، ويَحْلُوا واختيارهم .

قلنا : إن خيرَها فيما صنع الله . فلو كان الله يبيّن ذلك بالنص والتفسير

٢٠ . (١) في الأصل : « لم يختاره » .  
(٢) كذلك وردت هذه العبارة ، وأراها مقصدة .  
(٣) في الأصل : « بما » .

دون الدلالة ووضع العلامة ، كان ذلك خيرة ؛ لأننا نعلم أن الله لا يصنع إلا ما هو خير .

فلو لم يفعل ذلك<sup>(١)</sup> ولم ينص عليه فتركه الأمر على ما نحن عليه خير لنا وأفضل . فكيف أوجبتم على الله وحكمتم عليه .

\*\*\*

هذا جمل جوابات المثانية بمجمل مسائل الرافضة والزيدية . ولولا أن فيا قدمنا غنى عما أخرنا لقد فسرنا كما أجعلنا . وإنما ملاك وضع الكتاب إحكام أصله ، وألا يشذ عنه شيء من أركانه . فأما استقصاؤه حتى لا يجرى بين الخصمين منه إلا شيء قد وضع بينه ، فهذا مالا يمكن الواضع ولا يحتمل الكتاب . ولو أمكن الواضع واحتله الكتاب لكان طوله ١٠ قاطعاً لنشاط القارئ ، وبجملته للناس المستمع ، إلا لمن صحت إرادته ، وأفرطت شهوته وقوى طبعه ، وحسن احتسابه .

وقد أعيتنا هذه الصفة في الملمين ، فكيف [في] التملين .

وعلى أن للتعقل صوراً كصور الناس ، فكما أن بعض الصور أشدّ مشاكلة لطبعك ، وآنف في عينك ، وأخف على نفسك ، فكذلك التعقل ١٥ في مقابلة الأهواء ، ومشاكلة الشهوات ، وإخلفة على النفوس . فاحذر حوادث الشهوات ، واتصال المشاكلة ؛ فإنه أخفى من البقيق ، وأدق من الخفي .

هذا إذا كان المعنى مجرداً والمذهب طارياً ، فكيف إذا موَّهه صاحبه ، وزخرفه واضعه ، بأعذب الألفاظ وأشبهها ، وأحسن الخارج وأعفاها<sup>(٢)</sup> ٢٠

(١) في الأصل : « ظنوا فلم » .

(٢) كذا في الأصل .

فثنى كل واحدٍ منهما صاحبه ، وحَبَّبه إلى سامعه . فإن وافق ذلك منه  
تعميمٌ لسلكه ، وهوى في قائله ، فقد أَسَمَتْ نفسه بالتقليد ،  
واستسلمت للاعتقاد .

فاحذر في <sup>(١)</sup> هذه الصُّفة ، ولا تستخفَّن بهذه الوسيَّة .

• واعلم أنَّ واضع الكتاب لا يكون بين الخُصوم عدلاً ، ولأهل النظر  
مألُفاً حتَّى يبلغ من شدة الاستقصاء لخصمه مثل الذي يبلغُ لنفسه ، حتَّى  
لو لم يقرأ القارئ من كتابه إلَّا مقالةً خصمه لُجِّلَ له أنه الذي اجْتَبَاهُ  
لنفسه ، واختاره لدينه .

ولولا اتِّكالي على انقطاع الباطل عن مَدَى الحقِّ وإن استقصيته وبلغت  
١٠ غايته ، ما استعجزت حكايته ، وكُتِّم <sup>(٢)</sup> مقام صاحبه .

ونحن مبتدئون في كتاب المسائل وبالله ذى المنِّ والطول نستعين ،  
وعليه نتوكل .

هذه جل أقوال <sup>(٣)</sup> العثمانية ، والحمد لله كثيراً دائماً ،  
وصلى الله على سيدنا محمد نبيه ، وآله الطَّاهرين  
وصحبه ، وسلِّم تسليماً .

١٥

(١) كذا في الأصل .

(٢) في الأصل : « وأتت » .

(٣) في الأصل : « قول » .



مناقضات

أبي جعفر الإسكافي

لبعض ما أورده الجاحظ في العمانية

من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

مناقضة لمصنعة ١ - ٦ من العنانية

قال أبو جعفر الإسكافي :

لولا ما غلب على الناس من الجهل وحب التقليد لم نحتج إلى نقض ما احتجبت به العنانية ، فقد علم الناس كافة أن الدولة والسلطان لأرباب مقاتلهم ، وعرف كل أحد [هـ<sup>(١)</sup>] أقدار شيوخهم وعلمائهم وأمرائهم ، وظهور كلمتهم ، وقهر سلطانهم ، وارتفاع تقيّة فئهم ، والكرامة والجائزة لمن روى الأخبار والحديث في فضل أبي بكر ، وما كان من تأكيد بني أمية لذلك ، وما ولده المحدثون من الأحاديث طلباً لها في أيديهم ، فكانوا لا يألون جهداً في طول ما ملسوا أن يمحضوا ذكر على عليه السلام وولده ، ويطفئوا نورهم ويكتسبوا فضائلهم ، ومناقضهم وسوابقهم ، ويحملوا على شتمهم وسبهم ولعنهم على المنابر ، فلم يزل السيف يقطر من دماهم مع قلة عددهم وكثرة عدوهم ، فكانوا بين قتيل وأسير ، وشريد وهارب ؛ ومستخفّ ذليل ، وخائف مترقب ، حتى إنّ الفقيه والمحدث والقاضي والمتكلم لبُتِّدِمَ إليه ويتوعدّ بنهاية الإيماة وأشدّ العقوبة أن لا يذكر شيئاً من فضائلهم ولا يرخسوا لأحد أن يطيّف بهم ؛ وحتى بلغ من تقيّة المحدث إذا ذكر حديثاً عن علي عليه السلام كفى عن ذكره فقال : قال رجل من قريش ، وفعل رجل من قريش ولا يذكر علياً عليه السلام ولا يفتوه باسمه . ثم رأينا جميع المختلفين قد حاولوا نقض فضائله ووجهوا الحيل والتأويلات نحوها ، من خارجي مارق ، وناصب حنفي ، ونابت مستهيم ، وناشئ معاند ، ومناق مكنب ، وهنائي حسود ، يمترض فيها ويطنن ، ومعتزلي قد نفذ في الكلام وأبصر في الاختلاف ، وعرف الشبه ومواضع الطعن وضروب التأويل ، قد التمس الحيل في إبطال مناقبه ، وتأول مشهور فضائله ، فرة يتأولها بما لا يحتمل ، مرة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض ، ولا يزداد مع ذلك إلا قوة ورفعة ، ووضوحاً واستنارة .

(١) هذه من ط . أي من النسخة المطبوعة من شرح نهج البلاغة .

وقد علمت أن معاوية ويزيد ومن كان بعدهما من بني مروان أيام ملكهم — وذلك نحو ثمانين سنة — لم يدهوا جهداً في حمل الناس على شتمه ولعننه وإخفاء فضائله ، وستر مناقبه وسوابقه .

روى خالد بن عبد الله الواسطي عن حصين بن عبد الرحمن عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم قال : لما بويغ لمعاوية أقام المنيرة بن شعبة خطباء يلتمنون علياً عليه السلام ، فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل : ألا ترون إلى هذا الرجل الظالم ، يأمر بلعن رجل من أهل الجنة ؟ !

روى سليمان بن داود عن شعبة عن الحر بن الصباح قال : سمعت عبد الرحمن ابن الأحنس يقول : شهدت المنيرة بن شعبة خطب فذكر علياً عليه السلام فقال منه .  
روى أبو كريب قال : حدثنا أبو أسامة قال حدثنا صدقة بن الشثي النخعي عن رياح بن الحارث قال : بينا المنيرة بن شعبة بالمسجد الأكبر وعنده ناس إذ جاءه رجل يقال له قيس بن علقمة ، فاستقبل المنيرة فسب علياً عليه السلام .

روى محمد بن سعيد الأصفهاني عن شريك عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن علي ابن الحسين عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام قال : قال لي مروان : ما كان في القوم أذفعُ من صاحبنا من صاحبكم . قلت : فما بالك تسبونه على المنابر ؟ قال : إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك .

روى مالك بن إسماعيل أبو غسان النهدي عن ابن أبي سيف قال : خطب مروان والحسن عليه السلام جالس ، فقال من على عليه السلام ، فقال الحسن : ويلك يا مروان ، أهذا الذي تشتم أشرف الناس <sup>(١)</sup> ؟ قال : لا ، ولكنه خير الناس .

روى أبو غسان أيضاً قال : قال عمر بن عبد العزيز : كان أبي يخطب فلا يزال مستمراً في خطبته حتى إذا صار إلى ذكر علي وسبه تقطع لسانه واسفر وجهه وتغيرت حاله ، فقلت له في ذلك فقال : أو قد فطنت لذلك ؟ إن هؤلاء لو يملكون من علي ما يملوه أبوك ما تبعنا منهم رجل .

---

(١) هو كما في قراءة أبي غلابة : « سيملون هذا من الكذاب الأشمر » .

روى أبو عسّان قال : حدثنا أبو القحطان قال : قام رجل من ولد عثمان إلى هشام ابن عبد الملك يوم عرفة ، فقال : إن هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لمن أتى تراب .

روى عمرو بن القنّاد عن محمد بن فضيل عن أشعث<sup>(١)</sup> بن سوار قال : سب عدىّ ابن أوطاة عليّاً عليه السلام على المنبر فبكى الحسن البصرى وقال : لقد سبّ هذا اليوم رجلاً إنه لأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة .

روى عدى بن ثابت عن إسماعيل بن إبراهيم قال : كنت أنا وإبراهيم بن يزيد جالسَيْن في الجملة مما على أبواب كندة ، فخرج النيرة فخطب ، فحمد الله ثم ذكر ما شاء الله أن يذكر ، ثم وقع في علي عليه السلام ، ف ضرب إبراهيم على فخذي أو ركبتي ثم قال : أقبل على خدثي فإنا لسنّا في جمعة ، ألا تسمع ما يقول هذا ؟

روى عبد الله بن عثمان الثقفي قال : حدثنا ابن أبي سيف قال : قال ابن حاصر بن عبد الله بن الزبير لولده : لا تذكر يا بني عليّاً إلا بخير ، فإن بني أمية لعنوه على منابرهم ثمانين سنة فلم يزد الله بذلك إلا رفعة ، وإن الدين لم يبن شيئاً قط فهدمته الدنيا ، وإن الدنيا لم تبن شيئاً قط إلا رجعت على ما بنت فهدمته .

وروى عثمان بن سعيد قال : حدثنا مطلب بن زياد عن أبي بكر بن عبد الله الأصماني قال : كان دعيّ لبني أمية ، يقال له خالد بن عبد الله ، لا يزال يشتم عليّاً عليه السلام ، فلما كان يوم جمعة وهو يخطب الناس قال : والله إن كان رسول الله ليستمهله وإنه ليعلم ما هو ، ولكنه كان ختنه . وقد نكس سميد بن المسيب ، ففتح عليه ثم قال : ويحكم ما قال هذا الخبيث ؟ رأيت القبر انصدع ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول : كذبت يا عدو الله !

وروى القنّاد قال حدثنا أسباط بن نصر الهمداني عن السدي قال : بينما أنا بالمدينة عند أحجار الزيت إذ أقبل راكب على بعير فوقف فسلم عليّاً عليه السلام ، خف به الناس ينظرون إليه . فبينما هو كذلك إذ أقبل سميد بن أبي وقاص فقال :

(١) في الأصل : «أهـب» سواء في ط .

اللهم إن كان سب عبداً لك صالحاً فأرِ المسلمين خزيه ! فإبث أن نفر به بميره فسقط فاندقت عنقه .

وروى عثمان بن أبي شيبة عن عبد الله بن موسى عن نضر بن خليفة عن أبي عبد الله الجدل قال : دخلت على أم سلمة رحمها الله فقالت — له — : أيسبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم وأنتم أحياء ؟ قلت : وأنى يكون هذا ؟ قالت : أليس يُسبُّ على عليه السلام ومن يحبه .

وروى العباس بن بكار الضبي قال : حدثني أبو بكر الهذلي عن الزهري قال : قال ابن عباس لمأوية : ألا تكف عن شتم هذا الرجل ؟ قال : ما كنت لأفعل حتى يرَبُّوْ عليه الصغير ويهرم فيه الكبير . فلما ولي عمر بن عبد العزيز كف عن شتمه فقال الناس : ترك السنة . قال : وقد روى عن ابن مسعود إماموقا عليه أو مصرفوا : كيف أنتم إذا شتمتكم فتنة يربو عليها الصغير ويهرم فيها الكبير ، يجرى عليها الناس فيتخذونها سنة ، فإذا غير منها شيء قيل : غيرت السنة .

قال أبو جعفر : وقد تعلمون أن بعض الملوك ربما أحدثوا قولاً أو ديناً لهوى ، فيحملون الناس على ذلك حتى لا يعرفون غيره ، كدعوا ما أخذ الناس الحجاج ابن يوسف بقراءة عثمان وترك قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب ، وتوعد على ذلك بدون ما صنع هو وجبارة بنى أمية وطفة بنى مروان بولد على عليه السلام وشيئته . وإنما كان سلطانه نحو عشرين سنة فما مات الحجاج حتى اجتمع أهل العراق على قراءة عثمان ، ونشأ أبناؤهم ولا يعرفون غيرها لإمساك الآباء عنها ، وكف المعلم من تعليمها ، حتى لو قرئت عليهم قراءة عبد الله وأبي ما عرفوها ، ولظنوا بتأليفها الاستكراه والاستهجان ، لإلف المادة وطول الجهالة ، لأنه إذا استولت على الرعية العلية وطالت عليهم أيام التسلط ، وشاعت فيهم الخفاة ، وشملتهم التقية ، انفقوا على التضائل والتساكنت ، فلا تزال الأيام تأخذ من بصائرهم ، وتنقص من ضمائرهم ، وتنقص من مراثرهم ، حتى تصير البدعة التي أحدثوها غامرة للسنة التي كانوا يعرفونها .

ولقد كان الحجاج ومن ولاءه ، كعبد الملك والوليد ، ومن كان قبلهما وبعدهما من

غراعة بني أمية على إخفاء محاسن على عليه السلام وفضائله ، وفضائل ولده وشيعته وإسقاط أقدارهم ، أحرص منهم على إسقاط قراء عبد الله وأبي ، لأن تلك القراءات لا تكون سبباً لروال ملكهم وفساد أمرهم وانكشاف حالهم . وفي إظهار فضل على عليه السلام وولده وإظهار محاسنهم بوارهم ، وتبسيط حكم الكتاب النبوي عليهم ، غرضوا واجتهدوا في إخفاء فضائله ، وحملوا الناس على كتمانها وسترها ، وأبى الله أن يزيد أمره وأمر ولده إلا استنارة وإشراقاً ، وحبهم إلا شغفاً وشدة ، وذكرهم إلا انتشاراً وكثرة ، وحببتهم إلا وضوحاً وقوة ، وفضلهم إلا ظهوراً ، وشأنهم إلا علواً ، وأقدارهم إلا إعظاماً ، حتى أصبحوا بإهانتهم أيام أعزاء ، وإيمايتهم ذكرهم أحياء ، وما أرادوا به وبهم من الشر تحول خيراً . فانتفى إلينا من ذكر فضائله وخصائصه ، ومزاياه وسوابقه ، ما لم يتقدمه السابقون ، ولا ساواه فيه القاصدون ، ولا يلحقه الطالبون . ولولا أنها كانت كالقبة المنصوبة في الشهرة ، وكالسنن المحفوظة في الكثرة ، لم يصل إلينا منها في دهرنا حرف واحد ، إذ كان الأمر كما وصفناه .

فأما ما احتج به الجاحظ بإمامة أبي بكر بكونه أول الناس إسلاماً فلو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لاحتج به أبو بكر يوم السقيفة . وما رأيناه صنع ذلك ؛ لأنه أخذ بيد عمر ويد أبي عبيدة بن الجراح وقال للناس : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا منهما من شئتم . ولو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لما قال عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقي الله شرها ؛ ولو كان احتجاجاً صحيحاً لادعى واحد من الناس لأبي بكر الإمامة في عصره أو بعد عصره بكونه سبق إلى الإسلام . وما عرفنا أحداً ادعى له ذلك . على أن جمهور الحديثين لم يذكروا أن أبا بكر أسلم إلا بعد عدة من الرجال ، منهم علي بن أبي طالب ، وجعفر أخوه ، وزيد بن حارثة ، وأبو ذر النخعي ، وعمر بن عبسة<sup>(١)</sup> السلمي ، وخالد بن سميد بن العاص ، وخباب بن الأرت . وإذا تأملنا الروايات الصحيحة والأسانيد القوية الوثيقة وجدناها كلها ناطقة بأن علياً

(١) ط : « عبسة » سوابه في الأصل وتهذيب التهذيب .

عليه السلام أول من أسلم . فأما الرواية عن ابن عباس أن أبا بكر أولهم إسلاماً فقد روى عن ابن عباس خلاف ذلك بأكثر مما رويوا وأشهر .  
فمن ذلك ما رواه يحيى بن حماد عن أبي حوالة وسميد بن عيسى عن أبي داود الطيالسي ، عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس أنه قال : أول من صلى من الرجال على عليه السلام .

وروى الحسن البصري قال : حدثنا عيسى بن راشد عن أبي بصير عن عكرمة عن ابن عباس قال : فرض الله تعالى الاستغفار لملى عليه السلام في القرآن على كل مسلم بقوله تعالى : « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان » . فكل من أسلم بعد على فهو يستغفر لملى عليه السلام .

وروى سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : « السابق ثلاثة : سبق يوشع بن نون إلى موسى ، وسبق صاحب يس إلى عيسى ، وسبق على عليه السلام بن أبي طالب إلى محمد عليه وعليهم السلام . فهذا قول ابن عباس في سبق عليه السلام إلى الإسلام . وهو أثبت من حديث الشعبي وأشهر . على أنه قد روى عن الشعبي خلاف ذلك من حديث أبي بكر الهذلي وداود بن أبي هند عن الشعبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لملى عليه السلام : « هذا أول من آمن بي وصدقني وصلى معي » .

قال : فأما الأخبار الواردة بسبقه إلى الإسلام ، المذكورة في الكتب الصحاح والأسانيد الموثوق بها ، فمنها ما روى شريك بن عبد الله عن سليمان بن المغيرة ، عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود أنه قال : أول شيء علمته من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أنني قدمت مكة مع عومة بنى وناس من قوى ، وكان من أنفسنا شراء عطر ، فأرشدنا إلى العباس بن عبد المطلب ، فأنهينا إليه وهو جالس إلى زمزم ، فبينما نحن عنده جلوساً إذ أقبل رجل من باب الصفا وعليه ثوبان أبيضان وله وفرة إلى أنصاف أذنيه جمدة ، أشم أقمي ، أدهج المينين ، كث اللحية ، يراق الثنايا ، أبيض تماوه حمرة ، كأنه القمر ليلة البدر ، وعلى عيبيه غلام مراهق أو محتم

حسن الوجه ، تقفوم امرأة قد سترت محاسنها ، حتى قصدوا نحو الحجر ، فاستلمه واستلمه النلام ثم استلمته المرأة ، ثم طاف بالبيت سبعا والنلام والمرأة يطوفان معه ، ثم استقبل الحجر فقام ورفع يديه وكبر ، وقام النلام إلى جانبه وقامت المرأة خلفهما فرفعت يديها وكبرت ، فأطال القنوت ، ثم ركع وركع النلام والمرأة ثم رفع رأسه فأطال ورفع النلام والمرأة معه ثم سجدا وسجد النلام معه يصنمان مثل ما يصنع ، فلما رأينا شيئا نكره لا نعرفه بمكة أقبلنا على العباس قتلنا : يا أبا الفضل ، إن هذا الدين ما كنا نعرفه فيكم ! قال : أجل والله . قلنا : فمن هذا ؟ قال : هذا ابن أخى ، هذا محمد بن عبد الله ، وهذا النلام ابن أخى أيضاً ، هذا علي بن أبى طالب وهذه المرأة زوجة محمد ، هذه خديجة بنت خويلد ، والله ما على وجه الأرض أحد يدين بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة .

ومن حديث موسى بن داود عن خالد بن نافع عن عفيف بن قيس الكندى — وقد رواه عن عفيف أيضاً مالك بن إسماعيل النهدي والحسن بن عتبة الوراق وإبراهيم بن محمد بن ميمونة — قالوا جميعاً : حدثنا سميد بن جشم عن أسد بن عبد الله <sup>(١)</sup> البجلي عن يحيى بن عفيف بن قيس عن أبيه قال :

كنت في الجاهلية عطارا ، فقدمت مكة فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، فبينما أنا جالس عنده أنظر إلى الكعبة وقد تحلقت الشمس في السماء أقبل شاب كأن في وجهه القمر ، حتى روى يصره إلى السماء ، ففطر إلى الشمس ساعة ثم أقبل حتى دنا من الكعبة فصف قدميه يصل ، فنخرج على إثره فتي كأن وجهه صحيفة يمانية ، فقام عن يمينه ، فجاءت امرأة متلففة في ثيابها فقامت خلفهما ، فأهوى الشاب راكما فركما معه ، ثم أهوى إلى الأرض ساجدا فسجدا معه ، فقلت للعباس : يا أبا الفضل ، أمر عظيم . فقال : أمر والله عظيم ، أتدرى من هذا الشاب ؟ قلت : لا . قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، أتدرى من هذا الفتى ؟ قلت :

(١) في الأصل : « ابن عبد » سواء في ط .



لا . قال : هذا ابن أخي أبي طالب بن عبد المطلب ، أتدري من المرأة ؟ قلت : لا . قال : ابنة خويلد بن أسد بن عبد المزي ، هذه خديجة زوج محمد . هذا وإن محمدا هذا يذكر أن إلهه إله السماء ، وأمره بهذا الدين ، فهو عليه كما ترى . ويؤمن أنه نبي ، وقد صدقه على قوله علي ابن عمه هذا الفتي ، وزوجته خديجة هذه المرأة ، والله ما أعلم على وجه الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة . قال عفيف : لعلت له : فما تقولون أنتم ؟ قال : ننتظر الشيخ ما يصنع ، يعني أبا طالب أخاه .

وروى عبيد الله بن موسى والفضل بن دكين والحسن بن عطية قالوا : حدثنا خالد بن طهمان عن نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار قال : كنت أوصي<sup>(١)</sup> النبي صلى الله عليه وآله فقال لي : هل لك أن نمود فاطمة ؟ قلت : نعم يا رسول الله . فقام يمشي متوكفاً على وقال : أما إنه سيحمل ثقلها غيرك ويكون أجراً لك . قال : فوالله كأنه لم يكن علي من ثقل النبي صلى الله عليه وآله شيئاً . فدخلنا على فاطمة عليها السلام فقال لها صلى الله عليه وسلم : كيف تحببناك ؟ قالت : لقد طال أسفى واشتد حزنى وقال لي النساء : زوجك أبوك فقيراً لا مال له ! فقال لها : أما ترين أنى زوجتك أقدم أمتى سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأفضلهم حلماً ؟ قالت : بلى ، رضيت يا رسول الله .

وقد روى هذا الخبر يحيى بن عبد الحميد ، وعبد السلام بن صالح ، عن قيس بن الربيع عن أبي أيوب الأنصاري بالقائمه أو نحوها<sup>(٢)</sup> .

وروى عبد السلام بن صالح عن إسحاق الأزرق عن جعفر بن محمد عن آبائه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوج فاطمة — دخل النساء عليها فقلن : يا بنت رسول الله ، خطبك فلان وفلان فردم عنك وزوجك فقيراً لا مال له ! فلما دخل عليها أبوها عليه السلام رأى ذلك في وجهها ، فساءلها فذكرت له ذلك ، فقال :

(١) ط : « أوصل » .

(٢) الكلام يسده إلى نهاية الفقرة التالية ساقط من ط .

يا فاطمة ، إن الله أمرني فأناكحتك أقدمهم سلما ، وأكثرهم علما ، وأعظمهم حلما ، وما زوجتك إلا بأمر من السماء . أما علمت أنه أحيى في الدنيا والآخرة ؟ !

وروى عثمان بن سعيد عن الحكم بن ظهير عن السدي ، أن أبا بكر وعمر خطبا فاطمة عليها السلام فردها رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : لم أؤمر بذلك . فخطبها على عليه السلام فزوجه إياها وقال لها : زوجتك أقدم الأمة إسلاما . وذكر تمام الحديث .

قال : وقد روى هذا الخبر جماعة من الصحابة منهم أمية بنت عيسى ، وأم أيمن وابن عباس ، وجابر بن عبد الله .

قال : وقد روى محمد بن حبيب الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده أبي رافع قال : أتيت أبا ذر بالبيعة أودعه ، فلما أردت الانصراف قال لي ولا ناس معي : ستكون فتنة فأتقوا الله ، وعليكم بالشيخ على بن أبي طالب فاتيتموه ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له : أنت أول من آمن بي ، وأول من يصالحني يوم القيامة ، وأنت الصديق الأكبر ، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل ، وأنت يمسوب المؤمنين ، والمال يمسوب الكافرين ، وأنت أخي ووزير وخير من أترك بعدى ، تقضى ديني وتنجز موعودي .

قال : وقد روى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن نعيم عن العلاء بن صالح عن النبال ابن عمرو عن عباد بن عبد الله الأسدي قال :

سمعت علي بن أبي طالب يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها غيري إلا كذاب . ولقد صليت قبل الناس سبع سنين .

وروت معاذة بنت عبد الله المدوية قالت : سمعت عليا عليه السلام يخاطب على منبر البصرة ويقول : أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ، وأسلمت قبل أن يسلم .

وروى حبة بن جوين العرنى أنه سمع عليا عليه السلام يقول : أنا أول رجل

أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله . رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن  
سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن حبة بن جوين .

وروى عثمان بن سعيد الحراري عن علي بن حرار عن علي بن عامر عن أبي الجحاف  
عن حكيم مولى زاذان قال : سمعت عليا عليه السلام يقول : صليت قبل الناس  
سبع سنين ، وكنا نسجد ولا نركع ، وأول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر فقلت :  
يا رسول ما هذا ؟ قال : أمرت به .

وروى إسماعيل بن عمرو عن قيس بن الربيع عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن  
جابر بن عبد الله قال :

صلى رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الاثنين ، وصلى على يوم الثلاثاء بعده  
وفي الرواية الأخرى عن أنس بن مالك : استنفيء النبي صلى الله عليه وآله يوم  
الاثنين وأسلم على يوم الثلاثاء بعده .

وروى أبو رافع أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى أول صلاة صلاها غداة  
الاثنين ، وصلت خديجة آخر نهار يومها ذلك ، وصلى على عليه السلام يوم الثلاثاء  
غداة ذلك اليوم .

قال : وقد روى بروايات مختلفة كثيرة متعددة عن زيد بن أرقم وسلمان  
الفارسي وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، أن عليا عليه السلام أول من أسلم .  
وذكر الروايات والرجال بأسمائهم .

وروى سلمة بن كهيل عن رجاله الذين ذكرهم أبو جعفر في الكتاب ، أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قال : « أولكم وروداً على الخوض أولكم إسلاماً : علي  
ابن أبي طالب » .

وروى يس بن محمد بن أيمن ، عن أبي حازم مولى ابن عباس ، عن ابن عباس  
قال : سمعت عمر بن الخطاب وهو يقول : كفّوا عن علي بن أبي طالب ، فإني سمعت من

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه خصالاً لو أن<sup>١</sup> خصلة منها في جميع آل الخطأ كان أحب<sup>٢</sup> إلى<sup>٣</sup> مما طلعت عليه الشمس .

كنت ذات يوم وأبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة ، مع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نطلبه ، فأنهينا إلى باب أم سلمة فوجدنا علياً متكئاً على نجاف الباب<sup>(١)</sup> ، فقلنا : أرؤنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : هو في البيت ، وريدكم . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فترنا حوله ، فاتكأ على<sup>٢</sup> عليه السلام وضرب يده على منكبيه فقال : أبشر يا علي بن أبي طالب ، إنك مخاصم وإنك تخصم الناس بسبع لا يماريك أحد في واحدة منهم : أنت أول الناس إسلاماً وأعلمهم بأيام الله . وذكر الحديث

قال : وقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا الحديث . قال : وروى أبو أيوب الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لقد صلت الملائكة على<sup>٣</sup> وعلى علي عليه السلام سبع سنين . وذلك أنه لم يصل<sup>٤</sup> معي رجل فيها غيره . قال أبو جعفر : فأما ما رواه الجاحظ من قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما تبعني حرٌّ وعبد » . فإنه لم يسم في هذا الحديث أبا بكر وبلالاً : وكيف وأبو بكر لم يشتري بلالاً إلا بعد ظهور الإسلام بمكة ، فلما أظهر بلال إسلامه عذبه أمية بن خلف ، ولم يكن ذلك حال إخفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعوة ولا في أمر الإسلام .

وقد قيل إنه عليه السلام إنما عني بالحر<sup>٥</sup> علي بن أبي طالب ، وبالعبد زيد بن حارثة .

وروى ذلك محمد بن إسحاق .

قال : وقد روى إسماعيل بن نصر الصفار عن محمد بن ذكوان عن الشعبي قال : قال الحجاج للحسن وعنده جماعة من التابعين وذكر علي بن أبي طالب : ما تقول

---

(١) النجاف : التبة ، وهي أسكنة الباب .

أنت يا حسن ؟ فقال : ما أقول ؟ هو أول من صلى إلى القبلة ، وأجاب دهوة الرسول ، وأنه لعل منزلة من ربه ، وقراءة من رسوله ، وقد سبقت له سوابق لا يستطيع ردّها أحد . فغضب الحجاج غضباً شديداً وقام عن سريره فدخل بعض البيوت ، وأمر بصرفنا .

قال الشعبي : وكنا جماعة ما منا إلا من قال من على عليه السلام ، مقاربة للحجاج ، غير الحسن بن أبي الحسن رحمه الله .

وروى حمز بن هشام عن إبراهيم بن سلمة عن محمد بن عبيد الله قال : قال رجل للحسن ما لنا لا نراك تنفي على وتفر منه ؟ قال : كيف وسيف الحجاج يقطر دماً ، إنه لأول من أسلم ، وحسبكم بذلك .

قال : فهذه الأخبار ، وأما الأشعار المروية فمروفة كثيرة منتشرة .

فمنها قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مجيباً للوليد بن عتبة بن أبي معيط :

وإن ولي الله بمد محمد      على وفي كل المواطن صاحبه  
وصى رسول الله حقاً وصنوه      وأول من صلى ومن لان جانبه  
وقال خزيمه بن ثابت في هذا :

وصى رسول الله من دون أهله      وقارسه قد كان في سالف الزمن  
وأول من صلى الله من الناس كلهم      سوى خيرة النسوان والله ذو منن

وقال أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس حين يبيع أبو بكر :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف      عن هاشم ثم منها عن أبي حسن  
أليس أول من صلى قبلتهم      وأعلم الناس بالأحكام والسفن

وقال أبو الأسود الدؤلي يهدد طلحة والزبير :

وإن علياً لكم مُصَحَّرٌ      يماثله الأسد الأسود  
إما إنه أول المايدي      سن بمكة والله لا يعبد

وقال سميد بن قيس الممداني يرحم بصفين :

هنا على وابن عم الصطفى أول من أجابه فيما روى  
هو الإمام لا يزال من غوى

وقال زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدي :

غوطوا علياً وانصروه فإنه وصى وفي الإسلام أول أول  
ولن تخذلوه والحوادث حجة فليس لكم من أركم متحول

قال : والأشمار كالأخبار إذا امتنع في مجيء القبيلين <sup>(١)</sup> التواطؤ والاتفاق كان  
ورودهما حجة .

فأما قول الجاحظ : « فأوسط الأمور أن نجعل إسلامهم مما » فقد أبطل بهذا  
ما احتج به لإمامة أبي بكر ، لأنه احتج بالسبق وقد عدل الآن عنه .

قال أبو جعفر : ويقال لهم : لسنا نحتاج من ذكر سبق على عليه السلام إلا  
بجامعتكم إيانا على أنه أسلم قبل الناس . ودعواكم أنه أسلم وهو طفل دعوى غير  
مقبولة إلا للحجة . قلنا : قد ثبت إسلامه بحكم إقراركم . ولو كان طفلاً لكان في  
الحقيقة غير مسلم ، لأن اسم الإيمان والإسلام والكفر ، والطاعة والمعصية ، إنما يقع  
على البالغين دون الأطفال والمجانين .

وإذا أطلقتم وأطلقنا عليه اسم الإسلام فالأصل في الإطلاق الحقيقة . كيف وقد  
قال النبي صلى الله عليه وسلم : أنت أول من آمن بي وأول من صدقي . وقال  
لفاطمة : « زوجتك أقدمهم سلماً » أو قال « إسلاماً » .

فإن قالوا : إنما دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام على جهة العرض  
لا التكليف ؟

قلنا : قد وافقتمونا على الدعاء — وحكم الدعاء حكم الأمر والتكليف — ثم

(١) في الأصل : « القبيلين » ، صوابه في ط .

ادعيتم أن ذلك كان على وجه العرض . وليس لكم أن تقبلوا معنى الدماء إلا لحجة .  
فإن قالوا : لعله كان على وجه التأديب والتعليم ، كما يعتمد مثل ذلك مع الأطفال .  
قلنا : إن ذلك إنما يكون إذا تمكن الإسلام بأهله ، أو عند النشوء عليه والولادة  
فيه . فأما في دار الشرك فلا يقع مثل ذلك ، لاسيما إذا كان الإسلام غير معروف  
ولا ممتاد بينهم . على أنه ليس من سعة النبي صلى الله عليه وسلم دماء أطفال المشركين  
إلى الإسلام والتفريق بينهم وبين آبائهم قبل أن يبلنوا الحلم . وأيضاً فمن شأن الطفل  
اتباع أهله وتقليد أبيه والمضى على منشئه ومولده . وقد كانت منزلة النبي صلى الله عليه  
وسلم حينئذ منزلة ضيق وشدة ووحدة ، وهذه منازل لا ينتقل إليها إلا من ثبت  
الإسلام عنده بحجة ، ودخل اليقين قلبه بعلم ومعرفة .  
فإن قالوا : إن علياً عليه السلام كان يألف النبي صلى الله عليه وسلم ، فوافقه  
على طريق المساعدة له .

قلنا : إنه وإن كان يألفه فلم يكن يألفه أكثر من أبويه وإخوته وعمومته وأهل  
بيته ، ولم يكن الإلف ليخرجه مما نشأ عليه ، ولم يكن الإسلام مما غدّى به وكرّر  
على سمعه ، لأن الإسلام هو خَلَقَ الأنداد ، والبراءة ممن أشرك بالله ، وهذا لا يجتمع  
في اعتقاد طفل .

ومن المعجب قول العباس لمغيف بن قيس : « ننتظر الشيخ وما يسمع » فإذا كان  
العباس وحزّة ينتظران أبا طالب ويصدران عن رأيه ، فكيف يخالف ابنه ويؤثر  
القلة على الكثرة ، ويفارق الم محبوب إلى المكروه ، والمزالي القتل ، والأمن إلى  
الخوف ، من غير معرفة ولا علم بما فيه .

فإما قوله : « إن القتل يزعم أنه أسلم وهو ابن خمس سنين ، والمكثّر يزعم أنه  
أسلم وهو ابن تسع سنين » فأول ما يقال في ذلك أن الأخبار جاءت في سنه عليه  
السلام يوم أسلم على خمسة أقسام :

القسم (الأول) : الذين قالوا : أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، حدثنا بذلك أحمد بن سعيد الأسدي عن إسحاق بن بشر القرشي عن الأوزاعي ، عن حمزة بن حبيب ، عن شداد بن أوس قال : سألت خباب بن الأرت عن إسلام علي فقال : أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، ولقد رأيته يصلي قبل الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن أن أول من أسلم علي بن أبي طالب وهو ابن خمس عشرة سنة

القسم (الثاني) : الذين قالوا : إنه أسلم وهو ابن أربع عشرة سنة . رواه أبو قتادة الحراني عن أبي حازم الأخرج عن حذيفة بن اليمان قال : كنا نبدي الحجارة ونشرب الخمر وعلي من أبناء أربع عشرة سنة قائم يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلا ونهارا ، وقريش يومئذ تأسف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يذب عنه إلا على عليه السلام .

وروى ابن أبي شيبة عن جرير بن عبد الحميد قال : أسلم علي وهو ابن أربع عشرة سنة .

القسم (الثالث) : الذين قالوا أسلم وهو ابن إحدى عشرة سنة . رواه إسماعيل ابن عبد الله الرقي عن محمد بن عمر عن عبد الله بن سمعان عن جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه عن محمد بن علي عليهما السلام : أن عليا حين أسلم كان ابن إحدى عشرة سنة . وروى عبد الله بن زياد المدني عن محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال : أول من آمن بالله علي بن أبي طالب وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وهاجر إلى المدينة وهو ابن أربع وعشرين سنة .

القسم (الرابع) : الذين قالوا : إنه أسلم وهو ابن عشرين سنة . رواه نوح بن دراج عن محمد بن إسحاق قال : أول من آمن وسدق بالبوة علي بن أبي طالب وهو ابن عشرين سنة ، ثم أسلم زيد بن حارثة ، ثم أسلم أبو بكر وهو ابن ست وثلاثين سنة فيما بلغنا .



القسم (الخامس) : الذين قالوا إنه أسلم وهو ابن تسع سنين . رواه الحسن بن هبسة الوراق عن سليم مولى الشعبي عن الشعبي قال : أول من أسلم من الرجال على بن أبي طالب وهو ابن تسع سنين ، وكان له يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع وعشرون سنة .

قال شيخنا أبو جعفر : فهذه الأخبار كما تراها . فلما أن يكون الجاحظ جهلها أو قصد المتأد .

فأما قوله « فالقياس أن نأخذ بأوسط الأمرين من الروايتين فنقول : إنه أسلم وهو ابن سبع سنين » فإن هذا تحكم منه ، ويلزمه مثله في رجل أدهى قبل رجل عشرة دراهم فأنكر ذلك وقال : إنما يستحق قبلي أربعة دراهم ، فبينى أن نأخذ الأمر المتوسط ويلزمه سبعة دراهم ، ويلزمه في أبي بكر حيث قال قوم : كان كافرا وقال قوم : كان إماماً عادلاً ، أن نقول : أعدل الأقاويل أوسطها ، وهو منزلة بين المنزلتين ، فنقول : كان فاسقاً ظالماً . وكذلك في جميع الأمور المختلف فيها .

فأما قوله : « وإنما يعرف حق ذلك من باطله بأن نحصى سنى ولاية عثمان وعمر وأبي بكر وسنى الهجرة ومقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الرسالة إلى أن هاجر » ، فيقال له : لو كانت الرواية متفقة على هذه التأريخات لكان لهذا القول مسأغ ، لكن الناس قد اختلفوا في ذلك ، فقليل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بعد الرسالة خمس عشرة ، رواه ابن عباس . وقيل ثلاث عشرة ، ودوى [ عن <sup>(١)</sup> ] ابن عباس أيضاً . وأكثر الناس يرؤونه . وقيل عشر سنين ، رواه عروة بن الزبير ، وهو قول الحسن البصري وسعيد بن المسيب .

واختلفوا في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم : كان ابن خمس وستين ، وقيل : كان ابن ثلاث وستين ، وقيل : كان ابن ستين . واختلفوا في سن على عليه السلام ، فقليل كان ابن سبع وستين ، وقيل : كان ابن خمس وستين ،

وقيل : ابن ثلاث وستين ، وقيل ابن ستين ، وقيل : ابن تسع وخسين . فكيف يمكن مع هذه الاختلافات تحقيق هذا الحال .

وإنما الواجب أن يرجع إلى إطلاق قولهم أسلم على ، فإن هذا الاسم لا يكون مطلقاً إلا على البالغ . على أن ابن إحدى عشرة سنة يكون بالنأ ويولد الأولاد . فقد روت<sup>(١)</sup> الرواة أن عمرو بن العاص لم يكن أسن<sup>٢</sup> من ابنه عبد الله إلا بانثني عشرة سنة . وهذا يوجب أنه احتلم وبلغ في أقل من إحدى عشرة سنة .

وروي أيضاً أن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كان أسن<sup>٣</sup> من أبيه علي بن عبد الله بن العباس بإحدى عشرة سنة .

فيلزم الجاحظ أن يكون عبد الله بن العباس حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مسلم على الحقيقة ، ولا مثاب ، ولا مطيع بالإسلام ، لأنه كان يومئذ ابن عشر سنين . رواه هشيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين .

## ( ٢ )

لصفحة ٦ - ٩ من العمانية

هذا كله مبني على أنه أسلم وهو ابن سبع أو ثمان ، ونحن قد بينا أنه أسلم بالنأ ابن خمس عشرة سنة أو ابن أربع عشرة سنة . على أننا لو أنزلنا على حكم الخصوم وقلنا ما هو الأشهر والأكثر من الرواية ، وهو أنه أسلم وهو ابن عشر ، لم يلزم ما قاله الجاحظ ، لأن ابن عشر قد يستجمع عقله ويعلم من مبادئ المعارف ما يستخرج به كثيراً من الأمور المعقولة . ومتى كان الصبي عاقلاً مميزاً كان مكلفاً بالمعاليات وإن كان تكليفه بالشرعيات موقوفاً على حد آخر وظاية أخرى ، فليس بمذكر أن يكون على عليه السلام وهو ابن عشر قد عقل المعجزة فلزمه الإقرار بالنبوة ، وأسلم إسلام هارف ، لا إسلام مقلد تابع .

(١) في الأصل : « رعت » ، صوابه في ط .

وإن كان ما نسقه الجاحظ وعده من معرفة السحر والتنجيم ، والفصل بينهما وبين النبوة ، ومعرفة ما يجوز في الحكمة مما لا يجوز وما لا يحدثه إلا الخالق ، والفرق بينه وبين ما يقدر عليه القادرون بالقدر ، ومعرفة التوبة والخديعة والتبليس والمأكرة ، شرطاً في صحة الإسلام لما صح لإسلام أبي بكر ولا همر ولا غيرها من العرب ، وإنما التكليف لهؤلاء بالجل (١) ومبادئ المعارف ، لا بدقائيقها والنامض منها . وليس يفتقر الإسلام إلى أن يكون المسلم قد فاتح الرجال وجرب الأمور ونازع الخصوم ، وإنما يفتقر إلى صحة النريزة وكمال العقل وسلامة الفطرة . ألا ترى أن طفلاً لو نشأ في دار لم يماشر الناس بها ولا فاتح الرجال ولا نازع الخصوم ثم كل عقله وحصلت العلوم البدئية عنده لكان مكلفاً بالمقليات .

فأما توجهه أن علياً عليه السلام أسلم من تربية الحاضن وتلقين القيم ورياضة السائس ، فلم يرد أن محمداً صلى الله عليه وآله كان حاضنه وقيمه وسائسه ، ولكن لم يكن متقطعاً عن أبيه أبي طالب ، ولا عن إخوته طالب وعقيل وجعفر ، ولا عن حمومته وأهل بيته ، وما زال غالطاً لهم بمتزجا بهم ، مع خدمته لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فما باله لم يزل إلى الشرك وعبادة الأصنام لمخالطته لإخوته وأباه وحمومته وأهله ، وهم كثير وعمد صلى الله عليه وآله واحد ، وأنت تعلم أن المصبي إذا كان له أهل ذوو كثرة وفيهم واحد يذهب إلى رأى مفرد لا يوافق عليه غيره منهم فإنه إلى ذوى الكثرة أميل ، وعن ذى الرأى الشاذ المنفرد أبعد .

وعلى أن علياً عليه السلام لم يولد في دار الإسلام وإنما ولد في دار الشرك ، ورب بين المشركين وشاهد الأصنام ، وعاش بينهم أهل ورهطه يمدون بها ، فلو كان في دار الإسلام لكان في القول جمال ، وتقبل إنه ولد بين المسلمين فإسلامه من تلقين الظئر ، وعن سماع كلمة الإسلام ، ومشاهدة شماره ؛ لأنه لم يسمع غيره ولا خطر بباله سواه ، فلما لم يكن ولد كذلك [ ثبت أن إسلامه إسلام المميز المعارف بما دخل عليه . ولولا

(١) في الأصل : « بالجهل » ، صوابه في ط .

أنه كذلك<sup>(١)</sup> [ لما قدمه<sup>(٢)</sup> رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ، ولا أرضى ابنته فاطمة لما وجدت من تزويجه بقوله لها : « زوجتك أقدمهم سلماً » . ولا قرن إلى ذلك قوله « وأكثروا علماً وأعظمهم علماً » والحلم : العقل . وهذان الأمران غاية الفضل . فلولاً أنه أسلم إسلام عارف عالم عجز لما ضم إسلامه إلى العلم والحلم اللذين وسفه بهما . وكيف يجوز أن يمدحه بأمر لم يكن مثاباً عليه ولا معاقباً عليه لو تركه .

ولو كان إسلامه عن تلقين وتربية لما افتخر هو عليه السلام على رؤوس الأشهاد ولا خطب على المنبر ، وهو بين عدو محارب وغافل منافق ، فقال : « أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم ، صليت قبل الناس سبع سنين ، وأسلفت قبل إسلام أبي بكر وآمنت قبل إيمانه » . فهل جلستكم أن أحدنا من أهل ذلك العصر أنكروا ذلك أو حابه أو ادعاه لغيره أو قال له : إنما كنت طفلاً أسلفت على تربية محمد صلى الله عليه وآله لك وتلقينه إياك ، كما تعلم الطفل الفارسية والتركية منذ يكون رضيعاً ، فلا نفر له في تعلم ذلك ، وخصوصاً في عصر قد حارب فيه أهل البصرة والشام والنهران ، وقد اعتنونه الأعداء وجهته الشعراء . فقال فيه النعمان بن بشير :

لقد طلب الخلفاء من بعيد      وسارع في الضلال أبو تراب  
معاوية الإمام وأنت منها      على فتح بمنقطع السراب<sup>(٣)</sup>  
وقال فيه أيضاً بمض الخواارج :

دسنا له تحت الظلام ابن ملجم      جزاء إذا ما جاء نفساً كتابها  
وقال عمران بن حطان يمدح قتاله :

يا ضربة من تقى ما أراد بها      إلا ليلغ من ذى المرش رضوانا  
إني لأذكره حيناً فأحسبه      أوفى البرية عند الله ميزانا

(٢) ط : « مدحه » .

(١) التكملة من ط .

(٣) الوغ : الليل النافقة .

فلو وجد هؤلاء سبيلا إلى دحض حجة فيما كان يفخر به من تقدم إسلامه لبدءوا بذلك وتركوا مالا ممقى له .

وقد أوردنا ما مدحه الشعراء به من سبقه إلى الإسلام فكيف لم يرد على هؤلاء الذين مدحوه بالسبق شاعر واحد من أهل حربه . ولقد قال في أمهات الأولاد قولاً خالف فيه من فذكروه بذلك وهاجوه ، فكيف تركوا أن يسيوه بما كان يفتخر به مما لا نغر فيه عندهم وهاجوه بقوله في أمهات الأولاد .

ثم يقال له <sup>(١)</sup> خبرنا عن عبد الله بن عمر ، وقد أجازته النبي صلى الله عليه وآله يوم الخندق ولم يجزه يوم أحد : هل [ كان ] يميز ما ذكرته ، وهل كان يعلم فرق ما بين النبي المنفى ويفصل بين السحر والمجزة إلى غيره مما عدت وفصلت . فإن قال نعم وتجاسر على ذلك قيل له : فلي عليه السلام بذلك أولى من ابن عمر ، لأنه أذكر وأفطن بلا خلاف بين القتلاء . وأنى يشك في ذلك وقد رويتم أنه لم يميز بين الميزان والموذ بمقدول السن وكثرة التجارب ، ولم يميز أيضاً بين إمام الرشد وإمام النقي ، فإنه امتنع من بيعة على عليه السلام ، وطرق على الحجاج باباً ليلاً ليبيع لعبد الملك ، كي لا يبيت تلك الليلة بلا إمام ، زعم . لأنه روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « من مات ولا إمام له مات ميتة جاهلية » ، وحتى بلغ من احتقار الحجاج له واسترذاله حاله أن أخرج رجله من الفراش فقال : أصفق بيدك عليها . فذلك تمييزه بين الميزان والموذ ، وهذا اختياره في الأئمة ، وحال على عليه السلام في ذكائه وفعلته وتوقد حسه وصدق حدسه معلومة مشهورة . فإذا جاز أن يصبح إسلام ابن عمر ويقال عنه إنه عرف تلك الأمور التي سردها الجاحظ ونسقتها ، وأظهر فصاحته وتشادقه فيها . فلي بمعرفة ذلك أحق ، وبصحة إسلامه أولى .

وإن قال : لم يكن ابن عمر يعلم ويعرف ذلك ، أبطل إسلامه وطعن في رسول الله صلى الله عليه وآله ، حيث حكم بصحة إسلامه وأجازته يوم الخندق ، لأنه عليه السلام كان قال : لا أجبر إلا البالغ الماقل ، ولذلك لم يجزه يوم أحد . ثم يقال : إن ما قوله

(١) كذا في ط . وفي الأصل : « قلنا له » .

في بلوغه على عليه السلام الحد الذي يحسن فيه التكليف العقلي بل يجب ، وهو ابن عشر سنين ، ليس بأعجب من مجيء الولد لسته أشهر . وقد صحح ذلك أهل العلم واستنبطوه من الكتاب وإن كان خارجاً من التمارف والتجارب والمادة . وكذلك مجيء الولد لستين خارج أيضاً عن التمارف والمادة ، وقد صححه الفقهاء والناس . وروى أن ما ذاك لما نهى عمر عن رجم الحامل تركها حتى ولدت غلاماً قد نبئت ثنيته فقال أبوه : ابني ورب الكعبة ! فثبت ذلك سنة يعمل بها الفقهاء . وقد وجدنا المادة تقضى بأن الجارية تحيض لاثنتي عشرة سنة ، وأنه أقل سن تحيض فيه المرأة ، وقد يكون في الأقل نساء يحضن لعشر وتسع ، وقد ذكر ذلك الفقهاء ، وقد قال الشافعي في اللعان : لو جاءت المرأة بحمل وزوجها صبي له دون عشر سنين لم يكن ولداً له ، لأن من لم يبلغ عشر سنين من الصبيان لا يولد له ، وإن كان له عشر سنين جاز أن يكون الولد له ، وكان بينهما لمان إذا لم يقر به ، وقال الفقهاء أيضاً : إن نساء تهامة يحضن لتسع سنين ، لشدة الحر يبلادهن .

### ( ٣ )

لصفحة ٩ - ١٢ من المئانية

إن مثل الجاحظ ، مع فضله وعلمه ، لا يخفى عليه كذب هذه الدعوى وفسادها ، ولكنه يقول ما يقول تمسباً وعناداً . وقد روى الناس كافة افتخار على عليه السلام بالسبق إلى الإسلام ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم استنبح يوم الاثنين وأسلم على يوم الثلاثاء ، وأنه كان يقول : سليت قبل الناس سبع سنين ، وأنه مازال يقول : أنا أول من أسلم ، ويفتخر بذلك ويفتخره به أولياؤه ومادحوه وشيمته في عصره وبمد وفاته . والأمر في ذلك أشهر من كل شهير ، وقد قدمنا طرقات منه . وما علينا أحداً من الناس فيها خلا استخف بإسلام على عليه السلام ولا تهاون به ، ولا زعم أنه أسلم لإسلام حدث غرير ، وطفل صغير . ومن العجب أن يكون مثل المباس وحزمة ينتظران أبا طالب [ وقوله <sup>(١)</sup> ] ليعصدا عن رأيه ، ثم يخالفه على ابنه لغير رغبة ولا رهبة ، يؤثر القلة على

(١) هذه الكلمة من ط .

الكثرة ، والنذل على العزة ، من غير علم ولا معرفة بالمعاقبة . وكيف ينكر الجاحظ والمهانة أن رسول الله صلى عليه وآله دعاه إلى الإسلام وكلفه التصديق ، وروى في الخبر الصحيح أنه كلفه في مبدأ الدعوة قبل ظهور كلمة الإسلام وانتشارها بمكة أن يصنع له طعاماً ، وأن يدعو له بنى عبد المطلب ، فصنع له الطعام ودعاهم له ، فخرجوا ذلك اليوم ، ولم يندرم صلى الله عليه وآله لكلمة قالها عنه أبو لهب ، فكلفه اليوم الثاني أن يصنع مثل ذلك الطعام وأن يدعوهم ثانية ، فصنعهم ودعاهم فأكلوا ، ثم كلمهم صلى الله عليه وآله فدعاهم إلى الدين ودعاه معهم لأنه من بنى عبد المطلب ، ثم ضمن لمن يوازره منهم وينصره على قوله أن يجعله أخاه في الدين ووصيه بدموته ، وخليفته من بعده ، فأمسكوا كلهم وأجابوه هو وحده وقال : أنا أنصرك على ما جئت به ، وأؤازرك وأيايكم ! قتال لهم لما رأى منهم الخذلان ومنه النصر ، وشاهد منهم المعصية ومنه الطاعة ، وعان منهم الإباء ومنه الإجابة : هذا أخى ووصي وخليفى من بعدى ! فقاموا يسخرون ويضحكون ويقولون لأبى طالب : أطع ابنك قد أمره عليك ! فحل يكلف حمل الطعام ودعاء القوم صغير غير مميز ، وغر غير عاقل ؟ ! وهل يؤمن على سر النبوة طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع ؟ ! وهل يدعى في جملة الشيوخ والكهول إلا عاقل لبيب ؟ ! وهل يضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده في يده ويعطيه صفقة يمينه بالأخوة والوصية والخلافة إلا وهو أهل لذلك ، بالغ حد التكليف ، محتمل لولاية الله ، وعداوة أعدائه ؟ !

وما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه ولم يلصق بأشكاله ، ولم ير مع الصبيان في ملاعبهم بعد إسلامه ، وهو كأحدهم في طبقتهم كععضهم في معرفته . وكيف لم ينزع إليهم في ساعة من ساعاته فيقال : دعاه نقص الصبا وخاطر من خواطر الدنيا ، وحلته الغيرة والحداثة على حضور هوم والدخول في حالهم ، بل ما رأينا به إلا ماضياً على إسلامه ، مصمماً في أمره ، محققاً لقوله بفعله ، وقد صدق إسلامه بعفافه وزهده ، ولصق برسول الله صلى الله عليه وآله من بين جميع من بحضرته ، فهو أمسه وأليفه في دنياه

وآخرته . وقد قهر شهوته ، وجاذب خواطره ، صابرا على ذلك نفسه ؛ لما يرجوه من فوز العاقبة وثواب الآخرة .

وقد ذكر هو عليه السلام في كلامه وخطبه بدء حاله وافتتاح أمره حيث أسلم لما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله الشجرة فأقبلت تحضد الأرض ، فقالت قريش : ساحر خفيف السعرا فقال على عليه السلام : يا رسول الله ، أنا أول من يؤمن بك ، آمنت بالله ورسوله وصدقته فيما جئت به ، وأنا أشهد أن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقا لنبوتك ، وبرهانا على صحة دعوتك . فهل يكون إيمان قط أصح من هذا الإيمان وأوثق عقدة وأحكم مرة ؟ ! ولكن حنق النمانية وغيظهم وعصبية الجاحظ والمنحرفه ، مما لاحيلة فيه .

ثم ليغفر النصف وليدع الهوى جانبا ليعلم نعمة الله على عليه السلام بالإسلام ، حيث أسلم على الوضع الذي أسلم عليه ، فإنه لولا الألفاظ التي خص بها ، والهداية التي منحها له ، لما كان إلا كبعض أقارب محمد صلى الله عليه وآله وأهله . فقد كان ممازجا له كمازجته ، ومخالطا له كخالطة كثير من أهله ورهطه ، ولم يستجب منهم أحد له إلا بعد حين ، ومنهم من لم يستجب له أصلا ، فإن جمعا عليه السلام كان ملتصقا به ولم يسلم حينئذ . وكان عتبة بن أبي لهب ابن عمه وصهره زوج ابنته ولم يصدق به ، بل كان شديدا عليه ، وكان تلذذة بنون من غيره ولم يسلموا حينئذ وهم رؤايه ومعه في دار واحدة ، وكان أبو طالب أباه في الحقيقة ، وكافله وناصره ، والهاوى عنه ، ومن لولاه لم تهم له قاعة ، ومع ذلك لم يسلم في أغلب الروايات . وكان العباس عمه وستوا أبيه ، وكالقرين له في الولادة والنشأ والتربية ، ولم يستجب له إلا بعد حين طويل . وكان أبو لهب ممة وكديه ولجه ، ولم يسلم ، وكان شديدا عليه ، فكيف ينسب لإسلام على عليه السلام إلى الإلف والتربية والقرابة واللحمة ، والتلقين والحضنة والدار الجامعة وطول المشرة ، والأنس والخلوة . وقد كان كل ذلك حاصلا لهؤلاء أو لكثير منهم ، ولم يهتد أحد منهم إذ ذاك ، بل كانوا بين من جحد وكفر ومات على كفره ، ومن أبطأ وتأخر وسبق بالإسلام وجاء سுகيتا وقد فاز بالنزلة غيره .



وهل يدل تأمل حال على عليه السلام مع الإنصاف إلا على أنه أسلم ، لأنه شاهد الأعلام ورأى المعجزات وشم ريح النبوة ، ورأى نور الرسالة ، وثبت اليقين في قلبه بمفرقه وعلم ونظر صحيح ، لا بتقليد ولا حمية ، ولا رغبة ولا رهبة إلا أنها يتعلق بأمور الآخرة .

( ٤ )

ص ٢٢ من المثانية

ينبني أن ينظر أهل الإنصاف هذا الفصل ويقفوا على قول الجاحظ<sup>(١)</sup> والأصم في نصرة المثانية ، واجتهادها في القصد إلى فضائل هذا الرجل وتهجينها ، فرة يطلان معناها ، ومرة يتوسلان إلى حط قدرها . فليُنظر في كل باب اعتراض فيه أين بلغت حيلتهما ؟ وما صنعا في احتيالهما في قصصهما وسججتهما ؟ أليس إذا تأملت ما علمت أنها ألفاظ ملفقة بلا معنى ، وأنها عليها شجى وبلاء ، وإلا فما عسى أن تبلغ حيلة الحاسد وينفى كيد الكائد الشاقي لمن قد جل قدره عن النقص ، وأضاءت فضائله إضاءة الشمس .

وأي قول الجاحظ من دلائل السماء ، وبراهين الأنبياء وقدم الصغير والكبير ، والعالم والجاهل بمن بلغه ذكر على عليه السلام ، وعلم مبعث النبي صلى الله عليه وآله أن عليا عليه السلام لم يولد في دار الإسلام ، ولا غذى في حجر الإيمان ، وإنما استضافه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى نفسه سنة الفحط والمجاهة . وعمره يومئذ ثمان سنين ، فكث معه سبع سنين حتى أتاه جبرئيل بالرسالة ، فدهاه وهو بالغ كامل العقل إلى الإسلام ، فأسلم بمد مشاهدة المعجزة ، وبعد إعمال النظر والفكرة . وإن كان قد ورد في كلامه أنه صلى سبع سنين قبل الناس كلهم فإنما يعني ما بين الثمان والخمس عشرة ، ولم يكن حينئذ دعوة ولا رسالة ولا ادعاء نبوة ، وإنما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعتمد على ملة إبراهيم ودين الحنيفية ، ويتحدث ويحاجب

(١) هذا ما في ط . وفي الأصل : « الأخرى » .

الناس ويمتزل ويطلب الخلو وينقطع في جبل حراء ، وكان على عليه السلام معه كالتابع والتلميذ ، فلما بلغ الحلم وجاءت النبي صلى الله عليه وآله الملايكة وبشرته بالرسالة ، دعاه فأجابه عن نظر ومعرفة بالأعلام في المعجزة ، فكيف يقول الجاحظ إن إسلامه لم يكن مقتضيا ؟ !

وإن كان إسلامه ينقص عن إسلام غيره في الفضيلة لما كان يحرم عليه من التمسك مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الدعوة ، ليكون طاعة كثير من المكلفين أفضل من طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمثاله من المصومين ، لأن المصمة عند أهل العدل لطف يمنع من اختص به من ارتكاب القبيح ، فمن اختص بذلك اللطف كانت الطاعة عليه أسهل ، فوجب أن يكون ثوابه أقص من ثواب من أطاع مع تلك الأنطاف .

وكيف يقول الجاحظ إن إسلامه ناقص عن إسلام غيره وقد جاء في الخبر أنه أسلم يوم الثلاثاء واستنبي النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين ، فمن هذه حاله لم تذكر صحيح الرسالة على سمه ، ولا توارت أعلام النبوة على مشاهدته ، ولا أطاول الوقت عليه لتخف عنه ويسقط ثقل تكليفه ، بل بان فضله وظهر حسن اختياره لنفسه ، إذ أسلم حال بلوغه ، وعانى نوازع طبعه ، ولم يؤخر ذلك بعد سماعه .

وقد غر الجاحظ في كتابه هذا أن أب بكر كان قبل إسلامه مذكورا ، ورئيسا معروفًا ، يجتمع إليه كثير من أهل مكة فينشدون الأشعار ويتذاكرون الأخبار ويشربون الخمر ، وقد كان سمع دلائل النبوة ، وحجج الرسل ، وسافر إلى البلدان ووصلت إليه الأخبار ، وعرف دعوى الكهنة وحيل السحرة ، ومن كان كذلك كان انكشاف الأمور له أظهر ، والإسلام عليه أسهل ، والخواطر على قلبه أقل اعتلاجًا ، وكل ذلك عون لأبي بكر على الإسلام ، ومسهل إليه سبيله ، ولذلك لما قال النبي صلى الله عليه وآله : « أتيت بيت المقدس » سأله أبو بكر عن المسجد ومواضعه ، فصدقته وإن له أمره ، وخفت مؤتته لما تقدم من معرفته بالبيت . فخرج إذاً إسلام أبي بكر على قول الجاحظ من معنى التقتض .

وفي ذلك رويتم عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا وكان له تردد ونبوة إلا ما كان من أبي يكره فإنه لم يتعلم حتى فهم به اليقين إلى المعرفة والإسلام . فأين إسلام هذا وإسلام من خُلِّي وعقله ، وألجئ إلى نظره مع صغر سنه واعتلاج الخواطر على قلبه ، ونشأته في ضد ما دخل فيه ، والغالب على أمثاله وأقرانه حب اللعب واللهو . فلجأ إلى ما ظهر له من دلائل الدهوة ، ولم يتأخر إسلامه فيلزمه التعمير بالمصيبة ، فقهر شهوته ، وغالب خواطره ، وخرج من عادته وما كان غُدِّي به ، لصحة نظره ، ولطافة فكره ، وفاض فهمه ؛ فمظلم استنباطه ، ورجح فضله ، وشرف قدر إسلامه ، ولم يأخذ من الدنيا بنصيب ولا تنعم فيها بنعيم ، حدثاً ولا كبيراً ، [ وحى نفسه عن الهوى <sup>(١)</sup> ] ، وكسر شريرة حدائته بالقوى ، واشتغل بهم الدين عن نعيم الدنيا ، واشتغل <sup>(٢)</sup> هم الآخرة قلبه ، ووجه إليه رغبته ، فإسلامه هو السبيل الذي لم يسلم عليه أحد غيره ، وما سبيله في ذلك إلا كسبيل الأنبياء ، ليعلم أن منزلته من النبي صلى الله عليه وآله كنزلة هارون من موسى ، وأنه وإن لم يكن نبياً فقد كان في سبيل الأنبياء سالكا ، ولما جاءهم متبما ، وكانت حاله كحال إبراهيم عليه السلام ، فإن أهل العلم ذكروا أنه لما كان صغيراً جعلته أمه في سرب لم يطلع عليه أحد ، فلما نشأ ودرج وعقل قال لأمه : من ربى ؟ قالت : أبوك . قال : فمن رب أبى ؟ فزبرته ونهرته ، إلى أن اطلع من شق السرب فرأى كوكبا فقال : هذا ربى . فلما أفل قال : لا أحب الآملين . فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربى . فلما أفل قال : لئن لم يهدي ربى لأكون من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربى هذا أكبر . فلما أطلت قال : يا قوم إني برىء مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وفي ذلك يقول الله جل ثناؤه : « وكذلك نرى إبراهيم منكوتا السموات والأرض وليكون من الموقنين » . وعلى هذا كان إسلام الصديق الأكبر

(١) التسكلة من ط .

(٢) كذا في السخين ، ولعلها « أشعر » .

عليه السلام . لسنا نقول إنه كان مساويا له في الفضيلة ، ولكن كان مقتديا بطريقه ، على ما قال الله تعالى : « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا واثقه ولي المؤمنين » .

وأما اعتلال الجاحظ<sup>(١)</sup> بأن له ظهراً كتابي طالب ، وردء آ كئبي هاشم ، فإنه يوجب عليه أن يكون عممة أبي بكر وبلال وثوابهما وفضل إسلامهما أعظم مما لرسول الله صلى الله عليه وآله ، لأن أبا طالب ظهره ، وبنى هاشم رداؤه . وحسبك جهلا من معاند لم يستطع حط قدر على عليه السلام إلا يحطه من قدر رسول الله صلى الله عليه وآله .

ولم يكن أحد أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من قراباته الأدنى منهم فالأدنى كأبي لهب عمه ، وامرأة أبي لهب ، وهي أم جميل بنت حرب بن أمية وإحدى أولاد عبد مناف . ثم ما كان من عقبه بن أبي مغيص وهو ابن عمه ، وما كان من النضر بن الحارث وهو من بنى عبد الدار بن قصي وهو ابن عمه أيضا ، وغير هؤلاء ممن يطول تعداده ، وكلهم كان يطرح الأذى في طريقه وينقل أخباره ، ويرمي به بالحجارة ، ويرمي السكش والقرث<sup>(٢)</sup> عليه . وكانوا يؤذون عليها عليه السلام كأذاه ، ويجهدون في غمه ويستهنئون به ، وما كان لأبي بكر قرابة تؤذيه كقرابة علي . ولما كان بين علي وبين النبي صلى الله عليه وآله من الاتحاد والإلفة والاتفاق ، أحجم المنافقون بالمدينة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وآله خوفا من سيفه وأنه صاحب الدار والجيش ، وأمره مطاع وقوله نافذ ، تخافوا على دمائهم منه فاتقوه ، وأمسكوا عن إظهار بغضه وأظهروا بنص على عليه السلام وشدة آتانه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه الخبر الذي روى في جميع الصحاح : « لا يحبك إلا مؤمن ، ولا ينفك إلا منافق » . وقال كثير من أعلام الصحابة كما روى في الخبر المشهور بين الهدثين : « ما كنا نعرف المنافقين إلا يبنض على بن أبي طالب » . وأين كان ظهر

(١) هذا ما في ط . وهدلما في الأصل : « وقوله » فقط .

(٢) في الأصل : « والضرب » صوابه في ط .

أبي طالب من جعفر وقد أزعجه الأذى من وطنه حتى هاجر إلى بلاد الحبشة وأوركب البحر . أتوهم الجاحظ أن أبا طالب نصر عليا وخذل جعفراً ١٢

( ٥ )

ص ٢٥ - ٢٧ من الثمانية

أما ما ذكره من كثرة المال والصديق ، واستفاضة الذكر وبعد الصيت ، وكبر السن ، فكله عليه لاله . وذلك لأنه قد علم أن من سيرة العرب وأخلاقها حفظ الصديق ، والوفاء بالندام ، والتهيب لدى الثروة ، واحترام ذى السن العالية ، وفى كل هذا ظهر شديد وسند ، وثقة يستمد عليها عند المحن ، ولذلك كان المرء منهم إذا تمكن من صديقه أبقى عليه واستحيا منه ، وكان ذلك سبباً لنجاته والعفو عنه .

على أن على بن أبى طالب عليه السلام إن لم يكن شهره سنة فقد شهره نسبه وموضعه من بى هاشم ، وإن لم يستفض ذكره بقاء الرجال وكثرة الأسفار استفاض بأبى طالب . فأنتم تملكون أنه ليس تيم فى بعد الصيت كهاشم ، ولا أبو قحافة كأبى طالب . وعلى حسب ذلك يملو ذكر الفتي على ذى السن ، ويعد صيت الحدث على الشيخ .

ومعلوم أيضاً أن علياً على أعتاق المشركين أثقل ، إذ كان هاشمياً وإن كان أبوه حاكى رسول الله صلى الله عليه وآله والمسانع لحوزته . وعلى هو الذى فتح على العرب باب الخلاف واستهان بهم بما أظهر من الإسلام والصلاة ، وخالف رطله وعشيرته وأطاح ابن عمه فيما لم يعرف من قبل ، ولا عهد له نظير ، كما قال تعالى : « لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون » .

ثم كان بعد صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ومشتكى حزنه ، وأنيسه فى خلوته وجليسه ، وأليفه فى أيامه كلها . وكل هذا يوجب التحريض عليه ومعاداة العرب له .

ثم أنتم معاشر<sup>(١)</sup> الثمانية تثبتون لأبى بكر فضيلة بصحبة الرسول صلى الله عليه

(١) ط : « معشر »

وآله من مكة إلى يثرب ، ودخوله معه في النار ، فقلتم : مرتبة شريفة ، وحالة جليلة ، إذ كان شريكه في الهجرة ، وأنيسه في الوحشة ، فأين هذه من محبة علي عليه السلام له في خلوته ، وحيث لا يجد أنيساً غيره ليلته ونهاره ، أيام مقامه بمكة يمد الله معه سرا ، ويتكاف له الحاجة جهرا ، ويخدمه كالعبد يخدم مولاه ، ويشفق عليه ويحوطه ، وكلولد يبر والده ويمطف عليه .

ولما سئلت عائشة : من كان أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قالت : أما من الرجال فلي ، وأما من النساء ففاطمة .

### (٦)

ص ٢٧ - ٣١ من الثمانية

أما القول فمكن والدعوى سهلة ، سيما على مثل الجاحظ ، فإنه ليس على لسانه من دينه وعقله رقيب ، وهو من دعوى الباطل غير بعيد ، فتمناه نزر ، وقوله لفر ، ومطلبه سجع ، وكلامه لمب وهو ، يقول الشيء وخلافه ويحسن القول ومنده ، ليس له من نفسه واعظ ، ولا لدعواه حد قائم . وإلا فكيف تجاسر على القول بأن عليا حينئذ لم يكن مطلوباً ولا طالباً ؟ ! وقد بينا بالأخبار الصحيحة والحديث المرفوع المسند أنه كان يوم أسلم بالناس كاملاً ، منابذاً بلسانه وقلبه لمشركي قريش ، ثقيلاً على قلوبهم ، وهو المخصوص دون أبي بكر بالحصار في الشعب ، وصاحب الخلوات برسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الظلمات ، التجرع لنمص المرار من أبي لمب وأبي جهل وغيرهما ، والمصطفى لكل مكروه ، والشريك لنيبه في كل أذى ، قد نهض بالحل الثقيل ، وبأن بالأمر الجليل . ومن الذي كان يخرج ليلاً من الشعب على هيئة السارق ، ويخفي نفسه ويضائل شخصه ، حتى يأتي إلى من يبعثه إليه أبو طالب من كبراء قريش ، كطعم بن عدى وغيره ، فيحمل لبني هاشم على ظهره أعدال الدقيق والقمع ، وهو على أشد خوف من أعدائهم كأبي جهل وغيره ، لو ظفروا به لأراقوا دمه . أعلى كان يفعل ذلك أيام الحصار في الشعب أم أبو بكر ؟

وقد ذكر هو عليه السلام حاله يومئذ ، فقال في خطبة له مشهورة : « فتماقدوا ألا ياملونا ولا يناكفونا ، وأوقدت الحرب علينا نيرانها ، واضطرونا إلى جيل وعمر ، مؤمننا يرجو الثواب ، وكافرنا يحاى عن الأصل » . ولقد كانت القبائل كلها اجتمعت عليهم ، وقطعوا عنهم المأوى والميرة ، فكانوا يتوقمون الموت جوعاً صباحاً ومساءً ، لا يرؤن وجهاً ولا فرجاً ، قد اضمحل هزمهم وانقطع رجاؤهم ، فمن الذى خلص إليه مكروه تلك المحن بمد محمد صلى الله عليه وآله إلا على عليه السلام وحده . وما عسى أن يقول الواسف والمطلب في هذه الفضيلة من تقصى معانيها وبلوغ غاية كنهها وفضيلة الصابرين . ودامت هذه الهبة ثلاث سنين حتى <sup>(١)</sup> انفرجت عنهم بقصة الصبيفة . والقصة مشهورة .

وكيف يستحسن الجاحظ لنفسه أن يقول في حق عليه السلام : إنه قبل الهجرة كان وادعاً رافضاً ، لم يكن مطالباً ولا طالباً ، وهو صاحب الفراش ، الذى فدى رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه ، ووقاه بمهجته ، واحتمل السيوف ، ورضخ الحجارة دونه . وهل ينتهى الواسف وإن أطنب ، والمادح وإن أسهب ، إلى الإبانة عن مقدار هذه الفضيلة ، والإيضاح لمزية هذه الخصيصة .

فأما قوله : « إن أبى بكر حبيب بمكة » فإننا لا نعلم أن المذاب كان واقفاً إلا بعبد أو عسيف ، أو لمن لا عشيرة له تنفمه . فأنتم في أبى بكر بين أمرين : نارة تجملونه دخيلاً ساقطاً وهيناً ، وذليلاً مستضعفاً [ ذليلاً ] ، وتارة تجملونه رئيساً متبعاً وكبيراً مطاعاً ، فاعتمدوا على أحد القولين لتكلمكم بحسب ما تختارونه لأنفسكم .

ولو كان الفضل في الفتنة والمذاب لكان عمار وخباب وبلال وكل معذب بمكة أفضل من أبى بكر ، لأنهم كانوا من المذاب في أكثر مما كان فيه ، ونزل فيهم من القرآن ما لم ينزل فيه ، كقوله تعالى : « والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا » قالوا : نزلت في خباب وبلال . ونزل في عمار قوله : « إلا من أكره وقلبه

(١) في الأصل : « لو » ، صوابه في ط .

مُطْمَئِنِّينَ بِالْإِيمَانِ . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمر على عمار وأبيه وأمه وهم يمدبون ، يمدبهم بنو غزوم لأنهم كانوا حلفاءهم ، فيقول : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة » . وكان بلال يقبل على الرمضاء وهو يقول : أحد أحد ١١ وما سمعنا لأبي بكر في شيء من ذلك ذكراً .

ولقد كان لملي عليه السلام عنده يد غراء — إن صح ما رويتموه في تمذيه — لأنه قتل نوفل بن خويلد ، وصهر<sup>(١)</sup> بن عتيان يوم بدر . ضرب نوفلاً فقطع ساقه فقال : أذكرك الله والرحم ! فقال : قد قطع الله كل رحم وصهر ، إلا من كان تابياً لمحمد ! ثم ضربه أخرى ففاضت نفسه . وصعد لمير<sup>(٢)</sup> بن عتيان التيمي فوجده يروم الحرب وقد ارتج عليه السلك ، فضربه على شراسيف<sup>(٣)</sup> صدره ، فصار نصغه الأعلى بين رجله . وليس أن أبا بكر لم يطلب بثأره منهما ويجهد ، [ لكنه ] لم يقدر على أن يفعل فعل علي عليه السلام ، فبان على عليه السلام بفعله دونه .

## ( ٧ )

ص ٢٨ — ٢٩ من العمانيّة

كيف كانت بنو جريح تؤذى عتيان بن مظعون وتضربه وهو فيهم ذو مسطوة وقدر ، وترك أبا بكر يبنى مسجداً يفعل فيه ما ذكرتم . وأنتم الذين رويتم عن ابن مسعود أنه قال : « ما صلبنا ظاهرين حتى أسلم عمر بن الخطاب » . والذي تذكرونه من بناء المسجد كان قبل عمر ، فكيف هذا ؟

وأما ما ذكرتم من رقة سوته وعَتَاق<sup>(٤)</sup> وجهه فكيف يكون ذلك وقد روى الواقدي وغيره ، أن عائشة رأت رجلاً من العرب خفيف المارضين ، مروق الخدين ،

(١) هذه من ط .

(٢) في الأصل : « عمر » ، صوابه في ط والسيرة ٥٠٨ .

(٣) كذا في ط . وفي الأصل : « شر سوف » .

(٤) الطاق : المتق .



غائر المنيّن ، أجباً<sup>(١)</sup> لا يسك إزاره ، قتالت : ما رأيت أشبه بأبي بكر من هذا .  
فلا ! اها دلت على شيء من الجمال في صفته .

## ( ٨ )

ص ٣١ - من المنيّة

هذا الكلام ومجر السكران سواء في تقارب المخرج واضطراب المعنى ، وذلك أن قريشاً لم تقدر على أخذى النبي صلى الله عليه وآله وأبو طالب حتى يمنه ، فلما مات طلبته لقتله ، فخرج تارة إلى بى عامر ، وتارة إلى ثقيف ، وتارة إلى بى شيبان ، ولم يكن يتجاسر على المقام بمكة إلا مستتراً حتى أجاره مطعم بن عدي ، ثم خرج إلى المدينة فبذلت فيه مائة بعير لشدة حنقها عليه ، حين فاتها فلم تقدر عليه . فإلها بذلت في أبي بكر مائة بعير أخرى وقد كان ردّ الجوارز وبقي بينهم فرداً لا ناصر له ، ولا دافع عنده ، يضمنون به ما يريدون . إما أن يكونوا أجهل البرية كلها ، أو يكون المنيّة أكذب جيل في الأرض وأوقعه وجهاً . وهذا مما لم يذكر في سيرة ، ولا روى في أثر ، ولا سمع به بشر ، ولا سبق الجاحظ به أحد .

## ( ٩ )

ص ٣١ - من المنيّة

ما أعجب هذا القول ، إذ تدعى المنيّة لأبي بكر الرفق في الدماء وحسن الاحتجاج وقد أسلم ومعه في منزله ابنه عبد الرحمن فما قدر أن يدخله الإسلام طوما برقته ولطف احتجاجه ، ولا كرهاً بقطع النفقة عنه وإدخال الكروه عليه ، ولا كان لأبي بكر عند ابنه عبد الرحمن من القدر ما يطعمه فيها يأمره به ويدعوه إليه ، كما روى أن أبا طالب فقد النبي صلى الله عليه وآله يوماً وكان يخاف عليه من قريش أن يقتلوه فخرج ومعه ابنه جعفر يطلبان النبي صلى الله عليه وآله ، فوجده قائماً في بعض شعاب

(١) الأجناً من الجنأ ، وهو ميل الظهر .

مكة يصلي وعلى عليه السلام معه عن يمينه ، فلما رآها أبو طالب قال لجمعهم : تقدم  
وميل جناح ابن عمك ! فقام جعفر عن يسار محمد صلى الله عليه وسلم فلما صاروا ثلاثة  
تقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وتأخر الأخوان ، فبكى أبو طالب وقال :

إن عليا وجعفرًا ثقي عند ملي الخطوب والنوب  
لا نخذلا وانصرا ابن عمك أخى لأى من بينهم وأبى  
والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بى ذو حسب

فتذكر الرواة أن جعفرًا أسلم منذ ذلك اليوم لأن أباه أمره بذلك وأطاع أمره .  
وأبو بكر لم يقدر على إدخال ابنه عبدالرحمن في الإسلام ، حتى أقام بمكة على كفره ثلاث  
عشرة سنة . وخرج يوم أحد في عسكر المشركين ينادى : أنا عبد الرحمن بن حنيفة  
هل من مبارز ! ثم مكث بعد ذلك على كفره حتى أسلم عام الفتح ، وهو اليوم الذى  
دخلت فيه قريش في الإسلام طوعا وكرها ، ولم يجد أحد منها إلى ترك ذلك سبيلا .  
وأبى كان رفق أبى بكر وحسن احتجاجه عند أبيه أبى قحافة وما في دار  
واحدة ؟ هلا رفق به ودعاه إلى الإسلام فأسلم . وقد علمت أنه بقى على الكفر إلى يوم  
الفتح فأحضره ابنه عند النبي صلى الله عليه وآله وهو شيخ كبير رأسه كالثنامة<sup>(١)</sup> فففر  
رسول الله صلى الله عليه وآله منه وقال : فيروا هذا . فخصبوه ثم جاءوا به مرة أخرى  
فأسلم . وكان أبو قحافة فقيرا مدقما سيئ الحال وأبو بكر عندهم كان مثرى فأنض  
للال ، فلم يمكنه استئذنه إلى الإسلام بالنفقة والإحسان . وقد كانت امرأة أبى بكر  
أم عبد الله ابنة — واسمها نائلة بنت عبد المزي بن أسعد بن عبد ود المامية — لم تسلم  
وأقامت على شركها بمكة ، وهاجر أبو بكر وهى كافرة ، فلما نزل قوله تعالى : « ولا  
تمسكوا بعصم الكوافر » فطلقها أبو بكر . فمن عجز عن ابنه وأبيه وامرأته فهو عن  
غيرهم من التبراء أعجز ، ومن لم يقبل منه أبوه وابنه وامرأته لا يرفق واحتجاج ،  
ولا خوفاً من قطع النفقة عنهم وإدخال المكروه عليهم فنيهم أقل قبولاً منه ، وأقل  
خلافاً عليه .

(١) الثنامة ، كسحاب ، ضرب من النبات أبيض .

أخبرونا من هذا الذي أسلم ذلك اليوم من أهل بيت أبي بكر ، إذا كانت امرأته لم تسلم وابنه عبد الرحمن لم يسلم وأبو قحافة لم يسلم ، وأخته أم فروة لم تسلم ، وعائشة لم تكن قد ولدت في ذلك الوقت ، لأنها ولدت بعد مبعث النبي صلى الله عليه وآله بخمس سنين ، ومحمد بن أبي بكر ولد بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بثلاث وعشرين سنة ، لأنه ولد في حجة الوداع . وأسماء بنت أبي بكر التي قد روى الجاحظ هذا الخبر عنها كانت يوم مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بنت أربع سنين ، وفي رواية من يقول : بنت سنتين . فمن الذي أسلم من أهل بيته يوم أسلم . نموذ بالله من الجهل والكذب والمكارة . وكيف أسلم سعد والزبير وعبد الرحمن بداء أبي بكر وليسوا من رعه ولا من أترابه ولا من جلسائه ولا كانت بينهم قبل ذلك صداقة متقدمة ولا أنس وكيد . وكيف ترك أبو بكر عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة لم يدخلهما في الإسلام برفقه وحسن دعائه ، وقد زعمتم أنهما كانا يجلسان إليه لملته وطريف حديثه . وما باله لم يدخل جبير بن مطعم في الإسلام وقد ذكرتم أنه أذبه وخرجه ، ومنه أخذ جبير العلم بأنساب قريش وماثرها . فكيف عجز عن هؤلاء الذين عددناهم - وهم منه بالخال التي وصفنا - ودعا من لم يكن بينه وبينه أنس ولا معرفة إلا معرفة عيان . وكيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب وقد كان شكله وأقرب الناس شبيهاً به في أغلب أخلاقه . ولكن رجعت إلى الإنصاف لتعلمن أن هؤلاء لم يكن إسلامهم إلا بدعاء الرسول صلى الله عليه وآله لهم ، وعلى يديه أسلموا .

ولو فكرتم في حسن التأني في الدعاء ليصحن " لأبي طالب في ذلك - على شركه - أضعاف ما ذكرتموه لأبي بكر ، لأنكم رويت أن أبا طالب قال لعلي عليه السلام : يا بني الزمه فإنه لن يدموك إلا إلى خير . وقال لجمفر : صل جناح ابن عكك . فأسلم بقوله ، ولأجله أسفقت بنو عبد مناف على نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله

بمكة من بنى غزوم وبنى سهم وبنى جمع . ولأجله صبر بنو هاشم على الحصار في الشعب ، وبدعائه وإقباله على محمد صلى الله عليه وآله أسلمت امرأته فاطمة بنت أسد . فهو أحسن رفقا وأمين نقيبة من أبي بكر وغيره . وما منعه عن الإسلام إن ثبت أنه لم يسلم إلا نفية . وأبو بكر لم يكن له إلا ابن واحد ، وهو عبد الرحمن ، فلم يمكنه أن يدخله في الإسلام ولا أمكنه إذ لم يقبل منه الإسلام أن يجعله كيمض مشركي قريش في قلة الأذى لرسول الله صلى الله عليه وآله . وفيه أنزل : « والذى قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي ، وهما يستغيثان الله ويكف آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين » .

وإنما يعرف حسن رفق الرجل ونأنيبه بأن يصلح أولا أمر بيته وأهله ثم يدعو الأقرب فالأقرب ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما بعث كان أول من دعا زوجته خديجة ثم مكفوله وابن عمه عليا عليه السلام ، ثم مولاه زيدا ، ثم أم أيمن خادمته . فهل رأيتم أحدا ممن كان يأوي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لم يسارع ؟ وهل الثالث عليه أحد من هؤلاء ؟ فهكذا يكون حسن التأني والرفق في الدماء . هذا ورسول الله مقل ، وهو من جملة عيال خديجة حين بعثه الله تعالى ، وأبو بكر عندكم كان موسرا وكان أبوه مقتر<sup>(١)</sup> ، وكذلك ابنه وامرأته أم عبد الله . والموسر في فطرة القول أولى أن يتبع من المقتر . وإنما حسن التأني والرفق في الدماء ما صنعه مصعب بن عمير لسعد بن معاذ لما دعاه ، وما صنع سعد بن معاذ ببني عبد الأشهل لما دعاهم وما صنع بريدة بن الحصيب بأسلم لما دعاهم ، قالوا : أسلم بدعائه ثمانون بيتا من قومه . وأسلم بنو عبد الأشهل بدعاء سعد في يوم واحد . وأما من لم يسلم ابنه ولا امرأته ولا أبوه ولا أخته بدعائه فهيات أن يوصف ويذكر بالرفق في الدماء ، وحسن التأني والأناة .

---

(١) المقتر : القليل المال .

(١١)

ص ٣٣ - ٣٥ من الثانية

أما بلال وعاصم بن فهيرة فإنما اعتقهما رسول الله صلى الله عليه وآله .  
روى ذلك الواقدي وابن إسحاق وغيرهما . وأما باقى مواليتهم الأربع فإن  
ساعتنا كم فى دعواكم لم يبلغ ثمنهم فى تلك الحال لشدة بنض مواليتهم لهم إلا مائة درهم  
أو نحوها ، فأى فخر فى هذا ؟

وأما الآية فإن ابن عباس قال فى تفسيرها : « وأما من من أعطى واتق . وصدق  
بالحسنى . فسنيسره لليسرى » أى لأن يمود . وقال غيره : نزلت فى مصعب بن عمير .

(١٢)

ص ٣٥ - ٣٦ من الثانية

أخبرونا على أى نوائب الإسلام أنفق هذا المال ، وفى أى وجه وضعه ، فإنه ليس  
بجائز أن يخفى ذلك ويدرس حتى يفوت حفظه ، وينسى ذكره .

وأنتم فلم تتفقوا على شيء أكثر من عتقه بزمكم ست رقاب لعلها يبلغ ثمنها فى  
ذلك العصر مائة درهم . وكيف يدعى له الإنفاق الجليل وقد باع من رسول الله صلى  
الله عليه وآله يمينين هند خروجه إلى يثرب وأخذ منه الثمن فى تلك الحال ، روى  
ذلك جميع المحدثين .

وقد رويتم أيضا أنه كان حيث كان بالمدينة موسرا . ورويتم عن عائشة أنها  
قالت : هاجر أبو بكر وعنده عشرة آلاف درهم . وقتلتم إن الله تعالى أنزل فيه :  
« ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى » .

قلت : هى فى أبى بكر ومسطح بن أثامة . فأين الفقر الذى زعمتم أنه أنفق حتى  
تخلل بالبائة (١) .

---

(١) فى الأصل : « بالبائة » ، وأثبت ما فى ط .

ورويتم أن لله تعالى في سمائه ملائكة يتخللوا بالماء وأن النبي صلى الله عليه وآله وآله رآهم ليلة الإسراء فسأل جبريل عنهم فقال : هؤلاء ملائكة تأسوا بأبي بكر بن أبي قحافة صديقك في الأرض ، فإنه سينفق عليك ماله حتى يحل عبادة في عنقه .

وأتم رويتم أيضا أن الله تعالى لما أنزل آية النجوى فقال : « يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلكم خير لكم » ، الآية . لم يعمل بها إلا علي بن أبي طالب وحده ، مع إقراركم بقرءه وقلة ذات يده ، وأبو بكر في الذي ذكرنا من السعة أمسك عن مناجاته ، فماتب الله المؤمنين في ذلك فقال : « أأشقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تعملوا وتاب الله عليكم » ، فجعله سبحانه ذنبا يتوب عليهم منه ، وهو إمساكهم عن تقديم الصدقة . فكيف سخط نفسه بإتفاق أربعين ألفا وأمسك عن مناجاة الرسول ، وإنما كان يحتاج إلى إخراج درهمين .

وأما ما ذكرتم من كثرة عياله ونفقته عليهم فليس في ذلك دليل على تفضيله ، لأن نفقته على عياله واجبة . مع أن أرباب السير ذكروا أنه لم يكن ينفق على أبيه شيئا ، وأنه كان أجيرا لابن جُدعان على مائدته يطرد عنها الدباب .

### (١٣)

ص ٣٧ - ٣٩ من المئانية

إننا لا ننكر فضل الصحابة وسوابقهم . ولسنا كالإمامية الذين يحملهم الهوى على جسد الأمور المألومة ، ولكننا ننكر تفضيل أحد الصحابة على علي بن أبي طالب ولسنا ننكر غير ذلك - وننكر تمصّب الجاحظ للمئانية وقصده إلى فضائل هذا الرجل ومناقبه بالرد والإبطال . وأما حمزة فهو عندنا ذو فضل عظيم ، ومقام جليل ، وهوسيد الشهداء الذين استشهدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله .

وأما فضل عمر فتير متكر ، وكذلك اثريير وسعد ، وليس فيما ذكرنا ما يقتضى كون علي عليه السلام مفضولا لهم أولنبرهم إلا قوله « وكل هذه الفضائل لم يكن لعل عليه السلام فيها ناقة ولا جمل » فإن هذا من التمصّب البارد والحيف ، الفاحش .

وقد قدمنا من آثار على عليه السلام قبل الهجرة وماله إذ ذاك من الغائب والمخاض ما هو أفضل وأعظم وأشرف من جميع ما ذكر لهؤلاء . على أن أرباب السيرة يقولون : إن الشجرة التي شجها سعد ، وأن السيف الذي سله الزبير هو الذي جلب الحصار في الشعب على النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم ، وهو الذي سير جعفر وأصحابه إلى الحبشة . وسل السيف في الوقت الذي لم يؤمر المسلمون فيه بسل السيف غير جائز . قال تعالى . « ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله » فتبين أن التكليف له أوقات ، فنها وقت لا يصلح فيه سل السيف ، ومنها وقت يصلح فيه ويجب .

فأما قوله تعالى : « لا يستوى متكم من أنفق » فقد ذكرنا ما عندنا من دعوام لأبي بكر لإنفاق المال . وأيضاً فإن الله تعالى لم يذكر إنفاق المال مفرداً ، وإنما قرن به القتال . ولم يكن أبو بكر صاحب قتال وحرب ، فلا تشمل الآية . وكان على عليه السلام صاحب قتال وإنفاق قبل الفتح . أما قتاله فملوم بالضرورة ، وأما إنفاقه فقد كان على حسب حاله وفقره . وهو الذي أطعم الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً . وأُنزلت فيه وفي زوجته وابنيه سورة كاملة من القرآن<sup>(١)</sup> ، وهو الذي ملك أربعة دراهم فأخرج منها درهما سراً ودرهما علانية ليلاً ، ثم أخرج منها في النهار درهماً سراً ودرهماً علانية ، فأُنزل فيه قوله تعالى « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية » .

وهو الذي قدم بين يدي نجواه صدقة دون المسلمين كافة . وهو الذي تصدق بجماعته وهو راحك ، فأُنزل الله فيه : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » .

(١) حسناً من عظيم الافتراء . زعم ذلك بعض غلاة الشيعة . انظر فصل الخطاب ، لحسين ابن محمد بن النوري الطبرسي ص ١٥٦ ، فقد أورد سورة غنقة أولها « بسم الله الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم » ١

( ١٤ )

ص ٣٩ — ٤٠ من المئانية

لا أشك أن الباطل خان أبا عثمان ، والخطأ أقدمه ، والخذلان أصاره إلى الحيرة ، فما علم وعرف حتى قال ما قال . فزعم أن عليا عليه السلام قبل الهجرة لم يمتحن ولم يكابد المشاق ، وأنه إنما قامى مشاق التكليف وعين الابتلاء منذ يوم بدر ، ونسى الحصار في الشعب ومأمنى به ، وأبو بكر وادع رافعه<sup>١</sup> يأكل ما يريد ويجلس مع من يحب غلى<sup>٢</sup> سر به طيبة نفسه ، ساكنا قلبه ، وعلى يقاسى النمرات ويكابد الأهوال ، ويجوع ويظلم ، ويتوقع القتل صباحا ومساء ؛ لأنه كان هو المتوصل المحتال في إحضار قوت زهيد من شيوخ قريش وعقلائها سرا ، ليقيم به رمق رسول الله صلى الله عليه وآله وبني هاشم وهم في الحصار ، ولا يأمن في كل وقت مفاجأة أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله له بالقتل ، كأبي جهل بن هشام ، وعقبة بن أبى مُعيط ، والوليد ابن الخثيرة ، وعتبة بن ربيعة ، وغيرهم من فراصة قريش وجبايرتها . ولقد كان يجيع نفسه ويظلم رسول الله صلى الله عليه وآله زاده ، ويظلم نفسه ويسقيه ماء ، وهو كان الملل له إذا مرض ، والمؤنس له إذا استوحش ، وأبو بكر بنحوه عن ذلك لا يسه عما يسهم ألم ، ولم يلحقه مما يلحقهم مشقة ، ولا يعلم بشيء من أخبارهم وأحوالهم إلا على سبيل الإجمال دون التفصيل ، ثلاث سدين محرمة معاملتهم ومناحتهم ومجالسهم ، محبوسين محصورين ، ممنوعين من الخروج ، والتصرف في أنفسهم . فكيف أهل الجاحظ هذه الفضيلة ونسى هذه الخصيصة ولا نظير لها . ولكن لا يبالى الجاحظ بمد أن يسوخ له لفظه وتُنسَق<sup>(١)</sup> له خطابه ماضيع من المعنى ورجع عليه من الخلق .

فأما قوله « وعلموا أن المأقبة للمتقين » ففيه إشارة إلى معنى خامس قصد الجاحظ ، ينى أن لا فضيلة لملى عليه السلام في الجهاد ؛ لأن الرسول كان أعلمه أنه

(١) كذا في ط . وفي الأصل : « وتلقى » .



منصور ، وأن الماقبة له . وهذا من وساوس الجاحظ وهزاته ولزاته ، وليس بحق ما قاله ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم أصحابه جملة أن الماقبة لهم ، ولم يُعلم واحداً منهم بميته أنه لا يُقتل لا علياً ولا غيره . وإن صح أنه كان أعلمه أنه لا يقتل فلم يعلمه أنه لا يقطع عضو من أعضائه ، ولم يعلمه أنه لا يمسه ألم الجراح في جسده ، ولم يعلمه أنه لا يتاله الضرب الشديد .

وعلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أعلم أصحابه قبل يوم بدر ، وهو يومئذ بمكة ، أن الماقبة لهم ، كما أعلم أصحابه بمد الهجرة ذلك . فإن لم يكن لمل والمجاهدين فضيلة في الجهاد بمد الهجرة لإعلامه إياهم بذلك فلا فضيلة لأبي بكر وغيره في احتمال الشاق قبل الهجرة ؛ لإعلامه إياهم بذلك . فقد جاء في الخبر : أنه وعد أبا بكر قبل الهجرة بالنصر ، وأنه قال له : أرسلت إلى هؤلاء بالذبح وأن الله سيفنمنا أموالهم ويمسكننا ديارهم . فاقول في الموضعين متساو ومتفق<sup>(١)</sup> .

### (١٥)

ص ٤١ — ٤٢ من الثمانية

ما نرى الجاحظ احتج لكون أبي بكر أغلظهم وأشدهم عنة إلا بقوله : لأنه أقام بمكة مدة مقام الرسول صلى الله عليه وآله بها . وهذه الحجة لا تختص أبا بكر وحده ، لأن علياً عليه السلام أقام معه هذه المدة ، وكذلك طلحة وزيد وعبد الرحمن وبلال وخباب وغيرهم . وقد كان الواجب عليه أن يخص أبا بكر وحده بحجة تدل على أنه كان أغلظ الجماعة وأشدهم عنة بمد رسول الله صلى الله عليه وآله . فلاحتجاج في نفسه فاسد .

ثم يقال له : ما بالك أهملت أمر مبيت على عليه السلام على الفراش بمكة ليلة الهجرة ، هل نسيت أم تناسيته ؟ فإنها المنة العظيمة والفضيلة الشريفة ، التي من امتحنها الناظر وأجال فكره فيها ، رأى تحتها فضائل متفرقة ، ومقاب متنايرة . وذلك :

(١) في ط : « ومتفق »

أنه لما استقر الخبر عند المشركين أن رسول الله صلى الله عليه وآله مجمع على الخروج من بينهم للهجرة إلى غيرهم قصدوا إلى مجالته ، وتماقدوا على أن يبيتوه في فراشه وأن يضربوه بأسيايف كثيرة ، بيد كل صاحب قبيلة من قريش سيفٌ منها ؛ ليضيق دمه بين الشعوب ، ويتفرق بين القبائل ، ولا يطلب بنو هاشم بدمه قبيلة واحدة بعينها من بطون قريش ، وتحالفوا على ذلك تلك الليلة واجتمعوا عليها ، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وآله من أمرهم دعا أوثق الناس عنده وأمثلهم في نفسه ، وأبذلهم في ذات الإله لمهجته ، وأسرعهم إجابة إلى طاعته ، فقال له : إن قريشاً قد تحالفت على أن تبتغي هذه الليلة ، فامض إلى فراشي ونم في مضجعي والتف في بردى الحضرى ، ليروا أنى لم أخرج ، وإنى خارج إن شاء الله . فنهى أولاً من التحرز وإعمال الحيلة ، وصده عن الاستظهار لنفسه بنوع من أنواع المكاييد والجهات التي يحتاط بها الناس لنفوسهم ، وأجأه إلى أن يعرض نفسه لطيات السيوف الشحيذة من أرباب الحق والنيظة ، فأجاب إلى ذلك سامعاً مطيعاً ، طيبة بها نفسه ، ونام على فراشه صابراً محتسباً ، واقياً له بمهجته ينتظر القتل . ولا نعلم فوق بذل النفس درجة يلتبسها صابر ، ولا يبلغها طالب ، «والجود بالنفس أقصى غاية الجود»<sup>(١)</sup> . ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله علم أنه أهل لذلك لما أهله ، ولو كان عنده قصص في صبره أوفى شجاعته أو في مناصحته لابن عمه واختير لذلك ، لكان من اختاره منقوضاً في رأيه ، مضراً في اختياره ولا يجوز أن يقول هذا أحد من أهل الإسلام ، وكلهم مجمعون على أن الرسول صلى الله عليه وآله حمل الصواب ، وأحسن في الاختيار . ثم في ذلك إذا تأمله التأمل وجوه من الفضل : منها أنه وإن كان عنده في موضع الثقة فإنه غير مأمون عليه ألا يضبط السر فيفسد التدبير بإفشائه تلك الليلة إلى من يلتقي إلى الأعداء . ومنها أنه وإن كان ضابطاً للسر وثقة عند من اختاره فغير مأمون عليه الجبن عند مفاجأة الكروه ومباشرة الأهوال ، فيفر من الفراش ، فيغفلن

(١) عجز بيت لمسلم بن الوليد وصدره :

● يجود بالنفس إن ضن الجواد بها ●

لموضع الحيلة ويطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظفر به . ومنها أنه وإن كان ثقة ضابطاً للسر شجاعاً نجداً فلمه غير محتمل للمبيت على الفراش ؛ لأن هذا أمر خارج عن الشجاعة إن كان قد قامه مقام المكتوف الممنوع ، بل هو أشد مشقة من المكتوف الممنوع ، لأن المكتوف الممنوع يعلم من نفسه أنه لا سبيل إلى الهرب وهذا يجد السبيل إلى الهرب وإلى الدفع عن نفسه ، ولا يهرب ولا يدافع . ومنها أنه وإن كان ثقة عنده ضابطاً للسر شجاعاً محتملاً للمبيت على الفراش فإنه غير مأمون أن يذهب صبره عند المقاومة الواقعة ، والمذاب النازل بساحته ، حتى يروح بما عنده ويصير إلى الإقرار بما يمل به ، وهو أنه أخذ طريق كذا ، فيطلب فيؤخذ . فلهذا قال علماء المسلمين : إن فضيلة على عليه السلام تلك الليلة لا نعلم أحداً من البشر نال مثلها ، إلا ما كان من إسحاق وإبراهيم عند استسلامه للذبح . ولولا أن الأنبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا إن عنة على أعظم ، لأنه قد روى أن إسحاق تلى كلاً ما أمره أن يضطجع ، وبكى على نفسه ، وقد كان أبوه يعلم أن عنده في ذلك وقفة ، ولذلك قال له : « فانظر ماذا ترى » ، وحال على عليه السلام بخلاف ذلك ، لأنه ما تلى كلاً ولا تمتع ولا تغير لونه ولا اضطربت أعضاؤه . ولقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه عليه وآله يشيرون عليه بالرأى المخالف لما كان أمر به وتقدم فيه فتركه ويعمل بما أشاروا به ، كما جرى يوم الخندق في مصانعة الأحزاب بثلك تمر المدينة ، فإنهم أشاروا عليه بترك ذلك فتركه . وهذه كانت قاعدته معهم وعادته بينهم . وقد كان لملى عليه السلام أن يقتل بلة وأن يقف ويقول : يا رسول الله ، أكون معك أم هيك من العدو ، وأذب بسيفي هناك ، فلست مستغنياً في خروجك من مثلي ، ونجمل عبداً من عبيدنا في فراشك قائماً مقامك ، يقوم القوم برؤيته قائماً في بردك أنك لم تخرج ولم تفارق مركزك . فلم يقل ذلك ولا تحبس ، ولا توقف ولا تلمس ، وذلك لعل كل واحد منهما صلى الله عليه وآله أن أحداً لا يصبر على ثقل هذه الحقبة ، ولا يتورط في هذه الملكمة ، إلا من خصه الله تعالى بالصبر على مشقتها ، والفوز بفضيلتها . وله من جنس ذلك أفعال كثيرة ، كيوم دما مرو بن عبدود المسلمين

إلى المبارزة ، فأحجم الناس كلهم عنه لما علموا من بأسه وشدة . ثم كرر القداء  
 ققام على عليه السلام فقال : أنا أبرز إليه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :  
 إنه محرو . قال : نعم وأنا على . فأمره بالخروج إليه ، فلما خرج قال صلى الله عليه وآله :  
 برز الإيمان كله إلى الشرك كله . وكيوم أحد حيث حمى رسول الله صلى الله عليه وآله  
 من أبطال قريش وهم يقصدون قتله ، فقتلهم دونه حتى قال جبريل عليه السلام :  
 يا محمد ، إن هذه هي المواساة . فقال : « إنه منى وأنا منه » . فقال جبريل : وأنا  
 منكما . ولو عددنا أيامه ومقاماته التي شرى فيها نفسه لله تعالى لأطلنا وأسهبنا .

## (١٦)

ص ٤٢ - ٤٣ من النهاية

أما كثرة المستجيبين فالفضل فيها راجع إلى الجيب لا إلى الجاب . على أنا قد  
 علمنا أن من استجاب لموسى عليه السلام أكثر ممن استجاب لنوح عليه السلام ،  
 وثواب نوح أكثر ، لصبره على الأعداء ومقاساة خلافهم وعنتهم .

وأما إنفاق المال فأين عنة النبي من عنة الفقير ، وأين يمدل إسلام من أسلم  
 وهو غنى إن جاع أكل وإن أهيا ركب ، وإن عرى لبس ، قد وثق بيساره واستغنى  
 بماله ، واستعان على نوائب الدنيا بثروته — بمن لا يجد قوت يومه ، وإن وجد لم  
 يستأثر به ، فكان الفقر شواره ، وفي ذلك قيل : « الفقر شمار المؤمن » ، وقال الله  
 تعالى لموسى : يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحباً بشعار الصالحين . وفي الحديث  
 « إن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بمائة عام » . وكان النبي صلى الله عليه وسلم  
 يقول : « اللهم احشرنى فى زمرة الفقراء » . ولذلك أرسل الله محمداً صلى الله عليه  
 وآله فقيراً وكان بالفقر سيداً ، فقاسى محنة الفقر ومكابدة الجوع ، حتى شد الحبحر  
 على بطنه . وحسبك بالفقر فضيلة فى دين الله لمن صبر عليه ، فإنك لا تجد صاحب  
 الدنيا يتمناه ، لأنه مناف لحال الدنيا وأهلها ، وإنما هو شمار أهل الآخرة .

وأما طاعة على عليه السلام وكون الجاحظ زم أنها كانت لأن في عز محمد عزه  
وعز رطله ، بخلاف طاعة أبي بكر ، فهذا يفتح عليه أن يكون جهاد حمزة كذلك ،  
وجهاد عبيدة بن الحارث ، وهجرة جعفر إلى الحبشة ، بل لمل حماية المهاجرين من  
قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله كانت لأن في دولته دولتهم ، وفي نصرته  
استعداد ملك لهم . وهذا يجر إلى الإلحاد ويفتح باب الزندقة ، ويفضى إلى الطعن  
في الإسلام والنبوة .

### (١٧)

ص ٤٤ من المئانية

هذا فرق غير مؤثر ؛ لأنه قد ثبت بالتواتر حديث الفرائض ، فلا فرق بينه وبين  
ما ذكر في نص الكتاب ، ولا يبيحه إلا مجنون أو غير خالط لأهل الملة . أرايت  
كون الصلوات خمساً ، وكون زكاة الذهب ربع المشر ، وكون خروج الربح ناقضا  
للطهارة ، وأمثال ذلك مما هو معلوم بالتواتر حكمه ، هل هو مخالف لما نص  
في الكتاب عليه من الأحكام . هذا ما لا يقوله رشيد ولا عاقل . على أن الله تعالى لم  
يذكر اسم أبي بكر في الكتاب ، وإنما قال : « إذ يقول لصاحبه » ، وإنما علمنا أنه  
أبو بكر بالخبر وما ورد في السيرة . وقد قال أهل التفسير إن قوله تعالى : « ويمكر الله  
والله خير الماكرين » كناية عن على عليه السلام ، لأنه مكر بهم . وأول الآية  
« وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله  
والله خير الماكرين » . أنزلت في ليلة الهجرة ، ومكرهم كان توزيع السيوف على  
بطون قريش ، ومكر الله تعالى هو منام على عليه السلام على الفرائض . فلا فرق بين  
المؤمنين في أنها مذكوران كناية لا تصريحاً . وقد روى المفسرون كلهم أن قول  
الله تعالى : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » أنزلت في على عليه  
السلام ليلة البيت على الفرائض . فهذه مثل قوله تعالى : « إذ يقول لصاحبه » ،  
لا فرق بينهما .

هذا هو الكذب الصراح والتحريف ، والإدخال في الرواية ما ليس منها .  
والمرءف المنقول أنه صلى الله عليه وآله قال له : « اذهب فاضطجع في مضجعى  
وتنفس ببردى الحضرى فإن القوم سيفقدونى ولا يشهدون مضجعى ، فلملهم إذا  
رأوك يسكنهم ذلك حتى يصبحوا . فإذا أصبحت فاعد فى أمانتى » ولم ينقل  
ما ذكره الجاحظ ، وإنما ولده أبو بكر الأسم وأخذه الجاحظ ولا أصل له . ولو كان  
هذا صحيحاً لم يصل إليه منهم مكروه .

وقد وقع الاتفاق على أنه ضرب ورمى بالحجارة قبل أن يملوا من هو حتى  
تضور ، وأنهم قالوا له : رأينا تضورك ، فإننا كنا نرى محمداً ولا يتضور . ولأن  
لفظة « المكروه » إن كان قالها إنما يراد بها القتل ، فهب أنه أمن من القتل كيف  
يأمن من الضرب والمهوان ، أو من أن ينقطع بمض أعضائه ، وبأن سلت نفسه .  
أليس الله تعالى قال لنبىه : « بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته  
والله يعصمك من الناس » . ومع ذلك فقد كسرت رباعيته وشج وجهه وأدميت  
ساقه ، وذلك لأنها عصمة من القتل خاصة . وكذلك المكروه الذى أومن على عليه  
السلام منه — إن كان صح ذلك الحديث — إنما هو مكروه القتل .

ثم يقال له : وأبو بكر لافضيلة له أيضاً فى كونه فى النار ؛ لأن الذى صلى الله عليه  
وآله قال له : « لا تخزن إن الله معنا » ، ومن يكن الله معه فهو آمن لا محالة من  
كل سوء ، فكيف قلت « ولم ينقل ناقل أنه قال لأبى بكر فى النار مثل ذلك »  
فكل ما يجيب به عن هذا فهو جواب عما أورده . فنقول له : هذا ينقلب عليك  
فى النبى صلى الله عليه وآله ؛ لأن الله تعالى وعده بظهور دينه وطائفة أمره ، فيجب على  
قولك ألا يكون مثاباً عند الله تعالى على ما يحتمله من المكروه ولا ما يصيبه من  
الأذى ، إذ كان أبقن بالسلامة والفتح فى غده <sup>(١)</sup> .

(١) ط : « عده » أى وعده ، وأثبت ما فى الأصل .

( ١٩ )

ص ٤٥ - ٤٧ من المئانية

لقد أعطى أبو عبيان مقولا وحرم مقولا ، إن كان يقول هذا على اعتقاد ورجد ، ولم يذهب به مذهب اللعب والمزحل ، أو على طريق التفاسيح والتشادق ، وإظهار القوة والسلطة ، وذلافة اللسان ، وحدة المخاطر ، والقوة على جدال الخصوم .

ألم يعلم أبو عبيان أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أشجع البشر ، وأنه خاض الحروب وثبت في المواقف التي طاشت فيها الأبواب وبلنت القلوب الحناجر . ففنها يوم أحد ووقوفه بعد أن فر المسلمون بأجمعهم ولم يبق معه إلا أربعة : علي والزبير وطليحة وأبو دجانة ، فقاتل ورمى بالنبل حتى فنيت نبهه ، وانكسرت سية قوسه ، وانقطع وتره ، فأمر عكاشة بن محصن أن يوترها فقال : يارسول الله لا يبلغ الوتر . قال : أوتر ما بلغ . قال عكاشة : فوالذي بثنه بالحق لقد أوترت حتى بلغ وطويت منه شبرا على سية القوس ، ثم أخذها فما زال يرميهم حتى نظرت إلى قوسه قد تحطمت . وبارز أبي بن خلف فقال له أصحابه : إن شئت عطف عليه بمضنا فأبى وتناول الحربة من الحارث بن الصمة ثم انتفض بأصحابه كما ينتفض البعير . قالوا : فتطايروا عنه تطاير الشعائر<sup>(١)</sup> ! فطعننه بالحربة فجعل يخور كما يخور الثور . ولو لم يدل على ثباته حين انهزم أصحابه وتركوه إلا قوله تعالى : « إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلَوْنَهَا عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ » . فسكونه عليه السلام في أخراهم وهم يصعدون ولا يلبون هاربين دليل على أنه ثبت ولم يفر .

وثبت يوم حنين في تسمة من أهله ودرهطه الأذنين ، وقد فر المسلمون كلهم ، والنفر التسمة محدقون به : الباس آخذ بحكمة بثلثه ، وعلى بين يديه مصلت سيفه ، والباقون حول بثلة رسول الله صلى الله عليه وآله يمينه ويسرة ، وقد انهزم المهاجرون

(١) جمع شعور ، وهو ما يجتمع على دبرة البعير من الذبان .

والأنصار ، وكما فروا أقدم هو صلى الله عليه وآله ، وصمم مستقدا يلقى السيوف  
والنبل ينحدره وسنوره ، ثم أخذ كفا من البطحاء وحصب الشركين وقال :  
شاهت الوجوه !!

والخبر المشهور عن علي عليه السلام وهو أشجع البشر : « كنا إذا اشعد البأس  
وحى الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله ولذنا به » . فكيف يقول  
الجاحظ : إنه ما خاض الحرب ولا خالط السيوف . وأى فرية أعظم من فرية من نسب  
رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإحجام واعتزال الحرب ؟ ! ثم أى مناسبة بين  
أبي بكر ورسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المعنى ليقسه الجاحظ به <sup>(١)</sup> وينسبه  
إلى رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب الجيش والدعوة ، ورئيس الإسلام والملة  
والمحفوظ بين أصحابه وأعدائه بالسيادة ، وإليه الإيماء والإشارة ، وهو الذى أحقن  
قريناً والعرب ، وورى أكبادهم بالبراءة من آلتهم وعيب دينهم وتضليل أسلافهم ،  
ثم ورم فيما يمد بقتل رؤسائهم وأكابريهم . وحق لثله إذا تلحنى عن الحرب واعتزلهما  
أن يتنحى ويمتزل ، لأن ذلك شأن الملوك والرؤساء ، إذ كان الجيش متوطناً بهم  
وبيقاتهم ، فحق هلك الملك هلك الجيش ، ومتى سلم الملك أمكن أن يبقى عليه ملكه  
وإن عطب جيشه بأن يستجد جيشاً آخر ، ولذلك نهى الحكماء أن يباشر الملك  
الحرب بنفسه ، وخطؤوا الإسكندر لما بارز فوراً <sup>(٢)</sup> ملك الهند ، ونسبوه إلى مجانبه  
الحكمة ، ومفارقة الصواب والحزم . فليقل لنا الجاحظ : أى مدخل لأبي بكر في هذا  
المعنى ؟ ومن الذى كان يعرفه من أعداء المسلمين <sup>(٣)</sup> ليقصده بالقتل ، وهل هو إلا واحد  
من عرض المهاجرين حكمه حكم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما ، بل كان  
عثمان أبه سيئاً <sup>(٤)</sup> وأشرف منه مركبا ، والميون إليه أطمع ، والمدو عليه أحقن

(١) هذه الكلمة وساققتها سافطيان من المطبوعة .

(٢) ط : « فوراً » صوابه في الأصل . وفي مسجع استينجاس ٩٤١ أن « فوراً » راجع لتوج

قتله الإسكندر .

(٣) ط : « الإسلام » .

(٤) ط : « أكثر منه سيئاً » .



وأكلب . ولو قتل أبو بكر في بعض تلك المارك هل كان يؤثر قتله في الإسلام ضعفا أو يحدث فيه وهنا ، أو يخاف على الملة لو قتل أبو بكر في بعض تلك الحروب أن تندرس وتنفى آثارها وتنطمس منارها ، ليقول الجاحظ إن أبا بكر كان حكمه حكم رسول الله صلى الله عليه وآله في مجانبة الحروب واعتزالها . نموذ بالله من الخذلان !

وقد علم الغلاء كلهم ممن له السير معرفة ، وبالأخبار والأخبار ممارسة ، حال حروب رسول الله صلى الله عليه وآله كيف كانت ، وحاله عليه السلام فيها كيف كانت ، ووقوفه حيث وقف ، وحره حيث حارب ، وجالسه في المريش يوم جلس ، وأن ووقفه صلى الله عليه وآله وقوف رياسة وتدير ، ووقوف ظهر وسند ، يتعرف أمور أصحابه ويحرس سنيرهم وكبيرهم بوقوفه من ورائهم ، ويخلفه عن التقدم في أوائلهم ، ولأنهم متى علموا أنه في أخراهم اطمانت قلوبهم ، ولم يتعلق بأمره نفوسهم فيشتغلوا بالاهتمام به من عدوم ، ولا يكون لهم فيئة يلجئون إليها ، وظهر يرجعون إليه ، ويعلمون أنه متى كان خلفهم تفقد أمورهم وعلم موافقهم ، وأوى كل إنسان مكانه في الحماية والسكاية ، وعند المنازلة في الكرك والحلة ، فكان ووقفه حيث وقف أصلح لأمرهم ، وأحصى وأحرس لببضتهم ، ولأنه المطلوب من بينهم ، إذ هو مدير أمورهم ووالى جماعتهم . ألا ترون أن موقف صاحب اللواء موقف شريف ، وأن صلاح الحرب في ووقفه ، وأن فضيلته في ترك التقدم في أكثر حالاته . فطرييس حالات :

الأولى حالة يتخلف ويقف آخرها ليكون سندا وقوة ، وردء أعدة ، ولتبتولى تدير الحرب ، ويمرر مواضع الخطل .

والحالة الثانية يتقدم فيها في وسط الصف ليقوى الضميف ويشجع الناكس<sup>(١)</sup> . وحالة ثالثة وهي إذا اصطدم القيلقان ، وتكافح السيفان ، اعتمد ما يقتضيه الحال من الوقوف حيث يستصلح ، أو من مباشرة الحرب بنفسه ، فإنها آخر النازل ، وفيها تظهر شجاعة الشجاع النجدة ، وفشالة الجبان الموء .

(١) ط : « الناكس » بالسين .

فأين مقام الرياسة العظمى لرسول الله صلى الله عليه وآله وأين منزلة أبي بكر  
ليسوى بين المنزلتين ، ويناسب بين الحالتين ؟ !

ولو كان أبو بكر شريكا لرسول الله صلى الله عليه وآله في الرسالة ، وممنوحا  
من الله بفضيلة النبوة ، وكانت قريش والعرب تطلبه كما تطلب محمداً صلى الله عليه وآله  
وكان يدبر من أمر الإسلام وتسريب المساكر وتجهيز السرايا وقتل الأعداء ما يدبره  
محمد صلى الله عليه وسلم لكان للجاحظ أن يقول ذلك . فأما وحاله حاله وهو أضعف  
المسلمين جناناً ، وأقلهم عدد العرب تيرةً ، لم يرم قط بسهم ولا سل سيفاً ،  
ولا أراى دماً ، وهو أحد الأتباع غير مشهور ولا معروف ، ولا طالب ولا مطلوب ،  
فكيف يجوز أن يحمل مقامه ومنزله مقام رسول الله صلى الله عليه وآله ومنزله .  
ولقد خرج ابنه عبد الرحمن مع المشركين يوم أحد فرآه أبو بكر فقام منفيظاً عليه فسل  
من السيف مقداراً أصبح يروم البروز إليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله :  
يا أبا بكر ، شمس سيفك وأمتنا بنفسك ! ولم يقل له « وأمتنا بنفسك » إلا لأنه  
ليس أهلاً للحرب وملاقة الرجال ، وأنه لو بارز لقتل .

وكيف يقول الجاحظ : لا فضيلة لمباشرة الحرب ولقاء الأقران وقتل أبطال  
الشرك . وهل قامت عند الإسلام إلا على ذلك ؟ وهل ثبت الدين واستقر إلا بذلك ؟  
أترأه لم يسمع قول الله تعالى : « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان  
مرصوص » . والحببة من الله تعالى هي إرادة الثواب . فكل من كان أشد ثبوتاً في هذا  
الصف وأعظم قتالاً ، كان أحب إلى الله ومعنى الأفضل هو الأكثر ثواباً . فعلى  
عليه السلام إذن هو أحب المسلمين إلى الله ، لأنه أثبتهم قدماً في الصف المرصوص  
لم يفر قط بإجماع الأمة ، ولا بارزه قرن إلا قتله .

وأترأه لم يسمع قول الله تعالى : « وفصل الله المجاهدين على القاعدین أجراً عظيماً »  
وقوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل  
الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقيقاً في التوراة والإنجيل والقرآن » ، ثم قال سبحانه

مؤكداً لهذا البيع والشراء : « وَمَنْ أَوْقَى بِمَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَمِينِكَ الَّتِي بِأَيْمَتِهِمْ بِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » . وقال الله تعالى : « ذَلِكَ بَأْتُهُمْ لَا يَصِيْبُهُمْ عِلْمٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْصَمَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يُطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيْظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ » .

فواقف الناس في الجهاد على أحوال ، وبمضهم في ذلك أفضل من بعض . فن دلف إلى الأقران واستقبل السيوف والأسنة كان أثقل على أكتاف الأعداء لشدة نكايته فيهم ، ممن وقف في المركة وأعان ولم يقدم ، وكذلك من وقف في المركة وأعان ولم يقدم إلا أنه بحيث تناله السهام والنبل ، أعظم غناء وأفضل ممن وقف حيث لا يناله ذلك . ولو كان الضعيف والجبان يستحقان الرياسة بقله بسط الكف وترك الحرب ، وأن ذلك بشا كل فعل النبي صلى الله عليه وآله ، لكان أوفر الناس حظاً في الرياسة وأشدهم لها استحقاقاً حسان بن ثابت . وإن بطل فضل على عليه السلام في الجهاد لأن النبي صلى الله عليه وآله كان أقلهم قتالاً — كما زعم الجاحظ — ليعطون على هذا القياس فضل أبي بكر في الإنفاق ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أقلهم مالا .

وأنت إذا تأملت أمر العرب وقريش ، وفطرت السير وقرأت الأخبار ، عرفت أنها كانت تطلب محمداً صلى الله عليه وآله وتقصد قصده ، وتروم قتله ، فإن أجزها وفاتها طلبت علياً عليه السلام وأرادت قتله ، لأنه كان أشبههم بالرسول حالاً ، وأقربهم منه قرباً ، وأشدهم عنه دفعا ، وأنهم متى قصدوا علياً قتلوه أضغفوا أمر محمد صلى الله عليه وآله وكسروا شوكرته ، إذ كان أعل<sup>(١)</sup> من ينصره في البأس والقوة والشجاعة ، والنجدة والإقدام والبسالة . ألا ترى إلى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر وقد خرج هو وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة ، فأخرج إليهم الرسول نفراً من الأنصار فاستنصبوهم فانتصبوهم ، فقالوا : ارجعوا إلى قومكم ثم نادوا : يا محمد ،

(١) هذا ما في ط . وفي الأصل : « على » .

أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا . فقال النبي صلى الله عليه وآله لأهله الأديين : قوموا يا بني هاشم فانصروا حقكم الذي آتاكم الله على باطل هؤلاء ، قم يا علي ، قم يا حمزة ، قم يا عبيدة . ألا ترى ما جعلت هند لمن قتله يوم أحد لأنه اشترك هو وحمزة في قتل أبيها يوم بدر ؟ ألم تسمع قول هند ترى أهلها :

ما كان لي عن عتبة من مبر أبي وعمي وشقيقى صدرى  
أخي الذي كان كضوء البدر بهم كسرت يا علي ظهري

وذلك لأنه قتل أخاها الوليد بن عتبة ، وشريك في قتل أبيها عتبة . وأما حمزة شبيهة فإن حمزة تفرد بقتله

وقال جبير بن مطعم لو حشيت مولاه يوم أحد : إن قتلت محمدا فأنت حر ، وإن قتلت حمزة فأنت حر ! فقال : أما محمد فسيمنمه أصحابه . وأما علي فرجل حذر كثير الالتفات في الحرب ، ولكني سأقتل حمزة . فقدم له وزقه بالحربة فقتله .

ولما قلناه من مقاربة حال علي عليه السلام في هذا الباب لحال رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومناسبتها إياها ، وما وجدناه في السير والأخبار من إشفاق رسول الله صلى الله عليه وآله وحذره عليه ، ودعائه له بالحفظ والسلامة ، قال صلى الله عليه وآله يوم الخندق وقد برز علي إلى عمرو ورفع يديه إلى السماء بمحضر من أصحابه : « اللهم إنك أخذت مني حمزة يوم أحد ، وعبيدة يوم بدر ، فاحفظ اليوم [ علي<sup>(١)</sup> ] عليا ، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين » . ولذلك ضيق به عن مبارزة عمرو حين دما عمرو والناس إلى نفسه مراراً ، في كلها يمجحون ويقدم علي ، فيسأل الإذن في البراز حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : إنه عمرو ! فقال : وأنا علي ! فأدناه وقبّله ومعه بمأتمه ، وخرج معه خطوات كالودج له القلق لحاله ، المنتظر لما يكون منه . ثم لم يزل صلى الله عليه وآله رافعاً يديه إلى السماء مستقبلاً لها بوجهه ، والمسلمون صموت حوله كأنما على رؤوسهم الطير ، حتى غارت النبرة وسموا التكبير من تحتها

فصلوا أن عليا قتل عمرا ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكبر المسلمون  
تسكيرة سمها من وراء الخندق من عساكر المشركين . ولذلك قال حذيفة بن اليمان :  
« لو قسمت فضيلة علي عليه السلام بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم  
لوسمهم » . وقال ابن عباس في قوله تعالى : « وكفى الله المؤمنين القتال » قال :  
بلي بن أبي طالب .

(٢٠)

ص ٤٧ من المبانة

فيقال للجاحظ : فلي أيها كان مثنى علي بن أبي طالب إلى الأقران بالسيف ؟  
فأيما قلت من ذلك بانت عداوتك لله تعالى ورسوله . وإن كان مشبه ليس على وجه  
مما ذكرت وإنما كان على وجه النصرة والقصد إلى المسابقة إلى ثواب الآخرة ، والجهاد  
في سبيل الله وإمزاز الدين ، كنت بجميع ما قلت مماندا ، وعن سبيل الإنصاف  
خارجا ، وفي إمام المسلمين طاعنا . وإن تطرق مثل هذا يوم علي عليه السلام ليصترق  
مثله على أعيان المهاجرين والأنصار أرباب الجهاد والقتال ، الذين نصرنا رسول الله  
صلى الله عليه وآله بأنفسهم ، ووقوه بمهجهم ، وفدوه بأبنائهم وآبائهم . ففعل ذلك  
كان لملة من الملل المذكورة ، وفي ذلك الطعن في الدين ، وفي جماعة المسلمين .

ولو جاز أن يتوهم هذا في علي عليه السلام وفي غيره لما قال رسول الله صلى الله  
عليه وآله حكاية عن الله تعالى لأهل بدر : « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ،  
ولا قال لملي عليه السلام : « برز الإيمان كله إلى الشرك كله » ، ولا قال :  
« أوجب طلحة<sup>(١)</sup> » .

وقد علمنا ضرورة من دين الرسول صلى الله عليه وآله تعظيمه لملي عليه السلام  
تعظيما دينيا لأجل جهاده ونصرته ، فالطاعن فيه طاعن في رسول الله صلى الله عليه

---

(١) أي حمل عملا أوجب له الجنة .

وآله ؛ إذ زعم أنه قد يمكن أن يكون جهاده لا لوجه الله تعالى ، بل لأمر آخر من الأمور التي عدّها وبشّه على التفوه بها إغواء الشيطان وكيد ، والإنراط في عداوة من أمر الله بمحبته ، ونهى عن بنضه وعداوته . أترى رسول الله صلى الله عليه وآله خفى عليه من أمر على عليه السلام ملاح للباحظ والمناينة ، فعدّه وهو غير مستحق للمدح .

### (٢١)

ص ٤٧ و ٤٨ من المناينة

فيقال له : فلمل إلتفاق أبي بكر كما تزم أربعين ألف حرم لا ثواب له ، لأن نفسه ربما تكون غير معتدلة ، لأنه يكون مطبوعاً على الجود والسخاء ، ولعل خروجه مع النبي صلى الله عليه وآله يوم الهجرة إلى النار<sup>(١)</sup> لا ثواب له فيه ، لأن أسبابه كانت له مهيجة ، ودواعيه غالبة ؛ لخبير — كان — الخروج ، وبنضه — كان — المقام<sup>(٢)</sup> . ولعل رسول الله صلى الله عليه وآله في دعائه إلى الإسلام ، وإكبابه على الصلوات الخمس في جوف الليل ، وتدييره أمر الأمة ، لا ثواب له فيه ، لأنه تكون نفسه غير معتدلة ، بل يكون في طباعه الرياسة وحبها ، والمباة والالتذاذ بها .

ولقد كنّا نوجب من مذهب أبي عثمان أن المارف ضرورة ، وأنها تقع طباعاً . وفي قوله بالتوّد ، وحركة الحجر بالطبع ، حتى رأينا من قوله ماهو أعجب منه ، فزعم أنه ربما يكون جهاد على عليه السلام وقتله المشركين لا ثواب له فيه ، لأنه فله طباعاً . وهذا أطرف من قوله في المعرفة وفي التوّد<sup>(٣)</sup> .

(١) إلى النار ، سائلة من ط .

(٢) في ط : « غالبة عية الخروج وبنض المقام » .

(٣) انظر ما كتبت في حواشي الحيوان ٤ : ٢٠٨ .

(٢٢)

ص ٤٩ - ٥٠ من المئانية

هذا راجع الى الجاحظ في النبي صلى الله عليه وآله ، لأن الله تعالى قال له : « والله بمسك من الناس » فلم يكن له في جهاده كبير طاعة وكثير طاعة . وكثير من الناس يروى عنه صلى الله عليه وآله : « اقتدوا بالذين من بىدى أبى بكر ومىر » . فوجب أن يبطل جهادهما . وقد قال للزبير : « ستقاتل عاليا وأنت ظالم له » فأشعره بذلك أنه لا يموت في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله . وقال في الكتاب المزيى لطلحة : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بىده » قالوا : نزلت في طلحة . فأعلمه بذلك أنه يبق بىده . فوجب أن لا يكون لها كبير ثواب في الجهاد .

والذى صبح عندنا من الخبر ، وهو قوله « ستقاتل بىدى الناكثين » أنه قاله لما وضعت الحرب أوزارها ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ووُضعت الجزية ودان العرب قاطبة .

(٢٣)

ص ٥٨ - ٥٩ من المئانية

أمرُ مىرو بن عبد ود أشهر وأكثى من أن يحتج له ، فليتلع كتب المنازى والسير ، ولينظر ما رثته به شعراء قريش لما قتل .  
ففي ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في منازبه قال : وقال مسافع بن عبد مناف ابن زهرة بن حنافة بن جمح ، يكي مىرو بن عبد الله بن عبد ود ، حين قتله على بن أبى طالب عليه السلام مبارزة ، لما جَزَعَ المذاد<sup>(١)</sup> - أى قطع الخندق .

---

(١) ط : « لحبة الخروج ونفى القام » وصواب النص من الأصل . و « كان » تراء بين المتلازمين .  
(١) المذاد ، بإقبال المعجمة : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق . ط : « المزار » سواه في الأصل .

مرو بن عبد كان أول فارس  
 تمنح الخلائق ماجد ذورة  
 ولقد علمت حين ولوا عنكم  
 حتى تكلفه السكاة وكلهم  
 ولقد تكلفت الفوارس فارساً  
 سال النزال هناك فارساً غاليه  
 فاذهب على ما ظفرت بمثلها  
 نفسى الفداء لفارس من غالب  
 أعى الذى جزع المذاذ ولم يكن  
 وقال حُبيرة بن أبى وهب المخزومى ،  
 يستند من فراده عن على بن أبى طالب  
 وتركه محرراً يوم الخندق ويكيه :

لمرك ما ولت ظهري عمداً  
 ولكنى قلبت أمرى فلم أجد  
 وقفت فلما لم أجد لى مقسداً  
 نى عطفه عن قرنه حين لم يجد  
 فلا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا  
 ولا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا  
 فن لطراد الخيل تقدم بالقنا  
 هنالك لو كانت ابن عمرو لرازاها  
 كفتك على لن ترى مثل موقف  
 فا ظفرت كفاك يوماً بمثلها

وأصحابه جيناً ولا خيفة القتل  
 لسينى غناء إن وقفت ولا نبلى  
 سدرت كضرام هزير أبى شبل  
 بجالا وكان الحزم والرأى من فعل  
 فقد ميت محمود اثنا ماجد الفعل  
 فقد كنت فى حرب المدى مرهف الفعل  
 وللبلد يوماً عند قرقرة البزل  
 لفرجها عنهم فتى غير ما دخل  
 وقفت على شلو المقدم كالنحل  
 أمنت بها ما عشت من زلة النمل

(١) بليل هو وادى الصفراء ، دوين بدر .

(٢) ط : « فيهم لم يميل » .



وقال هبيرة بن أبي وهب أيضاً يرى عمرا ويكيه :

لقد علمت علياً لؤى بن غالب لفارسها عمرو إذا ناب نائب  
وفارسها عمرو إذا ما يسوقه على وأنت الموت لاشك طالب  
مشية يدعوهُ على وإيه لفارسها إذ ظم عنه الكتائب  
فيا لهف نفسي إنّ مرّاً لكائن يئرب لا زالت هناك المصاب  
لقد أحرز العليا على بقتله وللخير يوماً لا عمالة جالب  
وقال حسان بن ثابت الأنصاري يذكر عمرا :

أمسى الفقى عمرو بن عبد ناظراً كيف العبورُ وليته لم ينظر  
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة ولقد وجدت جيادنا لم تُهَمَّر  
ولقد لقيت غداة بدر عصابة ضربوك ضرباً غير ضرب الحمر  
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة يا عمرو أو لجسيم أمر منكرو  
وقال حسان أيضاً :

لقد شقيت بنو جمح بن عمرو وغزومٌ وتيم ما تُقيل (١)  
ومرو كالحسام فقى قریش كأن جبينه سيف صقيل (٢)  
فقى من نسل طامر أريحي تطاوله الأسنة والنصول  
دعاه الفارس القدامُ لما تكشفت القناب والخيول  
أبو حسن فقتله حماما جُرازا لا أفل ولا نكول  
فنادره مكيّاً مُسلحيّاً على عفراء لا يمدّ القتيل  
فهذه الأشعار فيه ، بل بعض ما قيل فيه .

وأما الآثار والأخبار فوجودة في كتب السير وأيام الفرسان ووثائقهم . وليس  
أحد من أرباب هذا العلم يذكر عمرا إلا قال : كان فارس قریش وشجاعها . وإنما قال  
له حسان :

(١) في الأصل : « لقد شقيت » و « ما تقيل » .

(٢) هذا البيت ساقط من ط .

\* ولقد لقيت غداة بدر عصابة \*

لأنه شهد مع المشركين بدرأً وقتل قوماً من المسلمين ، ثم فر مع من فلولهم بمكة . وهو الذي كان قال وعاهد الله عند الكعبة ألا يدعوه أحد إلى واحدة من ثلاث إلا أجابه . وآثاره في أيام الفجار مشهورة تنطق بها كتب الأيام والوقائع ، ولكنه لم يذكر مع الفرسان الثلاثة وهم عتيبة وبسطام وطامر ؛ لأنهم كانوا أصحاب غارات ونهب وأهل بادية ، وقريش أهل مدينة وساكنو مدر وحجر ، لا يرون الغارات ولا يهيبون غيرهم من العرب ، وهم مقتصرون على المقام يبلدتهم وحماية حرمهم ، فلذلك لم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء .

ويقال له : إذا كان عمرو كما تذكر ليس هناك ، فما باله لما جزع الخندق في ستة فرسان هو أحدم فصار مع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله على أرض واحدة ، وهم ثلاثة آلاف ، ودعاهم إلى البراز مراراً ، لم ينتدب أحد منهم للخروج إليه ، ولا سمح منهم أحد بنفسه ، حتى وبخهم وقرعهم وناداهم : ألسنتم ترمون أنه من قتل منا فإلى النار ومن قتل منكم فإلى الجنة ؟ أفلا يشفاق أحدكم أن يذهب إلى الجنة أو يقدم عدوه إلى النار ؟ فجنبوا كلهم ونكلوا ، وملكهم الرعب والوهل . فلما أن يكون هذا أشجع الناس كما قيل عنه ، أو يكون المسلمون كلهم أجبن العرب وأذلهم وأفسلهم . وقد روى الناس كلهم الشعر الذي أنشده لما نكل القوم بجمعهم عنه ، وأنه جال بفرسه واستدار ، وذهب بمنة ثم ذهب بسرة ، ثم وقف تجاه القوم فقال :

ولقد بحت من النداء بجمعهم هل من مبارز  
ووقفت إذ جُبِنَ المشيح وقفة القرن المناجز  
وكذلك أتى لم أزل متسرعاً نحو الهزاهز  
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير التراز

فلما برز إليه على أجابه فقال له :

لا تسجلن فقد أنا كعجيب صوتك غير عاجز

دو نية وبمسيرة يرجو النداء نجاة قاتر  
إني لأرجو أن أقبـم عليك فائمة الجنائر  
من غربة تفنى ويبقى ذكرها عند المزار

ولعمري لقد سبق الجاحظ بما قاله بعض جهال الأنصار لما رجع رسول الله  
بن بدر وقال فقي من الأنصار شهد معه بدر : « إن قتلنا إلا عجايز سلما » فقال له  
النبي صلى الله عليه وآله : « لا تفل ذلك يا ابن أخ ، أولئك اللاءا » .

### ( ٢٤ )

ص ٥٩ من المئانية

كل من دون أخبار قريش وآثار رجالها وصف الوليد بالشجاعة والبسالة ،  
وكان مع شجاعته أيداً يصارع الفتيان فيصرعهم ، وليس لأنه لم يشهد حرباً قبلها  
ما يجب أن يكون بطلاً شجاعاً ، فإن علياً عليه السلام لم يشهد قبل بدر حرباً ،  
وقد رأى الناس آثاره فيها .

### ( ٢٥ )

ص ٦٢ من المئانية

أما ثبانه يوم أحد فأكثر المؤرخين وأرباب السير ينكرونه ، وجمهورهم يروى  
أنه لم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله إلا على وطلحة والزبير وأبو دُجانة .  
وقد روى عن ابن عباس أنه قال : ولهم خامس ، وهو عبد الله بن عباس . ومنهم  
من أثبت سادساً وهو المقداد بن عمرو .

وروى يحيى بن سلمة بن كهيل قال : قلت لأبي : كم ثبت مع رسول الله  
صلى الله عليه وآله يوم أحد ؟ فقال : اثنان . قلت : من هما ؟ قال : علي وأبو دُجانة .  
وهب أبو بكر ثبت يوم أحد كما يدعيه الجاحظ ، أيحوز له أن يقول : ثبت  
علي ، فلا تغر لأحدهما على الآخر ، وهو يعلم آثار علي عليه السلام ذلك اليوم وأنه

قتل أصحاب الأنوية من بني عبد الدار ، منهم طلحة بن أبي طلحة الذي رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه أنه مردف كبشا فأؤله وقال : كبش الكتبية تقتله <sup>(١)</sup> . فلما قتله على عليه السلام مبارزة — وهو أول قتيل قتل من المشركين ذلك اليوم — كبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : هذا كبش الكتبية !

وما كان منه من الحماية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد فر الناس وأسلموه ، فتصمد له كتبية من قريش فيقول : « يا علي » ، اكنفي هذه . فيحمل عليها فيهزمها ويقتل عيدها ، حتى سمع المسلمون والمشركون صوتاً من قبل السماء :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

وحق قال النبي صلى الله عليه وآله من جبرائيل ما قال .

أتكون هذه آثاره وأفعاله ثم يقول الجاحظ : لا نغر لأحدهما على صاحبه ! ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين .

## (٣٦)

ص ٦٢ من الثمانية

ما كان أغناك يا أبا عثمان عن ذكر هذا المقام المشهور لأبي بكر ؟ فإنه لو قسمه الإمامية لأضافته إلى ما عندها من التائب ، لأن قول النبي صلى الله عليه وآله له : ارجع ، دليل على أنه لا يحتمل مبارزة أحد ، لأنه إذا لم يحتمل مبارزة ابنه ، وأنت تعلم حق الابن على الأب وتبجيله له وإشفاقه عليه وكفه عنه ، لم يحتمل مبارزة الغريب الأجنبي . وقوله له « ومتعنا بنفسك » إيمان له بأنه كان يقتل لو خرج . ورسول الله كان أحرف به من الجاحظ . فأين حال هذا الرجل من حال الرجل الذي صلب بالحرب ، ومشى إلى السيف بالسيف ، قتل السادة والقادة ، والفرسان والرجالة .

(١) ط : « تقتله » .

(٢٧)

ص ٦٢ من الثمانية

أما قوله « إنه بذل الجهد » فقد صدق . وأما قوله « لا حال أشرف من حاله » فخطأ ، لأن حال من بلغت قوته أضعاف قوته فأعملها في قتل المشركين ، أشرف من حال من قصت قوته من بلوغ الناية . ألا ترى أن حال الرجل أشرف في الجهاد من حال المرأة ، وحال البالغ الأيّد أشرف من حال الصبي الضعيف .

\*\*\*

قال ابن أبي الحديد :

فهذه جملة ما ذكره الشيخ أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي رحمه الله في نقض الثمانية ، اقتصرنا عليها هنا . وسنعود فيما بعد إلى ذكر جملة أخرى من كلامه إذا اقتضت الحال ذكره .

\*\*\*

وأنا أقول : قد تبينت ما تلا هذا القول مما ورد في أثناء الشرح من نصوص ، فوجدت أن ابن الحديد قد وقف عند هذا الحد ولم يورد في كتابه نصاً آخر من نصوص رد الإسكافي يزيد مما قبله في هذه المواضع التي حرصت على أن أقرنها هنا بالمواضع التي استدعت الرد .

(٢٨)

ص ١٠٧ - ١٠٨ من الثمانية

إن أبا عثمان يجرّ على نفسه مالا طاقه له به من مطاعن الشيعة . ولقد كان في غنية من التعلق بما تعلق به ، لأن الشيعة زعم إن هذه الآية بأن تكون طعناً وعباً على أبي بكر أولى من أن تكون فضيلة ومثبة له ، لأنه لما قال له « لا تحزن » دلّ على أنه قد كان حزيناً وقطع ، وأشقق على نفسه ، وليس هذا من صفات المؤمنين الصابرين .

ولا يجوز أن يكون حزنه طاعة ، لأن الله تعالى لا ينهى عن الطاعة ، فلم يكن ذنباً لم ينه عنه . وقوله « إن الله معنا » أى إن الله عالم بحالنا وما نضمه من اليقين أو الشك ، كما يقول الرجل لصاحبه : لا تضمرن سوءاً ولا تلوين قبيحاً ، فإن الله تعالى يعلم ما نُسره وما نملئه وهذا مثل قوله تعالى : « ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا » . أى عالم بهم . وأما السكينة فكيف يقول إنها ليست راجعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبمدها قوله : « وأيده بمنود لم تروها » . أتري المؤيد بالجنود كان أبا بكر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وقوله « إنه مستغنى عنها » ليس بصحيح . ولا يستغنى أحد عن ألطاف الله تعالى وتوفيقه وتأيدته وتثبيت قلبه . وقد قال الله تعالى في قصة حُثَيْن : « وناقتُ عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتهم مدبرين » . ثم أنزل الله سكينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما الصحبة فلا تدلُّ إلّا على المرافقة والاصطحاب . وقد تكون حيث لا إيمان ، كما قال تعالى : « قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك » .

ونحن وإن كنا نعتقد لإخلاص أبي بكر وإيمانه الصحيح السليم ، وفضيلته الثابتة ، إلا أننا لا نحتج له بمثل ما احتج به الجاحظ من الحجج الواهية ، ولا نتملق بما يجمر علينا دواهي الشيعة ومطاعنها .

(٢٩)

وهي مناقضة لم أعثر على النص الذي سبقت له من الممانية  
وقد جاءت في شرح ابن الحديد عقب المناقضة رقم ١٨

قال الجاحظ :

وعلى أنا لو تركنا إلى ما يريدونه جملنا الفراش كالنار وخلصت فضائل أبي بكر  
في غير ذلك من مباحث .

\*\*\*

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله :

قد بينّا فضيلة البيت على الفراش على فضيلة الصحبة في النار بما هو واضح  
لن أنصف . وزيد هنا تأكيذاً بما لم نذكره فيما تقدم فنقول :

إن فضيلة البيت على الفراش على الصحبة لوجهين :

أحدهما أن علياً عليه السلام قد كان أنس بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وحصل  
له بمصاحبته قدماً أنس عظيم ، وإلف شديد ، فلما فارقه عديم ذلك الأنس وحصل  
به أبو بكر ، فكان ما يجده عليه السلام من الوحشة وألم الفرقة موجباً زيادة ثوابه ،  
لأن الثواب على قدر المشقة .

وثانياً : أن أبا بكر كان يؤثر الخروج من مكة ، وقد كان خرج من قبل فرد ،  
فازداد كراهية للمقام ، فلما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وافق ذلك  
هوى قلبه ومحجوب نفسه ، فلم يكن له من الفضيلة ما يوازي فضيلة من احتمل  
المشقة المظيمة ، وعرض نفسه لوقع السيوف ، ورأسه لرضخ الحجارة ، لأن على  
قدر سهولة العبادة يكون نقصان الثواب .

---

تمت المناقضات





# الفهارس

١ - فهرس القرآن الكريم	٣٤٦
٢ - » الحديث	٣٤٨
٣ - » الأمثال	٣٤٩
٤ - » الشعر	٣٤٩
٥ - » الأعلام	٣٥٠
٦ - » القبائل والجماعات	٣٥٦
٧ - » البلدان والمواضع	٣٥٨
٨ - » الأبحاث المتعلقة بالأعلام والطوائف	٣٦٠
٩ - » » » بالمعارف العامة	٣٦٣

# ١ - فهرس القرآن الكريم

صفحة

السورة	الآية	
٢ - البقرة ٤٨	واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا	٢٠٨
١٢٤	اني جاعلك للناس اماما	٢١٠
١٤٢	وكلذك جعلناكم امة وسطا	٨١
١٩١	والفتنة اشد من القتل	٢٩
٢٠٨	يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة	١١٧
٣ - آل عمران ١٨٥	كل نفس ذائقة الموت	٨٠
٤ - النساء ٢٠	وايتيم احداهن فخطارا	٢٣٠
٥٩	اطيعوا الله واطيعوا الرسول	١١٥ ، ١١٦
٥ - المائدة ٢٧	واول عليهم نيا ابني آدم	٢٠٩
٢٩	ولذلك جزاء الظالمين	٢٠٨
٢٤	الذهب انت وديك فلالا	٥٧
٥٤	فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه	١١٥
٥٥	انما وليكم الله ورسوله	١١٨ ، ١١٩
٥٦	ومن يتول الله ورسوله	١١٨
٧٥	ما المسيح بن مريم الا رسول	١٢٩
١١٨	ان تصليهم فانهم عبادك	٦٩
١٤٢	اخلفني في قومي	١٥٦
٦٨ - الأنفال ٦٨	لولا كتاب من الله سبق	٩٢
٩ - التوبة ٣٢	ليظهره على الدين كله	٧٩ ، ٨١
٤٠	الا لنصروه فقصد نصره الله	٤٤ ، ٥١ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٠٩
٤٠	وجعل كلمة الذين كفروا السفلى	١١٠
٥٨	ومنهم من يملؤك في الصدقات	١٩٤
١١٩	يا ايها الذين اتقوا الله وكونوا مع الصادقين	١١٤
١٠ - يونس ٨٨	ربنا اطمس على امواتهم	٦٩
١١ - هود ٤١	لو ان لي بكم قوة	٤١
٤٢	وتنادى نوح ابنه وكان في معزل	٢١٠
٤٦	انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح	٢٠٩
١٣ - الرعد ٤٣	قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم	١٢٠ - ١٢١
١٤ - ابراهيم ٣٦	فمن يبعني فانه مني	٦٩
١٥ - الحجر ٢٧	اخوانا على سرد متقابلين	٢٤١
١٦ - النحل ٤٣	فاستأوا اهل الذکر	١٦١
١٠٦	الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان	١٠٤
١٧ - الاسراء ٧٤	لقد كنت تركن اليهم	٩٢
١٩ - مريم ٥٤	واذكر في الكتاب اسماعيل	١٢٨

صفحة

السورة	الآية	والذكر في الكتاب ادريس	١٢٨
٢٠ - طه	١١٥	فمنى ولم نجد له عزما	٩١
٢١ - الانبياء	٢٥	كل نفس ذائقة الموت	٨٠
	٦٧	اهل لكم ولما يميتون من دون الله	٦٨ - ٦٩
	٧٩	فلهمنها سليمان	٩١
	٨٧	وهذا النون اذ ذهب مغاضبا	٩١
٢٤ - النور	٢٢	ولا ياتل اولو الفصل منكم والسمعة	٥٥ ، ١١٢
٢٦ - الشعراء	٨٨ ،	يوم لا ينفع مال ولا بنون	٢٠٨
٢٨ - القصص	٢٦	يا ايت استاجر	٨٦
	٨٨	كل شيء هالك الا وجهه	٨١
٢٩ - العنكبوت	٥٧	كل نفس ذائقة الموت	٨٠
٣١ - لقمان	٢٣	يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما	٢٠٨
٣٥ - فاطر	٤٥	ولو يؤاخذ الله الناس	٩٢
٣٧ - الصافات	١٤٢	فالتتله الصوت وهو مليم	٩١
٣٨ - ص	٢٠	واتناه الحكمة وفصل الخطاب	٩١
	٢١	وهل الاك لبيا الخصم	٩٢
٣٩ - الزمر	٣٠	انك ميت وانهم ميتون	٨٠
٤٤ - النخان	٤١	يوم لا يخفى مولى من مولى شيئا	٢٠٨
٤٦ - الاحقاف	١٧	والذي قال لوالديه اهل لكما	١١٢
٤٧ - محمد	٢٥	لا تهنوا وتدعوا الى السلم	٢٥
٤٨ - الفتح	٢	ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك	٩٢
	١٦	قل للمطفلين من الاغراب	١١٤
	٢٧	لتدخلن المسجد الحرام	٧٨
٤٩ - الحجرات	٤	ان الذين ينادونك من وراء الحجرات	١٩٤
	١٢	ان اكرمكم عند الله اتقاكم	٢٠٢
٥٠ - ق	١٩	وجاءت سكرة الموت بالحق	٨٧
٥١ - الذاريات	٥٦	وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون	٢٥٦
٥٢ - النجم	٣٧	وابراهيم الذي وفى	٢٠٦
٥٧ - الحديد	٢٦	وان ليس للانس الا ما سعى	٢٠٧ ، ٢٠٦
	٢٨	ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم	٢١١
	٢٨	لا يستوى منكم من اتقى	١٠
٦١ - الصدف	٩	ليظهره على الدين كله	٧٩ ، ٨١
٦٥ - الكاف	٢	واشهدوا ذوى عدل منكم	٢٧٧
٦٦ - التحريم	١٠	كانت تحت عبيدين من عبادنا صالحين	٢١٠
٦٧ - الملك	٢٢	افمن يحشى مكيأ على وجهه	١١٢ - ١١٤
٧١ - نوح	٢٦	رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا	٦٩
٨٠ - هود	١	فيس وتولى	٩٢
٩٢ - الليل	٥	٢١ فلما من اعطى والى	٢٥ ، ١١٤

## ٢ - فهرس الحديث

٢١٧ ، ٢٢	بلال سابق الحبش	٥٢	ابشر ابا بكر
٤٤	نفس يبردى الحضرمي	١٤٨	ابو بكر وعمر سيدا كهول اهل الجنة
١٤٠	خير اهل الله عمر بن الخطاب	١٤٠	ابو سليمان خير اهل
٨٦	رضيت لامتي ماضي لها ابن ام عبد		ابن الله ورسوله الا ان يصلي
	٢٢٤ ، ١٤١	١٦٦ ، ١٦٥	ابو بكر
١٦٤	الرفيق الاعلى	٦٢	ارجع الي مكانك
١٢٢ ، ١٢٢	الزبير حواري	١٦٠ ، ٥٦	ارم فداك ابي وامى
	زيد وما زيد ! يسيله ففو منه الى	٧٥	ارنى مكانها
٢٥٠ - ٢٤٩	الجنة	٢٠٧	اشرف الناس يوسف بن يعقوب
١٧٢	ستكون فتنة هذا فيها يومئذ على الحق	٩٤	افرضكم زيد
٦٢	شم سيلك	١٤٢ ، ١٢٥	افتدوا بالدين من بعدى
٢٢٢	التيطان يفرق من حسه	٩٤	افروكم ابي
٣٠	صبرا آل ياسر		اللهم اكنى باحِب الناس اليك
٢٢٢	ضرب بالحق على لسانه	٢٢٢	اللهم امل الاسلام بعمر
١٢٢	ثمان ذو النورين	١٥٠ ، ١٤٦ ، ١٤٥	اللهم عاد من عاداه
٤١	عجبت من اخى لوط	١٢١	اللهم فقهه فى الدين
٦٢	عليكم صاحبكم	١٦٤ ، ١٢١	اليكن منى صواحب يوسف
٥١	فان ربى قد اذن لى فى الهجرة	٢٨	اما والله لقد جئتكم بالنبى
٧٧	قوموا فانصروا	٧٨	امعها ياملى
١٤١	كم من لى طمران	٨١	امرت ان اقاتل الناس
٦٤	كيف نرون يامعشر المسلمين	١٣٧	ان ابا بكر لم يسؤنى قط
	كيف لاسستحي ممن تستحي منه	١٠٤	ان عادوا فعد
١٤١	لاؤلوا عمرا	١٦٤ ، ٨٥	ان عبدا من عباد الله
١٤٢	لا هجرة بعد الفتح		ان من امتى سبعين الفا يدخلون الجنة
٣٩	لا يبلغ منى الا رجل منى	٢٤٩	بلى حساب
١٢٠ ، ١٢٩	لعل الله ان يجعل لك صاحبا	٢٤٩	الت منهم
١٠٥	لكل امة امين		الت منى بمنزلة هارون
٢٢٢ ، ١٤١	لن نزالوا بغير	١٥٢ - ١٥٧ ، ١٦٠ ، ٢٢٨	
١٨٢	لو قال باسم الله رخصته	١٦٩ ، ١٦٢ ، ٦٥	انفلوا جيش اسامة
١٤١	لو كنت متطعا خليلا	٤٩	انك ستقاتل بعدى الناكثين
١٤٨ ، ١٤٢	ليس احد امن علينا بصعبته	١٣٥	انه لم يكن نبى قبلى فيموت
١٢٥	ليؤمكم خياركم	٢٣٦	انه ليس سبب ولا نسب
٢٧٧	ما احدا من علينا بصعبته	١٤١	اهتز العرش لوت سمع
١٤٨ ، ١٢٥ ، ٥١	ما اقلت الفبراه	٢٤	اهبهم ومعك روح القدس
١٢٨	مادعوت احدا الى الاسلام الا . . .	٧٤	الايمان فالايمن
١٢٧		١٣٧	ايها الناس ان الله يمثنى

١١٣ ، ٧٢	هلا تركت الشيخ في رحله	٨٤	مامات نبي عطف الا دفن حيث يقبض
١٣٦	هم الامر بالخلافة	١٤٧	مامقالة بالفتنى
٢٤	هيج القطايف على بنى عبد مناف	٢٣٦ ، ٨٤	ماتن رجل يذهب دنيا
	والذى نفس بيده الى اللام على	١٣٧ ، ٦٨	مثل ابي بكر في الخلافة
٨٥	الحوض	١٧٠	مروا ابا بكر فليصل بالناس
	والذى نفس بيده ما انا بهذا احق	٢٠٧	المسلمون تتكلموا بما هم
٢٠٧	من رجل من المسلمين	٦١	من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله
٧٠	وانت الصديق	٨٢	من قبل الكلمة
١٣٧	وضع رجل حجره حيث احب		من كنت مولاه فعلى مولاه ١٢٤ ، ١٤٢ ،
	يا ابا بكر فصع حجرا الى جنب حجرى	١٤٤ ، ١٤٥	
١٣٦ - ١٣٧		١٣٩	منا خير فارس في العرب
٢٢٠	يا مسلم لا تبغى العرب	٢٠٧	الناس كلهم سواء
٢٠٧	يا عباس بن عبد المطلب		نعم رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٣٧	يا عثمان خذ حجرا	٧١	الجدل من سبعة
١٨١	يا على قم فانظر	٤٢	ثم على فراش
١٣٩	يا ايكم خير ذى يمن	٢١٦ ، ١٦٠ ، ٥٦	هذا خالى اباي فيه
١٤٢	يا صبيح يوم القيامة امة واحدة		هذان سيدا كهول اهل الجنة ١٣١ ، ١٥٩ ،
١٨١	يا سبل ذكره واتليه	٢٢٥	

#### ٣ - فهرس الامثال

٢٢٠	لست منها في غير ولا ندم	٢٢٠	التيك حبلتك على غاريك
٢٢٠	مالي في هذا الامر نافعة ولا جمل	٧١	الحرب سجال
		٣٦	قلعة الصيال احد اليسارين

#### ٤ - فهرس الشعر

١٢٥ ، ١١١	متنكر ابو محجن	٧٢	النساء
٢٢٢	المفارقة القصص	١١١	صاحبنا كتب بن مالك
١٩٤	مياس بن مرداس	٢٢٠	واب
١٢٥	الصديق الحارث بن هشام	١١٢	مطرود ( جنى )
١٢٥	الصديق الحارث بن هشام	١٢٦	محمد طريف بن عيسى
١٢٧	الصديق البارقي	١٢٧	معبد طليحة الاسدي
١١١	فصلا حسان	١٣٦	الصديق حسان
٢٠	علاء بن ياسر	١٢٥	دلى المجاج
١٦٢	عفاة حسان	١٢٤	الكبرا شرح بن هانيء
١١٢	ومكان الحارث بن هشام	١١١	موالدا النجاشي

## ٥ - فهرس الأعلام

أنس بن مالك ١٥٢ - ١٥٠ ، ١٣٤ ، ٧٥  
( أهبان بن أوس ) مكرم القلب ١٦٣ ، ١٤٠  
أوس بن ثابت ١٦١  
أيمن بن عبيد ٦٦  
أيوب عليه السلام ١٥٢  
أبو أيوب الأنصاري ١٨٢  
البارقي ، الشاهر ١٢٧  
أبن الصخرخان ١٢٧  
بديل بن ورقاء الظفاري ١٠٢ ، ٦٤  
البراد بن مالك ١٤١ ، ٤٥  
أبو بركة الأسلمي ٩٦  
أبن بريدة ١٤٤  
بسطام بن قيس ٥٩  
بسطام بن نرسی دهقان بابل ٢١٣  
أبو بكر الصديق ، عبد الله ، عتيق ،  
أبن أبي لحافة ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٢٤ -  
٣٥ ، ٣٩ - ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ -  
٥٧ ، ٦٠ ، ٨٧ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ -  
١٠٠ ، ١٠٣ - ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ،  
١٣٥ - ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ،  
١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٧٢ ، ١٧٧ -  
١٨٥ ، ١٨٧ - ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٠٤ ،  
٢١١ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ - ٢٢٤ ، ٢٣٦ -  
٢٣٠ ، ٢٣٢ - ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ،  
٢٤٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧  
بكر بن أخت حيد الواحد ٢٤٦  
أبو بكر عروة بن الزبير ٢٢٤  
أبو بكر بن علي أبي طالب ٢٣٧  
أبو بكر الهللي ١٠٦  
بلال ( بن رباح ) ٣٠ ، ٢٢ ، ٥٤ ، ١٠٣ ،  
١١٨ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ،  
٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٥  
البوسختان ؟ ٢١٣  
تمام ١٤٥  
ثابت ١٢٧  
جابر بن عبد الله ١٢١ ، ٩٣

أدم عليه السلام ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ٢٠٢ ،  
٢٠٨ ، ٢٠٩  
إبراهيم عليه السلام ٦٨ ، ١٠٠ ، ١٣٧ ،  
٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١١  
إبراهيم النخعي ١٨٧  
إبراهيم ( بن يزيد النخعي ) ٨٨  
( أبي بن خلف ) ٤٦  
» » كعب ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٢١  
أحمد ( محمد صلى الله عليه وسلم ) ١١١  
الأحنف بن قيس ٩٦  
أبو أحيحة ٧٣ ، ١٠٣  
أبن أبي أحيحة ١٩٢  
الأخنس بن شريق ١٠٢  
أندريس عليه السلام ١٢٨  
الأرسطاطاليس ٢٦٦  
أبو الزبير ٢٤  
إسماعيل بن زيد ٦٥ ، ٦٦ ، ٨٣ ، ١٤٦ ،  
١٤٧ ، ١٦٢ ، ١٦٥ - ١٦٩ ، ١٧٥ ،  
٢١٦ ، ٢٤٢  
إسحاق عليه السلام ٢١٨ ، ٢١٩  
أبن إسحاق ٢٧  
أسد قرين = نوفل بن غويلد  
أسد الله = حمزة  
أسماء بنت أبي بكر ، ذات النخلتين  
٣١ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٨٧ ، ٢٢٤  
أسماء بنت عميس ٩٥٠ ، ٢٤٠  
إسماعيل عليه السلام ١٢٨ ، ٢١٨ ، ٢١٩  
أسيد بن حنيفة ٦٣ ، ٧٣  
أبن الأشج ١٢٧  
الأشعث ٩٥  
الأعشى ٩١ ، ١٤٤  
الأفرع بن حابس ١٩٤ ، ٢١٧  
أبو أمامة بن سهل ١٦١  
أعقلاس ٢١٣  
الأمين ، أبو عبيدة الجراح ٢٣٣  
أمية بن خلف ٢٢

٢٧	أبو الحكم ، أبو جهل	٢٤	جارية بنت مؤمل
١٢٦ ، ١٠٣	الحكم بن أبي العاص	٢٣٦	جاثيوس
٢٢٣ ، ٢١٧ ، ٢١١	حكيم بن حزام		جبريل عليه السلام ، روح القدس
حزقة ، أسد الله ، ٩ ، ٣٧ ، ٧٢ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٧ ، ١٦٢		٢٤ ، ٥٣ ، ٦٩ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٢٧ ، ١٢٧	
حمى الدبر ( عاصم بن ثابت ) ، ١٣٩ ، ١٦٣		١٦٤ ، ١٧٧	
حنيفة بنت هاشم ذي الرحمن ، ٣٧		٢٥	جبر بن مطعم
حنظلة بن أبي سفيان ، ٦٠ ، ٧١		١٨٢ ، ١٤٠ ، ١٣٩	جبر بن عبد الله
حنظلة بن أبي عامر ، فسيل الملائكة ، ٧١ ، ١٤٠ ، ١٦٣		١٦٠	جعدة بن هيرة
حوشب		٢٤٠ ، ٩٥ ، ٩٠ ، ١٠٦	جعفر بن أبي طالب الطيار
حويطب بن عبد المزي ، ٧٠		٢٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٢ ، ١٤٠ ، ١٢٩ ، ١٢٤	جعفر بن أبي طالب
بنت خازجة ، ( وهي حبيبة ) ، ٨٧ — ٨٨		٤٢	جعفر بن محمد
خالد بن بصير ، ٢١٢		٢١٣	جنيمة العبادي
خالد بن سعيد بن العاص ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٩٦ ، ١٩٣ — ١٨٩ ، ١٧٩ ، ١٩٦		٢١٢	جميل بن بصير
٢٢٨		أبو جهل ، أبو الحكم ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٧ ، ١٠٢ ، ١١٤ ، ١١٥	
خالد بن الوليد ، ٨٦ ، ١١٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩		١١٤	جوزع
خباب بن الارت ، ٣ ، ٤ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ١٠٣ ، ١٧٨		١٩٤	حابس
أبو حبيب ، عبد الله بن الزبير ، ٢٢٤		٦٣	الحارث بن الصمة
داود عليه السلام ، ٩١		٢٦٦	الحارث بن ظالم
داود بن أبي هند ، ٨٩		٢٢٦	الحارث بن كلفة
أبو دجالة ، ٤٥ ، ٤٨ — ٥٠ ، ٦٣		الحارث بن هشام بن المغيرة ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٧	
أبو الدرداء ، ٨٨ ، ١٦٢		٦٣	الحباب بن المنذر بن الجذوح
هلال بابل ، ٢١٣		١٠٨	حبيب بن أبي ثابت
هلال الفلوجة ، ٢١٣		١٧٤ ، ٩٤	حبيب بن مسلمة القهري
هلال نهر الملك ، ٢١٢		١٥٢ ، ١٥٠	الحجاج بن يوسف
أبناؤنا = أسماء بنت أبي بكر ، ٢٢٤ ، ٣١		أبو حذيفة بن عتبة ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٩٤ ، ٢١٧	
أبو ذر الغفاري ، ٢٩ ، ١٢٨ — ١٤٠ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٢٥		٢٢٦ ، ١٨٠ ، ١٦٢ ، ١٣٦	حذيفة بن اليمان
ذو الكلاع ، ١٧٤ ، ٢٤٨		١٧٤	حرقوس بن زهير
ذوالنون = يونس بن متى ، ٩١		حسن بن ثابت ، ٢٤ ، ٥٥ ، ٧٣ ، ١١٠ ، ١١٦ — ١٢٨ ، ١٦٢	
ربيعة بن حراش ، ١٣٦		٩٦	أبو الحسن = علي بن أبي طالب
الربيع بن صبيح ، ١٦٥		الحسن البصري ، ٧٥ ، ٩٢ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٦٥ ، ٢٢٧ ، ٢٤٦	
ربيعة بن الحارث ، ٦٦		٢٦٥	الحسن بن حي
رشيد الهجري ، ١٢٨		٩٦	الحسن بن علي أبي طالب
رفيع ، ٢١٢		١٩٤	حصن
		١٦٤ ، ١٧٠	حفصة أم المؤمنين

٢٤٨ ، ١٧٥  
سميد بن الماص  
١٩٢  
أبو سليمان بن العارث ٢٤ ، ١٤٠٩٦  
أبو سفيان بن حرب ٦٠ ، ٧١ ، ٧٢ ،  
١٠٣ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٨  
١٧٩ ، ١٩٦ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٣٨  
سلطان الفارسي ١٦٢ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٧  
١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ،  
٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٣٧  
أم سلمة أم المؤمنين ٧٧  
سلمة بن سلامة بن وقش ١٧٥  
أبو سلمة بن عبد الأسد الخزومي ١٠٥٢٢  
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ١٥٩  
سلمة بن كهيل ١٣٦  
سليمان عليه السلام ٩١  
سهل بن حنيف ٦٣ ، ١٦١ ، ١٨٢  
سهيل بن عمرو ٧ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٧٨ ،  
١٧٩ ، ٢١٧  
سياه وخش ٢١٣  
السميد الحميري ٢٢٨  
أبن سرجين ١٧٥ ، ٧٥  
شرحبيل بن السمط ١٧٤  
شريح بن هانئ الحارثي ١٢٧ ، ١٢٥ ، ١٢٤  
الشعبي ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٢١ ، ١٧٥ ،  
١٧٦ ، ٢٢٥  
شعيب عليه السلام ١٥٢  
شيبه بن ربيعة ٢٥ ، ١٠٣  
أبو صالح (بازم) ١١٧  
الصدقي = أبو بكر  
الصدقي الأكبر = علي ٢٣٩  
صفية بنت عبد المطلب ٢٠٧  
صهيب الرومي ٩٧ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢١٦  
ضباجة بن تاليز بن عبد المطلب ٢٢١ ، ١٨١  
الضحاك ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٢١  
ضراب ؟ ٢٢٥  
أبو طالب ٢٣ ، ١٠٢ ، ٢٠٥  
أبن أبي طالب = علي  
طريف بن علي بن حاتم ١٢٦ ، ١٢٧  
أبن طلحة ٢٤١

روح القدس = جبريل  
أبن الزبير = ميد الله  
الزبير بن العوام ، أبو عبد الله ١١ ، ١٢ ،  
٣١ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٤ ،  
٥٨ ، ٥٩ مع كنيته أبي عبدالله ، ٦٣ ،  
٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٨ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ،  
١٣٩ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ،  
١٧٦ ، ١٨٠ ، ٢١٢ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،  
٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ،  
٢٧٤ ، ٢٧٦  
أبو الزبراء ٢٣٦  
أبو زفر ٢٢٥  
زبيرة ٢٣  
الزهرى ٢٣  
زياد بن أبيه ٩٥  
أبو زيد ( جامع القرآن ) ٩٣  
زيد بن ثابت ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤ ،  
١٢١ ، ١٧٥  
زيد بن حارثة ٣ ، ٤ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ١٠٠ ،  
١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٦٢  
زيد بن حصن الطائي ١٧٤  
زيد بن صوهان ٢٤٩ ، ٢٥٠  
زيد بن عمرو بن الخطاب ٢٣٧ ، ٢٤٢  
زيد بن عمرو بن نفيل ١٤٢  
سالم مولى أبي حذيفة ٦١ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ،  
٢٧٤  
سراقة بن مالك بن جشم ٢١٥  
سمد بن الربيع ١٦٢  
سمد بن مباداة ١٩٩  
سمد بن مباداة ١٤٤  
سمد بن معاذ ٥٢ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ١٣٩ ،  
١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٦٣  
سمد بن أبي وقاص ٣١ ، ٣٨ ، ٥٤ ، ٥٦ ،  
٦٥ ، ٩٧ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٦١ ،  
١٧٣ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،  
٢٧٥  
سمد بن وهيب = سمد بن أبي وقاص  
سميد بن جهم ٣٠  
سميد بن زيد بن عمرو بن نفيل ١٤٦ ، ١٤٧



٩٠	عبد الله بن جمل	طلحة بن عبيد الله ١١ ١٢ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣١ - ٥١ ٥٤ ٦٤ ٩٥ ٩٧ ١٢٢ ١٢٧ ١٤١ ١٦١ ١٦٨ ١٧٣ ١٧٥ ١٧٦ ١٨٠ ١٨٩ ٢١٢ ٢٤٦ - ٢٧٤ ٢٧٦
١١٧	عبد الله بن حذافة السهمي	طلحة بن خويلد الأسدي ٨٦ ١٢٧٩٤ ١٨٥ ٢٤٨ ٢٤٩ ( حاصم بن ثابت ) = حمى النبر
	عبد الله بن الزبير عابو بكر، أبو خبيب	عاصم بن سعد بن أبي وقاص ١٥٨ ١٦٠ عاصم الشعبي ١٠
٧٥ ١٥٩ ١٧٥ ٢٢٣ ٢٢٤	عبد الله بن سعد بن أبي سرح	عاصم بن الطفيل ٥٩ ٢٦٦ عاصم بن فهيرة ٣٣ ٥٢ ٥٤
٩٥	عبد الله بن سلام	عائشة أم المؤمنين أم عبيد الله ١٢ ٢٥ ٣١ ٥٥ ٧٩ ٨٧ ٩٢ ١٠٠ ١١٢ ١٢١ ١٢٨ ١٣٠ ١٤٧ ١٦٤ ١٦٥ ١٧٣ ٢٢٤ ٢٧٥
١١٨	عبد الله بن سلمة	ابن عباس = عبد الله العباس بن عبد المطلب ٩ ٦٦ ٧٢ ٩٦ ٩٧ ١٠٢ ١٤٠ ١٤٥ ١٩٠ ١٩١ ٢٠٧ ٢٢٢ ٢٢٦ عباس بن مرداس ١٩٤
٩١	عبد الله بن سمرة	ابن أم عبد = عبد الله بن مسعود ٨٦ ١٢٤ ١٤١ عبد الرحمن بن أبي بكر ٦٢ ١١٣ ١١٥ ٢٢٠
٩٥	عبد الله بن سمرة	عبد الرحمن بن عتاك ٢٢٠ عبد الرحمن بن عتيق = عبد الرحمن ابن أبي بكر ٣١ ٥٤ ٦٣ ٩٧ ١٦٢ ١٨٩ ١٩٩ ٢١٢ ٢٢٣ ٢٣٣ ٢٤٠
	عبد الله بن عباس ٢٠ ٩٣ ١١٤ ١١٧ - ١٢١ ١٢٨ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٩	عبد شمس ٢٢٠ عبد العزيز بن سياه ١٠٨
	عبد الله بن عمر ٧٥ ٩٢ ١٢١ ١٤٧ ١٧٢ ١٧٥ ٢١٦ ٢٤٨	عبد الله = أبو بكر الصديق ٢٢٤
	عبد الله بن عمرو ٧٥ ٩٣ ٢٦٥	أم عبد الله = عائشة أم المؤمنين ٢٢٤
	عبد الله بن المبارك ٣٧ ٨٦ ٨٨ ٩٣ ١٢١ ١٣٦ ١٤١ ١٤٥ ٢٢٣ ٢٢٤	عبد الله بن أبي بكر، قاتل الخلفاء ٥١ ١١٣ ٢١٧
	عبد الله بن مسعود ٣٧ ٨٦ ٨٨ ٩٣ ١٢١ ١٣٦ ١٤١ ١٤٥ ٢٢٣ ٢٢٤	
	عبد الله بن وهب الراسبي ١٢ ١٣٤ ١٤٩ ١٧٤	
	عبد المطلب بن هاشم ٢٢٠	
	عبد الملك بن أبي سليمان ١١٦	
	عبد الملك بن عمير ١٣٦	
	عبد مناف ٢٢٠	
	العبدية ٣٣	
	العبيد ( فرس عيسى بن مرداس ) ١٩٤	
	أبو عبيد الثقفي ٢١٤	
	عبيد الله بن علي بن أبي طالب ٩٦	
	أبو عبيدة بن الجراح ٦٣ ٧٠ ٧٧ ١٤١ ١٤٦ ١٦٩ ١٨٠ ١٨٩ ٢٠٠ ٢١٢ ٢٢٢ ٢٢٣ - ٢٢٢ ٢٢٤ ٢٧٣	
	أم عيسى ٢٤	
	عتاك بن أسيد ١١٦	
	عتبة بن ربيعة ١٠٣ ٢٦ ٢٥ ٥٩	
	عتيبة بن الحارث ٣٠	
	عتيق = أبو بكر ١٨٢ ١٦١	
	عثمان بن حنيفة ١٨٢ ١٦١	
	عثمان بن عفان، ذو النورين ٦ ٣١ ٤٢ ٥١ ٥٤ ٥٦ ٦٥ ٦٧ ٧٠ ٧٢ ٧٤	



٥٨	مرحب اليهودي	١٤٥	الفصل بن عيسى
٢٦٥	مرداس بن اديّة	٢١٢	فيروز بن يزدجرد ، دهمان نهر الملك
١٩٤	مرداس والد عيسى	٩٥	قبيلة بن جابر الاسدي
٢٣٧ ، ١٢٦	مروان بن الحكم	٢٢٧ ، ١٠٦	قتادة
٨٨	مسروق	١٤٥	شم
١١٥ ، ١١٢ ، ٥٥ ، ٥٤	مسطح بن اثالة	١١٢ ، ٧٣ ، ٤٤	أبو صفاعة والد أبي بكر
١١٦		١٦٧	
١٨٢	أبو مسعود البدرى	٢٨	ابن أبي شحافة = أبو بكر
١٧٤	أبو مسلم الطولاني	٢٨	القرينان : طلحة وأبو بكر
١٧٤	مسلمة بن مفضل	٢٦٦	فيس بن زهير
	المسيح بن عريم = عيسى	٢١٤	فيس بن مكنوح
١٩٨ ، ١٨٥ ، ١٠٤ ، ٩٤ ، ٨٦	مسيقلة		ابن أبي كينة ( من مسفاهة أبي سليمان )
٢٤٨		٧١	كسرى
١١٦ ، ٩٤ ، ٨٨	معاذ بن جبل	٥٦ ، ١٨٦ ، ١٧٩ ، ١١٤ ، ٢١٤	٢١٥
١٧٤	معاوية بن حديج		كعب بن مالك
٩٥ ، ٩٨ ، ٢٣٤ ، ٢٤٨	معاوية بن أبي سفيان	١١١	كعب بن مرة الجهزي
١٠٨	أبو معاوية الضرير	١٧٣	الكلبي = محمد بن السائب
١٤٥	معبد	٨٨	أم كلثوم بنت أبي بكر
١٤٧	أم معبد	٢٣٧ ، ٢٣٦	أم كلثوم بنت علي
٢١٤ ، ١٨٢ ، ٩٥ ، ٩٤	المنيرة بن شعبة	٢٩ ، ٢٨	الكتاني ( مالك بن الدفنة )
٢٢١ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ٥٧	المناد بن عمرو	١٤٨ ، ١٠٠	لقمان
١٥٣	ابن أم مكتوم	١٠٢ ، ١٠٠	أبو لهب
١٧٤	مكحول	٢٠٩ ، ٤١	لوط
٧٠	مكرز بن حفص بن الأخيف	٢٨	( مالك بن الدفنة )
١٦٢ ، ١٤٠	مكلم اللب ، أحيان بن أوس	١٢١ ، ١١٨	مجاهد
١٢٨	منصور النعري	١٢٥ ، ١١١ ، ٨٥	أبو معجب
٢٤٨	المهاجر بن أمية		محمد صلى الله عليه وسلم ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٢٦ ، ١٢٤ ، ١٢٤ ، ٢٢١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٧٦
٢٣٧	مهران بن بلان	١١٧	محمد بن السائب الكلبي
٤٨٦ ، ٨٠ ، ٦٩ ، ٥٧	موسى عليه السلام	٢٢٥	محمد بن عائشة
٩١ ، ١٠٠ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٤٣		١١٦	محمد بن علي بن أبي طالب
١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩			محمد بن مسلمة ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٧٠ ، ١٥٣ ، ١٧٤
٢٦٠			الختار بن أبي عبيد
١٥٣ ، ١١٦ ، ٨٨	أبو موسى الأشعري	٩٦	ابن مغيرة العبدي
٢٤٣		٩٦	
١٣٧ ، ١٠٨ ، ٦٨	ميثايل		
٢٦٦	النابغة		
١١١	النجاحي (الشامي)		
١٠٦	النجاحي (ملك العبسة)		

١٨١	هشام بن عروة	٢١٢	ابن النخعي
١٨٧	هشيم	١٧٤	النعمان بن بشير
١٧٤	واللة بن الاسقع	٥٢	النخالي (ميد الله بن اريظف)
٢٧	الوافدي	٢٢	النهدي
٢٢	ورقة بن نوفل	٢١١ - ٢٠٩	نوح عليه السلام
١١٥	وكيع	٢٧	نوفل بن خويلد ، اسد فريش
١٠٣ ، ٥٩	الوليد بن عتبة	١٥٣ ، ١٤٣ ، ١٢٤	هارون عليه السلام
٥٩ ، ٥٨	ياسر اليهودي	٢٢٨ ، ١٦٠ ، ١٥٨ - ١٥٦	١٥٤
١٢ ، ٩	يعقوب بن زكريا ، عليه السلام	٢٤٦	هاشم الأوفس
١٨٢	أبو اليقظان ، عمار بن ياسر	٢٧	هاشم ذو الرحمن
١٣١ ، ١٣٠	يوسف بن يعقوب عليه السلام	٢٢٠	هاشم بن عبد مناف
١٦٤ ، ٢٠٧		٢٦٦	هرم بن سنان
١٥٦ ، ١٥٥	يوشع بن نون	٢١٢ ، ١٢٦	الهرمزان
٩١	يونس بن متى عليه السلام	٩٢ ، ٧٥	أبو هريرة

## ٦ - فهرس القبائل والجماعات

٩٤	البصريون	٢٦٩	الإباضية
٨٢	بكر بن وائل	٨٢ ، ٦٤ ، ٢٨	الاحابيش
٢١٢	بلي	٥٩	الأحلاف
٢٤٨ ، ٨٢	تميم	٢٦٩	الأزدية
٢٦٩	التهاميون	٢١٤	الأساورة
٢٧ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١١١ ، ١٢٦ ، ١٦٧ ، ١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٢٨ ، ٢٢٨	تيم	٢١٩ ، ٢١٨	بنو أسحاق
٢٢٨		١٢٦ ، ٦٣	أسد
١٠٢	لقيف	١٥٥ ، ١٥٤ ، ٥٧	إسرائيل
٢٦٩	الجزيرة	٢١٩ ، ٢١٨	بنو اسماعيل
٢٢١ ، ١٢٦ ، ٣٢ ، ٢٨	بنو جمح	١٢	أصحاب البرانس
١٠٥ ، ١٠٤ ، ٣٢	الحبش ، الحبشة	٢١١	بنو الأصغر
٢١٧ ، ١٩٢		١٩٦ ، ١٠٣ ، ٦٠	بنو أمية
٢٦٩	الحجازيون	٨١ ، ٦٦ ، ٦٣ ، ٥٥ - ٨١	الأنصار
٢٦٩	الحسينيون	٨٢ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٢٥ ، ١٢١ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧ - ٢٤٩ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢	
١٢٣	العشوية	١٩٧ ، ١٧٣ ، ٣٨	الأوس
١١٤	بنو حنيفة	٢٧٥ ، ٢٤٨ ، ٢١٤ ، ٦١	البدريون
١٠٢ ، ٥٩	خرامة		
١٩٧	الخزرج		
٢٢٨	بنو خلف الخزاعي		
٢٦٥ ، ١٨٥	الخزارج		

٢٦٩	المراقبون	٥٩	دوس
١٥٩	المشقة	٨٢٤ ٤٢ ٢٠ ٩	الرافضة ، الروافض
١٨٧	المطوية	١٢٠ - ١١٧	٨٤ ١٠٩ ١١٥ ١١٧
٢٢٣	المعوية	١٤٨ ١٤٦ ١٤٢	١٢٩ ١٢٨
٢١٧	فارس ، الفرس	٢٢٤ - ٢١٥	١٨٨ ١٧٧ ١٤٩
٢١٩	مطمان	٢٧٧ ٢٧٦ ٢٤٩	٢٣٥ ٢٢٦
٢٦٩	القرشيون	٢٧٩	
٢٩ ٢٧ ٢٥ ٢٣ ١٤ ٩	فريش	٢١٩ ٢١٢	دويجة
٢٤٤ ٦٠ ٥٩ ٥٦ ٥٣ ٥٢ ٥١		٢٣٢ ٢١٧ ٢١٤ ١١٤ ٦٥	الردم
٢٧ ٦٩ ٧٠ ٧٧ ٧٨ ٩٦ ٩٧		٢٤٢	
١٠٠ - ١٠٢ ١٠٥ ١١٣ ١٢٥		٦٣	بنو زهرة
١٢٦ ١٧١ ١٧٢ ١٧٦ ١٧٨		٢٧٦ ٢٦٩ ٢٦٥ ١٨٠	الزيدية
١٩١ ١٩٦ ١٩٧ ٢٠٠ - ٢٠٢		٢٧٩	
٢١٧ ٢١٩ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٢		٩٤	بنو ساسان
٢٣٦ ٢١٩	فصى	١٥٩	المسيطة
٢٦٦ ٨٣	فيس	٢٧٠ ٢٦٨ ١٥٩	الستة
٥٢	بنو قبيلة	٢٣٧	سودان مروان
٢١٩ ١١٢ ٦٤	كعب	٢٦٩	الشماعون
١٩١	كلاب	٤٩ ٤٤ ١٨ ١٣	الشيعة ، الشيعة
٢١٢	كلب	٨٢ ١٢٤ ١٢٨ ١٣٩ ١٥٠ ٢٢٣	
٨٢	كنانة	٢٢٥	
١٢٧	كننة	٢٦٩	الصارفة
٧	الكهنة	٢١٢	طبرية
٢٤٨ ٢٩ ٢٣	بنو مطروم	٦٤ ٦٣	بنو طاهر
١٤٩ ٨٢	الرجلة	١٨٧	العباسية
٢١٩ ٢١٢	مصر	٢٣	بنو عبد الدار
٢١٩	بنو الكلب بن عبد مناف	٢١٩ ١٢٦	بنو عبد شمس
٥٩	الطويون	٢١٩ ٢٠٥ ١٩١ ٢٣	بنو عبد المطلب
٢٦٥	المتزلة	١٦٧ ١٠٢ ٦٠ ٢٤	بنو عبد مناف
٢٧٩	العلمون	١٦٨ ١٩٠ - ١٩٢ ٢٢٠ ٢٢٦	
١٦٧	بنو الفرية	٢٢٨ ٢٢٨	
١٣٧ ١٠٩ ١٠٨ ٦٨ ٥٩	المشقة	٩٢ ٧٤ ١٩ ١٣ ٣	الشمالية
١٤١ ١٤٢ ٢٢٥		١٢٠ ١١٥ ١٢٣ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤	
١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١			

١٩٧ - ١٩٩ + ٢٠١ - ٢٠٤ + ٢١١	بنو هاشم ٦٠ + ٦٣ + ٨٣ + ٩٨ + ١٠٢
٢٣٠ - ٢٣٢ + ٢٣٨ + ٢٣٩ + ٢٤٦	١٢٦ + ١٩١ + ٢٠٠ + ٢٠٥ + ٢١٩
٢٤٨ + ٢٦٨ + ٢٧٢ - ٢٧٥	٢٢٤ + ٢٢٥
بنو مؤمل ٢٤	آل ياسر ٣٠
التجيدات ٢٦٩	اليمن ١٣٦ + ٢١٢ + ٢١٩
النصارى ١٤٥ + ١٩٩ + ١٥٥	يهود ٥٢ + ١٥٥ + ٢٤٥

## ٧- فهرس البلدان والمواضع ونحوها

١٤١ + ١٤٣ + ١٤٧ + ١٦٩ + ١٧٨	احد ٤٥ + ٦٢ + ٦٣ + ٧١ + ٨٥ + ١٤١
٢٩	أخشيبة مكة
٩٤	أذربيجان
٩٤	أرمينية
٩٥ + ٩٤	أفريقية
٢١٢	بابل
١٢٥	باجدواوات
٥٢ + ٥٠ + ٤٥ + ٤١ + ٣٣ -	بدر ١١ + ٣٣ + ٤١ + ٤٥ + ٥٠ + ٥٢
٤١٠٨٤ + ٧١ + ٦٧٤ + ٦٣ + ٤١٠	٥٦ + ٥٩ + ٦٣ + ٧١ + ٨٤ + ١٠٨
١١١ + ١٧٥ + ١٧٦ + ١٧٨ + ١٩٤	١١١ + ١٧٥ + ١٧٦ + ١٧٨ + ١٩٤
٢٤٦ + ٢١١	٢١١ + ٢٤٦
٥٧	برك ذات الفناد
٢٤٩	بزالحة
١٦١	البحرة
٣٧ + ٣٢	بطحاء مكة
٨٢	البقيع
٦٤	بلدح
٦٤	البيت الحرام
٦٩	بيت المقدس
٥٢ + ٣٣	بئر مونة
١٥٢	بيرة
١٢٥	تستر
١١٢	الجبيل ( أبو قبيس )
٢١٤	جلولاد
١٤٤	الحجاز
٧٣	الحجون
٧٦ + ٧٢ + ٧٠ + ٦٤ + ٦٣	الحديبية ٦٣ + ٦٤ + ٧٠ + ٧٢ + ٧٦
١٩٤ + ١٣٧	١٣٧ + ١٩٤
٢٠٧ + ٦٦	حنين
٨٥	الحوصي
٣٢	حسي جحج
١٨٥	الحرّة
٢٦٥ + ٩٤	خراسان
٤٥	الطنائف
٧٣	الغندمة
١٤٣ + ٤٥	خيبر
٥١ + ٣٢	دار أبي بكر
١٩٠	دار خالد بن سعيد
١٢٨	دار بني خلف الخزاعي
٢٤٣ + ١٦١	دار عثمان
٢٦٥ + ١٨٠	دمشق
١٦٩	ذات السلاسل
٧٣	ذو طوى
٩٥	سجستان
٨٠	السنج
١٧٩ + ١٧٣ + ٩٦ + ٧٠ + ٦٩	الشام ٦٩ + ٧٠ + ٩٦ + ١٧٣ + ١٧٩
١٨٥ + ٢٤١	١٨٥ + ٢٤١
شحر عمان	
١٧٥ + ١٥٣ + ١٢٥ + ١١	صقلين ١١ + ١٢٥ + ١٥٣ + ١٧٥
١١٢ + ٨٥ + ٥١	الطائف ٥١ + ٨٥ + ١١٢
٨٧	العالية
٩٦	العراق
١٤٣٠ + ١١١ + ٥٧ + ٥٤ + ٥٣	عريش بدر ٥٣ + ٥٤ + ٥٧ + ١١١ + ١٤٣٠
١٤٦	
الغزى (صنم) ٣٠ + ٣٢ + ٣٣ + ٣٧ + ٧١	٣٠ + ٣٢ + ٣٣ + ٣٧ + ٧١
٢٤٨	عمان
٤٤٤ + ٤٣ + ٣٣ + ٣١	الغار حراء ٣١ + ٣٣ + ٤٣ + ٤٤٤

١٩٩	١٦١	مسجد الرسول	١٠٩٠ ١٠١٠ ١٠٠٠ ٥٤٠ ٥٢٠ ٥١٠
١٣٦		مسجد فيله	١٤٣٠ ١٢٠٠ ١١٦٠ ١١٠٠ ١٠٤٠ ١٠١٠
١٣٦		مسجد المدينة	٢٢٩
١٢٥		المسقر	١٧٦ ١٣٤
٢٢٤	٧٠	مصر	٢١٣
٢٣٣	٢٢ ٢٠ ٢٠ ٢٠ ٢٠ ٢٠	مكة	٢١٥ ٢١٤
٢٣٧	٤١ ٤١ ٤١ ٤١ ٤١ ٤١		١٣٦
١٠٣	١٠٣ ١٠٣ ١٠٣ ١٠٣ ١٠٣ ١٠٣		٧٢
١٢٥	١١٣ ١١٣ ١١٣ ١١٣ ١١٣ ١١٣		١١٢
٢٢٤	٢١٧ ٢٠٣ ١٩٢ ١٦٧ ١٦٧ ١٦٧		٢٣٧
٧٩		منزل عائشة	٩٤
١٢٥		مهران	٧٨ ٢٩
١٤٦		مؤنة	١٨٢
٢٤٨		نجير	٦٤ ٣٧ ٣٣ ٣٢ ٣٢ ٣٠
٢٥٠		نهاوند	١٧٨
١٢٥	١١	النهر	٤٢ ٣٣ ٣٠ ٢٨ ٢٨ ٢٨
٢١٢		نهر الملك	١٠٥ ١٠٣ ٧٢ ٦٦ ٦٦ ٦٥
٧١		هبل ( صنم )	١٣٦ ١٤٧ ١٥٣ ١٦١ ١٧٥ ١٨٤
٤١		يثرب	١٩٧ ١٩٠ ١٨٧ ١٨٥ ١٨٥ ١٨٤
١٩٨	١٨٥ ١٨٥ ١٨٥ ١٨٥ ١٨٥ ١٨٥	اليمامة	٢٣٧ ١٩٨
٢٤٨	١٩٠ ١٨٥ ١٨٥ ١٨٥ ١٨٥ ١٨٥	اليمن	٢٢ ٢٩ ٢٨
٩٨		يبيع	٧٨ ٦٤
			مسجد أبي بكر
			المسجد الحرام

## ٨ - فهرس الأبحاث المتعلقة بالأعلام والطوائف

### أسامة بن زيد :

فصله ١٢٦ تسميته بالحب ١٤٧ تفصيل عمر له على ابنه عبد الله ١٤٧ ، ٢١٦

### أنس بن مالك :

أهم الرافضة لمالك والكلب ١٥٠ - ١٥٢

### أبو بكر الصديق :

قول عثمانية انه الفصل الأتم وأولها بالاسامة ٢ أول الناس اسلاما ٣ فضل اسلامه على اسلام زيد وخياط ٢٢ القول في منزلته ٢٤ كان جبير بن مطعم لميلده في النسب ٢٥ مآثيه بمكة ٢٧ جوار الكنانى له ٢٧ عتقه للمعلمين ٣٠ ٢٢٤ طلب فريشله ٣١ دعوته العرب الى الاسلام ٣١ من اسلم على يده ٣٢ استجلب له سعد ٥٦ مجاهرته باسلامه ٣٧ انقائه ماله ١٧٤٢٥ كلف بنى تيم برد عائلته في بيت المال ولم يفعل ذلك على ٩٨ استمراره في التجارة بعد الخلافة وقرى المسلمين نفقة ضرورية له ٩٩ بين زهده وزهد على ٩٧ موازنة بين مآثيه هو ومآثيه على ٣٩ موازنة بين مصيبة الفار وميبت على على الفراه ٤٢ صحبته للرسول ٥٠ تعزية الرسول له في الفار ١٥٧ لتلقيه بالصدق ٥١ ، ١٢٢ عظم لعب الصديق ١٢٨ اختصاصه بتسعين ١٢٢ ويقولهم بالخليفة رسول الله ١٢ اشعار في تلقيه بالصدق لشعراء الشيعة وغيرهم ١٢٤ ماقيل من الشعر فيه ١١٠ محاجته فريشا في امر الاسراء ٦٩ انفراده بالرسول في العريش ٥٣ كان له الفضل على زعماء من شهدوا بدر ٥٤ شفاعته لاسرى بدر ٦٧ كان اول من حث على قتال المشركين ٥٦ ، ٦٤٦٣ توليته ميمنة حنين ٦٦ نيافته فيها ٦٦ معارضته لبديل بن ورقاء وفروة ابن مسعود في التخليل ٦٤ تقديم النبي لعلى الحديدية ٧٠ صواب رايه في صلح الحديدية ٧٦ ففضله على الفتنة فيها ٧٨ نصر الرسول جملا من سيمه اولهم ابو بكر ٧١ موازنة النبي بينه وبين عمر ١٧٢٦٨ ( اجلل النبي لأبيه ٧٣ مسابرة الرسول له وحده يوم فتح مكة ٧٢ لوائح بينه وبين حمزة ١٤٧ نزوله لغير حمزة أول نازل ٧٢ علو منزلته عند أبي سفيان ٧٢٥٧ تركية عبد الله بن مسعود له ٨٦ ، ٢٢٤ تركية على له ٨٤ ، ١٣٦ ، ٢٢٥ اقتراح عمر لتقديمه في الشرب ٧٢ وثاقفة ملاقة الزبير به ٢٢٣ ، ٢٢٤ أنزل فيه من القرآن ظلم ينزل في أحد ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ١١٥ ليس في العشرة رجل مؤمن الأبوين غير ١١٣ ليس في المسلمين صاحب ابن صاحب ابن صاحب غير ولده / عبد الله ١١٣ احاديث في أنه غلبت الرسول ١٢٥ وفي فضله ١٣٧ وضعه حجر المسجد بعد الرسول ١٣٦ تأميره على الحج ١٢٩ لفصله بأمامة الناس في مرض النبي ١٣٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ صلى بالناس سبع عشرة صلاة ١٧٠ امامته لعلى ١٢٩ سمه فقهه ٨٢ تبطله لأمر الرسول ٨٥ حسن فهمه لكلامه واشارته ١٦٤٨٥ تماسكه حين علم بموت الرسول ٧٩٦٦ تحكيمه في موضع دفن الرسول ٨٢ حزمه بعد وفاة الرسول ١٩٩ انقلذه جيش أسامة ٨٢ فصله في منج التنكاس الدعوة ١٨٤ تصميحه في الردة ٦٥ شدته في اخذ الزكاة وفقهه في المطالبة بها ٨١ ، ٨٢ تقديم عمر له ٢٢٢ وكذلك أبو عبيدة ٢٢٢ توليته خالدا ٨٦ استخلافه لعمر وأصراره على ذلك ٨٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ صدق فقه وقوة حسمه في مرض موته ٨٧ لم يتزوج في خلافته ولا تدخل سرية ٩٨ وثاقفة بيته ٢٢٣ تثبيت على بيته ٢٣٥ المعارضة في استخلافه ١٦٧ طعن الرافضة في تغلبه من جيش أسامة ١٦٦ طعنهم في شجاعته ٢٢٢ دعواهم في نفاذه ٢٢٢ تكفيرهم له بجحده امامة على ٢٤٩ زعمهم أن خالدا ترك بيته ثلاثة أشهر ١٩٠ البعث اسلامه ٢٢٦ تطبيق قوله في الحساب



فريش وأنسابها وقوله « ان هذا الأمر ليس بعلامة » ٢٠ ملهجه في الاحساب ثمينه خطبه له ٢٠٢  
مناقشة قوله « وليت عليكم ولست بخيركم ٢٢٧ نظير كلمته هذه من كلام العرب ٢٢١

### بلال بن رباح :

لعديه ومثقه ٣٢ ادعاء الرافضة طنه على أبي بكر وعمر ١٨٠

### حمزة بن عبد المطلب :

مواخاة أبي بكر له ١٤٧

### خالد بن الوليد :

زعم الرافضة بركه بيعة أبي بكر ثلاثة اشهر ١٩٠

### الرافضة :

قولهم في اسلام علي ١٨ ، ٢٠ تطعيمهم لقتلى علي : مرحب ، وعمر بن عبد ود ، والوليد  
ابن عتبة ٨٠ قولهم ان قريشا تصبغت علي على لتفتيله اثارها ٦٠ وان بني امية صرفوا الامامة  
منه لضعفهم ١٩٦ قولهم ان عليا كان اقله من أبي بكر ٧٤ رد على دعواهم في نزول القرآن  
في علي ١١٦ استشهاد بعديت واو مرضى عندهم ١١٦ قولهم ان عليا كان يتصدق وهو  
في الصلاة ١١٩ تكفيرهم للاتصار والمهاجرين ١٤٩ قولهم بالنس على امامة علي ١٤٩ ، ٢٧٦  
الهامهم لانس بالكفر والكلب ١٥٠ اكفارهم له لانه كان يعمل للحجاج ١٥٠ احتجاجهم بالنس  
حين يؤيد ملههم واكفارهم له حين لايرضهم ١٥٢ طعنهم عليه بما اصابه من سوء في جسده ١٢٢  
مدحهم عليا بما لاينق به ١٥٣ احتجاجهم بعديت « أنت مني كهرون من موسى » ١٥٣ ، ١٥٨  
الرد على زعمهم مواخاة الرسول لعلي ١٦١ طعنهم في صلاة أبي بكر بالناس ١٧٠ زعمهم ان خلافته  
كانت بغير اجماع ١٧٢ احتجاجهم بقول الانصار «لنا أمير ومنكم أمير» ويقول سلمان الفارسي  
« كرداد ونكرداد ١٧٧ ، ١٨٦ ، ١٨٣ ، ٢٣٧ قولهم (ان ربيعة أبي بكر كانت طئنة » ١٩٦ قولهم  
ان ابا بكر وعمر كانا لايقولان بالتسوية ٢١١ دعيهم عمر بالمعصية ٢٢٠ تحقيق قولهم ان الزبير  
خرج شادا بسيفه ٢٢١ تكفيرهم ان اترك امامة علي ٢٢٥ توليهم حذيفة وعمرأ بعد اكفارهم ٢٢٦  
طعنهم على أبي بكر في قوله «وليتكم ولست بخيركم » ٢٢٧ طعن الجاحظ فيهم ٨٢ ، ٨٤ وفي  
زعمهم في الامام ٢١٥ جورهم في الحكم ١٤٢ مطالبة الجاحظ لهم ان يستشهدوا اهل الكتاب ١٥٥  
الغور من الانتماء اليهم ١٧٦ يعتجون باشعار شعرائهم ويرفسون اشعار سواهم ١٧٨ ادعائهم  
طن بلال على أبي بكر وعمر ١٨٠ وطن المقداد ١٨٠ وطن عمر على أبي بكر وعمر ١٨٢ وطن  
أبي ذر على عمر ١٨٣ قولهم ان خلافا تركه بيعة أبي بكر ثلاثة اشهر ١٩٠ دعيهم ابا بكر وشعان  
بالتجس ٢٢٢ دعواهم نفاق أبي بكر ٢٤٣ تكفيرهم اياه بجسده امامة علي ٢٤٩ زعمهم ان الشمر  
الى على علم ماكان وما يكون ٢٤٣ قولهم ان عليا كان الحقون طلحة والزبير ٢٤٩ جملة دعواهم  
٢٢٨ جملة مناقضاتهم لكل مغاير أبي بكر ٢٢٨ جملة ردودهم على معلمان الشمالية ٢٢٩

### الرسول الكريم :

تكرمه بزيارة أبي بكر ١٥ عتاب الرسول ٩٢ لم يسلمهم معارضة بعض أمته له ١٩٤ طبقات  
الناس بعد وفاته ١٩٦ رياسته الكبرى لم ينلها بالنسب ٢٠٥

### الزبير بن العوام

تحقيق قول الشبهة ان الزبير خرج شادا بسيفه ٢٢١ طاعته لعمر ٢٢٢ انتباهه في هوى

أبي بكر ٢٢٢ وصية عثمان وعبد الرحمن بن عوف له ٢٢٣ وثلاثة حلالته بابي بكر ٢٢٤ معاداة  
لعلى ومفاخرته له ٢٢٤

زيد بن حنيفة :

فصله ١٤٦ ذكره باسمه في القرآن ١٤٨

الزينة :

تكريمهم من ائمة على ١٨٠ تسكيم باسم الوصية ٢٧٦

سعد بن أبي وقاص :

كان من المستجيبين لأبي بكر ٥٦ مقابلته بالامامة ١٥٩ ٢٧٥ فصله ١٥٩ أحاديث في فصله ١٦٠

سلمان الفارسي :

لقديره ١٧٩ احتجاج الرافضة بكلمته ١٧٧ ١٨٣ ١٨٦ ٢٣٧

سهل بن حنيف :

مواخاة على له ولقته به ١٦١

أبو طالب :

حمايته للرسول ٢٣

عبد الله بن مسعود :

تركته لأبي بكر ٨٦ ولعثمان ٢٢٤

عثمان بن عفان :

اترك لغيره وصلة موت الرسول ٧٩ - ٨٠ الفتحة الثغور كلها ٩٤ تركية على له ١٣٦ ان عمر  
في تجسيم اخلاقه ١٨٤ لقديره ابن مسعود له ٢٢٤ طعن الرافضة في شجاعته ٢٤٢

القشمانية :

قولهم : الفضل الأمة وأولادها بالامامة أبو بكر ٢ قولهم في اسلام على ١٩ ، ٢١ كثرة الفقهاء  
والحديث فيهم ١٧٦ ملحقهم في النسوبة ٢٠٦ قولهم بان الله اختار للناس اماما لاعلى النص  
والنسمية ٢٧٧ وساق القولهم وردودهم على طعن الرافضة . انظر (الرافضة) .

على بن أبي طالب :

القول في اسلامه ١١ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٠ تكريم التاريخ في البات وقت اسلامه ١٩ موازنة  
اسلامه باسلام زيد وخبيب ٢٢ اثر حماية أبي طالب في اسلامه ٢٢ لم يكن له صنيع ظاهر  
في اول الاسلام في خلال ثلاث عشرة سنة ٢٨ القرار بفضل أبي بكر ١٠ ، ٨٤ ، ١٣٦ ، ٢٢٥  
وبفضله هو وعمر وثمان ١٣٦ ، ٢٣٥ تبيينه بيعة أبي بكر ٢٣٥ تزويجه أم كلثوم لعمر ٢٢٦  
تسجيته أولاده باسمه أبي بكر وعمر وثمان ٢٢٧ قبوله تولية عمر اياه ٢٢٧ موازنة بين صحبة  
الغار وميمنة على الفراء ٤٢ موازنة بين مائليه هو ومائليه أبو بكر ٣٩ هو ورجل من عمر  
المسلمين سواء ٨٧ كان من فقهاء الصحابة ٨٨ خفيوه في الفقه ٨٩ - ٩١ امتداد من خطئه  
بخطأ الصحابة والائبياء ٨٩ - ٩١ رجوعه في فتاويه ٨٩ لاحية في اشارته على عمر ٨٧ لم يذكر  
في الصحاح ٩٢ ولا القراء ولا اصحاب التفسير والحديث ولا من يتبعه الفقهاء ٩٢ ولا اصحاب  
قوة السلطان ولا اصحاب الفتوح ولا البارمين في السياسة ٩٤ ولا المعاة ٩٥ ولم يكن مشتهرا

يعلم الكتاب ولا الفرائض والتأويل والقراءات ١٢١ القول في حروبه ٤٥ كان يقاتل وهو على ثقة من النصر ٢٩ سجلت خطبة له أن القوم كانوا يشكون في علمه بالحرب ٩٦ دليل آخر على عدم معرفته بالحرب ٩٦ حديث العباس معه في ذلك ٩٧ شذته يوم الحديبية ٧٨ تقدس الرافضة له ٩٢ قولهم بأن الله أبر إليه علم ما كان وما سيكون ٢٤٢ ما نزل فيه من القرآن فيما يؤمنون ١١٥ قولهم أنه كان يتصدق وهو في الصلاة ١١٩ فخرهم بأن الرسول بعثه ليقرأ صدر سورة براءة على الناس سنة ١٢٩ ، ١٣٠ وحدثت «من كنت مولاة فمولى مولاة» ١٣٤ ، ١٤٣ — ١٤٦ ، ١٤٨ وبأخا الرسول له ١٣٤ ، ١٦١ مؤاخاه لسهل بن حنيف ١٦١ كان مقلا لم يرى ٩٨ نصحه بيت المال ٩٩ تكلم الرافضة أن أنكر إمامته ٢٢٥ النص على إمامته ١٤٩ الطعن في خلافته ١٧٣ معادة الزبير لمؤاخاثة ٢٢٤ تسميته حربه لطلحة والزبير «الفتنة» ١٧٥ نفوذ الصحابة والبدويين من الدخول في حروبه ١٧٥ كثرة الفتن في عهده ١٨٥ انتفاخ المسلمين عليه ١٩٥ خلاف أصحابه عليه ١٩٥ مناقشة ملهيه في التسوية ٢١٨ زعم الرافضة أن فريشا تصبغت عليه لتقتله فأرهبها ٦٠ وأن بنى أمية صرفت الإمامة عنه لحقدتها عليه ١٩٦ ملزمة سعد بن أبي وقاص له ٢٧٥ الوصية له وانتكار ابنه عمر لها ٢٧٥

**عمر بن الخطاب :**

لأخيه على له ١٣٦ ، ٢٢٥ قبوله توليته ٢٢٧ تسمية على ولده باسمه ٢٢٧ تزويجه إياه أم كلثوم ٢٢٦ لأخيه في الإشارة على عليه ٨٧ تطعيم ابن مسعود له ٢٢٤ استغلاف أبي بكر له ٨٦ ، ٢٧٤ لتقديمه لأبي بكر ٢٢٢ ، ٢٢٣ تفصيله أسامة على ابنه عبد الله ١٤٧ ، ٢١٦ أحاديث في الموازنة بينه وبين أبي بكر ٦٨ ، ١٢٧ تنسبه في الحديبية ٧٨ أنكره موت الرسول ٧٩ — ٨٠ أنه في تجسيم أخطاء عثمان ١٨٤ تحليل تهجينه لأمر العجم ٢١٤ قوله في التسوية ٢١٥ تطعيمه لصهيب الرومي ٢١٦ ، ٢١٧ ولسالم مولى أبي حنيفة ٢١٧ ، ٢٧٤ وصيته لسالم ٢٧٤ جعله الخلافة بعصده شوري بين ستة ٢٧٤ رمى الرافضة له بالمصيبة ٢٢٠ السر في ذلك ٢٢١

**مسطح بن أثالة :**

خبره ٥٥ ، ١١٧

**هارون عليه السلام :**

وزارته موسى ١٥٦

## ٩ — فهرس الأبحاث المتعلقة بالمعارف العامة

**آية :**

آيات في التسوية ٢٠٨

**أجماع :**

كلمة فيه ١١٦ أجماع الأمة أمر لابن ١٩٥

**أحاديث :**

في التسوية ٢٠٧ في فضل البراء ١٤١ وأبي بكر ١٣٧ ، وأبي لؤي ١٣٨ ، ولؤي بن عمرو ١٤٢ وسعد بن معاذ ١٤١ وسعد بن أبي وقاص ١٦٠ ، وأبي سفيان ١٤٠ ، وطلحة ١٤١ ، وأبي عبيدة ١٤١ ، عثمان ١٤١ وعكاشة ١٣٩ ، وعمر ١٤٢ ، وعمر ١٣٧ ، ١٤٠ ، وابن مسعود ١٤١ في الموازنة بين أبي بكر وعمر ٦٨ ، ١٣٧

### الخ :

تحقيق معناه والتفرقة بينها وبين الخليل ١٢٥

#### اختيار :

كلمة فيه ٢٥٢ ترك الاختيار ربما كان اختيارا ٢٧٨

#### أسباب :

الأسباب المشجعة على القتال ليس الدين أولها ٤٧

#### استثناء :

تركه حين يكون مرفوعا مشهورا ١٢٨

#### أمرأ :

محنة أبي بكر أريشا في أمر الأسراء ٦٩

#### أمامة :

تحقيق فيها ١٥٤ هل على الناس أن يتخلوا أماما ٢٥٠ ليس للأمامة أن تختار الإمام ١٥٦ يجب

على الخاصة إقامته ٢٦١ متى يكون ذلك ؟ ٢٦٢ وكيف يكون ٢٦٥ طرق إقامته ٢٧٠ النص

على الإمام ٢٧١ ليس في القرآن آية تنص على أمامة ٢٧٢ وكذلك الحديث ٢٧٣

#### أنبياء :

بعض ما أصابهم من السوء في جسدكم ١٥٢

#### تاريخ :

تكميله في البات وقت اسلام على ١٩

#### تحقيق :

كلمة الاغ والخليل ١٢٥ انتهى ٢٠٨

#### تخصيص :

تركه حين يكون مرفوعا مشهورا ١٢٨

#### تسوية :

مذهب الثمانية فيها ٢٦٠ احاديث فيها ٢٠٨ آيات فيها ٢٠٨ زعم الرافضة ان ابا بكر وعمر

كانا لا يقولان بالتسوية ٢١١ قول عمر فيها ٢١٥ مناقشة مذهب علي فيها ٢١٨ .

#### تهذيب :

مذهب المسلمين ٢٩

#### توقيف :

توليت زمن الدنيا الى عمر الجاهل بسبعين قرنا ٢٠٩

#### حديث :

الحديث الضعيف والشلال ١١ الاعتماد على قوة السنن ١٣٦ . والنظر (احاديث) .

#### خاصة :

احتياج العامة اليهم ٢٥٢ وجوب إقامة الإمام عليهم ٢٦١ متى يلزمهم ذلك ٢٦٢ وكيف يجوز

٢٦٥ كيف يقتلون واحدا من عشرة ٢٦٨

خير :

خير مسطح ٥٥ ، ١١٧

خلافة :

انظر ( امامة )

خليل :

التفرقة بينه وبين الاخ ١٣٥

دفاع :

دفاع عن البدرين والمهاجرين ٦١

دنيا :

صلاحها بتدبير الخاصة وطاعة العامة ٢٥١

دين :

ليس الدين اول الاسباب المشجعة على القتال ٤٧ صوعية علم الدين ١٧

رياسة :

فضل ليس الجيش على القتالين ٢٦ ، ٥٠ ، ٥٧ لا تستحق في الدين بغير الدين ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤

شبه :

شبه صاحب ولوزير برئيس الجيش ٥٠

شعر :

في ابي بكر ١١٠ في تاليب ابي بكر الصديق ١٢٤

صبي :

حكم اسلام الصبي ٢١

طاعة :

متى تتحقق الطاعة والمصيبة في العامة ٢٥٢

عامية :

جهل العامة بالمطلق ٢٥٠ تشبيههم بجوارح البدن ٢٥٠ صلاح الدنيا بتدبير الخاصة وطاعة العامة

٢٥١ احتياجهم الى الخاصة ٢٥٢ متى تتحقق الطاعة والمصيبة فيهم ٢٥٢ ماذا يعلمون وماذا

يجعلون ٢٥٢ باب آخر توجهه النوام ولا يشعرون بمجزهم عنه ٢٥٢ معرفتهم بالله ورسوله ٢٥٥

ليس لهم ان يختاروا الامام ٢٥٦ هل العامة مسجونون ٢٥٨

عتاب :

عتاب الله لرسوله ٩٢

علاوة :

عداوة خزاعة وكتيف وابي لهب للمسلمين ١٠٢

عسقم :

علم الدين والكلام ، صوبيتهما ١٧

### قتال :

فصل الرئاسة فيه على مباشرته ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٧ تهوين أمر القاتلة ٤٦ ، ٤٧ الأسباب المشجعة عليه ليس الدين أولها ٤٧

### قرآن :

أعجازه ١٦ نطقه بأمر الفار ٤٤ كيف نعلم قصده لبعض الناس ١٠٠ ماثل منه في أبي بكر ١٠٠ دعوى الرافضة نزول القرآن في علي ١١٦ ليس فيه أية تنص على إمامة ٢٧٢

### كلام :

صعوبة علم الكلام ١٧

### مسلمون :

تدبيرهم ٢٩ عبادة خزيمة وتقليد وأبي لهب لهم ١٠٢

### مصاحف :

وفيها ١٢

### ملائكة :

التأييد بالملائكة ١٠٨ الملكان الكاهن ١٠٩

### مؤاخاة :

المؤاخاة بين الصحابة ١٦١

### موالي :

تطبيق مملأها ٢٠٨

### نفس :

طبائهم بعد وفاة الرسول ١٩٦ العامة والخاصة ٢٥٠ . اختلاف طبائع الطوائف ٢٥٦

### نبوغ :

لا يحتاج في معرفته إلى اجتهد ٢٦٦

### هجرة :

الهجرة وسريتها ٥١ فصل هجرة المدينة على هجرة الحبشة ١٠٦

### وزارة :

وزارة هارون موسى ١٥٦ شبه صاحب والوزير بربليس الجيش ٥٠

### وصية :

الوصية بالإمامة ٢٧٥ — ٢٧٩ قول الرافضة أنها كانت بالسنة لا بالكتاب ٢٧٦



## مؤلفات وتحقيقات عبد السلام هارون

- آمالي الزجاجي — مجلد  
الأماليب الانشائية في النحو العربي  
الألف المختارة من صحيح البخاري ٢/١  
الاشتقاق ٢/١  
الامام ابن دريد  
البيان والتبيين ٤/١ — مجلد  
البحر والبرقان والعميان والحوالان  
تحقيقات وتنبيهات في معجم  
لسان العرب — مجلد  
الحيوان ٨/١ — مجلد  
شرح ديوان الحماسة ٤/١  
الكتاب ٥/١  
العثمانية  
فهارس المختص  
مجموعة المعاني  
مجموعة رسائل الجاحظ ٤/١
- الزجاجي  
الجاحظ  
الجاحظ  
الجاحظ  
المرزوقي  
سيبويه  
الجاحظ  
ابن سيده



معجم مقاييس اللغة ٦/١

المفضليات الخمس

همزيات أبي تمام

وقعة صفيين

ابن فارس

ابن مزاحم













